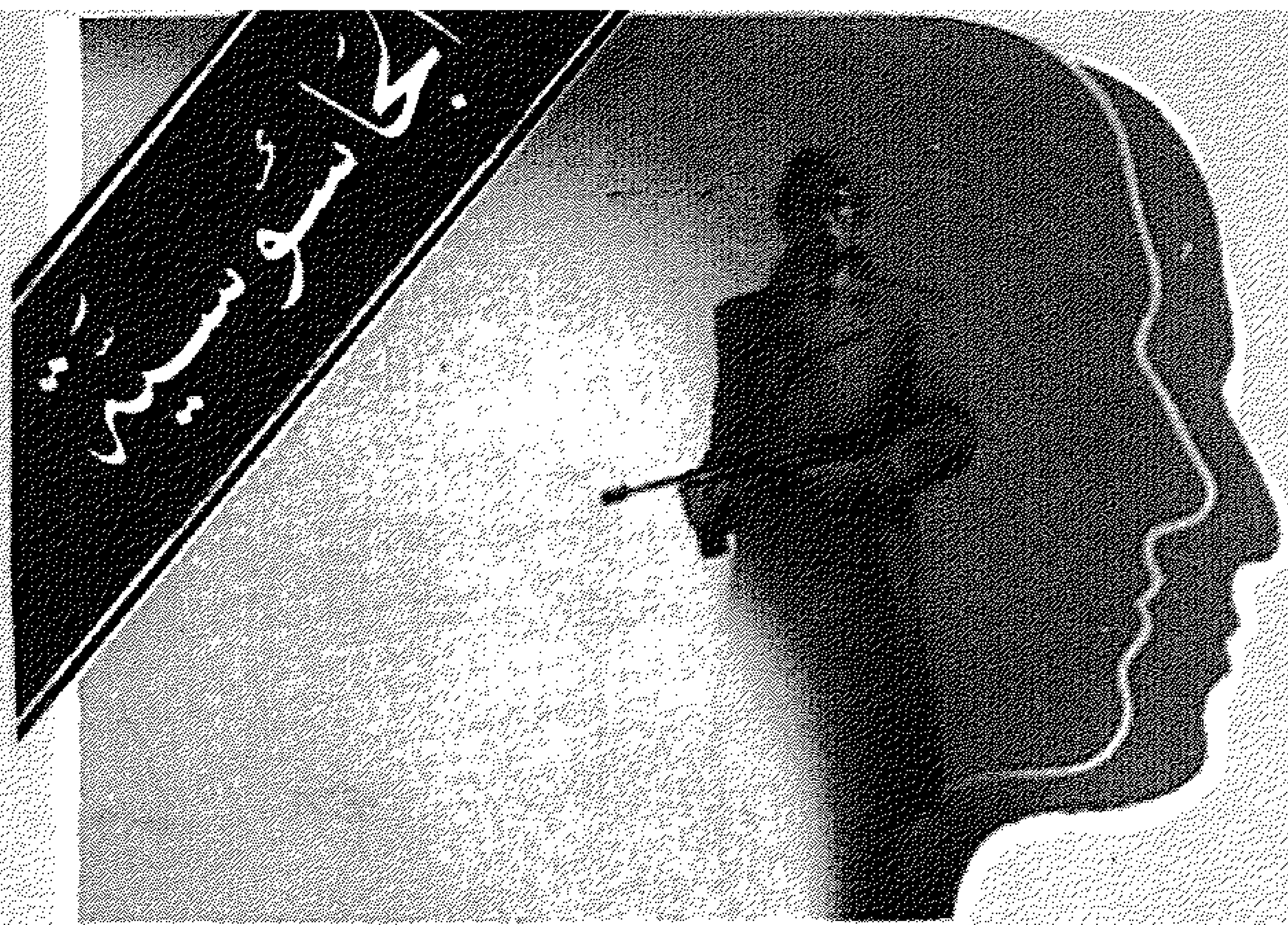
سعيد الجزائري



ملف الثمانينات عن حرب المخابرات



دار الجيل
للنشر والتوزيع
بيروت

دار دمشق
للنشر والتوزيع
دمشق

سَعيد الجزائري

ملفُّ الثمانينات
عَن
حرب المخابَرات

دار دِمَشق
للنشر والتوزيع
دِمَشق

دار الجيل
للنشر والتوزيع
بيروت

ملف الثمانينات

الاهداء

● إلى رجال المخابرات العربية .
● الى رجال القوات المسلحة العربية .
● الى رجال قوى الأمن الداخلي العرب .

أهدي محتويات هذا الملف من كتبي المسلسلة عن أعمال المخابرات في العالم بصورة عامة وما يسمح بنشره الأمن القومي عن أعمال مخابراتنا العربية وبذلك أقدم الفائدة للقارىء سواء كان من العسكريين أو المدنيين بحيث يصبح نتيجة اطلاعه على مؤامرات المخابرات المعادية وطريقة تغلغلهم في البلاد العربية يعدّ للعشرة أو للمائة قبل أن يجاوب على أي سؤال مشبوه يوجه إليه أو يتورط بأي عمل مخل بأمن بلاده ويأتي الاهداء أيضاً اعترافاً بانجازات رجال الأمن العرب بصورة عامة ووقوفهم في وجه الأعمال المعادية لوطننا الكبير .

مؤلف ومعد ملف الثمانينات

عن

حرب المخابرات

الصحفي سعيد الجزائري

تنويه

إن الدافع لاصداري هذه الكتب الوثائقية الفنية بأعمال المخابرات ومؤامرات الأعداء هو اقبال القراء بجميع فئاتهم على اقتنائها وشرائها أولاً بأول وكان هذا الملف الجامع بالوثائق الدولية عن أعمال المخابرات والجاسوسية العالمية والمعادية وقد، صدر باسم (ملف الثمانينات ـ عن حرب المخابرات) عوضاً عن (ألجزء الثالث) الذي وعدت القراء به لذلك جرى التنويه للقراء الذين يحافظون على متابعة هذه الكتب والذين يشعروني برسائلهم الغالية لي بأنهم بانتظار المزيد من هذه الكتب بأن الجزء الثالث سيصدر قريباً إلى الأسواق وهو يتضمن معلومات وثائقية عالمية وجديدة ومتممة للجزأين الأول والثاني كما سيتضمن الجزء الثالث الريبورتاج الحي المصور عن كيفية اعتقال جاسوسة والتحقيق معها الذي وعدناهم به بالأجزاء السابقة والى اللقاء.

المؤلف

سعيد الجزائري

التجسس (The Intellegence)
(& The World)
لماذا هذه الكتب عن التجسس..؟

التجسس لغة العصر:

قدمنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة شرحاً وافياً عن نشوء المخابرات ومن ثم الأعمال الجاسوسية التابعة لها ثم شرحنا في الجزء الثاني كيفية عمل المخابرات والجاسوسية في العالم وأهم منجزاتها ونحن إذ نتابع الطريق لتقديم أعمال المخابرات والجاسوسية للقراء ليكونوا على اطلاع مستمر على منجزات المخابرات والجاسوسية في العالم وإذا بحثنا في كل موسوعة عن الجديد في تسمية الجاسوسية والتجسس نجد في المعاجم وتاج العروس أن التجسس (لغة) من الجس وهو اللمس باليد ويقال يجسه جساً واجتسه أي (مسّه) ولمسه. وجس المرء بعينيه إذاً أحد النظر إليه بغرض أن يتعرف عليه ويتثبته. وهو كما يقول محمد راكان الداعمي في كتابه (التجسس وأحكامه في الشريعة الاسلامية) مجاز حيث أن الجس هو اللمس باليد باعتبار ما فيه من معنى الطلب باللمس فإن من يطلب شيئاً يجسه ويلمسه واستعمال التفعل للمبالغة، ومنه جس الأرض أي وطئها وداسها وجس الخبر أي بحث عنه. وتفحص وتجسس الأمر إذاً تطلبه وبحث عنه ومنه

التجسس وقيل أن التجسس هو (التفتيش) عن بواطن الأمور والتجسس بالجيم المعجّمة والتحسس بالحاء المهملة مآلهما إلى معنى واحد وإن كلاً منهما يعني البحث عن الأخبار وتفحصها (بصورة خفيّة) ومعرفة الأمور، والبحث عنها وطلبها. وفي تفسير القرطبي يقول: التجسس هو البحث عما يكتم عنك. وقيل في نيل الأوطار وفتح الباري: الجاسوس يسمى عيناً لأن عمله (بعينه) أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها فكأن جميع جسده صار (عيناً).

أما القواميس العسكرية فتتحدث عن التجسس بمعناه الحديث وتسميه نوعاً من أنواع العمل الاستخباري وهدفه البحث والحصول على المعلومات المتعلقة بدولة ما ونقلها (بطرق سرية) خاصة من مكانها إلى مكان آخر بواسطة عملاء دولة أخرى. والتجسس بهذا المعنى كما ورد في الموسوعة العسكرية يشمل أنواعاً مختلفة من النشاطات المعلقة بالأمن القومي والسياسة الخارجية التي تمارسها الدولة وتنبع أهميتها من أن كافة القرارات تتخذ بناء على توافر معلومات معينة، وإن يوم رئيس الدولة يبدأ وينتهي عادة بقراءة تقارير المعلومات قبل أن يتخذ القرارات المناسبة. ويحدد نوع التجسس نوعية وطبيعة المعلومات المطلوبة ومن هنا جاءت التسميات الآتية:

أ ـ التجسس العسكري.

ب ـ التجسس السياسي.

جـ ـ التجسس الاقتصادي.

د ـ التجسس الاستراتيجي.

هـ ـ التجسس القومي.

و ـ التجسس التكتيكي القتالي.

ز ـ التجسس المضاد.

وإن مصادر المعلومات في التجسس تكون علنية وهي التي تحصل عليها الدولة بما تملك من وسائل التنصت والاستماع والرصد وهي المعلومات الأهم كما أن بعض مصادر المعلومات تكون (سرية) ويصل بعض المعلومات العلنية الى الدولة ثم المخابرات عن طريق البعثات الدبلوماسية أما المعلومات السرية فيتم الحصول عليها من العملاء أولاً وثانياً من الاستطلاعات الجوية الفضائية ووسائل الاستماع الاليكتروني الحديثة.

ما يقوله القاموس السياسي للاستاذ أحمد عطية الله عن الجاسوسية :

١ ـ الجاسوسية في الاصطلاح القانوني هي العمل سراً وبادعاء كاذب ليستولي شخص أو يحاول الاستيلاء على معلومات حيوية لغرض توصيلها إلى الأعداء، ونصت اتفاقية لاهاي الدولية عام ١٩٠٧ على محاكمة المتهم بالجاسوسية والحكم عليه بما يتناسب مع ما قام به من جرائم التجسس بما في ذلك الحكم باعدامه.

لا يعد من الجواسيس الجنود الذين يقبض عليهم في مناطق الأعداء ما داموا لا يخفون شخصياتهم ولو كانوا يحاولون الاستيلاء على معلومات أو المدنيون والجنود الذين يقبض عليهم وهم يعملون في نقل المعلومات أو المراسلات، أو الذين يهبطون بالمظلات، أما في زمن السلم فيعد (جاسوساً) كل من يحاول الاستيلاء على معلومات خاصة بالقوات المسلحة أو الذخائر أو التحصينات أو وسائل الدفاع بقصد توصيلها إلى دولة أخرى.

٢ ـ من قضايا الجاسوسية الكبرى منذ الحرب العالمية الثانية القضايا المتصلة بافشاء أسرار الأسلحة النووية، من أشهرها القضية التي اتهم فيها الدكتور (كلاوس فوخس) في انجلترا بافشاء أسرار القنبلة الذرية إلى الاتحاد السوفييتي وحكم عليه في آذار (مارس) عام ١٩٥٠ ـ ١٤ سنة سجن والقضية التي اتهم فيها (يوليوس روزبرغ وزوجته أثيل عام ١٩٥١) في الولايات المتحدة بافشاء أسرار القنبلة الذرية إلى الاتحاد السوفيتي ومحاولة التخريب وحكم على الزوج بالاعدام في ١٩ حزيران (يونيه) ١٩٥٢ ونفذ الحكم على الكرسي الكهربائي في حينه أما زوجته فقد حكم عليها بالسجن ٢٠ سنة حيث من المقرر أن تكون قد أفرج عنها في عام ١٩٧٢.

٣ ـ ومن قضايا الجاسوسية في مصر القضية التي عرضت على محكمة الثورة المصرية عام ١٩٥٤ وحكم فيها على أربعة من المتهمين بالاعدام وعلى آخرين بالأشغال الشاقة لأنهم أمدوا جهات أجنبية بمعلومات عن الوطن بقصد الاضرار بمصالح البلاد العليا وفي ٢٧ آب (أغسطس) ١٩٥٦ وبعد تأميم قناة السويس من قبل الرئيس الراحل عبد الناصر اكتشفت شبكة للجاسوسية البريطانية وحكم على اثنين من البريطانيين المشتركين فيها بالسجن مدداً مختلفة، وفي شهر تشرين أول

(اكتوبر) ١٩٦٤ قبض على الماني وزوجته[1] بتهمة التجسس واستخدام المتفجرات بالطرود البريدية لارهاب الخبراء الألمان العاملين في مصر وحكم على كل منهما بالسجن ٢٥ سنة.

اليهود يتجسسون مقابل رفع شبح الاضطهاد عنهم:

ويقول الكاتب المختص بشؤون اليهود ريتشارد بيكون إن اليهود كانوا يعملون باخلاص للبلد الذي يحلون فيه.. ولكن في كثير من الأحيان كانوا يعمدون إلى تقديم خدمات للدولة... للنظام مقابل تأمين الحماية لهم ذلك أن شبح الاضطهاد يلاحق اليهود منذ القديم.. ولكن الأمر الآخر الذي يجب أن يراعيه كل باحث هو أن اليهودي كثيراً ما كان يعمد إلى الازدواجية في التجسس.. يتجسس لحساب الدولة التي يعيش فيها ولكنه في الوقت نفسه يقيم علاقات ود مع كل حركة سياسية أو فكرية لكي يضمن لنفسه (مركز اعتبار) تحسباً لتغيّر الأحوال وهذا ما يفسر حقيقة أن تاريخ الجاسوسية يحفل باليهود الذين يعملون لجهتين في وقت واحد وربما لأكثر من جهتين. وإذا استعرضنا في استعادة التاريخ منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اليوم.. نرى أن أشهر الجواسيس كانوا من اليهود وإن أقدرهم كان في الواقع عميلاً مزدوجاً أو أكثر من عميل مزدوج. ولذا أصبحت الجاسوسية بدءاً من الأوامر التي أعطاها موسى للاثني عشر رجلاً الذين بعث بهم للتجسس على الكنعانيين أصبحت كما لو كانت أمراً سماوياً مقدساً بالنسبة لليهود من التوراة لأنها جاءت على لسان نبيّهم وقائدهم ومخصلهم من فرعون مصر وأصبحت الجاسوسية ليست عملية عسكرية ولا هي نشاط عادي.. بل هي أمر الهي في معتقدهم ولذلك كانت هيّ المهنة الوحيدة التي برع فيها اليهود عبر التاريخ والمهنة الوحيدة التي رأى اليهودي فيها الاضطهاد والخوف.

---

(١) الألماني هو المهندس لوتز الذي أمضى في السجن إلى عام ١٩٦٧ حيث جرى تبادله مع اسرائيل بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وذلك بأن أعادت اسرائيل إلى مصر / ٥٠٠٠ خمسة آلاف أسير / مقابل استرداد هذا الجاسوس ولترفع من معنويات عملائها لأنها كانت ستسلم الأسرى بطبيعة الحال...

الجاسوسية العربية والاسرائيلية:

والمخابرات العربية لديها كل ما ذكـر من الوسائل لرصد تحركات ومؤامرات المخابرات الاسرائيلية أولاً والمخابرات المعادية للأمة العربية ثانياً ولكنها لم تصل في عملها إلى ما وصلت إليه المخابرات الاسرائيلية ذلك أن هذه المخابرات التي تحمل الحقد الأسود في صدرها ولا تؤمن لأحد إلا للسيطرة الصهيونية المطلقة فقد امتد نشاطها الاجرامي إلى داخل الادارة الأميركية لجمع المعلومات التي تفيد منها اسرائيل لتنفيذ خططها وبرامجها جيث يوجد للمخابرات الاسرائيلية (عملاء) من جميع المستـويات في الولايات المتحدة سنذكر كل منهم في المكان المناسب ونذكر هنا مثال بسيط على تجسس هذه المخابرات على وسائل الاعلام الاميركية فقـد نشرت مجلة (التايم) الأميركية في عدد ١٩٨٤/٧/٢٣ أن مدير مكتبها في القـدس المحتلة تقـدم للسلطات الاسرائيلية بثلاث شكاوى بعد اكتشاف جهاز للتنصت في مبنى المجلة بواسطة اللاسلكي لصالح المخابرات الاسرائيلية وهذا المثال قليل من كثير من الأخبار التي تطالعنا بها الصحف العربية والأجنبية من حين لآخـر عن عمـل المخـابـرات الاسـرائيلية في دول العالم المختلفة وبراعة هذا المخـابـرات في سرقـة الأسـرار والأخبار مضافاً إليهم الاغتيال والتفجير. . الخ.
وعنـدما اجتاحت اسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ سمعنا أخبارا مذهلة عن أناس كانوا يعيشـون في مختلف المنـاطق اللبنانية كواطنين عاديين بعضهم حارسِ بناء أو حارس مرآب أو حتى (شحاذ) يستعطي المارة من مكان (معين) لا يفارقه ومنهم (مـاسح الأحذية) أو عامل في بستان وغير ذلك من نوعيات العمل للتمويه على تجسسهم وعمـالتهم وبعـد دخـول اسرائيل إلى الأراضي اللبنانية (ظهروا) على حقيقتهم فقـد التحق بعضهم بالجيش الاسرائيلي برتب مختلفة حتى رتبة نقيب (قـائـد كتيبة) وكانوا يرافقون الجيش الاسرائيلي في تنقلاته لدلالة على مخابىء الفدائيين والوطنيين اللبنانيين والأسلحة ثم اختفوا بعد خروج اسرائيل من بيروت خوفـاً على أنفسهم أولاً وثـانياً بعد أن نفذوا المهمات التي أوكلت لهم من قبل المخابرات الاسرائيلية وكانت أخبار هؤلاء العملاء مثار الدهشة في كل مكان. هذا التجسس في البلاد العربية وحتى في الولايات المتحدة نفسها ينشر في الصحف تباعاً ومن هذه الأخبار البعض مما تسر به نفس هذه المخابرات للنشر دعاية لها

بعـد أن تغطي مصاريفها من أموال المخابرات الاسرائيلية حيث تبلغ تكلفة نشر صفحـة واحـدة من أي ريبورتاج أو مقال (معد) حوالي خمسة آلاف دولار فأين مخـابـراتنـا العربية وأين حربها وكفاحها ضد المخابرات الاسرائيلية . . لماذا لم نسمع عن (أعمال مضادة) عربية لنفتخر بها ونعتز ولا نقول أننا متخلفين عنهم أبداً فمخابراتنا لم تعدم الوسيلة للوقوف في وجه المخابرات الاسرائيلية واحباط مؤامراتها ولكن ما ينقصنا هو التنظيم والتنسيق وتبادل المعلومات والأسماء بين المخابرات العربية فور الحصول عليها. وإننا لا نتهم حتى أسلافنا بأنهم أهملوا التجسس في حروبهم مع أعدائهم لأن التجسس له الدور الأول في الحروب وقد ثبت في المعارك الحـربية التاريخية أن الجاسوسية كان لها المحل الأول في الحروب بين الدول المعادية ثم يليها في المحل الثاني السلاح فاذا تحاربت دولتان مثلاً أو وقع بينهما عداء فإن النصر يكون لمن كان منهما أكثر براعة في التجسس واكثر معرفة بأحوال عدوه بدءاً بحكـامـه في محـاسنهم وعيوبهم ثم أحوال الجيش وقادته ثم تركيب الشعب نفسـه والقاعدة في ذلك أنه لا قيمة للسلاح في اليد إذا كنت تجهل أدق التفاصيل عن عدوك من الأمور الصغيرة إلى الأمور الجليلة ومن الخفية الى الظاهرة فالتجسس هو الدعامة الأولى لكل دولة يكون لها أعداء والجاسوسية هي أكبر عامل للنصر حتى ولو كان عدوك متفوقاً عليك بالسلاح لأنك تستطيع (بجاسوسيتك) أن تحـول دون استعمـالـه السلاح كأن تهاجم مثلاً أماكن ذخائره أو مواقعه الحربية الحساسة وتقضي عليها أو تقابله بأسلحة أشد تأثيراً من أسلحته إذا عرفت أسرار أسلحتـه مسبقـاً وأن تسرع بالانقضاض عليه قبل أن يهاجمك (عندما تعرف من التجسس موعد هجومه). المهم أن تعرف كل شيء عنه بدقة وتعرف كل شيء عن خططه وحركاته وسكونه.

وهكـذا إذا اقتنعنا بأن للجاسوسية هذا الشأن الكبير كما اقتنع واهتم قبلنا أجدادنا بالتجسس على الأعداء وكان النصر حليفهم في معاركهم تلك لاتباعهم أمور حيوية وهي :

١ ـ الايمان العميق بالنصر قبل دخولهم المعركة لأن الله سبحانه وتعالى وعدهم بالنصر.

٢ ـ معرفة حال العدو قبل الهجوم عليه (وهو التجسس).

٣ ـ عدم الخوف عند اللقاء مع الصبر والاقدام.

وكان رسول الله ﷺ أول من أمر باستطلاع أخبار قريش (التجسس عليها) إبـان حربـه معها فكان يبعث بعض أصحابه ليأتوه بأخبار القرشيين. أو ليحددوا أماكن تجمعهم أو يرصدوا حركاتهم. ونجد مثل ذلك في الفتوحات الاسلامية في الشام ضد الروم وفي العراق ضد الفرس حيث كان جميع القواد يلجأون إلى معرفة أحوال العدو بدقة قبل الهجوم وكان كثير من القواد والملوك يتخفون بأزياء مختلفة كبائع زيت أو فقير متسول ليستطلعوا بأنفسهم شؤون الأعداء وليجمعوا الأخبار وهذه المعلومات كانت تمهد للجيوش الاسلامية الطريق الى النصر أو تجنبها الخسائر وكـدليل على مانذكر نعود إلى أيام الحروب الصليبية حيث تنبه ملوك بني أيوب الأوائل إلى شأن معرفة أخبار العدو (التجسس) ولعل أبرع عملية تجسس تمت في حينـه هي التي نظمها (الملك العادل الأيوبي) أيام صلاح الدين قبيل استرجاع (بيت المقـدس) فقـد استـطاع انشاء (شبكة تجسس) امتدت من القدس حيث الصليبيون إلى قلعة شقيف في جنوب لبنان حيث كان الأيوبيون فكان الملك يتلقى أخبار الصليبيين يوماً بيوم بواسطة هذه الشبكة سواء بواسطة الحمام الزاجل الذي كان يربى خصيصاً لنقل الرسائل بربطها تحت جناحيه وللنزول في بيوت خاصة للحمام تقام على الطريق وبالاضافة الى ذلك فقد استطاع الملك العادل بواسطة العملاء الذين جندهم من بين الرهبان المعادين للصليبيين وبعض النسوة العجائز اللواتي استـطعن الـوصـول الى زوجـة الملك بغدوين الصليبي (ملك القدس) وجعلهـا تتعـاون معه بارسال الأخبار المهمة عن تحركات جيش زوجها (مقابل) هداياه النفيسة من الجواهر والأقمشة الحريرية التي كانت محرومة من اقتنائها وهذه المعلومات التي جمعت يوماً بعد يوم ساعدت صلاح الدين الأيوبي على معرفة ما كان عليه الصليبيون معرفة دقيقة ومهدت له استرجاع بيت المقدس. وهنا نؤكد كيف أن فن التجسس كان متطوراً عند العرب والمسلمين بانسبة للأمم الأحرى حتى أن كتـاب (السياسـة) بقلم الوزير الشهير نظام الملك مؤسس المدرسة النظامية في بغـداد قبـل تسعـة قرون يثبت أن التجسس كان من أهم أغـراض الـدبلوماسية الاسلامية حيث يقول الكتاب عن واجبات السفراء إذا أوفدوا إلى ملك أو رئيس دولة:

- إن مهمة السفراء لا تقف عند حد تقديم رسالة (أوراق الاعتماد) إلى مـن أرسلوا إليه بل إن هناك مئات من الأغراض الثانية يجب أن يبحثوا عنها.

- عليهم أن يعرفوا حالة الطرق والآبار وهل الطرق معبدة تستطيع الجيوش أن تمر عليها.
- عليهم أن يعرفوا أماكن المروج والأعشابي للعلف. . .
- عليه أيضاً أن يعرفوا قوة الجيش والمؤن التي لديه وعدده وعُدده وحالته في الاستعداد للدفاع والهجوم. . .
- عليهم أن يعلموا أيضاً كيف يعيش (الأمير ـ أو الملك) وماذا يأكل وبمن يجتمع وما هي تنظيمات بلاطه في القصر والعادات المتبعة. . .
- معرفة ماهي ملاهيه التي يلهو بها وهل يلعب الشطرنج ـ أو الصولجه أم يذهب للصيد. . .
- معرفة عاداته في ظلمه وعدله ولهوه وتبذله وكرمه وأخيراً أخلاقه. . .
- معرفة هل هو متعلم أم جاهل. . .
- معرفة هل جنده راضون عنه أم غاضبون عليه. . .
- هل هو بخيل أم كريم جواد. . .
- هل ازدهرت بلاده بالعمران أم امتلأت بالخرائب والاطلال. . .
- هل رعيّته من الفقراء أم من الأغنياء. . .
- ووزيره الأول (رئيس مجلس الوزراء) هل هو قدير أم عاجز.
- هل حاشيته من العلماء الأذكياء أم العكس. . ؟
- ماذا يحبّ ويفضّل وماذا يبغض ويكره. . ؟

ويخلص المؤلف نظام المُلك إلى القول:

حتى إذا رغبوا في محاربته يوماً أو أرادوا نقض خططه أو عيوبه كانوا مطلعين ومدركين يضعون المحاسن والمساويء نصب أعينهم وينهجون بحسبها. وهذا النظام الذي شرحه نظام المُلك المتوفى سنة ٤٨٦ هـ ١٠٩٣ ميلادية يكاد يكون كاملاً. ويمكن اضافة أمور أخرى تستوجبها محدثات هذا العصر لكن العناصر الأساسية الواجب معرفتها مذكورة وهي المتعلقة بالحكم والقوات المسلحة والشعب والبلاد.

وهكذا نجد أن العرب المسلمين أدركوا قيمة (معرفة أحوال أعدائهم ـ أي التجسس) حق المعرفة وأنهم لم يقصروا في ذلك وأنه كان لهم مناهج اتبعوها للافادة من المعلومات المتوفرة عن أعدائهم وعند ذلك تغلبوا عليهم.

المخابرات / الاستخبارات/ منذ العصور الوسطى:

ويمتد جذور نشوء المخابرات من العصور الغابرة وفي أقدم بلدان العالم الصين ومصر مروراً بالقرون الوسطى والحضارات العصرية حتى بلغت في يومنا هذا ذروتها سواء بتشعباتها أم بنفقاتها الباهظة (اطب تعطى) أو بالحاجة الماسة إليها واستعمالها جميع الوسائل العلمية الحديثة وتسخير الاكتشافات المتطورة في سبيلها وسوف نعرض في هذا الجزء من موسوعة المخابرات والعالم المسلسلة (ملف الثمانينات) المراحل التي مر بها تاريخ المخابرات بحيث نجد ازدياد الحاجة لأجهزة المعلومات المتطورة على مدى السنين. حيث كان الملوك والرؤساء والحكام يستلهمون (الآلهة)[1] قبل الذهاب للحرب مما يدل على الحاجة إلى الاستطلاع والاستعلام ولو غيباً باستطلاع الأرواح أو استجداء الآلهة لمعرفة أخبار العدو. وفي التوراة كما ذكرنا عن استعمال (فن المخابرات) عندما أرسل النبي موسى اثني عشر كشافاً لاستطلاع أرض الكنعانيين في سيناء وقد عاد هؤلاء بعد أربعين يوماً وأفادوه بأن هذه الأرض مليئة بالعسل واللبن ويمكن العيش بها بسهولة كما أخبروه بأن رجالها أقوياء أشداء لا يمكن التغلب عليهم، غير أن فن المخابرات لم يتخذ صورة علمية واضحة إلّا في القرن الرابع قبل الميلاد وذلك في الصين وقد ذكر الفيلسوف الصيني «صن تزو» في كتابه (فن الحرب) وأظهر كيفية التقاطهم وتدريبهم والتعامل معهم واختبارهم بالظروف الحربية الصعبة، وكيفية غشّ العدو بواسطة (المخبر المدسوس) وكيفية التأثير سلباً على معنوياته وذلك باشاعة الأخبار الكاذبة (أي الحرب النفسية) كما تسمى حالياً وقد سمي هذا المخبر (مخبر التضليل) وقد أصبح هذا الكتاب بعد مرور ألف وخمسمائة سنة المرجع المفضل لدى الحكام الصينيين، خاصة الزعيم الراحل ماوتسي تونغ ويروى أن رئيس

---

(١) لكي يكون القاريء على بينة لعدم تكرار أي مادة من مواد موسوعة المخابرات والعالم هذه نؤكد هنا ان شبهاً لهذه الجملة حول استلهام الآلهة قد جاء ذكره في صفحة الغلاف الأخيرة للجزء الثاني من موسوعة المخابرات والعالم المتوفرة في المكتبات الآن.

المخابرات السوفياتية الراحل أيضاً بعد أن أصبح رئيساً لمجلس السوفيات الأعلى وزعيم الحزب الشيوعي السوفياتي قد حفظ هذا الكتاب عن ظهر قلب وأوعز إلى ضباط مخابراته (ك. ج. ب) بقراءته والتقيد بتعليماته ونصائحه ويمكن القول أن الصين هي أول دولة قامت تنظيم جهاز مخابراتها (راجع صفحة ٢٢٣ من كتاب المخابرات والعالم الجزء الأول) على أسس علمية صحيحة عبر التاريخ.

أما في القرون الوسطى فقد انحصر نشاط أجهزة المخابرات كما كانت عليه في دواوين الملوك والرؤساء والحكام (وأسمها البلاط) فكان الملك أو الحاكم ينتقي بضعة عملاء ومخبرين وجواسيس يستخدمهم داخل البلاط وذلك لتزويده بالمعلومات اللازمة التي تكشف المؤامرات والدسائس، وقد ازدهرت هذه الطريقة على أيام كرومويل في بريطانيا وريشيلو في فرنسا كما أن نشاطات المخابرات العسكرية البحتة في العالم بدأت تتسع إذ أنشأ الملوك والحكام بعض فصائل الجيش المتخصصة بالاستطلاعات العسكرية بهدف دراسة أرض المعركة وتكوين فكرة عن عدد العدو وعتاده.

أما في الولايات الايطالية فقد أخذ القناصل يقومون بجمع الأخبار السياسية عن حالة الخصم مما جعل السكان المحليين ينظرون إليهم على أنهم ليسوا إلا جواسيس متسترين بصفاتهم الدبلوماسية (المؤلف: التاريخ يعيد نفسه الآن فأغلب السفراء والقناصل إن لم نقل جميعهم مكلفين بطبيعة الحال أن يكونوا جواسيس لبلادهم) ولابد من الاشارة إلى أن الملكة اليزابيث الاولى عهدت إلى أحد الأثرياء الانكليز وهو السير ولشنغهام بتأسيس جهاز مخابرات لجمع المعلومات عن اسبانيا في حينه وقد قام بالعمل المطلوب على أكمل وجه إلى درجة أنه أنفق ثروته الخاصة في سبيل المخابرات حتى أنعمت عليه الملكة بأن يكون مستشارها الخاص ومن ثم أصبح وزير دولة نتيجة تفانيه في عمله بالمخابرات ومن بعد ذلك اعتبر (مؤسس المخابرات البريطانية). ويمكن الاطلاع على نشوء المخابرات البريطانية في الصفحة ١٨٠ إلى ٢٢١ من كتاب المخابرات والعالم ـ الجزء الأول. وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت أجهزة المخابرات تعمل بشكل متكامل وحديث لتزويد الدولة بجميع المعلومات عن العدو وأرض المعركة ومعنويات الجنود. . ؟ ولابد من الاشارة هنا إلى أن صعوبة الاتصال في حينه كانت العقبة الرئيسية في وجه استثمار المعلومات حيث كان المخبر أو العميل أو «ساعي البريد» يقضي أياماً على ظهر

حصانه أو في السفينة لايصال تقرير معين لرؤسائه. لكن الانكليز كانوا السباقين باستعمال طيور الحمام لنقل الرسائل بسرعة طيران الحمام إلى رؤسائهم في القيادات وكانت معركة واترلو أول مناسبة لاستعمال الحمام الزاجل.

تطور عمل المخابرات:

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠م تطورت المخابرات بسرعة هائلة نظراً لاكتشاف التلغراف والهاتف اليدوي والسكك الحديدية وكثرة تبادل السفراء والقناصل وضباط الارتباط بين الدول فثبت الانكليز إنشاء جهاز مخابراتهم + البوليس السري (اسكتلاند يارد أو المباحث العامة) وحذا الفرنسيون حذوهم عندما أنشأوا (الشعبة الثانية) في عهد نابليون وهم أول من سمى الخابرات العسكرية بـ (الشعبة الثانية) ولدى اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ نشطت أجهزة المخابرات للدول المشتركة في الحرب بشكل ملموس على أرض الدول المحايدة (سويسرا ـ الدول السكندنافية) وتشعبت فروعها وأصبحت تهتم بالتجسس ومكافحة التجسس والتخريب والعمليات والاعلام..؟ وقد أصبحت هذه الأجهزة تدار من قبل رؤساء الدول بالذات لأهميتها. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ومرحلة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية انشغلت الدول الحديثة بتنظيم أجهزة مخابراتها على ضوء تجاربها وتقويتها ورصد الميزانيات الكبيرة لها بحيث أخذت تتدخل في الحقول العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية وساعدت في تطور المخابرات الاكتشافات العلمية كالطائرة وآلات التصوير والتنصت والصحافة... الخ فانتشر الجواسيس في جميع أنحاء العالم تقريباً. ولم يعد نشاط المخابرات محصور داخل حدود البلد. وفي هذه المرحلة برع الألمان إبان حكم الحزب النازي بقيادة هتلر فأنشأ جهازو مخابرات صارم وشديد سمي بـ (الغستابو) المعروف والذي كان من مهماته تعبئة الشبيبة الألمانية منذ الصفوف الاعدادية إلى الجامعة استعداداً للحرب بالاضافة إلى سيطرته على الجيش والأمن الداخلي وبقية مؤسسات الدولة وكان شعار الغستابو بين المواطنين (الداخل إليه مفقود والخارج مولود) ثم حصل صراع وتناحر بين الغستابو والمخابرات البريطانية الأنتلجانس سرفيس اضافة إلى التسابق مع جهازي

مخابرات روسيا وفرنسا وأثناء ذلك ظهرت أنواع جديدة من العملاء منهم:

١ ـ العميل السري ـ (يوضع في بلد آخر بشكل سري).

٢ ـ العميل المزدوج ـ (راجع صفحة ٢٩٩ مخابرات العالم ـ جزء ١).

٣ ـ العميل المخادع ـ (يوضع ضمن خطة خداع واحدة ويسحب).

٤ ـ العميل المتسلل ـ (يدخل إلى البلد خلسة للضرورة).

وكان لأجهزة المخابرات الفضل في كسب المعارك كما هو معروف تاريخياً، وهنا لابد من الاشارة في هذا الكتاب الوثائقي مع ما سبقه إلى أن الولايات المتحدة الأميركية بقيت إلى نهاية الحرب العالمية الثانية بدون جهاز مخابرات وقد شعرت أميركا (ترومن في حينه رئيس الولايات المتحدة) بأهمية المخابرات فأصدر أمره إلى ألن دالس شقيق جون فوستر دالس وزير الخارجية الأميركية في حينه بانشاء جهاز أمن سمي (المخابرات المركزية الأميركية) وذلك عوضاً عن جهاز مكتب الخدمات الاستراتيجية (راجع صفحة ٢٣٧ من الجزء الأول من كتاب المخابرات والعالم) وبعد أن فاجأهم اليابانيون بالضربة المدمرة للاسطول الأميركي في ميناء (بيرل هاربور) عام ١٩٤١ (يمكن للقارىء الذي يحب متابعة هذه الأحداث مراجعة كتاب الحرب العالمية الثانية صفحة ٢٠٦ توزيع مكتبة التنبكجي بدمشق). ولكن أهم مرحلة في تاريخ المخابرات هي في نهاية الحرب العالمية الثانية حيث برزت دول جديدة على المسرح العالمي ورسمت حدود لدول أخرى كما نالت دول مستعمرة استقلالها وقسم العالم إلى قسمين:

الأول: العالم الحر ـ هكذا سموه ـ ويعني العالم أو الدول التي تتزعمها الولايات المتحدة الأميركية.

الثاني: العالم الشيوعي ـ أو خلف الستار الحديدي ـ كما يسموه وهو الدول الاشتراكية الشيوعية بكاملها.

وقد لوحظ أن أول عمل يقوم به أي رئيس دولة جديدة (حديثة الاستقلال) هو تكوين جهاز المخابرات قبل سائر الادارات الرسمية لكي يتمكن من تسيير أمور دولته وتمتين قواعد نظمه. فالمعرفة قوّة والجهل يؤدي إلى القرارات الخاطئة وثمة من اعتبر جهاز المخابرات أداة ضرورية لحفظ السلام وتوقيع المعاهدات على اختلافها وقد قال الجنرال والترز في كتابه (مهمات سرية) وكان يشغل وظيفة نائب مدير المخابرات الأميركية في عهد الرئيس نيكسون:

●«لا يمكن لرئيس دولة أن يوقع معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية أو أية معاهدة أمنية أخرى دون أن تكون لديه الوسائل للتأكد من تطبيقها».

والملاحظ أنه في أيامنا هذه وعندما يريد رئيس دولة توقيع معاهدة صلح أو تسوية نزاع مسلح مع دولة أخرى غالباً ما يعين في الوفد المفاوض رئيس المخابرات أو ضابط كبير منها كما حصل عند توقيع معاهدة كمب ديفيد بين مصر واسرائيل انتدبت الدولتان ضباط من المخابرات للتفاوض. وهكذا نلاحظ أن المخابرات قطعت أشواطاً مذهلة في العصر الحاضر بحيث شملت مهماتها الاستعلام العسكري والتقني والعلمي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والاعلامي وقد أخذت الشركات الكبرى توظف نشاط المخابرات لمنع المنافسين من الحصول على معلومات تقنية معينة والحفاظ على سرية الأبحاث العلمية ومكافحة تسرب المعلومات التي تضر بمصالحها المالية والمعنوية (وهو ما يسمى التجسس الصناعي وسوف نعد بحثاً منفصلاً عن هذا النوع من التجسس المتفشي هذه الأيام) وهذه الأجهزة لم تعد تشكل غاية في حد ذاتها بل أصبحت وسيلة في يد رئيس الدولة لاطلاعه في الوقت والسرعة اللازمين على القضايا الأمنية والسياسية وغيرها وفي هذا الصدد قال قديماً ألن دالس رئيس أول مخابرات مركزية أميركية ومؤسسها:

● «على كل رئيس دولة أن يبدأ نهار عمله بقراءة تقرير مفصل عن أعمال المخابرات وينهي عمله كذلك».

وسوف نستعرض معاً وبايجاز أهم أجهزة المخابرات في العالم وذلك اضافة لما قدمته للقارىء المتابع للجزئين الأول والثاني لأنه يظهر بين الفينة والفينة وبشكل متواصل معلومات جديدة عن أعمال المخابرات في العالم ونشاطها بل وتظهر كذلك معلومات كانت خافية علينا كباحثين عن أعمال المخابرات القديمة والحديثة فنسارع لتقديمها بين يدي القارىء بشكل متواصل ليبقى باستمرار على معرفة واطلاع على أعمال المخابرات في العالم وقد يبدو مستغرباً ومثيراً للقارىء القول بأن المخابرات الأميركية (U.S.A) حديثة العهد رغم حجمها وتطورها السريع، وخاصة رغم سمعتها في العالم وتصويرها بأنها مسؤولة عن الكثير من المؤامرات السياسية والاغتيالات والانقلابات والثورات والتدخل بالانتخابات لمختلف الدول خصوصاً دول العالم الثالث وعلى غيرها من تجسسها الصناعي

كتـزوير الـدولار وأسعـار الذهب ورفع أسعار الدولار بالفعل وقبل بداية الحرب العـالمية الثـانية لم يكن للولايات المتحدة الأميركية جهاز مخابرات بكل معنى الكلمة وإن أسباب التأخر في إنشاء المخابرات الأميركية في حينه هي :

١ ـ تعلق الشعب الأميركي المكون من مهاجرين بمبادىء الحرية ونفور الحكام أنفسهم من فكرة التجسس واعتباره عملاً لا أخلاقياً ففي سنة ١٩٢٩ أقدم وزير الخارجية الأميركي ستيمسون على اقفال الغرفة السوداء في الوزارة إذا تبين له أن موظفيها كانوا مكلفين بالتجسس على بريد السفارات الأجنبية. كمـا أن الوقائع التي أحاطت مؤخراً باستقالة الرئيس نيكسون بعد فضيحة (وونــرغيت) هي دليل واضـح على أن الشعب الأميركي ينفـر من فكـرة التجسس ويتشبث بالحريات العامة والفردية.

٢ ـ إن بعـد الـولايات المتحـدة عن مسـرح الحروب الأوروبية وخاصة حرب الجـواسيس قد أغفـل عيون الحكام الأميركيين عن ضرورة تشكيل جهاز مخابرات في الوقت المناسب.

٣ ـ عدم رغبة الولايات المتحدة في التدخل بالسياسة العالمية إذ كانت فرنسا وبريطانيا والمانيا هي الدول التي تسيطر على دول أخرى حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

٤ ـ تنبـه الـرئيس الأميركي روزفلت بعد هجوم اليابانيين المفاجىء على بيرل هاربـور سنـة ١٩٤١ لهـذا الأمـر البـالغ الأهمية والخطورة لأن الأسطول الأميركي قد دمر دون أن يكون هناك أي إنذار أو اشعار من جهاز المخابرات كأي دولة أخرى مما حمله على إرسال المحامي (دونافان) صديقه الشخصي إلى بريطانيا لدراسة كيفية إنشاء جهاز مخابرات مماثل للمخابرات البريطانية وبـالفعـل عاد دونـافان من بريطانيا بعد مدة وقام بتأسيس نواة المخابرات الأميركية ولكن تحت اسم (مكتب الدراسات الاستراتيجية ـ أو ـ اس ـ اس) وسرعان ما تطوع فيه الضباط الذين عملوا في حقل المخابرات في أوربا وأسـاتـذة الجامعات وغيرهم من الاختصاصيين وكان الملازم وليم كولبي أنشط هؤلاء في حينه مما دعاه إلى أن يصبح بعد ٢٥ سنة رئيساً للمخابرات المركزية الأميركية التي أنشأها فيما بعد الرئيس الأميركي هاري ترومان عام ١٩٤٧.

وقد تأسست المخابرات الأميركية فيما بعد للأسباب المذكورة وتحت اسم (وكالة المخابرات المركزية الأميركية) ثم أبدل الاسم إلى (المخابرات المركزية الأميركية) وكـانت مرتبطة بمستشار الأمن القومي للرئيس ترومان وقد حددت لها الأهداف التالية بموجب القانون:

١ - جمع وتقييم وتحليل المعلومات عن الدول المعادية لأميركا.

٢ - مكافحة التجسس.

٣ - القيام بعمليات سياسية ونفسية - غير محدودة - لصالح الأمن القومي الأميركي.

هذه الأهـداف تفسـح المجال الواسع أمام الوكالة (المخابرات) ويمنحها حرية التحرك اللازمة للقيام بكافة العمليات نظراً لغموض هذا النص. كما منح القانون رئيس الجمهورية حق تعيين مدير المخابرات ومساعده بعد موافقة مجلس الشيوخ مع الاشارة إلى عدم امكانية أن يكون الاثنان المدير والمساعد من العسكريين.

المخابرات المركزية الأميركية في الثمانينات:

وفي الثمانينات أصبح يحق لنا أن نصف المخابرات الأميريكية بأنها وراء الكثير من المؤامـرات والاغتيالات والانقلابات في العالم بالنسبة لميزانيتها التي بلغت عام ١٩٨٠ عشرة بلايين دولار فيما عدا استثماراتها التجارية ويعمل في هذه المخابرات بشكل دائم ما يقارب خمسين الف موظف وعسكري فضلاً عن العملاء والمـراسلين والمخبرين المنتشرين في جميع أنحاء العالم وقد قال عنهم العقيد المتقاعد فيليب إيجي في كتابه عن المخابرات الأميركية (الشركة القذرة): إنهم موجودون في السفارات والبعثات الثقافية والانمائية والشركات التجارية ولا يتورعون عن تنفيذ جميع الأعمال الاجرامية والتجسس على كافة الشخصيات وحتى سرقة ملفات من سفارات أجنبية. ويضاف إلى المخابرات المركزية الأميركية جهاز الأمن العسكـري (مخـابـرات الجيش الأميركي) المعروفة بشعار (d.A.A) والذي يعمل ضمن وحدات الجيش الأميركي فقط ويرتبط مباشرة مع وزير الدفاع وأيضاً أنشئت الوكالة القومية للأمن وشعارها I.S.N التي تعتبر من أضخم الأجهزة الأمنية في العالم

من حيث التقدم العلمي والميزانية الضخمة وقد تألق اسمها باستعمالها طائرات التجسس الحديثة (يو ٢) التي أسقط الاتحاد السوفيتي إحداها إبان عهد الرئيس الراحل خروشوف كما أن هذه الوكالة مسؤولة عن عمل وتسيير واطلاق الأقمار الصناعية التجسسية والصناعية والرادارات واختراع أحدث الآلات الفنية للتنصت وهي مرتبطة مباشرة بجهاز الأمن القومي. ولابد من الاشارة مرة ثانية إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف. بي. آي) الذي يتولى مهمة الأمن القومي الداخلي (المباحث العامة) وصلاحياته واسعة داخل الولايات المتحدة ويحدث أحياناً أن تصطدم عناصر هذا المكتب مع عناصر المخابرات الأميركية وتنشأ حساسيات مصلحية تحل داخل البيت الواحد. وتوجد معاهد وجامعات عدة في الولايات المتحدة لتدريس علم المخابرات في أميركا للأميركيين وأصدقائهم ولكن شهادات التخرج لا يمكن أن تعلق في الصالونات.



رجل المخابرات
الامريكية C. I. A
يقول لرجل مكتب
التحقيقات الفيدارلي:

أيها الفأر كنت تقوم
بطريقة غير مشروعة
بفتح رسائلي المزورة
التي كنت أكتبها بطريقة
غير مشروعة.

الخيانة في المخابرات الأميركية:

وفي تاريخ المخابرات الأميركية وقعت حالات هروب وخيانة قام بها أفراد تابعون لها ولمكتب التحقيق الفيدرالي إلى الاتحاد السوفيتي وتكاد هذه الحالات أن تكون معدومة وإن وجدت فهي ناتجة عن دوافع شخصية أو مالية مثلما ما حدث في قضية ويليام كامبلز الذي انتسب إلى سلك المخابرات الأميركية عام ١٩٧٧ وتم تعيينه في مركز المراقبة الذي يعمل ٢٤ ساعة متواصلة في تلقي تقارير من جميع أنحاء العالم وتحويلها إلى الجهة المختصة لذا يظل الاتصال مستمراً بين المخابرات الأميركية وكل من البيت الأبيض ووزارة الخارجية والبنتاغون (وزارة الدفاع) في حالة حدوث أي طارىء. استمر كامبلز في ممارسته لعمله حتى بداية عام ١٩٧٨ حيث قدم استقالته بسبب عدم إتاحة الفرصة التي كان يحلم بها لتحقيق طموحاته وفي نهاية شهر شباط (فبراير) ١٩٧٨ أراد أن يبرهن أنه جاسوس ممتاز فسافر إلى اليونان حيث توجه إلى السفارة السوفياتية في أثينا وعرض على المسؤولين فيها وثيقة أميركية سرية للغاية كانت تحتوي على معلومات هامة عن قيام القمر الصناعي الأميركي (كي. اتش. ١١) بنقل الصور التي يلتقطها مباشرة إلى الولايات المتحدة وأن كاميرات هذا القمر لها مقدرة فائقة على التعرف على الصواريخ السوفياتية عابرة القارات التي كان السوفيات يغيرون شكلها على هيئة مداخن المصانع الكيمائية وكان مسؤول المخابرات السوفياتية في السفارة من الذكاء بحيث طلب من كامبلز الانتظار أو العودة بعد شهر لاعطائه الجواب فقبل مرغماً لأن المخابرات السوفياتية لا تدفع مبالغ فورية لأي طارق يطرق باب سفاراتها وهكذا أرسلت هذه المعلومات إلى موسكو (رئاسة المخابرات السوفياتية) التي قدرت قيمتها وأوعزت إلى مخابراتها في أثينا باكرام كامبلز فدفعوا له أثناء مراجعته مبلغ /٣٠٠٠ ثلاثة آلاف دولار/ وبعد ذلك أخذ المحللون الأميركيون يلاحظون أنه كلما اقترب القمر الصناعي (كي. اتش. ١١) من المنشآت الروسية العسكرية أسرع الروس لتغطية معداتهم بالشباك والستائر في الوقت الذي نصت عليه اتفاقيات ـ سالت ٢ ـ على عدم تدخل أي من الدولتين لاعاقة الدولة الأخرى من

التأكد من نوعية المنشآت الحربية الحاصلة على أراضيها.

بعد ذلك تأكد كامبلز بأنه إذا أراد العودة للمخابرات الأميركية فانهم سيعرضونه على جهاز كشف الكذب قبل الموافقة على إعادته للمخابرات لذا فقد قرر من نفسه أن يخبر أحد الضباط القدامى الذين كان يخدم معهم ويرتبط معه بصداقة مستمرة غير أن هذا الضابط كان من الوطنية بحيث قدمه للتحقيق فور اعترافه له (كذباً) بأنه قدم للمخابرات السوفياتية وثائق مزورة لقاء مبلغ ثلاثة آلاف دولار ومن ثم قدم للمحاكمة حيث اعترف بخيانته وحكم عليه بالسجن ٤٠ عاماً ومصادرة الثلاثة آلاف دولار. وإذا كان الغرور هو الذي دفع كامبلز للتورط في التجسس فإن دافيد هنري بارنيت أصبح عميلاً للمخابرات السوفياتية بدافع من الجشع واليأس فقد خسر في تجارته وأصبح مكبلاً بالديون ولم يجد سوى مخرج واحد أمامه وهو التعاون مع المخابرات السوفياتية ففي شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٨ اتصل بارنيت بالملحق الثقافي السوفياتي في السفارة السوفياتية في جاكارتا عاصمة أندونيسيا وعرض عليه امداده بالمعلومات الكاملة عن المخابرات الأميركية أقسامها ـ ميزانيتها ـ أعمالها ـ موظفيها مقابل مبلغ ٧٠ سبعون ألف دولار. وكان بارنيت قد استخدم كعميل سابق في المخابرات الأميركية في الشرق الأقصى من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٣ وفي نفس العام ١٩٦٣ انتسب للمخابرات الأميركية رسمياً أي أنه كان يتعامل مع المخابرات السوفياتية كمواطن أميركي عادي قبل التحاقه بسلك المخابرات الأميركية ونقل للخدمة في فرع المخابرات الأميركية في كوريا لمدة سنتين ثم أعيد للخدمة لمدة سنتين في المركز الرئيسي للمخابرات الأميركية ثم الحق بفرع مخابرات السفارة الأميركية في جاكارتا وكانت أندونيسيا في حينه تقيم علاقات ودية مع الاتحاد السوفيتي وكانت مهمة بارنيت الأساسية في ذلك الحين اقامة علاقات بالسوفييت المقيمين في أندونيسيا رغم تعامله مع السوفيت من وراء ظهر المخابرات الأميركية وحتى عمله المزدوج مع المخابرات الأميركية كموظف والمخابرات السوفيتية كعميل لم يكونا يمثلان له آفاق مستقبلية باهرة فقدم استقالته في عام ١٩٧٠ ليقوم بتأسيس شركة تجارية خاصة به وساهم في بعض المشاريع التجارية مع آخرين غير أن الشركة وغيرها من المشاريع لم يحالفها التوفيق وأفلس بارنيت ولكي يغطي إفلاسه زاد من تعامله مع المخابرات السوفياتية بأن أعطاهم القسم الأول من المعلومات الكاملة عن المخابرات الأميركية أقسامها

ـ ميزانيتها بما في ذلك لوائح بأسماء العملاء والضباط فحصل على مبلغ ٢٥,٠٠٠ خمس وعشرون ألف دولار ثم تسلم باقي المبلغ على دفعات بعد أن نفذ التعليمات الصادرة إليه ومن هذه التعليمات سفره إلى فيينا للقاء مندوبين من المخابرات السوفياتية ولمدة عشر ساعات كان بارنيت يجيب على أسئلتهم فروى لهم تفاصيل عمل باقي أجهزة المخابرات الأميركية وأجاب على سؤال أحد ضباط المخابرات السوفياتية لماذا لم تفلح صواريخ سام ٢ السوفياتية في إصابة الطائرات العملاقة ب ٥٢ وهي تلقي القنابل على فيتنام فقال إن الاتحاد السوفيتي (بلدهم) كان قد أغدق على أندونيسيا مختلف المعدات الحربية الثقيلة والخفيفة بما فيها صواريخ سام ٢ (قبل أن يقوم العسكريون الأندونيسيون بوقف المد الشيوعي برآسة الرئيس الراحل أحمد سوكارنو حيث أطيح به واستلم عوضاً عنه الجنرال سوهارتو) وذلك على أمل اجتذاب أندونيسيا لمحور الاتحاد السوفيتي لما تتمتع به من موقع جغرافي استراتيجي متميّز ففي إحدى الليالي قامت بعض عناصر المخابرات الأميركية في جاكارتا بالتسلل إلى مستودع توجد فيه صواريخ سام ٢ وقاموا بنزع جهاز نظام توجيه الصواريخ ونقلوها إلى الولايات المتحدة حيث قام مهندسوا الطيران الأميركيون بتركيب جهاز مضاد لصواريخ سام ٢ على طائراتهم العملاقة ب ٥٢ مما أبطل مفعول هذه الصواريخ وهكذا نجحت المخابرات الأميركية في انقاذ عشرات الطيارين بل مئات الطيارين ومعاونيهم (الطائرة ب ٥٢ لها ثمانية أفراد كطاقم بما فيهم الطيارين).

وقد نجح فرع المخابرات الأميركية هذا في الأعمال الهامة الآتية:

١ ـ توصل إلى طرق ومخططات تشغيل معظم الأسلحة السوفياتية.
٢ ـ توصل لمعرفة طريقة تشغيل الصاروخ البحري من طراز ستبكس.
٣ ـ توصل إلى أسرار الغواصة طراز ويكلاس.
٤ ـ توصل إلى معرفة أسرار الطوافة قاذفة الصواريخ (كومار).
٥ ـ توصل إلى أسرار المدمرة طراز (ريجا).
٦ ـ توصل إلى معرفة أسرار الصاروخ (كينيل).

واصل بارنيت تعاونه مع المخابرات السوفياتية على أوسع نطاق فقدم لهم صوراً عن هويات ما يقارب ١٠٠ عميل وضابط كان قد تعاون معهم خلال مدة خدمته في الشرق الأقصى كما قدم لهم أسماء بعض ضباط المخابرات السوفياتية الذين

يعتقد بأن المخابرات الأميركية من الممكن أن تجندهم في المستقبل ولها علاقة معهم في حينه.

المخابرات السوفياتية تحب المعلومات الطازجة:

بما أن أغلب المعلومات التي قدمها بارنيت للمخابرات السوفيتية متعلقة بأحداث وقعت في فترة ماضية وحتى لوائح أسماء متسبي المخابرات الأميركية كانت قد وصلت للمخابرات السوفياتية من أقنية ثانية فقد طلبوا منه العودة للمخابرات الأميركية للعمل في أحد الأقسام الحيوية لامدادهم بالمعلومات الطازجة حسب حاجة المخابرات الدائمة.

استقر بارنيت في خطته الجديدة في مدينة (بتشيدا) في مقاطعة ماريلاند والتقى هناك بالسناتور لاتغلي الذي يعمل باللجنة الخاصة الدائمة للمعلومات التابعة لمجلس الشيوخ هذه اللجنة مهمتها الاحاطة علماً بأهم أسرار الدولة حيث يقضي القانون العام للدولة الأميركية ابلاغها بأية عملية سرية تقدم عليها المخابرات السوفياتية مما يتيح لأي فرد من هذه اللجنة إذا تعامل مع المخابرات السوفياتية أن يقوم بتخريب أهم أعمال المخابرات الأميركية من الداخل.

في شهر كانون الثاني /يناير/ ١٩٧٩ التحق بارنيت مجدداً كموظف متعاقد في المخابرات الأميركية وأوكلت إليه مهمة تلقين المسافرين إلى الخارج من عملاء المخابرات الأميركية كيفية الصمود خلال عمليات الاستجواب من قبل المخابرات السوفياتية فيما إذا ألقي انقبض على أحدهم نتيجة خطأ أو وشاية ومع عمله الجديد استمر بالاتصال بالمخابرات السوفياتية عبر كبائن الهاتف. وأثناء عمله الكثير كان يسافر الى جاكارتا بشتى الأعذار ليلتقي شخصياً بكبار ضباط المخابرات السوفياتية ولم يدر أن سفره إلى جاكارتا «أثار» الشك لدى رؤسائه الجدد فوضع تحت المراقبة الدقيقة الهادئة حتى تأكد لهم «تعامله مع السوفيت» حيث أصدرت النيابة العامة في مدينة بتشيدا أمراً إلى المخابرات بتاريخ ١٨ آذار (مارس) ١٩٨٠ باعتقاله حسب الأصول فاعتقل وتمت مصادرة بعض أدوات التجسس من منزله وفي التحقيق اعترف اعترافاً صريحاً بتجسسه فحكم عليه بالسجن لمدة «١٨» عاماً يمكن أن لا يقضي منها سوى السنة الأولى... إنها الجاسوسية.

الصيدلية المناوبة دائماً
في العالم

هي صيـدلية المخابرات المركزية الأميركية حيث تقدم المواد الصيدلانية الآتية لرفاهية الشعوب:

١ ـ آكونيت. كمية قليلة منه تسبب ألماً في المعدة وكمية أكبر (تميت) .

٢ ـ ب ـ ز ـ توقف السائل العصبي وتميت. . .

٣ ـ كرياشـول ـ تسبب عوارض عديدة منهـا /الحـرارة/ السيلان/ المغص/سيلان الريق/ والغثيان. . .

٤ ـ كينين ـ يستعمل في الطب ضد الملاريا لكن كمية مركزة منه تسبب التقيؤ واضطراب القلب. . .

٥ ـ سم الكوبرا ـ يقتل بشل الأعصاب. . .

٦ ـ كولشيسين ـ كمية مركزة منه تسبب شل العضلات وتوقف التنفس وتؤدي للموت. . .

٧ ـ السيانور ـ سم للانتحار يوقف تنشق الأوكسجين ويقتل بسرعة بالاختناق. . .

٩ ـ ساكسيوتوكسين ـ يسبب الموت بثوان بايقاف جهاز التنفس والعصب والعضلات. . .

١٠ ـ ستركنين ـ كان يستعمـل قديماً كمحرك للجهاز العصبي كمية مركزة منه تشل الحركة بين العصب والعضل وتميت. . .

ملاحظة (١): تصرف الوصفات الطبية للحصول على أحد هذه الأدوية من الدكتور الفخري للمخابرات الأميركية. .

ملاحظة (٢): توضع هذه الأدوية في مكان بارد وبعيداً عن متناول الأطفال. . .

ملاحظة (٣): مراجعة الصفحة ٣٠٨ من كتاب المخابرات والعالم ـ الجزء الأول. . .

فصل خاص

عن

إصرار المخابرات الأميركية على اغتيال كاسترو

وإخفاقها في ٢٤ محاولة ضده

من هو كاسترو...؟
ولماذا
صبح هدف المخابرات الاميركية رقم ١.



- كاسترو. . . ونجاته من ٢٤ محاولة اغتيال أمريكية.

● هو الدكتور: فيديل كاسترو - سياسي كوبي عظيم. زعيم في كوبا. رئيس وزراء. ولد في ١٣ آب (أغسطس) عام ١٩٢٧ من أصل اسباني لأسرة ثرية تعمل في زراعة قصب السكر. التحق بمدرسة في هافانا حتى حصل على اجازة الحقوق من جامعة هافانا عام ١٩٤٥ واشتغل بالمحاماة في عام ١٩٤٧. اشترك في مغامرة سياسية ضد حكم الدكتاتور تروجيلو رئيس جمهورية الدومينيكان ثم عاد إلى الجامعة ودرس الاقتصاد والعلوم السياسية فحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٠ وعاد إلى المحاماة حيث اشتهر بتبني قضايا العمال والمستأجرين ضد الملاك. انتخب لأول مرة عام ١٩٥٢ عضواً في البرلمان الكوبي. بعد انقلاب ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٥٣ وعودة باتستا للحكم «بدأ» كاسترو صراعه ضد حكومته الدكتاتورية ولكن قبض عليه وحكم بالسجن ١٥ سنة ثم عفي عنه عام ١٩٥٥ فهاجر منفياً إلى المكسيك ومن ثم سافر إلى نيويورك حيث جمع حوله المهاجرين والثائرين على حكومة باتستا الرجعية. وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٦ عاد إلى كوبا مع ثمانين من الثوار تفرقوا في أنحاء البلاد وألفوا ما عرف باسم «جماعة ٢٦ يوليو» نسبة لحركة عام ١٩٥٣ ومع مستهل عام ١٩٥٩ نجحوا في قلب نظام الحكم وفي ١

كانـون الثاني (يناير) ١٩٥٩ فرّ باتستا من كوبا وأقيمت على الأثر حكومة برئاسة أوزونـا وفي اليوم التالي دخل كاسترو هافانا دخول المنتصرين وتولى فوراً رئاسة مجلس الوزراء فأصدر عدة قرارات اشتراكية تضمنت:

١ - تأميم جميع المؤسسات العامة التي تمولها أميركا.

٢ - تقسيم مزارع القصب الكبرى على الفلاحين الكوبيين.

٣ - مصادرة الأراضي التي تمت حيازتها بطرق فاسدة.

وفي شهـر آب (أغسـطس) من العـام نفسه قامت ثورة مضادة لقلب نظام الحكم الاشتراكي الجديد فقاد كاسترو قواته ضد الثوار في لاس فيلاس فقبض عليهم وفي ١٧ نيسان (أبريل) ١٩٦١ قام بعض المهاجين الكوبيين بغزو بحري ضد كوبا وبتدبير من المخابرات الأميركية في مستهل رئاسة كينيدي ولكن الكوبيين قضوا على هذا الغزو في خليج الخنازير فسميت الحملة الفاشلة باسمه. كاسترو اشترك في دورة الأمم المتحدة في عام ١٩٦٠ وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦١ أعلن برنامجاً على الأسس الماركسية - اللينينية لتطوير اقتصاديات كوبا وفي كانون الثـاني (ينـاير) ١٩٦٦ افتتـح مؤتمـر القـارات الثـلاث بهافانا كما طالب بجلاء الأميركيين عغن قاعـدة جونتانامو وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه قام بزيارته الأولى لفيتنام الشمالية.

هذا هو الدكتور فيديل كاسترو الزعيم الكوبي الذي استماتت المخابرات الأميركية في محاولات اغتياله وقد شكل الكونغرس كما سيجيء في هذا البحث لجنة خاصة للحقيق في جرائم المخابرات الأميركية وعلى رأسها محاولات اغتيال كاسـترو وتشير نتيجـة التحقيق في تقـرير هامشي جانبي أن كاسترو نفسه اطلع السناتور الأميركي «السابق» جورج ماكغفرن في آب (أغسطس) ١٩٧٥ على قائمة تحـوي على ٢٤ محاولة لاغتياله كانت الـ سي. آي. إي. قد أعدتها وحاولت تنفيذها ضده ويضيف التقرير إلى أن إحدى هذه المؤامرات وقعت يوم ٢٢ تشرين الثـاني (نـوفمبـر) ١٩٦٣ وهـو اليوم المشؤوم الـذي نفذت فيه نفس المخابرات الأميركية مع حلفائها المافيا وتجار الأسلحة جريمة «التخلص» من الرئيس الأميركي جون كنـدي في مدينـة دالاس في نفس هذا اليوم قدم مسؤول في المخـابرات الأميركية «قلماً مسموماً» إلى أحد الكوبيين العملاء ليستخدمه ضد كاسترو ومن الغرائب السياسية أيضاً أنه في اليوم نفسه كانت بعثة موفدة من الرئيس كندي (قبل

مصرعه) تجتمع بكاسترو لاستطلاع امكانية «تحسين العلاقة». والحقيقة أن المحاولات ضد كاسترو لم تبدأ بخطط اغتياله وإنما بدأت بخطط لتشويه شخصيته. فابتدأ من آذار (مارس) ١٩٦٠ إلى آب (أغسطس) ١٩٦٠ وهي السنة الأخيرة من رئاسة الجنرال دوايت آيزنهاور بحثت المخابرات الأميركية «خططاً» لتحطيم شخصية كاسترو الزعامية عن طريق نسف خطبه السياسية وعندما عدمت السبل إلى ذلك نوقشت خطة أخرى (غير الخطط التي سيجيء ذكرها في هذا الفصل) دعيت وقتها خطة «اللحية» فقد كان الهدف منها تحطيم هيبة وشخصية كاسترو أمام الجماهير عن طريق تلويث حذائه وثيابه أثناء إحدى رحلاته إلى خارج كوبا حينما يترك حذائه خارج غرفته في الفندق لتنظيفه بغبار يؤدي إلى «سقوط سريع» لشعر اللحية وقد أجرت المخابرات الأميركية عدة تجارب على الحيوانات أكدت امكانية نجاح الخطة ولكن الخطة ألغيت لأن كاسترو ألغى رحلته إلى الخارج. وتطورت المؤامرات إلى التفكير في تدبير حادث عرضي ضد كاسترو وشقيقه راؤول وزير الدفاع الكوبي وعدد آخر من الزعماء الكوبيين ففي يوم ٢١ تموز (يوليو) ١٩٦٠ وصلت إلى محطة هافانا أي مكتب المخابرات الأميركية في السفارة الأميركية بالعاصمة الكوبية برقية شيفرية تقول: حسب طلبكم امكانية إزالة اكبر ثلاثة من الزعماء في القمة تبحث بجدية في القيادة؟ هل لديكم عنصر كوبي متوافر للتعاون لقاء مبلغ عشرة آلاف دولار تدفع بعدُ اكتمال التنفيذ والتأكد من أن العنصر الكوبي ليس عميلاً مزدوجاً فيصبح دفع المبلغ له دليلاً حسياً ملموساً ضدنا.

وقد تعمد المسؤولون في محطة هافانا «أي مخابرات السفارة» ألا يستخدموا خلال اتصالاتهم بالكوبي الذي أبدى استعداده للتعاون معهم كلمة «اغتيال» واكتفوا باستخدام تعبير «حادث لشل الزعيم» واكدوا للكوبي أنهم سيمنحون تقاعداً جيداً لأرملته ومنحة دراسية لأولاده لمواصلة تعليمهم في اميركا إذا «قتل» أثناء التنفيذ ولكن العملية ألغيت بسبب عدم تمكن العميل الكوبي من التنفيذ.

إصرار المخابرات الاميركيـة على محاولات اغتيـال كاسترو...

جاسوسة في فراش كاسترو :

لم تيأس المخابرات الأميركية من محاولاتها المتكررة لقلب نظام حكم الجنرال فيديل كاسترو الزعيم الشيوعي لكوبا. كذلك لم تيأس من محاولات اغتياله بالذات رغم أن الرؤساء الأميركيين قد ملّو هذه المحاولات ووجد بعضهم أن سياسة التقارب مع كوبا أفضل من العداء لها أما المخابرات الأميركية فقد استمرت في العداء المستمر لكاسترو بعد أن فشلت في اغتياله أو اسقاطه لأن ديمومة بقاء كاسترو على قيد الحياة وفي زعامة كوبا تحطم سمعة المخابرات الأميركية فبحثت هذه المخابرات عن مؤامرة جديدة بعد أن عجزت في مرات سابقة فاعتمدت على النساء هذه المرة للوصول إلى كاسترو فوضعوا في طريقه «بشكل صدفة» الجاسوسة الألمانية (ماريا لورنز) حتى يصلوا إلى غايتهم.

أول الطريق في اتجاه كاسترو:

في العاشر من شهر شباط ١٩٦٠ دخلت الباخرة السياحية الألمانية «برلين» التي يقودها القبطان هنريخ لورنز مرفأ هافانا وهي المحطة قبل الأخيرة لرحلة سياحية يقوم بها عدد من الأثرياء الأميركيين وفي الليلة الأولى لرسو الباخرة برلين أقام القبطان حفلة ساهرة كبرى على ظهر الباخرة تخللها البذخ والرقص وبينما الجميع يرقصون اقترب من الباخرة زورق بخاري حتى حاذاها ثم صعد منه حوالي عشرين كوبياً ملتحين بلحى طويلة كالثوار وعلى رأسهم (فيديل كاسترو) بالذات إلى سطح الباخرة ثم توزعوا في جوانب المطعم فظن الأميركيون السواح أنهم وقعوا في قبضة عصابة من عصابات القرصان لكن كاسترو قطع عليهم ظنونهم وحدثهم بصوت عال حاد النبرات مطمئناً إياهم بقوله: الرجاء من الأخوة الضيوف المحافظة على الهدوء

إننـا أصـدقاء فكل الأميركيين أصدقائي. فقام الجميع بالتصفيق للزعيم الكوبي وتقدم منه القبطان هنريخ ودعاه إلى طاولته وعرفه على ابنته (ماريا لورنز) البالغة من العمـر حوالي خمسة وعشرين عاماً وكانت فتاة رائعة الجمال ذات سمار جذاب وبشرة بنية ولها عينين ملتهبتين. طيلة السهرة لم يرفع كاسترو نظره عنها مبتسماً لها موجهاً نظراته إليها حيث كان يجاملها بكل احترام ووسامه رغم أنه كان يظهر بمظهر البطولة الأخاذ لاسيما وهو رئيس وزراء وحاكم كوبا ويرتدي لباس البطولة الخاكي ويتدلى مسدسه على جانبه أما ماريا فإنها بادلته نظراته بنظرات مماثلة ودبّلت له عيونها ولـم تقف موقف البرود من محاولاته التقرب منها وعندما حان موعد مغادرة كاسترو للباخرة عرض على القبطان هنريخ والد ماريا أن تبقى ابنته (هكذا وفجأة وبجرأة) في هافانا ليعينها سكرتيرة في مجلس الوزراء للمراسلات باللغة الألمانية والانكليزية ولكن والدها أوضح بأدب جم لكاسترو أن على ماريا أن تعود إلى المانيا لمتابعة دراستها وقد أعطى لكاسترو عنواناً لهم في نيويورك حيث سيتوقفوا في نهاية الرحلة قبل عودتهم إلى المانيا.

وخـرجت البـاخرة بعد ذلك من هافانا ولم يصدق القبطان هنريخ أن ابنته سلمت من كاستـرو حتى ابتعدوا عن المياه الدولية لكوبا وبعد اسبوعين وصلت البـاخـرة إلى نيويورك ويظهر أن كاسترو كان يتتبع خط سيرها حيث حضـر إلى منزلهم في نيويورك مسؤولان كوبيان من السفارة الكوبية في واشنطن وقدما لماريا بطاقة من الجنرال كاسترو بالذات يطلب منها الحضور حالاً إلى هافانا وكتب لها على البطاقة: إن حاجتي تتزايد إلى مترجمة وسكرتيرة باللغتين الانكليزية والألمانية والأمر يتعلق بمصالح ضخمة. أرجوك أن تأتي وقد حجزت لك مكاناً في الطائرة الكوبية القادمة اليوم من نيويورك إلى هافانا وأعطيت الطيار الأمر بعدم مغادرة مطار نيويورك إلا بعد صعودك للطائرة.

التوقيع

فيديل كاسترو

قرأت ماريا البـطاقة بهدوء وأدخلت المسؤولان إلى الصالون حيث قدمت لهما القهوة بنفسها. ولنترك ماريا تحدثنا بنفسها عن هروبها من المنزل ووصولها إلى هافانا ثم انتسابها للمخابرات الأميركية أثناء وجودها في معية وخدمة كاسترو. تقول ماريا في مذكراتها:

لست أعرف أي شيطان ركبني في تلك الساعة فجعلني أتطلع إلى المغامرة وأقبل دعوة كاسترو حالاً لأن والدي لم يكن في المنزل أو ربما كان الشعور للمرة الأولى في حياتي بأني شخصية مهمة يطلبني زعيم عالمي مثل كاسترو وأقوى من ذلك ميلي العاطفي نحو كاسترو. كنت يومئذٍ متعلقة بالمبادىء وأعرف كل شيء عن الثورة الكوبية وبدا لي الأمر مسلياً أن أهرب من المنزل لأضع نفسي في خدمة الثورة لذلك أسرعت بدون أيّ تفكير إلى وضع بعض الملابس في حقيبتي وخرجت مع الرجلين متوجهين إلى مطار نيويورك وأثناء الرحلة حاولت أن أتصور كيف ستكون حياتي في هافانا؟ اعتقدت أنهم سيخصونني بشقة أو فيللا وأنه سيكون لي مكتب فخم في قصر الحكومة الكوبية ورحت أفكر في كافة الوسائل التي تجعل مني مفيدة للكوبيين وما إن وصلنا إلى مطار هافانا حتى جاءت سيارة تأخذني من على سلم الطائرة وكان الطيار بنفسه في وداعي. توجهت السيارة إلى فندق هيلتون وأصعدوني إلى الطابق «٢٤» المسجل عليه رقم «٢٤٠٨» هذا الطابق يشغله كاسترو بأكمله.

الندم بعد فوات الاوان:

أعطيت ماريا غرفة خاصة من غرف الطابق ٢٤ حيث وضعت ما كان معها من الملابس في الدولاب وعلى الشماعات وفي الساعة العاشرة مساءاً أعلموها بالهاتف عن حضور كاسترو وكان اللقاء الحار بينهما وكانت ليلة تشبه ليالي العرس ولكن ماريا قالت بعد ذلك إن أية عاطفة كنت اشعر بها قبل ذلك اليوم نحو كاسترو اختفت منذ اليوم الاول للاسباب الآتية:

١ ـ معاملته الشخصية لي وكأني محظية له وليس كامرأة قطعت آلاف الاميال استجابة لطلبه وحباً به.

٢ ـ شعوري بالخوف بدل الحب الذي كنت آمل أن أجده.

٣ ـ معاملتي لقطعة أثاث في الشقة.

٤ ـ وجود «بازوكا» معبأة تحت فراشه بصورة دائمة.

٥ ـ أرض الغرفة مفروش بأعقاب السجائر.

وبقيت على هذه الحال مدة اربعة اشهر[1] أشبه بسجينة في هذا الفندق لأن الغرفة كانت تقفل علّي بالمفتاح دوماً وإذا ما حصلت في بعض الاحيان على اذن بالذهاب لِلمسبح أو البار كان يلاحقني رجلان من ذوي اللحا وهما مسلحان.

وتقـول ماريا عن نفسها أنها تلقت تربية المانية وكانت حياتها حتى لحظة حضورها الى هافانا قائمة على النظام والنظافة: لم أكن أتصور أن رئيساً للوزراء يمكنه أن يعيش في مثل هذه الفوضى وأنه ليس لديه مكاتب ومساعدين وأجهزة هاتف تملأ طاولته[2] ولكنني اكتشفت أن ليس لدى كاسترو غير هذه المجموعة من الغرف في فندق هيلتون.. يعيش فيها.. ويعمل فيها.. ويناقش فيها كل المسائل السياسية مع رفاقه الملتحين حتى ساعات الصباح الأولى. وكنت اسمع ما يدور حولي ولمم أكن استطيع أن أفعل شيئاً غير ذلك بل كنت اقضي ساعات النهار في القـراءة وتعلم اللغة الأسبانية والاستماع الى محطات الراديو ومراقبة المدينة من نافذة الغرفة ثم التمشي جيئة وذهاباً في تلك الغرفة «كلبوة في قفص» وأنا العن ذلك اليوم الذي ركبت فيه تلك الطائرة الكوبية. وكنت آمل في قرارة نفسي أن يكون والدي قد تحرك لمساعدتي وعلمت بعد ذلك أن عدة محاولات لتحريري باءت بالفشـل وصبـرت لأني الملومة شخصياً ولم يدفعني احد لذلك حتى استهلكت خلال السنة الأولى لاقامتي مع كاسترو جميع ملابسي فشكوت له ذات يوم بأني لم أعد املك ما ارتديه فأرسل لي خياطاً عسكرياً فصّل لي بزة خضراء اللون شبيهة ببزته وبزات رفاقه وسمح لي بوضع رتبة «ملازم أول».

دخول ماريا السجن:

أعلم كاسترو ماريا أنه مضطر للغياب عدة ايام عنها وفي اليوم التالي دخل

---

(١) ان هذه المعلومات مترجمة عن نشرة لوكالة انباء «أورينت برس» وهذه المعلومات عن رئيس وزراء كوبا كاسترو تقول انه احضر ماريا بهذه الطريقة لهيامه بها وحبها منذ ان رآها على الباخرة وهكذا بقيت أربعة أشهر كصديقة له دون الحديث كلمة واحدة عن الترجمة وأعمال السكرتيرة.

(٢) ظاهـرة الهواتف العديدة على الطاولة متفشية بين بعض الموظفين حتى ولو اضطروا لوضع اجهزة هاتف صامتة.

غرفتها اثنان من رجاله وقالا أنهما يريدان مساعدتها وقاداها الى المطاروأصعداها الى طائرة خاصة صغيرة انطلقت بهم الى جزيرة الصنوبر وهى على بعد عشرين دقيقة طيران من هافانا. وفي الجزيرة قاداها الى سجن كبير وقالا انهما يريدان ان تشاهد الزنزانة التي سبق للدكتاتور باتيستا أن سجن بها فيدل وأخوه راؤول قبل سنوات دخلت ماريا الزنزانة ووقفت لتقرأ ما كتب على اللوحة الرخامية التذكارية التي اقيمت فسمعت صوت الباب يغلق عليها بالمفتاح وغادر الاثنان السجن بسرعة. كانت ادارة السجن تهتم بها وبنظافة زنزانتها الغالية الاثرية ويعتقد في حينه أنها كانت السجينة الوحيدة في سجن الجزيرة[1] بقيت ماريا مدة اسبوع في الزنزانة بجزيرة الصنوبر وكان طعامها في تلك الايام يقتصر على الفاصولياء والرز والخبز. وفي بعض الايام كانت تستيقظ على صوت اطلاق الرصاص الذي تطلقه فرقة الاعدام المشكلة من حرس الجزيرة على من صدرت بحقهم احكام الاعدام من «محكمة الثورة» وفي آخر ايام اسبوع الاعتقال عاد الرجلان اللذان اوصلاها للسجن ورافقاها الى مطار الجزيرة ثم الى مطار هافانا ومن الطائرة الى السيارة الى فندق هيلتون حيث تركاها امام باب المصعد وانسحبا دخلت غرفتها من الباب الخلفي دون ان ترى كاسترو وارتمت على سريرها «سرير كاسترو» فوجدت ان هذه الغرفة والبازوكا المخبأة تحت الفراش واعقاب السجائر التي كان كاسترو يلقيها على ارضية الغرفة احسن الف مرة من سجن جزيرة الصنوبر. دخلت الحمام لازالة آثار السجن ثم استسلمت للنوم ولم تصحى من النوم إلا وكاسترو فوق رأسها وكان أول شيء سألته عنه.؟ ما سبب سجنها ولكنه كان قد بدأ بالشرب فلم تحصل على جواب ولكنها علمت فيما بعد أنه كان قد قام برحلة في حينه الى امريكا الجنوبية وقد امر بسجنها خوفاً من هربها في غيابه.

لقاء ماريا مع المخابرات الامريكية:

تقول ماريا في مذكراتها نظراً لتكرار رجائي لكاسترو بأن يسمح لي بالخروج

(١) مهما كان الحاكم شديداً ويأمر بعدم افشاء اسراره لابد وان يوجد من ينقل هذه الاسرار وحينما كانت ماريا تتفرج من شرفة غرفتها على مدينة هافانا كانت الألوف تتناقل خبر وجود سجينة امريكية محتجزة لدى كاسترو في فندق هيلتون ولم تكن هذه الشائعات تغير سمعة كاسترو بين مواطنيه...

فقد استجاب لي بمصاحبتي في احدى فترات خروجه المسائية من فندق هيلتون الى فنـدق ريفييرا وبعد العشاء تركني حرة وجلس يتناقش مع مساعديه. اخذت اتجول في حديقة الفندق فاقترب مني رجل طويل القامة انيق المظهر ذو شعر متموج يرتدي لباس سلاح الطيران الكوبي ويحمل رتبة كابتن في سلاح الطيران وبدون ان يثير انتباه احد همس في اذني بالانكليزية قائلاً: مساء الخير يا سيدتي أنا اعرف عنك كل شيء. هل أقدر ان اقدم لك خدمة.؟ فارتجفت ولكني تمالكت اعصابي وتظاهرت بالهدوء التام وأجبته: اتستطيع مساعدتي فعلاً؟ هل تستطيع اخراجي من هنا.؟ اجابها الرجل سأجعلك تهربين طبعاً ولكن علينا ان نقوم بعمل معيّن قبل ان تخرجي من هنا. . أنا اعمل مع السفارة الامريكية «لم يذكر المخابرات الامريكية» وابتعـد الـرجـل بهـدوء. كان هذا اول لقاء لي. مع الكومندان فرانك فيودريني «الـطيار. . ورجـل الثقـة لدى كاسـترو» وفي نفس الـوقت «عميل المخـابـرات الامـريكية» ثم بعـد سنـوات احـد ابـطال فضيحـة ووتـرغيت تحت اسم فرانك ستورجيس. في الايام التالية كرر كاسترو اصطحابي معه الى فندق ريفييرا فتمكن فرانك من محادثتي مرتين فوصلنا الى اتفاق فيما بيننا ان اعمل لحساب المخابرات الامريكية «طالما رغبت في ذلك» مقابل ان يؤمن لي بعد ذلك عودتي الى المانيا أو الـولايات المتحدة واعطاني كاميرا حديثة جداً لتصوير الوثائق مع بعض الافلام الصغيرة الحجم. وبحكم وجودي بجانب كاسترو كنت استمع الى كل المحادثات التي يجريها في مكتبه مع الشخصيات الهامة واسجلها وكنت اصور الوثاق السرية واسجل اسماء كل الاشخاص الذين يزورونه في الغرفة الملاصقة لغرفتي وبذلك لم يكن عملي صعباً فقد.كان كاسترو يترك اوراقه متناثرة في كل مكان على الطاولة على ارض الغرفة وفي السرير وحتى في الحمام حتى الخزانة الحديدية التي كان يضـع نقـوده الشخصية بها وبعض الاوراق الخاصة والسرية كانت تبقى مفتوحة ساعات طويلة من النهار. وذات مرة تعطلت الكاميرا عن التصوير وكان عليَّ أن اقـابـل فرانك فأخذت بعض أوراق كاسترو دون أن ينتبه هو الى الامر. واستمر نشاطي لصالح المخابرات الامريكية من قلب مكتب ومنزل بل وسرير كاسترو حتى شعـرت بالمرض بانحطاط الجسم عندئذٍ طلبت من فرانك احترام دوره بالاتفاق الـذي تم بيننـا فوعدني خيراً. ذات يوم ذهب كاسترو بزيارة حزبية وسياسية الى الريف فجاء رجلان يرتديان البُزة الرسمية للحرس الكوبي وطلبا مني مرافقتهما

وابرزا تصريحاً بذلك للحراس المكلفين بحراسة مقر كاسترو وقاداني فوراً الى مطار هافانا الذي كانت تجثم على ارضه طائرة متجهة الى نيويورك وصعدا معي اليها بعد ان اقنعا الحراس بأن مهمتهم هي اصعادي الى قلب الطائرة وبعد ان تحركت الطائرة واصبحت فوق البحر تقدم الكابتن فرانك وحياني بأدبه المعهود. فوجئت به مغادراً على نفس الطائرة فقال لي ان هذه الطائرة مستأجرة بنصف مليون دولار من قبل المخابرات الامريكية خصيصاً لتخليصهم ونقلهم من هافانا وانه اضطر للمغادرة بنفس الوقت نظراً لتورطه معها أولاً وتهريبه بعض الضباط المنشقين عن كاسترو. بقيت في ضيافة ورعاية المخابرات الامريكية في نيويورك عدة شهور حتى استعدت صحتي وشفيت من مرضي فأرسلوني الى ميامي لمقابلة الكابتن فرانك فيما ظهر أنه اخطر عملية كان عليّ أن اقوم بها كجاسوسة.

عودة ماريا الى مقر كاسترو:

كانت العلاقات بين الولايات المتحدة وكوبا قد وصلت الى حد من السوء لا امل معه باصلاحها وكانت المخابرات الامريكية تعتقد ان كاسترو يخطط لعمليات خطرة وخاطفة ضد الولايات المتحدة. خاصة بعد مغادرة فرانك وماريا لكوبا اصبح بقية العملاء يعانون من ازمة حقيقية ولا يستطيعون التحرك أو اقامة أي علاقات مباشرة مع أي من الاشخاص المحيطين بكاستروكانت لدى فرانك في ميامي تعليمات بارسال ماريا بمهمة الى هافانا مهما كانت الظروف لكي تحصل على وثائق هامة من مقر كاسترو وتعود لكي تنام على اكاليل الغار والنصر طول حياتها بحثت ماريا مع الكابتن فرانك جميع الاحتمالات وقام بتحضير جواز مزوّر وشراء ملابس السياح لها وحين اعلن في مطار هافانا ان كاسترو سيذهب لزيارة منطقة (سبيناغا دي زاباتا) ركبت ماريا اول طائرة متجهة الى هافانا وهي تحمل الجواز المزور ومرتدية الملابس السياحية وكانت قد غيرت تسريحة شعرها وكذلك غيرت لون بشرتها الى السمار بواسطة المساحيق والمراهم الخاصة من مختبرات المخابرات الامريكية ووضعت مسدساً محشواً في حقيبتها المزدوجة القعر التي وضعت فيها ايضاً بزة تحمل رتبة ملازم اول سبق ان منحها اياها كاسترو. ولدى وصولها الى مطار هافانا مرت بسهولة تامة من الجمارك الكوبية حتى انهم لم يفتحوا

حقيبتها فتوجهت من المطار ونزلت في فندق متواضع من الدرجة الثالثة في مركز المدينة كان فرانك قد اعطاها عنوانه.

غيّرت ماريا ملابسها بارتدائها البزة العسكرية الكوبية واخفت وجهها خلف نظارتين كبيرتين واتجهت فوراً الى فندق هيلتون الذي كان كاسترو مازال يستخدمه مكتباً له. كانت قاعدة الفندق كالعادة مزدحمة بالناس فدخلت بخطوات ثابتة وقد تحاشت البوابين الذين يعرفونها وكانت تحمل مسدسها القصير عيار ٣٨ الذي قالت عنه بصراحة فيما بعد انها لم تكن تنوي استعماله سوى لاطلاق رصاصة الرحمة على صدغها اذا اكتشفوها. ؟ ولكن الامور سارت على ما يرام فدخلت المصعد دون ان يراها احد لانه مهما كان لديهم مخابرات قوية لم يخطر على بالهم بأن جاسوسة جريئة مثل ماريا قد عادت من امريكا الى كوبا متنكرة. صعدت ماريا الى الطابق «٢٤» حيث الشقة التي كانت تشغلها مع كاسترو والتي احتفظت بمفتاح طبق الاصل عن مفتاحها الكوبي وكالعادة اثناء غياب كاسترو كان المكان خالياً من أي كان لأن مرافقيه من الملتحين والسكرتارية كانوا قد سافروا معه. دخلت ماريا الشقة واغلقت الباب خلفها بالمفتاح وهي واثقة انها لن تواجه أي خطر لانها تعلم أن الاوامر الدائمة من كاسترو تقضي بألا يدخل احد شقة كاسترو اثناء غيابه وكالعادة ايضاً كانت الوثائق والخرائط مبعثرة أينما كان في جوانب الغرفة وكانت خزانة المال والوثائق السرية مفتوحة ايضاً فسارعت لتصوير كل ما بدا لها هاماً وما طلب منها تصويره فملأت جيوب سترة البزة الواسعة بالصور وبعد ساعتين من العمل الشاق وهي تعيش على اعصابها وتضع دمها على كفها كما يقال نظراً لوجود احتمال ٢٠٪ لعودة كاسترو «فجأة». عادت ماريا الى الفندق وعادت الى طبيعتها واستقلت الطائرة حالاً الى ميامي حيث كان فرانك بانتظارها فأخذها في احضانه عندما شاهدها وسلمته الغنيمة التي احضرها فأرسلها للاستراحة وبعد ايام قليلة اتصل بها هاتفياً واعلمها أن مهمتها حققت نتائج مذهلة وهنأها على عملها باسم حكومة الولايات المتحدة والرئيس كندي بالذات وسرت ماريا بنجاح مهمتها وعلمت لدي مشاهدتها فرانك أن تلك الخرائط التي صورتها عن المقاطعات الكوبية البعيدة والتي رسمت عليها دوائر مختلفة بالحبر الأحمر وملاحظات بالغة الأهمية بلغة لم تفهمها كانت هي خرائط الخطط الأصلية للمنشآت السوفياتية للصواريخ في كوبا وهكذا استطاعت المخابرات الامريكية أن

تحـدد بدقـة مواقع الصواريخ نتيجة هذه المعلومات التي فجرت أزمة الصواريخ المعروفة بين كندي وخروشوف.

كاسترو يكتشف عودة ماريا ويرسل لاعتقالها:

رغم كل الفـوضى التي يعيشهـا كاسترو فقد تنبه الى سرقة بعض الوثائق فاتجهت شكوكه فوراً الى ماريا فكلف مدير المخابرات العسكرية الكوبية بالعمل على استعادة ماريا الى كوبا بالقوة ولو اضطر الامر لقتلها.؟ واثناء اقامتها في شقة نيويورك استلمت برقية غامضة من هافانا تقول: اتصلي برقم الهاتف: ٢٨٦٠٧ لامر ضروري وهذا هو رقم هاتف كاسترو الليلي وكانت البرقية مرسلة من المدعو (يانيز) وهو ببسوس يانيز بياتييه احد رجال كاسترو المخلصين له وقد ركبها الفضول وحب المغـامـرة من جديد بدلاً من تجـاهل البرقية فخرجت عند منتصف الليل للاتصـال بالعاصمة هافانا من هاتف عام ولكن ما ان خرجت من المصعد حتى امسك بها رجلان من ذراعيها واطبق احدهما بكفه على فمها وحاولا جرها الى سيارة تقف بانتـظارهما عند رصيف المبنى وكان احد الرجلين هو «يانيز» حاولت ماريا التخلص منهما بما لديها من قوة ولكنهما مشيا بها مسافة امتار فما كان منها إلا أن «عضّت» كف الكوبي الذي كان يطبق على فمها.. وصرخت بأعلى صوتها طالبة النجـدة.. ففتحت نوافذ الطابق الارضي وأطل شخصان سمعا الصراخ فأفلتت ماريا من معتقليهـا وهربت باتجاه شارع برودواي فلحقا بها وسمعت صوت يانيز (صديق كاسترو) يصيح بصديقه. اطلق النار. اطلق النار عليها ولكنه لم يطلق أي طلقـة. بل استمـرا في ملاحقتها على امل استعادتها وتسفيرها الى كوبا وكانت السيارة تسير الهـوينـة وراءهـا وفي زاوية الشارع وجدت ماريا رجل شرطة فرمت بنفسها عليه ولم تكن قادرة على الكلام مطلقاً وهي تلهث من الخوف بل اشارت له الى العميلين الكـوبيين اللذين انـطلقا هاربين[1] اعادها رجل الشرطة الى منزلها

---

(١) في عمـل المخابرات لا يوجد مستحيل لذلك فإن هروب العميلين ومن معهما سواء في السيارة المرافقة أو الانتظار في الفندق كطبيب تخدير مثلاً واخراجهم من نيويورك مضمون كما كان خروج ماريا من هافانا مضمون... انها المخابرات...

فقامت بالاتصال بفرانك الذي حضر اليها مسرعا فقصت عليه تعرضها للخطف من قبل عملاء كوبيين. قام فرانك بالاتصال بفرع المخابرات الامريكية بنيويورك ولكن لم يتمكن أحد للعثور على أيّ للعميلين الكوبين. عاشت ماريا بعد ذلك في المؤآمرات التي تعد ضد كاسترو ومع المجموعات المناهضة للثورة الكوبية ولكاسترو كزعيم ورمز لهذه الثورة أيّ على الجبهة الكوبية وفي هذا المحيط كان الحديث يتردد دوماً حول احتمال اغتيال فيدل كاسترو والكل يتحدث عن مشاريع واقتراحات للنيل منه وهذه لائحة بما اقدمت عليه المخابرات الامريكية من محاولات لاغتيال كاسترو باءت جميعها بالفشل وعلى رأسها عملية الغزو الفاشلة من خليج الخنازير مع عشرات من المنفيين الكوبيين وهذه الحاولات:

١ - اعدت خطة تتلخص بقصف جوي عنيف للمنصة التي كان كاسترو سيرتقيها لالغاء خطاب من خطاباته التي تدوم ساعات طوال وكانت ماريا ستشارك في هذه الخطة لولا أن صدرت أوامر بالغاءها قبل التنفيذ بساعات.

٢ - قبل عملية خليج الخنازير ارسلت المخابرات الامريكية اثنين من رجالها الى هافانا في مهمة اطلاق النار على كاسترو من بندقيتين مزودتين بمنظارين مقربين وقام الرجلين بارخاء لحيتيهما حتى بديا وكأنهما من ثوار كاسترو. ولكن المخابرات الكوبية كانت قد اتخذت كافة الاحتياطات لحماية كاسترو والمسؤولين الكوبيين فلم ينجح العملين ابداً في الاقتراب من كاسترو بما يكفي للقيام بالمهمة فألقيا البندقيتين في البحر وعادا خائبين.

٣ - في شهر تموز ١٩٦٠ جندت المخابرات الامريكية احد عملاءها في هافانا لتدبير حادث سيارة يودي بحياة كاسترو لقاء عشرة آلاف دولار ولكن العميل لم ينجح.

٤ - في شهر آب ١٩٦٠ صدرت التعليمات لدس مادة (توكسين البلوتونيوم) السامة في صندوق سيجار النوع الفاخر الذي يفضله كاسترو على باقي انواع السيجار وارسال هذا الصندوق الى احد العملاء المقربين جداً الى كاسترو ليقوم باهدائه له.. ومن المعلوم أن لمسة خفيفة من هذا السيجار الى فم المدخن والمقصود هنا «كاسترو» تكفي لهلاكه بعد سريان السمّ في جميع أنحاء جسمه ولكن العميل المقرب «جبن» في آخر لحظة الامر الذي انتهت معه محاولة الاغتيال الى الفشل.

٥ - وفي شهر آب ١٩٦٠ أيضاً طلبت المخابرات الامريكية من بعض اعضاء المافيا المتضررين من مصادرة نواديهم التي كانت تقدم العاب القمار والمخدرات والدعارة القيام بعمليات قتل اجرامية في هافانا تطال رأس كاسترو بالذات ولكن اعضاء العصابة اقترحوا اللجوء الى اساليب (انظف واهدأ) فاستجابت المخابرات لاقتراح اسلوب القتل الانظف والاهدأ وهو ارسال اقراص من مادة البلوتونيوم السامة لعصابة المافيا بغية دسها في كؤوس الشراب التي تقدم لكاسترو في احد المطاعم التي يتردد اليها وقد جرت محاولة واحدة حيث وضع قرص من هذه المادة في كأس كان من المفترض ان تقدم لكاسترو فشربها شخص آخر بالخطأ وفشلت هذه المحاولة ايضاً.

٦ - في عام ١٩٦٢ قام وليم هارني وهو قاتل محترف موظف في المخابرات الامريكية والذي اشتهر بقتل وشل الزعماء الاجانب عن الحركة الجسمانية بالاجتماع في ميامي مع عضو عصابة المافيا دوسيللي واعطاه اقراص مسمومة واسلحة كيمائية تخفى في علبة كبريت لقتل كاسترو بها وقد انتهت ايضاً هذه العملية الى الفشل.

٧ - في نفس عام ١٩٦٢ طرحت مجموعة اغتيال كاسترو مخطط يقضي بلغم الاصداف البحرية الموجودة في قاع المسبح الذي يمارس فيه كاسترو هوايته المفضلة هواية الغطس، ومن المعروف عن كاسترو أنه كان يقضي معظم فراغه في هذا المسبح[1] مع شلة من اصدقائه وصديقاته ولكن المخابرات تخلت عن هذه الفكرة لاستحالة وصول العملاء الى المسبح المذكور.

٨ - في عام ١٩٦٣ قامت المعامل الكيماوية الخاصة بالمخابرات الامريكية بصنع نوع خاص من «بدلات الغطس» ورشها بالفطريات التي تصيب الانسان بأمراض جلدية خطرة كما جرى تلويث أنبوب التنفس العائد للبدلة «بجراثيم السل» ووضعت خطة تقضي بأن يقوم (المحامي الامريكي المتطرف جيمس دونافان) وبدون أن يعلم بأنها بدلة غطس موبوءة باهدائها لكاسترو لأن كاسترو كان يحب دونافان آنذاك وقد اختارته المخابرات

(١) كان العقيد الراحل أديب الشيشكلي يقضي اوقات فراغه في مسبح السريانا بدمشق ولكنه كان متزوجاً.

الامريكية والحكومة الاميريكية ليقوم بمفاوضة كاسترو من أجل اطلاق سراح السجناء الكوبيين الذين اشتركوا في عملية خليج الخنازير. وأيضاً تخلت المخابرات الامريكية عن هذه العملية حفاظاً على حياة العملاء الموجودين في الاسر الكوبي آنذاك.

٩ - في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣ (وهو تاريخ اغتيال الرئيس كندي من قبل المخابرات الامريكية نفسها والمافيا وتجار الاسلحة (راجع صفحة ٢٧٩ من هذه المسلسلة الضخمة عن المخابرات في العالم الجزء الثاني) اجتمع دسمون فيتز جيرالد وهو من كبار المسؤولين في المخابرات الامريكية مع احد العملاء الكوبيين واعطاه قلم حبر مسموم ليقوم بدوره باهدائه الى كاسترو وعلى اعتبار أن ذلك العميل كان على صلة مستمرة مع الزعيم الكوبي ومحظياً عنده. ولك اغتيال كندي في ذلك اليوم جعل الاثنين يهرعان من الاجتماع جزعين حيث الغيت هذه الخطة ايضاً.

١٠ - في مطلع عام ١٩٦٥ جرى تزويد بعض العملاء الكوبيين بأسلحة قتل خفيفة من بينها ترويد عميل كان كاسترو يثق به ويحبه بمسدس كاتم للموت لاغراض استعماله ضد من يثق به ويحبه (كاسترو) ومع ذلك لم يتمكن من حمل هذا المسدس لحظة واحدة.

١١ - قامت المخابرات الامريكية ايضاً بمحاولات لرش غرفة الاستوديو في الاذاعة الكوبية بمسحوق (ل - س - د) المخدر وكان من المفروض أن يذيع كاسترو خطابه من ذلك الاستوديو (من المعروف أن هذا المسحوق يصيب الانسان بالهذيان والهلوسة والجنون. ولكنها لم تتمكن من اختراق الوسائل الامنية في دار الاذاعة الكوبية التي تقوم المخابرات الكوبية بحمايتها.

أطرف محاولة اغتيال لكاسترو:

إن اطرف المحاولات التي دبرتها المخابرات الامريكية للتخلص من الزعيم الكوبي هي المحاولة التي ترمي اعلامياً الى ايهام سكان العالم بأن السيد المسيح قد ظهر وأنه هبط من السماء الى الارض وهو منزعج بسبب الخطايا أو الاخطاء التي

ارتكبها الزعيم الكوبي كاسترو وكانت الخطة (المخابراتية) تقضي بأن يوعز بأن تقرع اجراس الكنائس في جميع انحاء امريكا والدول الدائرة في فلكها ايذاناً بنزول السيد المسيح الى الارض ثم تطفو بعض الغواصات الامريكية في اماكن نائية من البحار والمحيطات الممكن وجودها فيها الى سطح الماء تطلق مقذوفات مضيئة على شكل نجوم لجعل سكان العالم يصدقون بأن السيد المسيح قد ظهر فعلاً والاهم من ذلك أن المخططين لهذه المحاولة من خبراء المخابرات الامريكية قد اختاروا احد ضباطها ليقوم بتمثيل دور «المسيح» نفسه[1] ولكن لدى عرض هذه الخطة بكامل جوانبها على البيت الابيض لم تجري الموافقة عليها لاسباب دينية. وهكذا نصل الى الرقم (١٣) في محاولات المخابرات المركزية الامريكية لاغتيال كاسترو والتي نجا منها جميعاً. ؟

١٣ ـ تمكنت المخابرات الامريكية من شراء طائرة مروحية هيليوكبتر مع طيارها العميل واوعزت اليه بالقيام بعملية جنونية في سماء هافانا فقام العميل ومساعد له وقاد الطائرة باتجاه فندق هيلتون الذي يقيم كاسترو في الطابق (٢٤) منه وبعد قيامه بعدة دورات بعيدة لمراقبة شقة كاسترو مراقبة دقيقة حتى تأكد أن بامكانه الهجوم اقترب من هدفه كثيراً واطلق قذيفة بازوكا على شقة كاسترو في الطابق الخاص فأخطأتها ولكن نفس الهيلوكبتر اسقطت بعد دقائق.

هذا القدر الذي علمته ماريا عن محاولات اغتيال كاسترو ولكن يوجد الكثير من المؤآمرات لم يكشف عنها النقاب حتى كتابة هذه السطور. وقبل أن تترك ماريا لورنز خدمة المخابرات الامريكية كانت قد ذهبت الى سواحل كوبا ثلاث مرات اخرى في الزوارق التي كانت تنقل الاموال والسلاح الى المناهضين لكاسترو وقد اوضحت ماريا علاقتها بالمخابرات الامريكية فقالت أنها كانت متأثرة من اعمال هذه المخابرات من الكتب العديدة التي قرأتها عنها وهي تركب البحر في العطلات الرسمية مع أبوها حتى واتتها فرصة مقابلة كاسترو ومن ثم مقابلة فرانك

---

(١) هنا المخابرات الامريكية ولأغراضها الدنيئة من الاساءة لكاسترو كانت ستجعل السيد المسيح ينزل من السماء التي رفع اليها عليه السلام. ومن الماضي القريب كان هتلر قد أوعز إلى هملر رئيس مخابراته بالعمل على الغاء (المسيحية) واستبدالها بدين جرماني (راجع صفحة ٣٦١ من كتابنا المخابرات والعالم ـ الجزء الأول)...

في هافانا حيث زيّن لها العمل في المخابرات الامريكية في مرحلة خطرة جداً لأنها كانت تقيم مع كاسترو بالذات بل وتقاسمه الفراش وبذلك تكون ماريا قد قدمت خدمة تطويعية آنية للمخابرات الامريكية ولم تكن موظفة رسمية بالمعنى الصحيح للكلمة أي أن اسمها لم يكن يرد على جداول الرواتب الاتحادية. وكان كثيرون مثلها يقوم بمثل هذه الاعمال كهواية والبعض الآخر كانوا يعتبرون العمل لصالح المخابرات الامريكية خدمة وطنية أما المصاريف لتغطية هذه الاعمال فلم تكن تنقصهم ابداً وعندما كانت ماريا أو غيرها من العملاء على الجبهة الكوبية يحتاجون الى المال فكانت تقصد منزل شخص يدعى ادوارد[1] وتقبض منه مئات الدولارات على مبدأ اطلبْ تُعطى وأخيراً نجحت ماريا في الحصول من فرانك فيوريني على تصريح بموافقته على تركها العمل مع المخابرات الامريكية حسب الاتفاق الاول بينهما في هافانا والذي يقضي بعملها معهم ما طاب لها ذلك فتم اكرامها بعد ذلك وتزوجت من احد زملائها ومنحت منزلاً في إحدى الولايات الامريكية وانجبت لزوجها عدداً من الصبيان والبنات وعاشوا في سبات ونبات كما تقول القصص.

سبب مغامرات كاسترو النسائية:

يؤكد الكوبيون الذين يحبون كاسترو كثيراً أنه خجول بطبعه وخاصة مع النساء وبهذا يفسرون عزوبيته المعلنة والطويلة الامد فعندما نجح كاسترو في ثورته اطلق لحيته المميزة الشهيرة واقسم أن لا يحلقها الا بعد التحرير[2] وايصال كوبا الى شاطىء الامان كما اطلق القسم «نفسه» بالنسبة للزواج غير أنه مرّت سنوات طويلة على انتصار الثورة في كوبا وتحقق لكاسترو ما كان يطمح اليه ومع ذلك لم يحلق ذقنه ولم يتزوج لذلك كانت تنشر عنه القصص والطرائف. الكوبيون ينادونه باسمه

---

(١) إداورد هذا سابقاً هو نفسه «هوارد هنت» الرجل الذي نظم عملية سرقة الوثائق من المقر العام للحزب الديمقراطي في مبنى (ووتر غيت) تلك العملية التي أدت بالرئيس ريتشارد نيكسون إلى ترك رئاسة الجمهورية..

(٢) بعض الرواة يقولون انه أقسم على ان لا يحلق ذقنه إلا بشفرات من انتاج كوبا والمتتبعين للصناعات الكوبية يعلمون ان كوبا أصبح لديها صناعات ثقيلة بعد الثورة فكيف بصناعة الشفرات..؟ ومع ذلك لم يحلق كاسترو ذقنه حتى الآن.

الاول ولقبه الحزبي «الرفيق فيديل» تحبباً ويتسابقون لترديد النوادر عنه. فيديل مثلاً لاعب شطرنج محترف لذلك فقد تجرأ في نهاية السبعينات على دخول المباراة الجماعية للفريق الشطرنجي الكوبي مع بطل العالم آنذاك بتروسيان. لقد تغلب بتروسيان في تلك المباراة على جميع اعضاء الفريق الرسمي الكوبي ولكن النتيجة كانت مع كاسترو «بالتعادل». الكوبيون وقتها اعتبروا ان ذكاء بتروسيان لا يكمن فقط في موهبته الشطرنجية بل في معرفته كيفية اللعب في مباراة مع زعيم دولة.
ويذكر الكوبيون عن كاسترو أنه يحب الدجاج كثيراً ويؤكد بعضهم على أن كاسترو ما قام بالثورة إلا لكي يتمكن من الحصول على امتياز لأكل الدجاج يومياً «أو على الاقل كلما اراد ذلك». أما بالنسبة لعدم زواج كاسترو حتى الآن فذلك لأن حياته لم تخلُ من نوادر عاطفية مثل قصته السابقة مع ماريا لورنز الجاسوسة الحسناء وما ذكرته الصحافة الدولية اثناء انعقاد المؤتمر الأول للقارات الثلاث في عاصمة كوبا هافانا من أن كاسترو اقتحم ليلاً غرفة صحفية افرنسية جميلة في فندق «الحرية» في وسط العاصمة بعد عجزه عن كبح جماح عاطفته نحوها لدى اجراءها مقابلة صحفية معه نهاراً وقتها حاولت الصحافة العالمية اعتبار الحادث «فضيحة» غير أن الكوبيون رأوا في تصرف كاسترو هذا رجولة حقيقية مقرونة بالعاطفة الكوبية المتشددة. وهناك قصة غرامية جديدة عن كاسترو لم يعوّل المراقبون الكثير عليها فنذ بدءها سواء لصعوبة تقصي الحقائق النابعة من عدم المقدرة على تتبع تحركات الزعيم الكوبي لحسه الأمني وسرية تحركه أو سواء لاعتقاد البعض بأن كاسترو ليس لديه متسع من الوقت لكي يتلفت ورائه أو لربما لتقدمه في السن من مواليد ١٩٢٧ م. ويظهر أنه لم يخسر شيئاً من ريعان الشباب الذي على ما يبدو قد استعاده بعد بدء هذه القصة. فالممثلة البرازيلية السمراء الشهيرة (لوشيليا سانتوس) التي شاركت في عدة افلام عالمية وكانت بطلة لبعضها بالاضافة لتمثيلها الافلام والمسلسلات لحساب التلفزيون البرازيلي حضرت في صيف عام ١٩٨٣ الى كوبا في موسم الحصاد لتصوير فيلم (العبدة آزورا) لحساب التلفزيون البرازيلي وقد تعرف عليها كاسترو عن طريق وزارة الثقافة الكوبية وهنا بدأت القصة بينهما واطلقت الصحافة الغربية على هذه القصة عنوان: [كاسترو يحب العبدة آزورا] وفوجيء الجميع بظهور آزورا أو الممثلة لوشيليا في هافانا مجدداً بعد أن سافرت منذ مدة طويلة لتهدأ الاقاويل الغربية عنها وتم اللقاء بينها وبين كاسترو حيث اتضح أن هذا اللقاء لم



ـ العبدة آزورا ـ محبوبة كاسترو.

يكن بمحض الصدفة بل كانْ مرتباً له وحتى من قبل أن تسافر لوشيليا سابقاً فكاسترو كان قد بعث بدعـوة خاصـة إليها. . . . . مع بعض الهدايا طبعاً ـ للمشاركة في مهرجان هافانا السينمائي وتقبلت الممثلة الدعوة وحضرت مسرعة الى هافانا ليس للمشاركة بالمهرجان السينمائي فقط بل للمشاركة في لقاء كاسترو الودي.

المخابرات الامريكية تطلب من المافيا اغتيال كاسترو:

الفكرة الشائعة في العالم أن روبيرت كندي كان أخطر واقسى واعنف وزير عدل امريكي «واجه المافيا» وكل انواع الجريمة المنظمة وقد استطاع روبيرت أن يبني جداراً مرتفعاً من العداوة والبغضاء بين المافيا وحكم شقيقه الرئيس جون كندي الذي استمر ثلاثة اعوام وانتهى بمقتل الرئيس في خريف عام ١٩٦٣. ويبدو أن الاشياء والاحداث والوقائع آخذة في التغيّر بسرعة لم يتوقعها الذين بنوا قصصهم ورواياتهم على العداوة المطلقة بين المافيا والدولة الامريكية بأجهزتها المختلفة فقد قام تحالف بين المافيا والمخابرات الامريكية على انهاء حياة فيديل كاسترو وكان مكتب التحقيقات الفدرالي (المباحث الامريكية) يتابع هذا الحلف ويطلع على كل الخطوات. وصمتِ المباحث هو الذي حوّل ما كان «عداوة» بين المافيا وآل كندي الى «تآمر» ضد كوبا انتهى بمقتل الرئيس جون كندي[1] وليس اغتيال

(١) المخابرات والعالم ـ الجزء الثاني ـ صفحة (٢٨٩). . .

فيديل كاسترو. . ؟

لقد قام التحالف على قاعدة (احمونا في الداخل). ؟ نصفي اعداءكم في الخارج وتعني المعادلة في التطبيق العملي. إن الحرب قامت بين المخابرات الامريكية والمباحث فالمخابرات تعمل على حماية المافيا والمباحث تلاحقها بعنف وقوة بناء لاوامر وزيرَ العدل وقد كلفت المخابرات الامريكية الشقي المعروف «سام غيانسانا» من زعماء المافيا المطرودين من كوبا باغتيال كاسترو في وقت كانت المباحث وبأمر من وزير العدل تضيق الخناق على سام واعماله وهو الذي خسر الملايين في عملية وضع اليد التي قام بها كاسترو على كازينوهات هافانا التي كانت مملوكة الى عصابات المافيا وكان من الممكن أن يكشف سام الحقيقة عن تكليفه بمهمة قتل كاسترو قبل أن يُقتل كندي من قبل المخابرات الامريكية عندما استدعي للشهادة امام لجنة خاصة شكلت من الكونغرس الامريك. . لكنه اغتيل في منزله عشية مثوله امام اللجنة. . وقد اعلن الرئيس الامريكي السابق ريتشارد نيكسون أن المخابرات الامريكية هي التي اغتالت هذا الشاهد واعلن نيكسون[1] ايضاً أن المخابرات الامريكية هي التي «صنعت» آل كندي وهي التي اوصلت جون كندي الى سدة الرئاسة الاولى وبالتزوير ايضاً فقد قال نيكسون في واحدة من حلقات الفيديو الثماني والثلاثين التي سجلها لاحدى شركات التلفيزيون الامريكية أنه سكت على فضيحة سقوطه في الانتخابات الرئاسية بفارق ثمانية آلاف صوت فقط لأنه لم يرد أن «يفضح» الديمقراطية الامريكية حتى تبقى نموذجاً للشعوب الاخرى من جهة ومن جهة ثانية لكي لا يكتشف العالم عمليات التزوير الاخرى التي تحدث في الانظمة الديمقراطية التي تصنعها الولايات المتحدة في العالم الثالث.

نيكسون ضحى بنفسه ورئاسته عام ١٩٦٠ من أجل بلاده ولو طعن بانتخاب جون كندي لكان اوقع اعظم قوة في العالم (امريكا) في فراغ دستوري ورئاسي لا تعرف كيف تخرج منه. ايضاً لو فعل أي طعن بانتخابات كندي لما انتهى الى مأساة ووترغيت حيث كان سيقضي في الرئاسة فترة تمتد من بداية عام ١٩٦١ الى نهاية عام ١٩٦٩ ووترغيت تبعت السنة الاخيرة بثلاث سنوات (١٩٧٢).

---

(١) الرئيس السابق نيكسون «بطل فضيحة ووترغيت» رفض الاعتذار عن فضيحته قائلاً ان استقالته من منصب الرئاسة «أبلغ اعتذار» بينما الرئيس ريغان ركب رأسه في فضيحة «ايران غيت» واعتذر عن اخطائه اكثر من عشر مرات (على عينك ياتاجر). . .

عودة الى التكليف بقتل كاسترو:

كان سام غيانسانا الذي كلف بقتل كاسترو من قبل المخابرات الامريكية «زعيم» مافيا مدينة شيكاغو بعد أن بدأ حياته في الجريمة المنظمة سائقاً لسيارات القتلة بسرعة جنونية فأبدى موهبة خارقة في قيادة السيارة اثناء ارتكاب الجرائم وتحكماً فذاً في الاعصاب وقت الشدائد والتحقيقات التي لا ترحم وسام لم يصل الى ابعد من السنة السادسة الابتدائية لكن ذاكرته قوية الى حد سيطرته على ملايين الدولارات التي اصبحت تحت تصرفه عندما استطاع أن يحكم امبراطورية شيكاغو «بعد آل كابوني» الاسطورة كما تمكن من ابعاد اليهودي ماير لانسكي عن اسوار الامبراطورية التي عجز عن تسلقها عظماء مافيات نيويورك وأخيراً قدّرت المخابرات الامريكية سام في أنه الوحيد الذي وعد بتنفيذ ما عجزت عنه حملة خليج الخنازير وهو القضاء على كاسترو وحكمه.



ـ سام غيانسانا قبل اغتياله بأيام..

كيف كان يعيش سام غيانساتا:

«سام» الاسم الاول السام غيانسانا حاكم امبراطورية المافيا في شيكاغو والذي كان يقيم في فيللا أو داره فخمة في منطقة الينوي مع ابنته انطوانيت وكانت الاف. بي. أي (المباحث الامريكية) تضعه تحت المراقبة الدقيقة كما كان موضوعاً تحت مراقبة البوليس وجواسيس المافيا المنافسة وكانت مراقبته تمتد من المحيط الى المحيط ومن الاطلسي الى الباسيفيك فتراقبه العيون وتستمع الى

خطاه الآذان أينما حل وارتحل ولا تهم نتيجة المراقبة سواء كان في فلوريدا أو في الباهاما أو في الكاريبي أو في المكسيك أو يسير في الشارع أو يوجد مع امرأة في السرير (أي خصوصياته) المهم معرفة مكان وجوده لرصد حركاته ومعرفة خطواته وكان سام يشعر بكل ذلك الحصار ويتمنى لو يعيش لوحده حفاظاً على خصوصياته لأن هذه المراقبة المستمرة ليلاً ونهاراً قد اتعبته وارهقته ولنعد الى احد ايام ايار (مايو) من عام ١٩٦١ وكانت الشمس مشرقة على منزل العائلة في الينوي وسام يجلس على كرسيّه الخيزران المتحرك وقد ارتدى قميص ازرق مفتوح الرقبة وعلى جانب القميص الايمن طرزت الاحرف الثلاث S - M - G بخيوط من الذهب الخالص وتتدلى علاقة مفاتيحه الذهبية من مقدمة الحزام بسلسال حتى جيبة بنطلونه اليمنى وفي يده اليسرى ساعة ذهبية عقاربها مشكولة بالألماس الصافي وبين اصابعه عود ذهبي اهدته له زوجته مؤخراً لتحريك الثلج في كؤوس الوسكي وفي هذا الجو دخلت عليه ابنته المتزوجة انطوانيت وطبعت قبلة على خده وجلست امامه في هذه الغرفة التي لم يكن الصوت يتسرب من جدرانها لأنها صممت ضد اختراق حاجز الصوت لأن سام يعرف أن خصومه يسلطون على منزله أجهزة التنصت الحديثة التي تلتقط ما يجري وراء جميع الشبابيك والغرف المغلقة وفي هذه الغرفة يجتمع القادة إن جاز التعبير والزعماء والعظماء (جميع هذه الالقاب كانوا يستعملونها ويتقاسمونها فيما بينهم) ليقرروا تغيير وجه الاحداث في كازينوهات لاس فيغاس وأندية نيويورك واستديوهات هوليود. أما عائلياً وبعد دخول ابنته الى حصنه الحصين فقد نظر إليها نظرة ذات معنى فأحست ان اشعة اكس قد انطلقت من عينيه باتجاه دماغها ليقرأ فيه ما يدور في ذهنها قبل أن تنطق بكلمة واحدة وكانت ابنته تعرف أن والدها يحمل كفاءات جيكل وهايد وتتعجب كيف يحمل ويمارس هذه الازدواجية في شخصيته فعندما كانت ابنته في السادسة والسابعة من العمر كان يحملها بين يديه ويضعها على ركبته. وكان يصرف الساعات الكثيرة وهو يزين شجرة الميلاد وبينما كان يفعل ذلك بتواضع وحنان كان يفكر بمن سيموت ومن يعيش في شوارع شيكاغو فعلاً كانت شوارع شيشرون في الينوي منطقة سكنه ترتجف حين تسمع اسمه وكان يخيم جو الرعب على حفلات الكوكتيل في شيكاغو عندما يدخل سام اليها محاطاً برجاله ويصل هذا الرعب حتى شراطىء كاليفورنيا وعندما كان سام يغضب فيتحول الى حيوان غابة فينطلق الى العنف والقوة حيث

يعذب المناوئين له عذاب القرون الوسطى فيعلقهم على كابلات الجزارين التي تسمى بالعربية (شناكل) ومن لم يطله ليعلقه يأمر بقتله فيقتل وهو على سلم دار القضـاء أو وهو بين يدي رجال البوليس وقد وصف من قبل الصحف والتلفزيون والاف. بي. إي وبوليس شيكاغو بأنه اقوى «عراب» في نيويورك منذ صعد سلم الزعامة الى عام ١٩٧٤ أي قبل سنة من مقتله عام ١٩٧٥ أما ابنته التي جلست امـامه كما ذكرنا فرأته تعباً وقلقاً فتجرأت وسألته: بابا سام لماذا لا تتوقف؟ إنك تملك الآن كل ما تحتاج اليه من المال بالملايين؟ هل يحتاج الامر الى كل هذا الركض والعناء. . بابا. إنك ملاحق ومراقب بشكل دائم. ضاقت عيناه وهو يحملق في وجه ابنتة ثم وضع كأس العصير على المكتب واشار لها باصبعه وصرخ في وجهها بأعلى صوته: من أجل السماء. انطوانيت ماذا تعرفين عن أي شيء. ؟ إنك لا تفهمين شيء عن عملي. اهتمي بأمر نفسك إن ما افعله لا يخصك.

صمتت انطوانيت بعد أن اقترحت على والدها سام أن يتوقف وقد ايقنت في ضميرها أن ابوها لا يمكن أن يتوقف فيها عن الزعامة إلا عندما يموت. وصمت سام ايضاً وهو يحملق في ابنته فغيرت انطوانيت الموضوع وصممت أن تتحدث اليه بأمر خبر قرأته في احدى الصحف عن «كاسترو وكوبا» وهذا الخبر يتحدث عن دور كندي في عملية خليج الخنازير[1] وهي تعرف بأن والدها قام بعدة رحلات الى كوبا لأنه يصطحبهم معه هي ووالدتها وشقيقتها ويتركهم في فلوريدا ويذهب الى كوبا في رحلة سريعة مع بعض الرجال في بعض الاحيان ومن هؤلاء الرجال كان جوني روسيللي وهو انيق مهذب يتحدث بنعومة عضو مافيا بارز قتل بعد سام بعام وكان روسيللي قد ادلى بشهادته امام لجنة شكلت من مجلس الشيوخ الامريكي في حينه وهذه اللجنة حققت في مؤامرات قتل شخصيات دولية والمخطط لهذه المؤامرات هي المخابرات الامريكية وسام نفسه قتل قبل ان يمثل امام هذه اللجنة التي كان يرأسها السناتور فرانك تشيرش من «إيداهو». وعندما تتجرأ ابنته انطوانيت للتحدث

---

(١) في ١٧ نيسـان (ابريل) ١٩٦١ على اثر فشل غزو خليج الخنازير خصصت الصحف والاذاعات وشبكات التلفزيون وعلى مدى شهر كامل أوقاتاً ومساحات كبيرة واصفة ما فعله المنفيون الكوبيون الذين دربتهم المخابرات الامريكية كما نشرت عن فنادق هافانا وكازينوهاتها التي لم يعد يديرها أصحاب السوابق من رجال المافيا أمثال والد. . انطوانيت.



ـ انطوانيت غيانسانا ـ كانت تحب كاسترو. . .

معه فهي لا تعرف أي شيء عن المؤامرات الدولية أو عن الـ سي . أي . إيه أو كيف يمكن لوالـدها سام أن يرتبط معهم بأي موضوع وفعلاً لم يكن منطقياً أن تعرف انطوانيت أن والدها يمكن أن يعمل أو يقوم بصفقة مع أي جهة حكومية «إلا من خلال شرائها والدفع لها» أي رشوتها ولم يكن أمامها من وسيلة لمعرفة مدى الكراهية التي يضمرها والدها لكاسترو لأنه لم يناقش هذا الموضوع امام أي شخص من العائلة. والذي عرفته ابنته انطوانيت عن مسألة التهجم على كاسترو أو كراهيته له هو ما يكـون قد تحـدث به «عـرضياً» مع بعض الاصدقاء أو عندما يذكر بعض اصدقائه ملاحظات غير مباشرة لها. ومع كل ذلك قالت انطوانيت لوالدها وجهاً لوجه: تعرف يا والدي معي الآن موضوع صحفي قد يهمك إنه عن كوبا. وكيف أن عديداً من الناس قد يفقدون استثماراتهم هناك.

وهنا قفز رأس سام من وراء مجلة كان يقرأ بها فقد اثارت اهتمامه الحقيقي لاول مرة منذ دخولها غرفة المؤتمرات. فقد كانت عادة سام تجاهل ما تقوله وهي عادة سيئة فيه فقد كان يضطرها الى اجباره على الاستماع لها لأنها كانت تريد أن يشعـرهـا أنهـا ذات اهمية وليست آلة يحركها كيفما يشاء. تلوّن وجهه بمختلف الالوان وتركزت عيناه على الصحيفة التي تحملها ابنته فأخذت تقرأ له مقاطع من المقـال الـذي يذكـر مايرلانسكي الشخصية اليهودية المرموقة في عالم الجريمة والـذي يعـرفـه والـدهـا جيداً وجاء في المقاطع التي قرأتها انطوانيت ايضاً ذكر لكازينوهات هافانا وما يملكه منها لانسكي وغيره من قادة المافيا ولم يذكر المقال

والدها سام رغم أنه كان احد المساهمين الكبار في كازينوهات هافانا بالاضافة الى امتلاكه شخصياً لشركة ضخمة لصيد «القريدس» يتجول اسطولها البحري من فلوريدا الى المكسيك ثم كوبا والمقال الصحفي لم يذكر هذه الشركة أيضاً. لكن انطوانيت اوقفت القراءة وقالت لوالدها متسائلة: ألا تملك أنت واكاردو شركة لصيد القريدس في كوبا.؟ فنظر اليها هذه المرة نظرة قاتلة وقد امسك بذراع الكرسي متمنياً لو يستطيع خلعه وضربها به.. وقال لها: كم مرّة عليَّ أن اخبرك أن لا تتحدثي في اعمالي ولا عن اصدقائي وماذا نفعل.. أغلقي فمك على اشياء لا تفهمينها، فوجئت انطوانيت بصراخ والدها واخذت ترتجف خوفاً واخذ العرق يتصبب منها لكن صمتها لم يستمر طويلاً رغم النيران المتطايرة من عيني والدها وفكرت كيف السبيل الى التوفيق بين متناقضين.

- ترطيب الجو مع ابيها.
- متابعة القراءة من الصحيفة.

● وهي التي صممت على لفت انتباه والدها في هذه الجلسة «الفرصة» مهما كانت النتائج فهي لم تعد صغيرة يراها والدها ولا يستمع اليها واذا كانت لا تستطيع الكلام عن عالم أعمال والدها حسب طلبه منها فهي على الاقل تستطيع الكلام فيما يفيده بطريقة من الطرق وربما يستمع اليها اذا تحدثت عن «كاسترو» هكذا عرضت هذه الفكرة الجهنمية على خاطرها بسرعة البرق فلم تستطع صبراً وهي لا تعرف حتى ساعتها هذه الأمور:

١ - إن والدها مكلف باغتيال كاسترو.
٢ - إن كاسترو سبب مشاكل والدها المالية.

● لكن كيف تعرف الابنة هذه «الاسرار العليا» ووالدها لا يطلعها على شيء من عالمه الخاص. ولكن طبيعتها كأنثى متحررة وابنة مدلّلة لزعيم مافيا ترك لها الخيار في الحديث عن الجنس والجمال وهنا بدّلت الحديث عن شركة القريدس الى الحديث عن كاسترو:

إنه جذاب وجميل عملاق وسيم. إنه يشدني ويجذبني ولو لم اكن متزوجة لتمنيت أن اقابله واقضي وقتاً ممتعاً معه... اداعب لحيته...، وبالطبع توقعت انطوانيت ردّ فعل من والدها لكن ليس بالطريقة التي حدثت:

● قفز «سام» عن كرسيه الهزاز وطار بالهواء بخفة ابن العشرين وحط بجانب

انطوانيت. انتزع الصحيفة من يدها بيده اليسرى وصفعها بيده اليمنى صفعة ارتجت من صداها الغرفة وهو يصرخ ويرغي ويزبد: لا تعيدي ذكر هذا الوغد على لسانك في بيتي هذا. . ابداً. . ابداً. . ابداً وانقلب سام الى حيوان ناطق تلوّن وجهه ويداه كانتا ترتجفان وهو يبتعد عن ابنته ويقترب منها وهو يبرطم ويسبّ باللغة الايطالية (رجع الى اصله الايطالي) «هذا ابن الـ . . . هذا الوغد زير النساء المسفلس. . هل لديك أية فكرة عما فعله لي. . وما فعله لاصدقائنا» وقفت انطوانيت واجمة امام ما تراه وتسمعه خافت وكأن الموت الزؤآم يواجهها. لقد رأت والدها غاضباً من قبل لكن أبداً لم تراه في هذه الحالة «لاول مرة يضربها» كانت ترتجف بعنف غير دارية بخطوته التالية وكل ما فكرت به في تلك اللحظات أن والدها سيصاب «بسكتة قلبية» لأن عروق وشرايين رقبته ووجهه ويديه كادت أن تخرج من مكانها الطبيعي كانت ترى النبض ظاهراً وهو يعلو وينخفض. ثم انحنى سام على طاولة وهو يقول:

● اللعنة عليك يا انطوانيت انك لا تعرفين شيئاً عن أي شيء. . لقد خسرت الكثير بسبب هذا الوغد وانت تتحدثين عنه كما لو كنت معجبة بنجم سينمائي. . أين بحق السماء عقلك. اخرجي من هنا حالاً اخرجي الى الجحيم قبل أن اقتلك. عرفت انطوانيت في تلك اللحظات ما فيه الكافية عن والدها مما جعلها تتوقف عن الكلام المباح وغير المباح واسرعت بالخروج بعد أن رأت الشرر يتطاير من عينه خوفاً من أن يقتلها فعلاً. . . ولو أنها ابنته. ؟.

انطوانيت تتأكد من تورط والدها بمحاولة اغتيال كاسترو:

بعد «١٤ سنة» من تاريخ ضرب سام لابنته انطوانيت لأنها امتدحت كاسترو امامه وفي عقر داره استُدّعي والدها للمثول أمام مجلس الشيوخ برآسة السناتور تشيرش لاداء الشهادة في مقتل كندي وشخصيات دولية اخرى اهمها فيديل كاسترو ولكن مفرزة من المخابرات الامريكية اقتحمت فيللته عشية اليوم المقرر لشهادته واردته قتيلاً ليموت ويموت «سرّ» تكليفه من قبلهم باغتيال كاسترو وقد حزنت ابنته عليه كثيراً مهما يكن فهو اب ولكنها حتى بعد هذه السنين كانت متأكدة من أنه كان من الممكن أن يقتلها سواء كانت ابنته أم غير ابنته. وبعد «٧» سنوات اخرى أي بعد «٢١» سنة على حادثة ضربها سمحت لها وزارة الخارجية الامريكية بموجب

قانون صدر لديهم يسمح بموجبه لمن يهمه الامر بالاطلاع على وثائق الدولة بعد مرور عشرين عاماً عليها بالاطلاع على وثائق الـ اف. بي. أي المتعلقة بوالدها وهنا بدأت انطوانيت ترى مدى تورط والدها في مؤامرة قتل (كاسترو) وهذه الوثائق الرسمية تثبت ذلك:

● برقية (١)

«الى ساكس SACS نيويورك».

٢ ـ شيكاغو.

٣ ـ ميامي.

من المدير العام للـ أف. بي. أي (١٠٩ ـ ٥٨٤).

الموضوع: النشاطات المناهضة لكاسترو ـ الامن الداخلي ـ كوبا.

[كلمة مشطوبة بالحبر الاسود] ١٤ ـ ١٠ ـ ١٩٦٠ ـ صامويل ـ غيانسانا أكا ـ فائق السرية ـ

على نيويورك وشيكاغو متابعة هذا الموضوع عن قرب وتقديم استشارة فورية الى المكتب «المباحث» سلمونا أية معلومات اضافية حول مؤامرة اغتيال كاسترو وبشكل خاص اذا وصلتكم اخباريات تشير الى عزم غيانسانا السفر الى منطقة ميامي أو نيته القيام برحلات اخرى متصلة بمؤامرة القتل. عليكم تقديم المعلومات الى المكتب والادارات المهتمة بالامر مع الايضاحات والتوصيات الواجب أن تغطي كل اتصالات غيانسانا مع تعريف الشخصيات التي يتصل بها بخصوص هذه المسألة. وعلى شيكاغو أن تعلمنا فيما اذا كان غيانسانا قد قام برحلات جديدة في وقت قريب الى ميامي أو الى مناطق اخرى مثل المكسيك والتي قد تشير الى امكانيات اتصالات مع العناصر المناهضة لكاسترو وعلى شيكاغو أن تراجع السجلات المناسبة لتقرير ما اذا كان غيانسانا قد قام قبل وقت قصير بمكالمات تلفونية الى مسافات بعيدة مع اشخاص ضالعين في المؤامرة ضد كاسترو. وعلى ميامي أن ترسل إلينا فوراً معلوماتها عن شخصية الشخص الذي قابله غيانسانا على ظهر مركب يرسو على شاطىء فندق فونتين ميامي. على أية حال يجب أن تكون كل التحقيقات والمعلومات التي حصلت عليها ميامي في منتهى السرية حتى لا تثار شبهة [الاسم محذوف] أو تثير انتباه اشخاص متورطين. إن أية مراسلات

لاحقة متعلقة بمؤامرة اغتيال كاسترو يجب أن تحصر في اطار السرية المطلقة.

التوقيع

GENERAL PRINCIPAL

المدير العام

● برقية (٢)

«الى مدير أف. بي. أي»

من ساك (SAC) - باقي اسم المرسل محذوف من قبل المباحث.

الموضوع: صامويل م - غيانسانا - أكا - [شيفره] الخوات شيكاغو.

(أول سبعة اسطر من البرقية محذوفة بالحبر الاسود).

نوقش أمر كاسترو وكوبا صاحب الشأن قال: يجب أن ينتهي كاسترو خلال فترة قصيرة [اسم محذوف من قبل الرقابة] سجلت شكاً في حدوث ذلك واكد لهم غيانسانا أن ذلك سيحدث في تشرين الثاني (نوفمبر) وأنه قابل الذي سيقتل في ثلاث مناسبات [حبر اسود على اسم القاتل] (القاتل) كان التعبير الذي استخدمه غيانسانا اذ قال غيانسانا أنه قابل (القاتل) آخر مرة على ظهر قارب راس في شاطىء فندق فونتين بلود أن كل شيء قد استكمل لقتل كاسترو. قال غيانسانا أن القاتل قد رتب الامر مع فتاة [ليست موصوفة اكثر من ذلك] لاسقاط «حبّة» في شراب أو طعام كاسترو. وابلغ غيانسانا ايضاً [الشخصية محذوفة] أن كاسترو في مراحل متقدمة من مرض السفلس وأنه جتى تاريخه لم يشفى بشكل كامل (سطران مطليان بالحبر الاسود).

توجه هذه البرقية الى:

٣ - مكاتب.

١ - شيكاغو.

١ - نيويورك (٩٠١ - ٧٤).

١ - نيويورك (٢.. - ٧٩٣).

ملاحظة: ارسلت للسيد المدير فوراً بتاريخ الساعة ٩ من ٨ - ١٠ - ١٩٦٠.

● وبعد ما قرأت انطوانيت هذه الوثائق استرجعت ذاكرتها عن تلك الجلسة العاصفة التي ضربها والدها على اثر تحدثها عن كاسترو وادركت الآن سبب الموقف العدائي الذي اتخذه والدها سام منها ومن كاسترو على حد سواء..؟ وإذا

عرفت السبب بطل العجب. ومازال كاسترو شوكة في حلق الولايات المتحدة ومخابراتها. . . حتى تاريخه.

الاعدام لكل من يعرف شيئاً عن عملية اغتيال كاسترو:

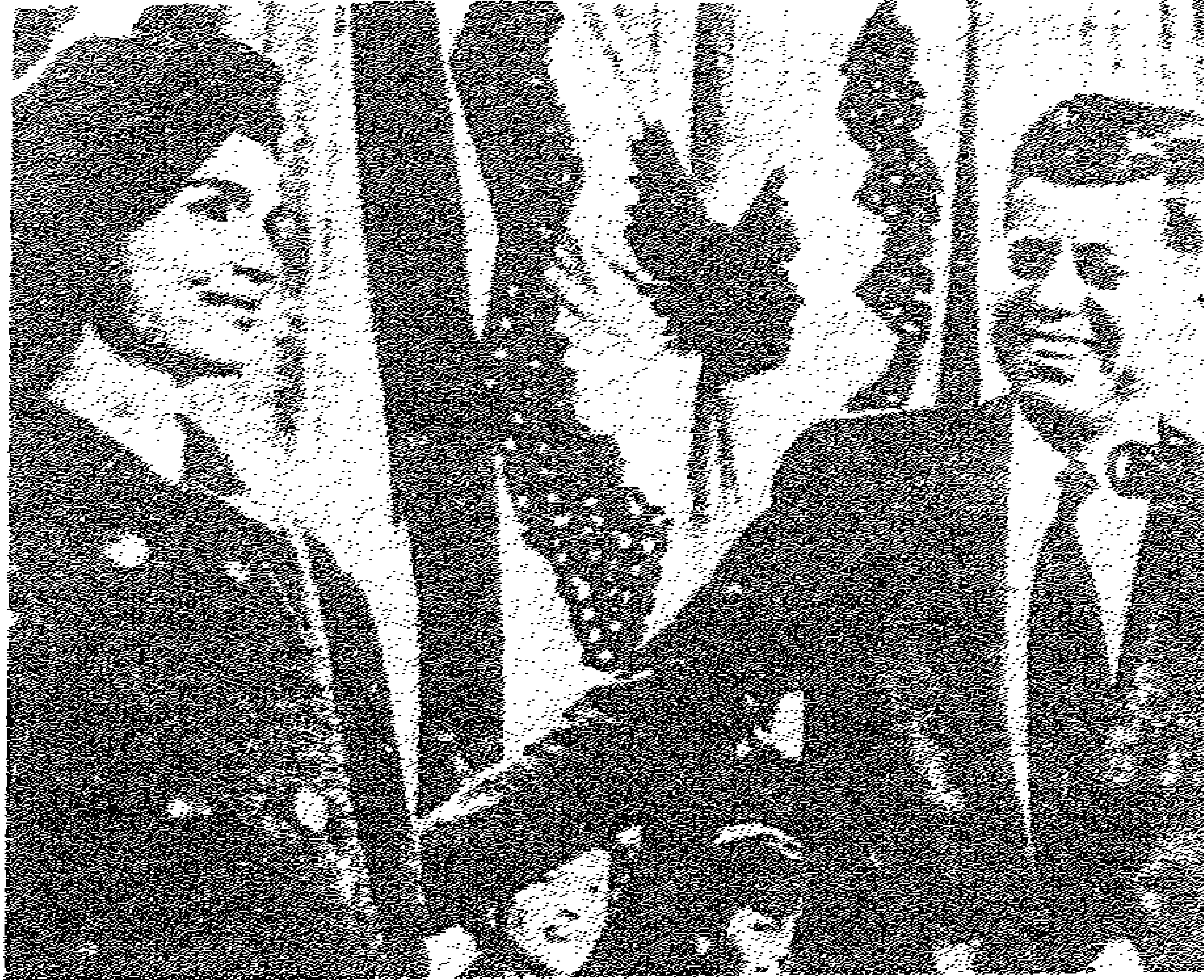
في كتاب الجزء الثاني للمخابرات والعالم الصفحة (٢٩٤) ذكرنا أن «جون روزيللي» أحد زعماء المافيا في لاس فيجاس قد عثر عليه مقتولاً في منزله (سلفاً) أي قبل اتمام شهادته ضد المخابرات الامريكية ومن المعروف أن الزعيم الكوبي فيديل كاسترو عندما وصل الى قمة السلطة في بلاده قضى على جميع المجالات التي كانت تدر الارباح على عصابة «المافيا» في هافانا. آنذاك كان جون روزيللي يدير نادي القمار الشهير في هافانا (سان سوسي) وقد اغلق النادي كما هو معروف ورحل روزيللي الى الولايات المتحدة واصبح من الناقمين على كاسترو ومن ثم انضم الى الشبكة التي دفعتها المخابرات المركزية الامريكية لاغتيال كاسترو ولكن رجال المافيا ولاسباب لم يكشف النقاب عنها بعد فشلوا في اتمام ما كلفتهم بها المخابرات الامريكية. وقد استدعى روزيللي في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٥ ليدلي بشهادته امام احدى لجان التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ التي كانت تحقق في مسألة التجاوزات الخطيرة التي ارتكبتها المخابرات الامريكية (جرت العادة أن يلتزم افراد عصابة المافيا بالهدوء كلما اقتربت مشاكلهم من أية لجنة من هذا النوع حتى مسافة مائة ميل) أما روزيللي الذي حضر للشهادة أمام لجنة بكامل اناقته فلم يكتف بالبوح بما لديه من المعلومات بل تعدى ذلك الى أن زوّد اللجنة بتفاصيل احدى القصص التي يشيب لها شعر الرأس وهي وصفه بدقة كاملة كيف اتصل به عملاء المخابرات الامريكية وجندوه هو وصديقه الوفي منذ القدم (مونو سالنا توري جيانكانا) الملقب سام والمذكورة قصته في الصفحات السابقة كما شرح للجنة طريقة تجنيدهم للاشتراك في عملية اغتيال كاسترو رئيس وزراء كوبا. وقد خلق موضوع استعانة المخابرات الامريكية برجال العصابات «المافيا» احساساً عاماً بلا اخلاقية هذه المخابرات. واضاف روزيللي للتحقيق أنه كان ينظر الى «عملية اغتيال كاسترو» كواجب وطني وكبرهان على أنه يقدم شيئاً مهماً لبلاده. ولتنفيذ تلك العملية كانت المخابرات الامريكية قد ناقشت مدى نجاحها عن طريق لفافات

(السيجار) المسموم والحبوب السامة ايضاً. وتابع روزيللي افادته ولم يكتف بالتحدث، دونما قيود عن زميله جيانكانا بل اكد أن هناك شخصاً ثالثاً تقرر أن يشترك معهم وهذا الشخص الثالث هو «سانتو ترافيكانتي» زعيم جناح المافيا في ولاية فلوريدا (في حينه) وسانتو هذا انسان يكره الظهور الصاخب مما اضطره للسفر الى كوستاريكا وبقي بعيداً عن الاضواء لمدة ثمانية عشر شهراً لكي يفرّ ويستريح من ما سبق أن اقترفه من مساوىء. ثم عاد الى الولايات المتحدة بعد ان ادلى روزيللي بشهادته أمام لجنة التحقيق التابعة للكونغرس بوقت قصير.

الرئيس كندي يشارك زعماء المافيا عشيقاتهم :

بعد اداء روزيللي بشهادته امام لجنة الكونغرس بثلاثة اشهر عادت اللجنة واستدعته للاستجواب من جديد وفي هذه المرة كشف روزيللي النقاب عن قصة اخرى مذهلة مفادها أنه وزميله جيانكانا كانا معاً على علاقة غرامية بفتاة سمراء جذابة اسمها «جوديت كامبل اكزنر» في الوقت التي كانت فيه هي نفسها وحسب تصريحها على علاقة «شخصية وحميمة» مع الرئيس كندي. ؟

عندئذ سعت اللجنة للتأكد من أن الرئيس الراحل كندي له ضلع أو كان على



ـ الرئيس كندي كان يشارك زعماء المافيا عشيقاتهم. ؟ رغم زواجه من جاكلين الجميلة . . .

علم بخطة المخابرات الامريكية [التي يرأسها عملياً] التي كانت تهدف للقضاء على كاسترو وحققت اللجنة عما اذا كانت السمراء الفاتنة عشيقة زعيمي المافيا روزيللي وجيانكانا لم تقم بابلاغ الرئيس كندي عن نشاطات عشيقيها ولم يستطع التحقيق معها أن يظهر أي دليل على صحة ذلك. ومن المعروف بين عصابات المافيا أن روزيللي ينتمي الى سلالة آخذة بالاندثار. وغالباً ما يجيء موت اعضاء هذه السلالة عن طريق الاغتيال. شهادة ميلاده تقول أن اسمه الاصلي (فيليبو ساكو) من مواليد ايطاليا عندما كان طفلاً د خل الولايات المتحدة بطريقة غير شرعية ثم بقي معظم حياته غارقاً في المشاكل وفي العشرينات التحق بعصابة آل كابوني بشيكاغو وقدعرف عنه أنه خبير بافتعال الحرائق وهي الخبرة التي بدأ حياته الاجرامية بها لينتقل بعد ذلك الى جامع للمعلومات والارقام. في الثلاثينات اصبح روزيللي عميل لعصابات شيكاغو في هوليود وكانت نتيجة ذلك أن اودع في السجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة التخطيط مع سبعة آخرين لابتزاز مليون دولار من شركات السينما وكانت طريقته في فرض «الاتاوة» أي الخوة هي التهديد باللجوء الى أية قوة منتمية الى منظمات المافيا من أجل ايقاف عمليات انتاج الافلام. ما لم تدفع الاستديوهات المبالغ التي تفرض عليها وعلى الرغم من ذلك حافظ روزيللي الانيق ذو الظل الخفيف على بقائه نجماً من النوع المتألق في هوليود فتزوج من ممثلة سينمائية ناشئة واشترى جزء من عدة نواد ليلية واسهم مادياً بانتاج فيلمين سينمائيين يعالجان مشكلة الجريمة هما «مدينة كانيون» و«السائر مع الليل» لأنه لديه معرفة مباشرة بالجريمة والسجون ورجال الشرطة.

رجال عصابات المافياتشارك في نادي ديني:

بلغ نشاط روزيللي الاجتماعي لدرجة أنه انتسب الى «بيت الاخوة الديني في هوليود» وهذا النادي اعضاؤه من رجال الدين وقد رشحه للانتساب الى عضوية هذا النادي الممثل الهزلي «جيورجي جسل» مؤسس النادي نفسه وقد ذكر جسل هذا بأن النادي كان يضم غير روزيللي العديد من ذووي السوابق ولا بأس في قبول أي منتسب جديد مادام يدفع ما عليه من ديون للمجتمع «أي أن يكون قد امضى مدة السجن التي يحكم بها نتيجة اجرامه» وبعد ذلك لامانع من أن يصبح واحداً

من الاخوة وقد سارت احوال روزيللي على ما يرام ولكنه عندما رأى كثرة المعجبين الذين يترددون الى النادي بالممثل الكوميدي جسل وزميله فرانك سيناترا عادت حليمة الى عادتها القديمة فقد حنّ روزيللي من جديد الى غوايته . . . وكانت نتيجة ذلك أن جُرّم مع اربعة آخرين بتهمة الاحتيال على اعضاء النادي الديني ومنهم الممثلان الكوميديان «فيل سيلفز» و «زيوماركس» والمغني المعروف «توني مارتن» حيث بلغت حصيلة ما ابتزّه روزيللي وزملائه من هؤلاء الفنانين «٤٠٠ اربع مئة الف دولار» وقبل أن يدخل روزيللي السجن بتلك الادانة ليقضي فيها احدى عشر شهراً كانت لديه شجاعة وجرأة لأن (يخون) عصابة المافيا ليساعد نفسه ففي ذلك الوقت كانت هيئة محلفي المحكمة الاتحادية العليا تنظر في تهم مفادها أن روزيللي وعصابة المافيا كانوا يخفون ارباحهم من الابتزاز والاحتيال في فندق «فرونتير» بلاس فيجاس بشكل غير مشروع . آنذاك باح روزيللي الذي كان يشغل زعيم عصابة شيكاغو بتفاصيل العملية بعد أن تلقى ضماناً بألا يلاحق بهذه التهمة وكان من بين الذين تحدث عنهم «توني أكاردو» رجل العصابات المعروف في شيكاغو.

خرج روزيللي من السجن وعاد مرة اخرى للاشراف على عمليات القمار في لاس فيجاس التابعة اداريا لشيكاغو بنفس الوقت كان يعيش بهدوء مع شقيقته السيدة ديجل في احدى مزارع فلوريدا المحاذية من جهة الغرب لحصن «لودردال» وكان كما قال عنه جيرانه سيداً مهذباً ظريفاً ذا شعر فضي ينزّه كلبه كل يوم ويتحدث كمن سيرشح نفسه للانتخابات عن ما تعاني منه المنطقة . وعلى الرغم من اصابته بالتهاب في عموده الفقري فقد دأب على مزاولة لعبة الغولف بانتظام ولكنه كان يأخذ حذره بحيث لا يلعب الغولف مرتين متعاقبتين في ملعب واحد ولكنه لم يصغ لمحاميه الذي اشار عليه باستئجار حارس خاص وعندما سأله المحامي عن رفضه تعيين الحارس أجابه روزيللي : وما الذي يدفعهم لقتل رجل عجوز مثلي . ؟ (كان عمره في حينه ٧١ عاماً) . . .

المافيا تقتل العضو السابق فيها «جون روزيللي» انتقاماً :

وعلى مبدأ (كل من يعرف شيئاً عن محاولةاغتيال كاسترو يعدم فوراً) فقد



جوني روزيللي قتلته المخابرات الامريكية

اختاروا لروزيللي قبراً من النمط التقليدي اختاروا له صندوقاً سعته خمسة وخمسون غالوناً قتلوه ووضعوه فيه وأغلقوه باحكام ثم اتوا بسلاسل ثقيلة لفوها حول الصندوق بعد أن خرقوا فيه ثقوباً بمختلف جوانبه بعدئذٍ حملوا الصندوق والقوه في مياه البحر قبالة ولاية فلوريدا. كان من المحتمل أن يبقى الصندوق في قاع البحر الى الابد لولا أن الغازات التي خرجت من جسد روزيللي المتفسخ خففت الثقل النوعي للصندوق ودفعته ليطفو على سطح الماء. عثر على الصندوق «النعش» ثلاثة من صيادين السمك بينما كانوا يصطادون في خليج «دميغاندلينغ» قرب شاطىء ميامي الشمالية ونقلت الجثة بعد كسر الصندوق الى المستشفى وتعرفت الشرطة الاتحادية على الضحية جون روزيللي من بصمات أصابعه. المحققون الاتحاديون يرون أن مصرعه لم يكن نتيجة بَوْحِهِ بما كا يعرف عن عصابة المافيا فحسب ولكن لأن البعض من زعماء المافيا القدماء في شيكاغو ومنهم «توني أكاردو» الذي سبق أن وشي روزيللي به للسلطات أحسوابأنه يقتطع لنفسه اكثر من نصيبه في عمليات الاشراف على اندية القمار في لاس فيجاس. لكن بعض اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي الذين كا نوا يضحكون ذات مرة من نكات روزيللي في جلسات التحقيق كانوا يعرفون في قرارة انفسهم أن قاتلي روزيللي ليسوا عصابة المافيا أو على الاقل ليسوا وحدهم لذلك طلبوا بموجب مذكرة رسمية من القضاء الكشف عن السر الحقيقي في مصرعه. النائب العام في الولايات المتحدة «ادوارد. هـ . ليفي» كلف رجال الشرطة الاتحادية أن يؤكدوا في تحقيقهم النهائي ما اذا كانت «افادة»

جون روزيللي حول مؤامرة المخابرات الامريكية التي كانت تهدف الى اغتيال كاسترو قد أدت الى مقتله من قبلهم أي من قبل المخابرات الامريكية.

ولكن الشرطة الاتحادية لم تصل الى الحقيقة المعروفة لأن التحقيق مع المخابرات الامريكية مستحيل أولاً وثانياً المخابرات التي طمست معالم جريمة قتل رئيس الولايات المتحدة جون كندي التي شاركت بها قادرة على طمس معالم أي جريمة من هذا النوع.

المخابرات الامريكية تفقد السيطرة على عملائها:

دولانـدو أوتيرو أصغـر الكوبيين الذين تلقوا تدريبهم في مبنى الاجراءات القانونية في مدينة ميامي على استعمال الاسلحة والمتفجرات وسجل كمناضل في سبيل الحرية وكان عمره ستة عشر عاماً واعتبر اصغر المتطوعين بين الرجال الذين أجهضت السلطات الكوبية محاولتهم في غزوة «خليج الخنازير» التي قامت بها جماعة من المنفيين واللاجئين الكوبيين تدعمهم المخابرات الامريكية للنزول في كوبـا لقلب نظام فيديل كاسـترو الاشتـراكي. وبعد فشل هذه الغزوة وغيرها من المحـاولات لغـزو كوبـا أو محـاولـة اغتيال الـزعيم الكوبي فيديل كما جاء في الصفحات السابقة أوقفت المخابرات الامريكية حملاتها العلنية على كوبا وزعيمها كاسترو فأخذ أوترو وكثيرون من مواطنيه المتطوعين يشعرون بخيانة اسيادهم لهم فانقلبوا ضدهم كما بات واضحاً أن الكوبيين المنفيين قد انقلبوا ايضاً ضد بعضهم البعض فقد وقع اكثر من مائة حادث القاء قنابل على مؤسسات لها علاقة بالنظام الكـوبي أو أنهـا تتعاطف مع بعض الزعماء المنفيين وبات الكوبيون في (هافانا الصغيرة) في ميامي يخشون التجول والخروج ليلاً. واعتقد رجال الامن أن الدافع لهذه العمليات يأتي من مصدرين:

- أولهمـا صراع لتـزعم فلول الكـوبيين أو عمليات تشبه الى حد بعيد أعمال عصابات المافيا التي تدور حول تسويق وتهريب الكوكايين.
- ثانيهما تثبيت ميامي كعاصمة للعالم في تجارة الكوكايين حيث تستثمر ثمانية بلايين دولار كل عام.

وقـد صرح رئيس القسم السياسي في شرطـة ميامي بأن بعض المنظمات

تطالب الناس من الاسر الكوبية باتاوات وتفرض عليهم اموالاً في سبيل دعم اهدافها بالاضافة الى اعمال اللصوصية التي تروع المواطنين. وقد تم القاء القبض على ستة عشر من مدبري الحوادث وهرب البعض الآخر الى امريكا اللاتينية خارج البلاد ومن بين هؤلاء اوتيرو الذي توجه الى فنزويلا ـ كوستاريكا ـ ثمنم التشيلي ومن هناك تابع مع امثاله ضراعهم ضد النظام الشيوعي في كوبا. وليس مستغرباً أن يستمر هؤلاء الذين تدربوا تدريباً عسكرياً عالياً في العيش حياة تتصف بالعنف والقسوة في اعقاب «فشل» الحرب العلنية ضد كوبا.

والمثر في الامر هو ازدياد عددهم واصرارهم على القيام بأعمال العنف والارهاب واشارت دوائر الامن السرية في الولايات المتحدة الى أن عناصر المخابرات التشيلية «دينا» تجند هؤلاء المبعدين الكوبيين لتنفيذ بعض اغراضهم القذرة ولكن المخابرات والسلطات الرسمية التشيلية نفت هذا الادعاء ولكن يوجد تقارير اخرى افادت بأن «دينا» قد طلبت من اوتيرو الذي كان يعمل في التشيلي وصديقه الدكتور أورلاندو بوش وهو معروف بالقاء المتفجرات طلبت إليهما القيام باغتيال ابن اخ الرئيس الراحل اللدي وصديقه آن ماري بروسبير في كورسيكا ألا أن بوش رفض الانصياغ للمخابرات التشيلية فتم تسليمه مباشرة الى احد عملاء المخابرات الامريكية في تشيلي وكان رجال المخابرات الامريكية الذين يحققون في مقتل وزير خارجية اللندي (جورلاندو لوتيلييه) قد صرحوا برغبتهم في التحقيق مع بوش لعلاقته بتفجير السيارة التي ادت لمصرع لوتيلييه فتم التحقيق معه وظهر أنه مسؤول عن تدبير سلسلة من عمليات العنف ضد كوبا منها وضع قنبلة لاصقة موقوتة في ذنب احدى طائرات الخطوط الجوية الكوبية التي انفجرت بعد اقلاعها مباشرة من مطار البار بادوس وادى انفجارها وسقوطها في السهل المجاور للمطار الى مصرع ٧٣ راكباً بينهم «٥٧» كوبياً وقد القى الزعيم الكوبي كاسترو اثر ذلك خطاباً نارياً عزى فيه هذه الجريمة بحق الركاب المدنيين الذين لا ذنب لهم للمخابرات الامريكية. ولكن كاسترو لم يدري أن المخابرات الامريكية قد فقدت سيطرتها المباشرة على المنظمات التي تعمل ضد كوبا ومصالحها سواء في الداخل أو الخارج فبدأت الضغوط على الدوائر الامريكية تتصاعد لحملها على «احتواء» هؤلاء الكوبيين واسكانهم في ولاية فلوريدا وتحت رعاية رجال الاعمال فيها. وقبل حادث تفجير الطائرة لمح كاسترو عن امله في انهاء المقاطعة في حينه ولايزال حتى

الآن «يظهر» حسن النية تجاه الولايات المتحدة فيأمر باعادة أي طائرة تختطف الى هافانا حالاً الى الولايات المتحدة غير أن الكوبيين المنفيين كانوا يفسدون باستمرار كل الاجواء الدبلوماسية التي تساعد في الانفراج ويعودون للتركيز على هدفهم القديم الجديد «تنحية كاسترو» ولاشك أنهم رغم الربع قرن الماضي على تآمرهم سعداء فيما يسعون اليه.

من هم الكوبيين المتضررين من حكم كاسترو:

بعد اطاحة فيديل كاسترو بالدكتاتور فولانسيوباتيستا فر العديد من رؤساء نقابات القمار والاقطاعيون والاثرياء واصحاب دور اللهو والدعارة الى فلوريدا حيث أسسوا فيها مجتمعاً كوبياً في المنفى بلغ تعداده نصف مليون مواطن كوبي وقد عمل المتنفذين منهم على تأسيس ما يشبه البرلمانات واطلقوا على هذه التجمعات أسماء براقة وصفات سياسية مثل (منظمة النسر الذهبي) أو (القوة الكوبية) أو (الكوندور ـ النسر) وغيرها يجمعهم هدف واحد هو القضاء على كاسترو وجاء دور المخابرات الامريكية في «توجيه» هذه المنظمات وتنظيمها وتمويلها وتدريبها تدريباً عسكرياً ثم جمعتها في تنظيم واحد سمي (المكافحون في سبيل الحرية) وبدأوا القيام بحملات ضد كوبا في حينه ابتداء من غزوة خليج الخنازير وبعض اعمال القرصنة البحرية والجوية ولا ننسى اشتراك اعضاء المافيا في الاعمال المناوئة لكوبا وكاسترو بالذات بسبب خسارتهم مورد رزقهم الحرام من نوادي القمار والدعارة التي كانوا يديرونها في هافانا.

وأهم هؤلاء جميعاً أصبح أورلاندوبوش الذي انتقل للعيش في ميامي مع زوجته واولاده الخمسة ويتصف بوش بعدائه الشديد للشيوعية واعماله الجريئة ومنها استئجار طائرة بتمويل المخابرات الامريكية لالقاء قنابل حارقة على مصانع السكر في هافانا وقد تجرأ على قذف سفينة بولونية كانت ترسو في ميناء ميامي بالقنابل الحارقة أيضاً فالقي القبض عليه وحكم بالسجن عشر سنوات ألا أنه اطلق سراحه بعد سنتين ونقل الى امريكا اللاتينية وقبل سفره سئل بوش عن اغتيال احد الزعماء الكوبيين المنفيين ويدعى ليدوتر يانتي احد معارضي كاسترو الذي صرع بالرصاص في منزله وهو يشاهد التلفزيون مع زوجته وقد اعترفت منظمة تسمي نفسها (زورو)

تسمية البطل المعروف سينمائياً في الاربعينات زورو أبو الكرباج بمسؤوليتها عن هذه العملية وتوعدت بالقضاء على عشرة زعماء آخرون من المنفيين (فعلاً قضي على اربعة منهم والخامس أصبح مبتور الساقين) وقد اجاب بوش بقوله أنه لم يعد احد يجرؤ في ميامي من الكوبيين على اطلاق الشعارات الكاذبة المزيفة خوفاً على حياته والقضاء على تريانتي هو الدليل والدرس البليغ لمجتمع المنفيين وتحذيراً لهم من نشر النظريات المزورة ونهب اموال الناس. ؟ وكان بوش يشير في تصريحه الى خطة كان يضعها تريانتي لغزو كوبا (حبر على ورق) أتت له بشهرة وثروة طائلة لكنه لم يستخدم هذه الثروة في هذا السبيل مطلقاً مما سبب اغتياله من قبل معارضين حقيقيين لكاسترو وقد انكر بوش أية علاقة له بعصابة (زورو) وبعد مدة ادعى بمسؤوليته شخصياً عن القاء قنبلتين على السفارة الكوبية في كراكاس فألقي القبض عليه مجدداً واستشيرت الحكومة الامريكية في اعادته الى ميامي ولكن القضاء الامريكي لم يُحبّذ عودته وأيدت محكمة ميامي الحكم الصادر بابقاءه بعيداً عن الولايات المتحدة باعتباره شخص غير مرغوب فيه سياسياً ولا يتمتع بالجنسية الامريكية فسعت حكومة فنزويلا له بالعودة الى تشيلي فعاد عودة المنتصر وقد قابله مراسل صحيفة (ميامي هيرالد) وكان محاطاً بحرس خاص وعلى مكتبه اكداس من الاوراق المالية وكتاباً عن حياة ياسر عرفات الزعيم الفلسطيني وقد صرح للمراسل أنه لا يعوزه المال ولا الاصدقاء للقضاء على كاسترو. ؟ ثم عمل بوش على تشكيل ائتلاف من المنفيين الكوبيين اطلق عليه اسم «كورو» هدفه تأزيم العلاقات بين كوبا وبقية دول بحر الكاريبي والابقاء على العلاقات الامريكية ـ الكوبية في حالة من العداء المستمر وقد نفذت منظمة كورو هذه العمليات التالية:

١ ـ القاء القنابل علي المكاتب الكوبية في جامايكا.
٢ ـ القاء القنابل على السفارة الكوبية في كوستاريكا.
٣ ـ القاء القنابل على المكاتب الكوبية في الباربادوس.
٤ ـ حادث تفجير الطائرة الكوبية.

وهناك منفي آخر يدعى لويس بوسادا كان عميلاً للمخابرات البريطانية (وقد كلفه بوش بعملية الطائرة الكوبية) وكان في بداية حياته رئيساً للمباحث الفنزويلية ويدير (في حينه) وكالة خاصة للتحريات السرية أو ما يسمى في الدول الغربية

مكتب مباحث خاصة[1] ومن المفارقات أن رجلاً كوبياً آخر يدعي ريكاردو موداليس ويلقب بـ «القرد» يعمل للمخابرات الامريكية وكان قبلها عميلاً لمكتب التحقيق الفدرالي وخدم مع فرع المخابرات الامريكية في الكونغو كان يعيش في كراكاس ويعمل بنفس الوقت عميلاً للمباحث العامة الفنزويلية ولقبها «ديسيب» وقد كتب موداليس هذا تقريراً حسب عمالته للمباحث الفنزويلية طلب فيه «مراقبة هاتف مكتب لويس بوسادا» بضاحية كراكاس[2] وفعلاً وضع خط بوسادا تحت المراقبة فاتصل شخص ببوسادا من البربادوس وأبلغه جملة بالشيفرة بقوله (الباص يغص بالكلاب) ويعني بذلك ركاب الطائرة الكوبية المنكوبة وقد اغارت المخابرات الفنزويلية في اليوم التالي على مكاتب بوسادا وعثرت على وثائق وخرائط تتعلق بعملية الطائرة وكذلك اغتيال لاتيلييه وزير خارجية اللندي وقد علم فيما بعد أن موداليس عميل المباحث الفنزويلية هو بنفس الوقت لايزال عميل لمكتب التحقيق الفدرالي الامريكي وأنه هو الذي كشف لهم أن المخابرات التشيلية (دينا) هي التي طلبت من اوتيرو اغتيال ابن أخ الرئيس اللندي وأن الاخير قد «رفض» هذا الطلب.

ما هو نشاط منظمة الكورو ضد كوبا:

منذ حضور بوش الى التشيلي لم تتخلى المخابرات الامريكية عنه فكانت تمده بالاموال اللازمة لمتابعة نشاطه الاجرامي ضد كوبا خاصة بعد تشكيله منظمة «الكورو» المناهضة لكوبا ومتابعة نشاط هذه المنظمة وتأثيرها على العلاقات الامريكية ـ الكوبية ففي اعقاب حادث اسقاط الطائرة الكوبية كما اسلفنا خطب كاسترو منددا بالاعمال الاجرامية للمخابرات الامريكية وأخذ ينادي بوضع حد لاتفاق عام ١٩٧٣ المبرم بينه وبين الولايات المتحدة ضد عمليات اختطاف

---

(١) تقدمنا أثناء الوحدة المباركة ١٩٥٩ بطلب إلى وزارة الداخلية السورية لترخيص مكتب مباحث خاصة في دمشق وكان هذا الطلب الأول في الدول العربية وذلك مع عدة زملاء منهم المحامي صهيب الجزائري والدكتور وليد العلبي. وافق السيد الوزير من حيث المبدأ ولكن العقيد بهاء الدين الخوجة مدير المباحث الجنائية في حينه خشي على منصبه من مزاحمتنا فرفض طلبنا...

(٢) عن الصنداي تايمز...

الطائرات وهو الاتفاق الوحيد بين كوبا والولايات المتحدة على الصعيد الرسمي واعتبرت خطبة كاسترو «بداية» لحملات دبلوماسية جديدة ويرى البعض أن كاسترو قام بالمساومة مع الحكومة الامريكية لابقاء الحدود التي تتمثل فيها العلاقات الطبيعية بين كوبا والولايات المتحدة على حالها على الاقل. وإن رجال الاعمال الامريكيين يتوقعون زيارة كبيرة في عهد ريغان في حجم الاستيراد والتصدير والذي كان يبلغ ٤٣٥ مليون دولار من امريكا الى كوبا و ٤٦٧ مليون دولار من كوبا الى امريكا وكانت امريكا تصدر الى كوبا المنتجات الزراعية والالياف والمواد الكيمائية والمنسوجات وتتلقى بدورها من كوبا السكر الكوبي الناصع البياض والتبغ لفائف وسيجار والنيكل وكانت السوق الامريكية تعتمد بنسبة ١٩٪ على الصادرات الكوبية.

وقد اخذت الولايات المتحدة باعادة النظر في علاقتها التجارية مع كوبا فسمحت لبعض الشركات الفرعية في الخارج بالتعامل مع كوبا. أما الرئيس ريغان فإنه لم يعلن في اهدافه قط عن عودة أية علاقات مع كوبا بل أكّد في تصريح له بأن كاسترو شخص خارج عن القانون. . . ؟

القبض على رولاندو أوتيرو في النهاية:

ظهر أخيراً أن رولاندو أوتيرو المقيم في التشيلي كان من اهم دعائم منظمة كورو فاتفق مع بوش على افتعال حوادث والقاء متفجرات في ميامي أي في عقر دار المخابرات الامريكية وفعلاً تمكن من العودة الى ميامي سراً وقام بالتفجيرات الآتية رغم قوة وجبروت المخابرات الامريكية:

١ ـ متفجرة موقوتة في مكتب رئاسة المباحث الاتحادية (ف. ب. آي).
٢ ـ متفجرة موقوتة في مكاتب النيابة العامة في ميامي.
٣ ـ متفجرة موقوتة في بناء قيادة البوليس.
٤ ـ متفجرة موقوتة في مكاتب الاجراءات القانونية (دائرة التنفيذ).

وقد القت المباحث الاتحادية القبض على اوتيرو بعد هذه العمليات الجريئة ضد مكاتب السلطتين التنفيذية والقضائية وقد أحيل الى محكمة جنايات ميامي

فوجد «مذنباً» في تسع تهم تشمل تحضير ونقل والقاء وتفجير المتفجرات فحكم عليه بالسجن ثمانية عشر عاماً. ويبقى السؤال مطروحاً حتى الآن.؟ هل تخلت السلطات الامريكية مخابرات ورئيس عن العمليات الارهابية ضد كوبا وزعيمها «فيديل كاسترو» بعد ثبوت ٢٤ محاولة لاغتياله وقد سلمه الله فيها جميعاً كما عرفنا.. إننا لمنتظرون.

أحدث المعلومات عن مقتل تشي غيفارا
على يد المخابرات الامريكية



- تشي غيفارا - مع زوجته وأولاده والاغلبية تعتقده أعزب .

أحدث المعلومات عن مقتل تشي غيفارا:

● في أوائل عام ١٩٦٥ اختفى أرنستو جيفارا المعروف بـ (تشي) من الاضواء والساحة السياسية في كوبا فراجت شائعات عديدة عن مصير الدكتور غيفارا الارجنتيني الجنسية واسمه الحقيق هو: أرنستو جيفارا سيرنا ولد في الارجنتين عام ١٩٢٨ ونشأ في اسرة متيسرة الحال إذ كان أبوه يعمل مهندساً معمارياً ناجحاً. درس جيفارا الطب ولكنه لم يمارسه ورحل الى جواتيمالا ابان حكم الرئيس جوزمان اليساري حيث عني بمسائل الاصلاح الزراعي وفي عام ١٩٥٩ اتصل بالمكسيك بالاخوان فيديل وراؤول كاسترو واشترك مهما في ديسمبر من العام نفسه في حرب التحرير التي انتهت بالتخلص من حكم باتيستا الدكتاتوري وانتصار الاخوين كاسترو واستلام الحكم في كوبا. منح جيفارا الجنسية الكوبية ورتبة (صاغ) أي ميجور أو رائد بالعربي ثم عين في نهاية العام نفسه ١٩٥٩ مديراً للبنك الاهلي الكوبي وفي شباط (فبراير) ١٩٦١ عُيّن وزيراً للصناعة فقام بعقد عدة اتفاقات اقتصادية واشرف بنفسه على عملية «تأميم» الممتلكات الامريكية في كوبا ثم اوكل فيديل كاسترو اليه تدريب الشبية الكوبية وقد مثل كوبا في مؤتر التنمية والتجارة الدولي في جينيف ومثل كوبا في الدورة «١٩» للأمم المتحدة وفي أيار (مايو) ١٩٦٥ «اختفى» من الحياة الكوبية حيث توجه الى جمهوريات امريكا اللاتينية على رأس جماعة من انصاره[1] ثم اختفت آثاره والشائعات التي راجت في

---

(١) القاموس السياسي للاستاذ أحمد عطية الله صفحة (٤٣٤) الطبعة الرابعة.

حينه عن اختفائه تقول أنه قد ارتكب خطأ بحق رفيق الثورة ورئيسه فيديل كاسترو فقد شكك بسلطته مما دعا كاسترو لاعدامه نتيجة لذلك والشائعة الثانية قالت أن تشي قد أصيب بالجنون وأنه لا علاج له فوضع تحت الحراسة «الاقامة الاجبارية» في دار رينيه خارج هافانا. لكن فيما بعد ظهر أن هذه الشائعات لا أساس لها من الصحة وأن جيفارا طلب الاذن من كاسترو وغادر كوبا مع بعض زملائه الذين تولى تأهيلهم بنفسه وأن هدفه كان الاشتراك في ثورة اشتراكية جديدة.

المخابرات الامريكية في كل مكان:

المخابرات الامريكية كعادتها ترصد تحركات ونشاط جميع الثوار في العالم كانت ترصد وتراقب حركات جيفارا بواسطة عملائها الكوبيين ولكنها كانت عاجزة عن التفكير أو معرفة أين توجه جيفارا فالاخبار عنه أو عن نواياه كانت تأتي متقطعة وغير مترابطة ومن مصادر مختلفة وكان المصدر الرئيسي لانتشار الاخبار عنه هم القادة الافريقيين وعلى وجه التحديد دولة «زائير» التي كانت تسمى «جمهورية الكونغو الديمقراطية) لأنه في هذه الاثناء كانت هناك حركة ثورية جديدة تتطور في (أنغولا) وقد لاحظ عملاء ومراقبو المخابرات الامريكية وجود عناصر اجنبية في هذه الحركة بل أن بعض العناصر يستخدم بوضوح اسلوب جيفارا أو يستوحي منه وقبل أن يتاح للمخابرات الامريكية التأكد من صحة هذه المعلومات كانت الثورة في المناطق الشرقية من انغولا قد انطفأت شعلتها حيث عاد الهدوء الى قطاع بحيرة (تنغانيكا) إلا أن المرتزقة العاملين لحساب المخابرات الامريكية ومنهم من سبق له الاشتراك في عملية (خليج الخنازير) وساعد حكومة الكونغو على خنق الثورة «ظلوا» مقتنعين وأيدهم في هذا الاقتناع رؤساء فروع المخابرات في افريقيا بأن جيفارا لايزال موجود في المنطقة حتماً.

وقد تأكد للمخابرات الامريكية العاملة في الكونغو بأن جيفارا قد دخل بالفعل الى الكونغو بصحبة نحو مائة ثائر كوبي ماراً بـ (تنزانيا) وان هدفه هو الاعداد لثورة واسعة النطاق على الارض الافريقية ومساعدة المقاتلين الافريقيين والسكان المحليين الذين كانوا لايزالون يفتقرون الى الروح الثورية الحقيقية.

وبعد أن اقام جيفارا ستة اشهر في المنطقة اصيب بخيبة امل عنيفة فعاد الى

كوبا ليهيء خطة جديدة لمغامرة جديدة. أما المخابرات الامريكية فقد تأكدت ان جيفارا قد اختفى مرة ثانية وبدأ ورود التقارير المتضاربة عن موقعه ونواياه وعن حالته الصحية وظلت هذه المخابرات تلاحق أخبار ونشاط جيفارا حتى تلقت معلومات مؤكدة بأنه موجود في (بوليفيا) أي في قلب امريكا الجنوبية ورغم أن عدداً كبيراً من المسؤولين في دوائر هذه المخابرات كان متأكداً من أن جيفارا «يُعدّ» لحركة ثورية في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي بوليفيا إلا أن كبار المسؤولين في المخابرات كانوا مترددين في قبول هذا الاحتمال ومع ذلك اوفدوا بعض رجال العمليات الخاصة الى المنطقة ليساعدوا القوات البوليفية على مقاومة الثورة والغريب أن رئيس جمهورية بوليفيا «دينيه بارينتوس» لم يكن مقتنعاً «في حينه» بأن لجيفارا يداً في حرب العصابات التي كان يشهدها جنوب بلاده. لكن بعد مضي شهرين وقع حادثان تأكد من خلالهما أن جيفارا يقود بالفعل قوات الثورة.

الحادث الاول: هاجمت وحدة من الجيش البوليفي (نانكا هوازو) واستولت على وثائق ومذكرات شخصية وصور خلفها الثوار الهاربون ورائهم وبين هذه الوثائق عثر على صورة لرجل عريض الجبهة اشيب الشعر يضع على عينيه نظارات صدفية. وقد درست هذه الصورة بعناية فائقة لأن ملامح الرجل تشبه الى حد كبير ملامح جيفارا. بالاضافة للصورة فقد عثر على بصمات اصابع جيفارا على بعض الاوراق والوثائق التي عثر عليها والتي تؤكد أن عدداً كبيراً من عناصر حرب العصابات في بوليفيا هم كوبيون والمرجح أنهم من المجموعة التي رافقت جيفارا.

الحادث الثاني: بعد ايام من استيلاء الجيش البوليفي على منطقة نانكا هوازو وقع الصحفي الفرنسي اليساري «ريجي دوبريه» في قبضة السلطات البوليفية قرب (مايو بامبا) مع اثنين من الرعايا الفرنسيين وكان هذا الصحفي قد اختفى منذ بضعة اشهر في بوليفيا حيث جاء لاعداد «تحقيق صحفي» وقد صرح دوبريه فيما بعد بأنه نجا من الاعدام بفضل تدخل احد عملاء المخابرات الامريكية الذي كان يرافق القوة التي اعتقلته. وقد ووجه الصحفي الفرنسي بالوثائق التي حصلت عليها السلطات البوليفية لاقناعه بأن هذه السلطات تعرف اكثر مما يعتقد أنها تعرف وكان دوبريه قد انكر أية صلة له بجيفارا كما أصرّ على أنه يجهل كل شيء عن نشاط الثوار ولكن. ؟ حين ووجه بالوثائق لم يجد بداً من الاعتراف لكي يتفادى المحاكمة والاعدام ومع كل هذه المعطيات لم يقتنع هيلمز رئيس المخابرات الامريكي

حينه» أن البطل الاسطوري الثاني للثورة الكوبية قد ظهر بالفعل على رأس ثورة أخرى بل كان يعتقد أن جيفارا قد مات لكن «توماس كاراميسين» الذي كان يتولى الاشـراف على المصـالـح السرية للمخابرات الامريكية والذي سبق له أن ابلغ «هلمـز» أن رجـالـه يقتفون اثر جيفارا لم يبال بوقف هلمز بل طلب من عملائه مضاعفة جهودهم وفي الوقت ذاته عمد بعض مستشاري المخابرات الامريكية بمن فيهم الكوبيون الذين اسهموا في عملية خليج الخنازير الى «الانتقال» الى بوليفيا للاسهام في مطاردة جيفارا كما ضوعف عدد رجال العمليات الخاصة في الجيش الامـريكي في لابـاز ليدرّبـوا البوليفيين على اسلوب مكافحة حرب العصابات.

المهم أن جيفارا كان بالنسبة للمخابرات الامريكية كابوساً رهيباً لأنها لم تنس خيبة الامل في عملية الخليج كما لم تنس تخلي السلطات العليا في الولايات المتحدة عن جهودها في حينه ولأنها لم تستطع الانتقام للفشل باغتيال كاسترو أو التعرض لحلفائه الروس فإنها وجدت فرصتها في ملاحقة جيفارا وقررت أن هذا الرجل يجب أن يعتقل أو يموت.

في خلال صيف عام ١٩٦٧ وردت للمخابرات الامريكية معلومات تؤكد أن جيفارا موجود في لاباز من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ وأنه وصلها آتياً من هافانا مروراً بـ (براغ) ثم (فرانكفورت) و (سان باولو) وأنه كان يحمل جواز سفر تاجر من ارغواي وقد سبقته الى لاباز مجموعة تضم (١٥) كوبياً مكلفين بمساعدته.

أمام هذه المعلومات لم يستطع هلمز إلاّ أن يقتنع ويقنع معه رئيس جمهورية بوليفيا

ابتداء عملية ملاحقة جيفارا واعتقاله:

اصدر الرئيس (رينيه بادينيتوس) رئيس جمهورية بوليفيا اوامره المشددة الى جميع السلطات المـدنية والعسكرية بملاحقة واعتقال جيفارا الذي اصبح يهدد الحكم بكامله وبعد ذلك اعلنت الحكومة البوليفية عن جائزة مقدارها اربعين الف دولار تدفع فوراً الى من يأتي بجيفارا حياً أو ميتاً. وبعد عدة شهور اخذت القوات البوليفية المدرّبة على ايدي القوات الخاصة الامريكية والمخابرات تلحق بقوات الثورة هزيمة اثر هزيمة واثناء هذه الهزائم قتلت (تانيا) المرأة الغامضة الوحيدة التي كانت تشترك مع مجموعة جيفارا ولقد لقيت هذه المرأة حتفها خلال احدى المعارك

الطاحنة. وسبق لهذه المرأة أن ادعت أنها تعمل للمخابرات الامريكية وأنها كانت مكلفة بمهمة ضابط اتصال بين عناصر الثورة والحكومة الكوبية لكن المعلومات التي تلقتها المخابرات الامريكية أكدت أن تانيا هي أصلاً من ألمانيا الشرقية وأنها كانت تقوم بمهمة مزدوجة فهي أولاً تعمل للمخابرات السوفياتية التي كانت تسعى كالمخابرات الامريكية لمعرفة كل شيء عن جيفارا الذي يقوم بنشاطه الثوري تحت اشراف حكومة «كوبا» وعلى أية حال لم يمض على هذه التطورات اكثر من ستة اسابيع حتى وقع جيفارا في قبضة السلطات البوليفية وهو جريح وقد تم اعتقاله على مقربة من قرية (لاصيغيرا) الجبلية وقد حاول عملاء المخابرات الامريكية المرافقين للوحدة العسكرية التي قبضت عليه أن ينقلوه الى لاباز لاستجوابه والتحقيق معه لكن قائد القوات البوليفية كان مزوداً بأمر صريح من وزير الدفاع البوليفي شخصياً يقضي باعدام جيفارا حال اعتقاله وقطع رأسه ويديه (الى هذه الدرجة كانت السلطات البوليفية وعلى رأسها رئيس الجمهورية رينيه تخشى جيفارا وتخافه ولا تستطيع مقابلته حياً فطلبت التمثيل به للتشفي أولاً وثانياً للتأكد من موته..) ونقلهما الى العاصمة كدليل حاسم على موته والانتهاء من مشروعاته الثورية وبينما كان عملاء المخابرات الامريكية يحاولون اقناع الكولونيل البوليفي بتأجيل تنفيذ الاعدام بجيفارا كان رئيس مركز المخابرات الامريكية في لاباز يحاول اقناع رئيس الجمهورية البوليفية بمزايا نقل جيفارا حياً وأسيراً الى لاباز لكن رئيس الجمهورية لم يتراجع محتجاً أن عودة جيفارا حياً الى لاباز قد تفجر اضطرابات الطلبة اليساريين ربما عجزت السلطات عن السيطرة عليها فاستنجد رئيس مركز المخابرات الامريكية بالادارة المركزية في لانغلي بواشنطون إنما بدون جدوى. إزاء هذا الوضع لم يكن ثمة مفر من استجواب جيفارا حيث هو موجود وقد رفض الرجل الاجابة على أي سؤال وجه اليه فيما عدا مناقشة فلسفة الثورة والحركات الثورية بشكل عام فاضطرت المخابرات البوليفية الى الاكتفاء بمذكراته الشخصية التي عثر عليها في جيبه أثناء اعتقاله.

أصدق المعلومات عن كيفية اعدام جيفارا:

نظراً لكثرة الحاح عميل المخابرات الامريكية على الكولونيل البوليفي

المشرف والمسؤول عن جيفارا في سجنه وتحميله مسؤولية «التسرع» باعدامه قام الكولونيل بالاتصال بالعاصمة للتأكد من تنفيذ الاعدام لجيفارا فوصله الامر الحاسم بتنفيذ حكم لاعـدام حالاً مع تعـديل فقـرة «قطع رأسه ويديه» بفقرة تنص على «تعليقـه» في أسفـل طائـرة عامـودية بعـد اعـدامه. تم تنفيذ حكم الاعدام رمياً بالرصاص بجيفارا في غرفة السجن «رغم جراحه التي تستدعي الانسانية» وعلقت جثته بقاعدة احدى الطائرات العامودية العسكرية ونقلت الى (فاليغراندي) حيث كان عدداً من المسؤولين الحكوميين والصحافيين ينتظرون وصول الجثة لفحصها والتـأكـد من أنها جثة الثائر جيفارا. بعد ذلك دفنت الجثة في مكان بعيد خارج المدينة دون ترك أي اثر يساعد على معرفة المكان الذي دفنت فيه.

قبل اعدام جيفارا بساعة واحدة هرع عميل المخابرات الامريكية الى حيث كان جيفارا معتقلاً وبذل محاولة أخيرة لعله يحصل منه على بعض المعلومات وقد جاء تقرير العميل (وهو من ابرز الكوبيين المناهضين لحكم كاسترو) أن جيفارا بقي حتى اللحظة الاخيرة يعتقد بوجود امل في النجاة من الاسـر لكنـه عندما تأكد من الموت سقط غليونه من فمه. ؟ ثم مالبث أن استعاد السيطرة على نفسه وطلب بعض دخان البايب فنفذ طلبه. ولم يكن يبدو عليه الاهتمام بالآلام الناتجة عن النزيف في ساقه الجريح. ثم ظهر للعميل أن جيفارا تقبّل مصيره بثبات مرفق بتنهيدة فقط دليل الاستسلام للقضاء والقدر ولم يطلب شيئاً لنفسه بعد ذلك بل بقي صامتاً حتى حضر الكولونيل وبعض الضباط والعسكريين البوليفيين ونفذوا فيه حكم الاعدام. وقـد أحسّ العميل بالاعجـاب الشـديد والعميق بالبطل الاسطوري. كما احس بالشفقة عليه لاسيما أنه ساعد على اعتقاله.

ماذا بعد جيفارا:

بعد اعدام جيفارا بمدة سنة أثير موضوع مذكراته مرة اخرى خاصة عندما وصلت نسخـة من هذه المـذكـرات الى «رفـاقه» في هافانا اثر نشرها في مجلة (رامبارتس) فقد كان واضحاً أنها المذكرات الحقيقية التي كتبت بخط يده. في هذه الاثناء اختفى (انطونيو ارغيداس) وزير الداخلية في بوليفيا بعد انتشار اشاعات تؤكد أنه هو الذي كان وراء تسريب مذكرات جيفارا للصحف فهو بوصفه وزيراً للداخلية

كان يشغل بنفس الوقت رئاسة المخابرات البوليفية وكانت هذه المخابرات بنفس الوقت على صلة وثيقة بالمخابرات الامريكية بالاضافة الى أن الوزير نفسه كان «عميلاً» للمخابرات الامريكية ولم يمض وقت طويل حتى علم أن الوزير لجأ الى (التشيلي) ونظراً للارتباط الوثيق بين التشيلي والولايات المتحدة فقد قامت السلطات التشيلية بتسليمه الى المسؤولين المحليين في المخابرات الامريكية وعلى الاثر توجه من واشنطون موفد خاص كان يعمل مع الوزير لاقناعه بعدم الادلاء بأي تصريح لكن الوزير لم يقتنع واتخذ موقفاً علنياً ضد المخابرات الامريكية «ففضح» نشاطاتها في بوليفيا واتهم نظام الرئيس رينيه بأنه اداة في ايدي الامريكيين وانتقد بعنف موقف الحكومة البوليفية من قضية جيفارا وبعد ذلك اختفى الوزير مرة اخرى مخلفاً وراءه أزمةً سياسية جادة في بوليفيا بسبب تصريحاته وخلال سنة ١٩٦٨ كان وزير الداخلية البوليفي السابق يظهر حيناً في نيويورك وحيناً آخر في لندن أو في بيرو وفي كل مرة كان عملاء المخابرات الامريكية يفرضون الصمت عليه «إسكاته» مستخدمين الوعيد الوعود والمهم أن الوزير السابق «اعترف» بأنه هو الذي ساعد على ايصال مذكرات جيفارا الى الصحف لأنه كان يؤمن بالهدف الذي سعى الرجل اليه (أي أنه كان يؤمن بضرورة الثورة في بوليفيا) وغيرها من دول امريكا اللاتينية كذلك اعترف الوزير السابق بأنه كان «عميلاً» للمخابرات الامريكية وأن عدداً من المسؤولين البوليفيين كانوا يحصلون على معونات مالية منها وأوضح أو فضح «اسلوب تجنيده» للعمل في المخابرات الامريكية فقال أنه وقع تحت ضغط التهديد بالكشف عن ماضيه عندما كان «طالباً جامعياً يسارياً متطرفاً» فاضطر الى القبول بالعمالة لهذه المخابرات لكي لايفقد مستقبله السياسي وفي نهاية الامر تم التوصل الى تسوية معه قبل بموجبها العودة الى بوليفيا لاجراء محاكمة شكلية له ولكنه كان غير مطمئن.

واثناء انتقاله من (ليما) الى (لاباز) صرح لمراسل جريدة (نيويورك تايمز) أنه اذا ما حصل معه اثناء عودته المشروطة الى بوليفيا شيء ادى الى وفاته فإن ثمة تسجيلاً سيصل الى مختلف الشخصيات البارزة في الولايات المتحدة وكوبا يتضمن اتهامات صريحة ومتكاملة للمخابرات الامريكية وللحكومة البوليفية واضاف الوزير أنه عهد بالتسجيل الى الملازم (ماريوتيران) وهذا الملازم هو الذي نفذ حكم الاعدام بجيفارا وقد اصر الوزير خلال لقائه مع مراسل النيويورك تايمز

على اهمية اعترافاته المسجلة في الشريط وذكر عدداً من اسماء مسؤولي المخابرات الامريكية الذين كان يتعامل معهم ومن بينهم رئيس المركز (هوغوموراي) أحد الاختصاصيين بالعمليات الخاصة و(جون. س. هاملتون) والكولونيل (إيدفوكس) و(لاري سترنفيلد) و(نك ليندبرين) كذلك كشف ارغيداس عن هوية بعض العملاء المتعاقدين الذين اسهموا في مطاردة جيفارا ومنهم الكوبي (جوبيو غابريل غارسيا) والبوليفيان (ايدي وماريو غونزاليس) وأكد الوزير أن الصحافي الفرنسي (ريجي دوبريه) قد نجا من الاعدام بفضل الشقيقين غونزاليس كما أكد من جهة أخرى أن رئيس جمهورية بوليفيا والسفير الامريكي فيها كانا يجهلان مدى تغلغل المخابرات الامريكية في الحكومة البوليفية. وبعد مضي سنتين على اعدام جيفارا لقي رئيس الجمهورية البوليفية مصرعه في حادث سقوط طائرة عمودية[1] وبعد مضي ستة اسابيع على هذا الحادث اغتيل وزير الداخلية ارغيداس في احدى الشوارع وكان لايزال ينتظر المحاكمة الشكلية[2] بتهمة تسليم مذكرات جيفارا. وبعد مضي شهر على مصرع ارغيداس اغتيل في (سانتاكروز) الكوبي (هربرتو روجلس) الذي قاد الجيش البوليفي والمستشارين من رجال المخابرات الامريكية في حملتهم لمطاردة جيفارا واغتياله بطبيعة الحال كان مخططاً له من قبل المخابرات الكوبية انتقاماً لجيفارا. أما التسجيل الذي قال ارغيداس أنه عهد به الى الملازم ماريوتيران فلم يعثر له أحد على اثر لا هو أي التسجيل ولا حامله. هكذا انتهت بايجاز قصة جيفارا الحقيقية التي سلطنا عليها الضوء لأول مرة ليعرف القارىء كيف تغلغلت المخابرات الامريكية في دول امريكا اللاتينية وكيف تمكنت من المشاركة في نهاية بل مقتل جيفارا لتشفي الحقد الاسود ضد أية ثورة أو ضد أي ثائر. إنها المخابرات الامريكية.

شركات وفروع المخابرات الامريكية مستترة:

دخلت مجموعة من الرجال يرتدون معاطف ثقيلة الى فندق (مايفلاور) ذو

(١) المثل يقول كما تدين تدان وهذه النتيجة لرئيس بوليفيا ومقتله بحادث طائرة عمودية هي طبق الأصل لما فعل أو أمر بفعله بجيفارا يعد اعدامه رغم ان الميت يحترم في جميع الأديان..

(٢) من حيث عودته إلى لاباز كان عملاء المخابرات الامريكية لديهم أوامر باغتياله...

الخمسة نجوم في واشنطون دون أن يلفتوا انتباه احد من النزلاء. لقد كان هؤلاء بدعوة وضيافة البروفسور (هاري هودانسون) الاستاذ في جامعة (فندربيلت) ومؤلف كتاب (دوائر الاستعلامات)[1] وهو عبارة عن دراسة جامعية تتناول اسلوب الاستعلام ومراكزه في الولايات المتحدة. وكان البروفسور هاري يسعى للحصول على معلومات جديدة تساعده على «نشر» كتاب آخر في الموضوع ذاته فدعا هؤلاء الزملاء ودعا معهم عدداً من قادة وضباط المخابرات الامركية «السابقين» وبعض رجال الكونغرس وكذلك دعا الكاتب «دافيد وايز» الذي اشترك في تأليف كتابين هما (الحكومة الخِفية) و(مؤسسة التجسس).

ولدى بدء المناقشات اشار الكاتب دافيد وايز الى استخدام بعض الشركات الخاصة وموظفيها خلال عمليات المخابرات الامريكية فصاح روبرت أموري المدير المساعد سابقاً في المخابرات:

استاذ دافيد تريد أن تتكلم عن شركان (ديلاوار). ؟ بهذا التعبير كان أموري يتحدث عما تعارف رجال المخابرات على تسميته بـ (الشركات الفروع) أو (الممتلكات) المقصود بها شركات ومنشآت خاصة تمولها المخابرات الامركية وتشرف عليها وطابع هذه الشركات وظاهرها بريء جداً فهي إما شركات تجارية أو شركات خدمات عامة لكنها توفر للمخابرات القيام من خلالها بالعمليات السرية ومعظم هذه الشركات افتتحت مكاتبها ومعاملها ومستودعاتها في ولاية (ديلاوار) لأن تشريع الولاية ليبرالي صرف وبتعبير آخر انفتاحي ولصالح الشركات التجارية التي تسجل فيها مع العلم بأن هذه المخابرات لم تتمنع عن اقامة شركات مماثلة في ولايات اخرى وحتى في دول ثانية ومن اهم هذه الشركات التي تعتبر تحت تصرف المخابرات الامريكية (اذاعة اوربا الحرة) و(اذاعة الحرية) وقد انشئت الاذاعتان في اوائل الخمسينات واعتبرتا نموذجاً للشركات الاخرى التابعة للمخابرات الامريكية وكان يتولى ادارة كل منهما مجلس ادارة مؤلف من مواطنين امريكيين بارزين فمجلس ادارة اذاعة اوربا الحرة كان يحمل اسم (اللجنة الوطنية لاذاعة

---

(١) هذا المؤلف لكتاب دوائر الاستعلامات استطاع ويستطيع دائماً ان يدعو الضيوف الكبار من زملائه إلى العشاء في فندق خمسة نجوم بينما مؤلف متواضع مثلي لكتب مماثلة لكتبه في النوعية والرواج ومع ذلك لا استطيع دعوة أحد الزملاء على تناول سندويشة والسبب جوابه لدى الناشر...؟

أوربا الحرة) ومجلس ادارة (اذاعة الحرية) كان يحمل اسم (اللجنة الامريكية للتحرير) لكن قرارات الشركتين وبرامجها وتنظيماتها الداخلية كان يتولاها مسؤولو المخابرات الامريكية الذين وضعوا على رأس ادارتهما.

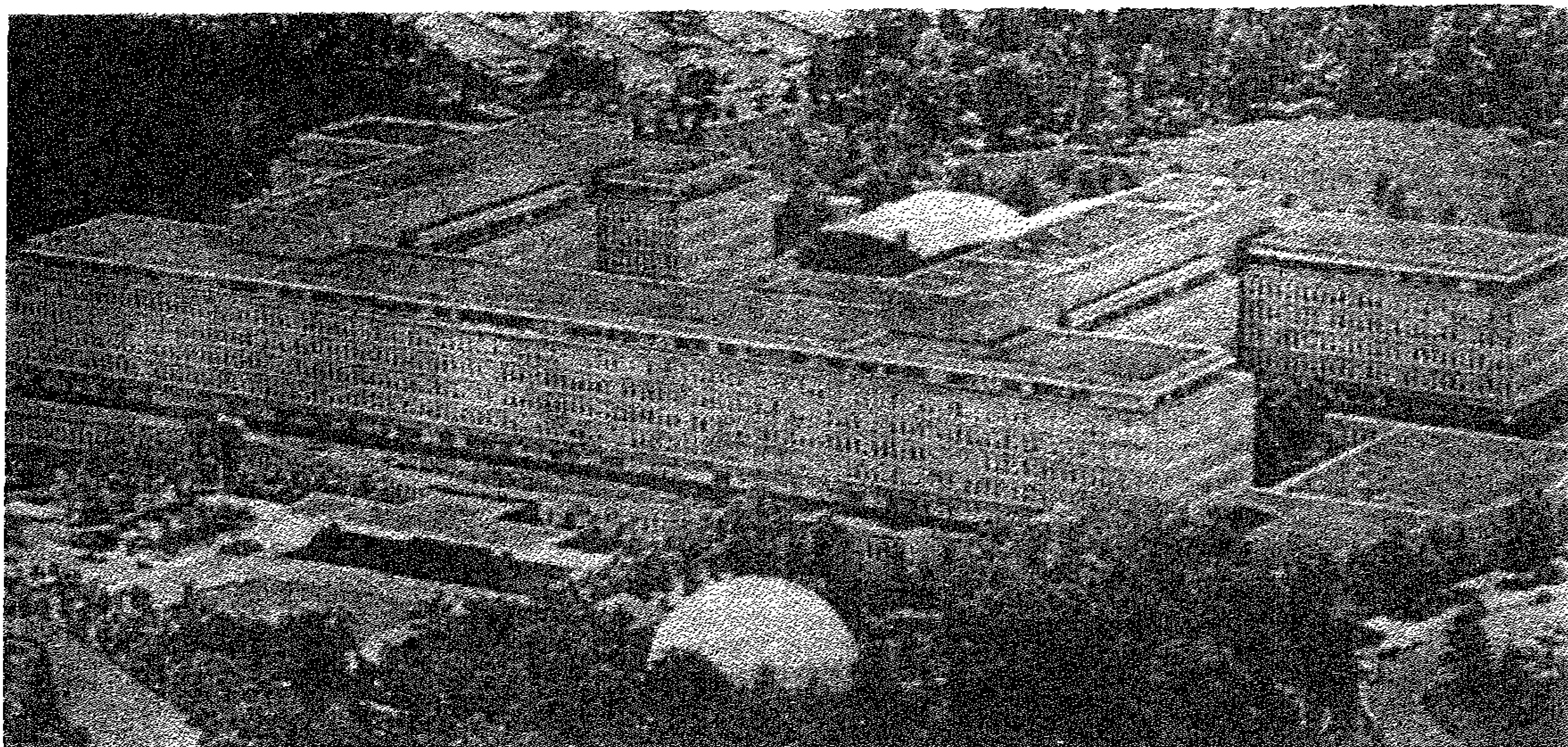
اذاعة خاصة تمولها المخابرات الامريكية ضد كوبا:

عندما كانت المخابرات الامريكية تستعد لغزو كوبا وهي تتوهم مع عشرات العملاء الكوبيين أنها ستلغي نظام كاسترو الاشتراكي بعمليات حربية انشئت محطة اذاعة جديدة في جزيرة (سوان) القاحلة وهي من مجموعة جزر كراييب الغرض منها اذاعة برامج دعائية موجهة الى الشعب الكوبي وقد تولت ادارة هذه الاذاعة شركة من نيويورك مقرها في (ميامي) وتحمل اسم (جيبر التار ستيمث كوربوريش) رئيس هذه الشركة هو (توماس. و. كابوت) كان سابقاً يرأس (شركة الفواكه المتحدة) وكان قد شغل منصباً مهماً في وزارة الخارجية في عهد الرئيس ترومان ومن بين كبار المساهمين في الشركة (سومر سميث) وهو مواطن امريكي من مدينة بوسطن يدعي أن اسرته كانت تملك جزيرة سوان هذه رغم أن حكومة هندوارس تعتبر الجزيرة جزءاً من اراضيها وخلال عملية خليج الخنازير قطعت اذاعة سوان برامجها وكشفت عن نفسها لتقطع برامجها الدعائية وتذيع تعليمات واوامر عسكرية موجهة الى قوات الغزو والى مجموعات المقاومة المعادية لنظام كاسترو التي كانت تعمل داخل الاراضي الكوبية وبهذا التحول المفاجيء فقدت اذاعة سوان التغطية التجارية والدعائية التي كانت تحرص عليها حيث ظهرت على حقيقتها ثم ما لبثت أن اضطرت الى تغيير اسمها فأصبح (الاذاعة الامريكية) دون أن تغير موقعها في جزيرة سوان أما الشركة التي تتولى ادارتها فقد استبدل اسمها باسم (فانغارد سرفيس كوربوديشن) إنما ايضاً بدون أن تبدل عنوانها وأرقامها الهاتفية في ميامي وبقيت الشركة ملكاً للمخابرات الامريكية. وهناك شركة أخرى ساهمت في العمليات العسكرية ضد كوبا هي شركة (دابل تشيلو كوربويشين) ومقرها ميامي ايضاً حيث يوجد معظم فروع المخابرات الامريكية وشركاتها وقد استطاعت المخابرات بخدمات هذه الشركة لتقديم العم الجوي للاجئين الكوبيين الذين كانوا يتسللون الى شواطيء كوبا. وكذلك فإن الطيارين الاربعة الذين لقوا

مصرعهم أثناء عملية الخنازير تابعين للشركة وقد تولت المخابرات الامريكية عبر الشركة دفع رواتب شهرية لأرامل وأولاد الطيارين الاربعة دون أن تنسى توصيتهم بألا يقولوا شيئاً عن نشاط أزواجهم (المرحومين).

وقد استعانت المخابرات الامريكية في منسبات عديدة بطيارين لقيادة القاذفات من طراز (ب ـ ٢٦) وكانت شركة اخرى تتعاقد معهم وتدفع لهم اجورهم هي شركة (كارامار) ويشكل هذا الاسم الحروف الاولى من اسم الشركة الاساسي وهو (شركة جزركرايبب البحرية والجوية) أما الاسلحة والتجهيزات العسكرية التي كانت تستخدم في عمليات المخابرات مثل عملية الكونغو فغالباً ما تتولى توفيرها شركات متخصصة وأهمها (شركة التسليح الدولية) المعروفة باسم (أنتر آرمركو) ومركزها الرئيسي وكذلك مستودعاتها في مدينة الاسكندرية (ليست اسكندرية مصر) على شاطىء فرجينيا. هذه الشركة التي تقول اعلاناتها الدعائية أنها متخصصة بتقديم السلاح إلى المؤسسات المكلفة بحفظ الامن وتملك مكاتب ادارية في مانشستر في بريطانيا وفي مونت كارلو وسنغافوره وبريتوريافي أفريقيا الجنوبية وفي عدة مدن أخرى في أمريكا الجنوبية ومؤسس هذه الشركة صامويل كوملنفس العميل المتخصص بالاسلحة في المخابرات الامريكية اثناء الحرب الكورية وفي السنوات الاولى لعمل هذه الشركة كانت بحاجة الى دعم مالي فأمنت المخابرات هذا الدعم لها بشكل متواصل وبعد ذلك بالفعل تحسن عمل هذه الشركة وأصبحت تدعي نفسها مؤسسة خاصة لكنها ظلت على صلتها الوثيقة بالمخابرات الامريكية ورغم أن المخابرات نفسها تشتري كمية معينة من السلاح اللازم للعمليات التي تشرف على تنفيذها فإنها تفضل بصورة عامة أن يكون لديها أي للمخابرات مسبقاً «مخزون احتياطي» من المعدات العسكرية وعلى هذا الاساس تملك المخابرات الامريكية عدة مستودعات سواء في الولايات المتحدة أم في الخارج تختزن فيها كميات هائلة من الاسلحة المختلفة والجاهزة للاستعمال الفوري وحسب الطلب والظروف. وتظل شركة أنتر آرمركو وبعض الشركات الاخرى المماثلة من اهم مصادر تموين المخابرات الامريكية بالاسلحة كما أن وزارة الدفاع الامريكية نفسها هي من زبائن هذا النوع من التجارة.

المخابرات الاميركية على حقيقتها



- أبنية مركز المخابرات الامريكية في ضاحية «لانغلي». .

المخابرات الامريكية تشارك بالمضاربات وتقديم خدمات شخصية:

من المعروف أن أي كاتب لا يستطيع الكتابة حتى عن أعمال المخابرات ولو كانت معادية لبلده أو عقيدته إلا بقدر ما يخرج من هذه المخابرات من معلومات للنشر سواء من ضباط سابقين أو عملاء أو بواسطة الصحافة التي تتمتع بالحرية الكاملة في امريكا وهناك اكثر من دليل على ذلك ومن هذه الادلة «اقالة الرئيس نيكسون» بعد كشف الصحافة لحادثة ووترغيت وقد اهتزت الولايات المتحدة من ادناها الى اقصاها عندما تسربت وثائق البنتاغون وزارة الدفاع الامريكية الى الصحافة حول التورط الامريكي في الحرب الفيتنامية وسرعان ما تدخلت ادوات القمع الامريكية لمنع الصحافة من نشر أي من هذه الوثائق. غير أن الصحافة الامريكية رفعت الامر الى القضاء الذي حكم «بأن من حق الشعب الامريكي أن يطلع على ما يهمه من وثائق وأسرار خفيت عنه وهي تتعلق بتاريخه ومصيره» فخرجت لاول مَرة خبايا الدور الامريكي في حرب الهند الصينية الى النور وبهذا سجلت الصحافة نصراً وبعد ذلك فضحت الصحف الامريكية ايضاً التحقيقات التى اجريت في الولايات المتحدة حول الممارسات اللاشرعية واللاانسانية للمخابرات الامريكية كما سمع العالم كله عن التقرير الضخم الذي يحتوي على وقائع مذهلة ومريبة عن نشاط المخابرات الامريكية ولكن العالم لا يسمع إلا

القليل. القليل عما ورد في هذا التقرير لأن المخابرات تدخلت وحالت دون نشر الوثائق لكن صحيفة «دي فيليج فويس» نشرت بعض الجزاء من التقرير التي تسربت لها قبل أن يتدخل البيت الابيض ويأمر بايقاف النشر حسب الدستور الامريكي فإننا ننشر في هذا الكتاب ما تمكنت الصحيفة من نشره بعد ترجمته الى اللغة العربية :

لم يكن بوسع اللجنة (لجنة الكونغرس) أن تقف على حقيقة ما اذا كانت المخابرات الامريكية تتبع سياسة ثابتة بشأن معدل العملة الاجنبية التي تحصل عليها في مقابل ما تقوم به من عمليات وساطة أم لا وعلمت اللجنة أنه يتم في العديد من الدول تبديل الدولار الامريكي بما يعادله من العملة المحلية وبالسعر الرسمي غير أن ذلك من شأنه الحصول على وحدات من العملة المحلية أقل ما لو تم تحويل الدولار باسلوب غير رسمي وهو الاسلوب الاكثر انتشاراً وشيوعاً في العالم.

مساهمة المخابرات بالبحث والتنمية:

ولطالما تفاخرت المخابرات الامريكية وتباهت بقدرتها التكنولوجية وإن العديد من مشروعاتها تتم على نحو رائع قد يصل الى مستوى الفن ومن المعروف أن المخابرات تقوم بمثل تلك الانجازات من خلال المساعدات يقدمها القطاع الخاص فضلاً عما يقدمه لها من نصائح وتوجيهات.

ويقوم نائب مدير المخابرات لقطاع العلوم والتكنولوجيا بابرام عشرات العقود سنوياً في مجال الصناعة ويتم ذلك عادة باسم وكالات اخرى تابعة للحكومة وتبلغ قيمة اجمالي هذه العقود ملايين الدولارات وذلك بما يتعلق باتفاقيات المخابرات وحدها ذلك أن المخابرات لا تقوم بعقد اتفاقيات خاصة ببرامج البحث والتنمية الخاصة بها فحسب لكنها تقوم ايضاً بعقد اتفاقيات خاصة ببرامج المخابرات القومية وقد تصل قيمة اجمالي العقود التي يتم ابرامها لبرامج كل منهما ما يقرب من مئات الملايين من الدولارات سنوياً. وقد تمثل الهدف الرئيس من وراء تشكيل لجنة التحقيق في اعمال المخابرات من الكونغرس وهو «الكشف» عن الطرق التي تجري بها وسائل اختيار المتعاقدين وعلى الرغم من تقديم المخابرات الامريكية وثائق الى اللجنة تثبت بأنها وضعت قيوداً ادارية شديدة حتى تضمن أن يتم تنفيذ

الاتفاقيات وفقاً «لوجهة نظر الكونغرس» فقد كشف، التحيق أن نحو ٨٤٪ من تلك العقود أو الاتفاقيات إنما هي اتفاقيات من مصدر واحد فقط هو المخابرات الامريكية وقد قام اعضاء اللجنة ايضاً بدراسة جوانب تخطي الاتفاق فيما يتعلق باتفاقيات البحث والتنمية وقد زعمت المخابرات بأن ٢,٥٪ من كافة اتفاقيات البحث والتنمية تطلبت «تجاوز» المصروفات «الميزانية المقررة» بنحو ١٥٪ أو اكثر وليست هناك أية أسباب تدعو الى الشك في صحة هذه الارقام (هذا كلام المخابرات) ومع ذلك فثمة ايضاحات معينة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار ذلك أنه من السهل تضخيم النفقات التقديرية التي قد يشير اليها الملتزمون المتعاقدون فيما يتعلق بالاتفاقيات ذات المصير الواحد حتى يكون بالامكان تغطية زيادة المصروفات المتوقعة ويمكن وصف ذلك التجاوز في الانفاق بأنه «تغييرات في المجال» وخلال الاحاديث العديدة التي اجريت مع المسؤولين الذين يتمتعون بحق ابرام العقود أجابوا على التساؤلات الخاصة بالشخص المسؤول الذي خوّلت اليه السلطة ومن ثم وافق على اجراء تغييرات في العقود بيد أن احد المسؤولين السابقين في المخابرات أشار الى أن المسؤول الفني هو في حقيقة الامر الذي يتخذ القرارات التعاقدية «ابرام عقود البحث والتنمية» وعليه أن يبادر الى اجراء تعديلات في الانفاق حتى يقر قانونية التغييرات التي تجري بالفعل. وثمة هدف آخر من التحقيقات التي يجريها الكونغرس هو الذي تمثل في كيفية قيام لجنة تزويد الحكومة بالمعدات اللازمة لعملها ويبدو أن اللوائح الخاصة بتلك اللجنة تحدد على وجه الدقة الوقت الذي يمكن فيه «التخلي» عن تلك المعدات ومع ذلك وعلى سبيل المثال تعاقد مكتب الاتصالات مع احدى الشركات الاليكترونية لاجراء ابحاث له تتعلق بمجالات عمله وقد تطلب العقد شراء معدات للاختبار وقد قامت المخابرات الامريكية بتقديم الاموال اللازمة لشراء تلك المعدات «الماكينة» وللقيام بتلك الابحاث وقد تكلف جهاز الاختبار مبلغ ٧٤ ألف دولار كما تكلفت الماكينة الصناعية ٢٤٣ ألف دولار وفي نهاية مدة العقد تم بيع جهاز الاختبار (للجهة) التي تم التعاقد معها عليه بمبلغ ١٨,٥٠٠ دولار أما المعدات الصناعية فقد ظلت متروكة دون تشغيلها أو الاستفادة منها.

وقد استدعت اللجنة التي تتولى التحقق في هدر المخابرات الامريكية لاموال الشعب الامريكي المغلوب على امره صانعو المعدات الصناعية وخبراء في

مجال ذلك النوع المعنّ من الاختبارات. اكتشفت اللجنة أن تلك المعدات التي تم التخلي عنها وتركها والتي أصبحت غير نافعة للمخابرات لم تكن ذات قيمة أو جدوى «منذ البداية» ومن ثم فإنه كان يتعيّن تركها على ذلك النحو ووفقاً للوثائق التي حصلت عليها فإن المخابرات الامريكية لم تقم بأية محاولة للاتصال بأي أجهزة حكومية أخرى لترى ما اذا كان هناك جهاز حكومي آخر بوسعه استخدام تلك المعدات.

سيطرة المخابرات الامريكية على المعاهد والمؤسسات التعليمية:

يوجد امر صادر عن البيت الابيض (رئاسة الولايات المتحدة الامريكية) يمنع منعاً باتاً تقديم أية مساعدات سرية الى المعاهد والمؤسسات التعليمية ولكن على الرغم من ذلك فقد احتفظت المخابرات الامريكية بحقها في ذلك ومن ثم كانت هذه المخابرات وكعادتها «تتجاهل» الرئيس الامريكي وأوامره عندما تكون هناك حاجة الى ذلك وبالنسبة للسيطرة على بعض المعاهد والمؤسسات التعليمية فلم يكن هناك أي دليل يؤكد أن رئيس المخابرات الامريكية قد حصل على أي تخويل من الرئيس الامريكي (أي رئيس) فيما يتعلق بالامر. وأيضاً كان من مهمات لجنة التحقيق المنبثقة عن الكونغرس التحقيق في ذلك الامر وقد اوصت اللجنة بأنه يمنع على أي وكالة مخابرات فيدرالية تقديم أية مساعدات مالية في الخفاء لأية مؤسسة تعليمية أو أية منظمات خاصة أو دعمها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وقد قبل الرئيس كارتر هذه التوصيات وناشد بأمر رئاسي كافة الاجهزة الحكومية بتنفيذها على نحو كامل. كما قامت المخابرات بدورها باصدار بيانات خاصة بسياستها الداخلية الرامية الى تنفيذ توصيات وأوامر الرئيس وكل هذه البيانات والاوامر كانت «حبر على ورق» لأن ادارة المخابرات الامريكية اشارت الى أنه يتعيّن الاعلان عن هوية الوكالة وما تقوم به من أعمال كلما كان ذلك ممكناً واحتفظت المخابرات الامريكية الام لنفسها بحق ابرام عقود سرية مع الكليات والجامعات بشكل استثنائي يذيّل بجملة «لمقتضيات الامن» وبموافقة «نائب المدير فقط» وهو المستر كارل راكيت الذي شهد أمام اللجنة بأن المخابرات الامريكية ارتبطت بعقود مع عدد من الجامعات وأن بعض هذه العقود محفوظ والبعض الآخر «سري».

السرقة من عقود الشركات ايضاً:

استمعت اللجنة ايضاً الى شهادة المستر مارتن كايزر الصناعي المعروف الذي شهد أنه سلم ٨٠٪ من معدات أجهزة المراقبة والاشراف الالكترونية ومعدات الاجراءات المعتادة كالوصلات الخاصة للتصنت على الخطوط الهاتفية الى المخابرات الامريكية رأساً و ٢٠٪ من هذه المعدات سلمها للمخابرات عن طريق شركة ريكوردنغ الامريكية ومقرها واشنطون وقد اشار كايزر بشهادته الى أنه لاحظ إن احدى الفواتير الصادرة عن شركة ريكوردينغ بخصوص قيمة صفقة من صفقات المعدات التي يقوم بتصنيعها وقام بامداد المخابرات بها بيعاً قد اضيف اليها نحو ٣٠٪ «علاوة» على قيمة الفاتورة الاصلية والاساسية. وقد اهتم المحققون بتلك النسبة المئوية المضافة الى قيمة الفاتورة الحقيقية إذ أنها تؤكد وفقاً لما ادلى به كايزر أن الشركة الوسيطة تبيع المواد الورقية وتسليم البضائع. ومن ثم طلب المحققون ايضاً الحصول على سجل لكافة الصفقات التي تمت بين شركة ريكوردنغ والمخابرات الامريكية على أن تتضمن سجلاً لمعدات مستر كايزر. وقد أكد مفتشو الحسابات التابعون للجنة التحقيق أن نسبة ٣٠٪ (وهي النسبة التي تم اضافتها على قيمة الفاتورة الاساسية) إنما تعد «دليلاً» على الكيفية التي كانت تتم بها كافة الصفقات من ذلك النوع.

كما اطلعت اللجنة اثناء التحقيق في مخالفات المخابرات الامريكية بأن هذه المخابرات تقوم ايضاً بأعمال الوساطة لخدمة الحكومات الاجنبية والمسؤولين فيها والعديد من الوكالات وجهات أخرى.

ومن ثم عملت المخابرات الامريكية وكأنها وكيل مشتريات وعلى الرغم من أن الافراد الذين قامت المخابرات بدور الوساطة لهم قاموا بالفعل بتقديم الاموال اللازمة لها رغم أن الدافع الحقيقي لهذه الاموال هم دافعوا الضرائب من الشعب الامريكي وتشمل هذه الاموال مرتبات بعض العاملين في فرع المخابرات الذي يقوم بابرام الصفقات وقيمة وسائل النقل وقيمة مصروفات المحاسبة وفي بعض الاحيان يتحمل المواطن الامريكي دفع نفقات ومرتبات الاشخاص الذين قاموا بالتدريب وقد تبينت اللجنة من خلال التحقيقات التي اجرتها بشأن سلسلة واحدة من اعمال الوساطة أن احدى الحكومات الاجنبية (الى هذا الحد يصل تعتيم

المخابرات لدرجة أنها لا تعطي اسم هذه الدولة للجنة أو تأمر اللجنة بعدم ذكر اسم تلك الـدولة) حصلت على تخفيض قيمته ٢٠٪ نتيجة لتدخل المخابرات بشراء معـدات كانت هذه الدولة بحاجة واشترتها باسم الحكومة الامريكية ولو أن تلك الحكومة الاجنبية؟ قد تعاقدت على شراء المعدات باسمها من المصادر الامريكية التجارية لما كان بامكانها الحصول على ذلك التخفيض الهائل أي أن المخابرات الامريكية بتدخلها جنّبت هذه الحكومة الاجنبية دفع نحو (٢٠٠ ألف دولار) ونعود لنؤكد أن كل ذلك يتم على حساب الممولين الامريكيين. وقد كانت المخابرات المـركـزية ترفض عادة القيام بمثل تلك المهام في حالة ما اذا بدت تلك البنود المـطلوبـة وكـأنها تفوق الامكانية المالية لطالبيها الامر الذي قد يؤدي الى اثارة تسـاؤلات بشـأن مصـادر دخـل الطالبين ويشعر ضباط المخابرات أن مثل تلك التساؤلات قد تؤدي الى الكشف عن علاقة هؤلاء الاشخاص بالمخابرات والجدير بالذكر أن توسط المخابرات في امور تبلغ تكاليفها أقل من ٣ آلاف دولار ولصالح المخابرات أي تكون ذات نفع عام للدولة فإن هذا المبلغ تسمح تقاليد المخابرات لرئيس المخابرات في نفس البلد بدفعه من صندوقه، أما اذا كانت الامور أو المهام تتـطلب مبلغ اكبر فإنه يتعين الحصول على موافقة نائب مدير العمليات وأما اذا كانت العملية تفوق في حجمها مبلغ (٥٠٠ ألف دولار) فيجب أن يتم عرضها على مدير المخابرات الامريكية بالذات للموافقة عليها. وقد قامت اللجنة بفحص عدد من سجلات أعمال الوساطة فوجدت أنه في بعض الاحيان يتم استخدام تسهيلات ومصادر الحكومة الامريكية لارضاء واشباع رغبة بعض المسؤولين الاجانب الذين ترتبط مصالح المخابرات الامريكية معهم.

المخابرات الامريكية تشتري لعب الاطفال لعملائها:

عثرت لجنة الكونغرس للتحقيق مع المخابرات الامريكية على وثيقة تثبت أن احد المسؤولين (الاجانب) (تظهر هذه الناحية على حرص لمخابرات الامريكية على حماية عملائها وهذه الناحية الحسنة تسجل لها في الاعمال المخابراتية حيث أنه حتى في التحقيق معها من قبل اعلى السلطات وهو الكونغرس تصر على كتمان اسماء عملائها فاذا كان الامر يتطلب ذكر اسم دولة فإنها تسجل الدولة الاجنبية واذا

كان الامر عن عميل مهما كان مركزه فيسجل باسم المسؤول الاجنبي أو العميل الاجنبي) صرح لرئيس فرع المخابرات في ذلك البلد عن مدى ولع ابنه بنماذج الطائرات الصغيرة ذوات المحركات والتي يمكن للاطفال تسييرها في الجو بضع دقائق بواسطة جهاز تحكم وأكد هذا المسؤول الاجنبي بأنه يرغب في الحصول على ثلاثة نماذج من هذه الطائرات والح في ذلك لدرجة أنه ابلغ رئيس فرع المخابرات على وجه التحديد بالمكان الذي يمكن منه شراء تلك الطائرات في الولايات المتحدة. قام رئيس فرع المخابرات بارسال برقية لمقر قيادة المخابرات الامريكية يطلب فيها شراء ثلاث نماذج طائرات «اطفال» من متجر كليفند في بلتيمور وهو نفس المتجر الذي اشار اليه المسؤول الاجنبي وعلاوة على ذلك فقد اعطى رئيس الفرع المختص تعليمات محددة ضمن البرقية تقضي بضرورة صياغة موضوع شراء طائرات اللعب برموز شفرية حتى لا يكون بالامكان التعرف مستقبلاً على أن مخابرات حكومة الولايات المتحدة هي التي قامت بشراء نماذج الطائرات.

كما تم تلفيق جميع الوثائق الخاصة بذلك الموضوع وهذه الوثائق المزوّرة هي التي قدمت الى لجنة التحقيق (إنها المخابرات الامريكية).

ايضاً المخابرات الامريكية في ملاعب الغولف:

رئيس دولة حليفة للولايات المتحدة (شطب الاسم) كان يستعد لاجراء مبارات بالغولف «لعبة العصا والكرة» في احدى الامسيات الشديدة الحرارة بحضور مندوب مرافق من قبل المخابرات الامريكية وقد اعرب هذا الرئيس عن توقعاته بما سوف يعانيه من الظمأ بعد عدة ساعات من اللعب تحت لهيب الشمس لمندوب المخابرات فتقدم مندوب المخابرات هذا بطلب فوري الى رئيس فرع المخابرات المختص لتحضير وارسال ست زجاجات من مشروب معيّن فتم على الفور اعفاء احد العاملين في المخابرات من مهامه المعتادة ليقوم بشراء المشروب المطلوب إرضاء لرئيس الدولة الصديق.

ولم تكن هي تلك التجربة الوحيدة التي خاضها رئيس تلك الدولة مع (مواهب التسويق) التي تتمتع بها المخابرات الامريكية إذ أن هذه المخابرات قامت بالسابق بالتوسط له على شراء العديد من السيارات لاستعمالها في «المراسم» من

بينها سيارتان على الاقل من طراز «ليموزين» تم صنعها خصيصاً بناء على طلبه والسيارتان مزودتان بكافة التعديلات التي يرغب بها كالتلفون واللاسلكي والتلفزيون والبراد وغيرها من الكماليات المستحدثة لمثل هذه السيارات الفخمة.
ومن بين الاشياء الاخرى التي قامت بشرائها المخابرات الامريكية لهذا الرئيس جهاز أمن الكتروني قام خبراؤها بتركيبه له في مقره الرسمي ومن المعروف أن المخابرات الامريكية «كانت تعلم» عندما قدمت هذه الاجهزة الخاصة بالامن لرئيس هذه الدولة أنها تقدمها لرئيس يحكم بلاده بالقوة متبعاً اسلوب القمع والارهاب. وقد تضمنت اعمال وساطة المخابرات الامريكية «تسهيل» تقديم خدمات للآخرين في أمور سياسية تتسم بالحساسية الى حد كبير وتتطلب نفقات باهظة فعلى سبيل المثال كان رئيس احدى الدول التي تسير على مبدأ حكم الحزب الواحد «مفتوحاً» بجهاز الكتروني حديث يستخدم في جمع المعلومات وكان يتطلع الى تطوير قدرته على جمع المعلومات على نحو مستقل ومن ثم قامت المخابرات الامريكية بتيسير تلك المهمة وتلبية رغبته وحصلت له على شبكة مخابرات الكترونية وقد تم ذلك على مرحلتين تكلفت المرحلة الاولى ٨٥ ألف دولار أما المرحلة الثانية فقد تكلفت ما يزيد على ٥٠٠ ألف دولار. وفي التحقيق الذي جرى مع المخابرات الامريكية عن واحدة من اعمال الوساطة التي قامت بها لاحدى الدول المصدرة للبترول سألت اللجنة بعض المسؤولين عن مدى التنسيق وتأثير المشتريات التي قامت بها المخابرات على سياسة اسعار البترول التي تنتهجها تلك الدولة ومما يذكر أن السياسة البترولية لتلك الدولة لم تكن من بين السياسات المفضلة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية وقد بدا المسؤولون في المخابرات وكأنهم غير متأكدين من اثر تلك التسهيلات على السياسة البترولية في تلك الدولة ومن المعروف أن المخابرات كانت تحصل عادة على قيمة مهام الوساطة التي تقوم بها من الدولة التي تطلب القيام بها (اذا لم يكن للولايات المتحدة مصلحة أو فائدة من تلك الدولة).

المسؤولين في المخابرات الامريكية يفضحون اعمالها:

فيكتور ماركيتي ـ مساعد مدير البرمجة والتمويل ثم مساعد مدير العمليات

في المخابرات الامريكية لمدة (١٤ عاماً) قضاها على مقربة من قمم هذه المخابرات وعلى صلة وثيقة بها حيث اصبح على معرفة حقيقية فيما يجري في دوائر هذه المخابرات ويؤكد فيكتور على امر اساسي وهو أن مهمةالمخابرات الاولى (الرقابة والتنسيق) ووضع المعلومات لتقديمها لرئيس الدولة والمسؤولين فيها ولكن المخابرات الامريكية «تحوّلت» الى التدخل غير المشروع وغير الاخلاقي في الشؤون الداخلية للدول الاجنبية وحتى في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة وكانت الفضيحة الاخيرة التى انفجرت في اواخر عام ١٩٨٠ دليلاً جلياً على هذا التبديل غير المشروع في عمل المخابرات الامريكية مما ادى الى تأليف عدة لجان من الكونغرس للكشف عن حقيقة نشاطات المخابرات الامريكية الغير المشروعة (ذكرنا سابقاً عن هذه اللجان) أما فيكتور ماركيتي فقد انصرف بعد تركه العمل في المخابرات الامريكية الى «تأليف» كتاب جامع ووثائقي عن اعمال وتدخلات هذه المخابرات هذا الكتاب هو الوحيد في تاريخ الولايات المتحدة الذي أُخضع «للرقابة» الرسمية قبل نشره فتدخلت المخابرات الامريكية وتمكنت من منعه «بحجة» دواعي الامن ولكن المؤلف رفع الامر الى القضاء فتأخر نشر هذا الكتاب اكثر من سنة وفي النهاية سمح له بنشره بعد أن وافقت المحكمة للمخابرات الامريكية على «حذف» ١٦٨ صفحة من الكتاب صوناً لامن الدولة وقد ذكر المؤلف في المقدمة التي سلمت من المراقبة بأنه عندما ألف هذا الكتاب الذي سماه (المخابرات الامريكية وعبادة الاستعلام) وعرضه حسب الاصول للمراقبة بذلت المخابرات والحكومة الامريكية جهوداً كثيفة مستخدمين أحياناً وسائل عنيفة للحيلولة دون صدوره تحت ستار وحجة «الامن الوطني» وتوصلتا اخيراً الى الحد من حرية الكلمة التي يكفلها الدستور الامريكي باسلوب لا سابقة له لمنع «الشعب الامريكي» من الاطلاع على اعمال مخابراته وهو اسلوب «حذف» الصفحات التي يوجد بها معلومات صادقة وواضحة عن اعمال مخابرات العم سام . وهذه مقتطفات من الصفحات التي سلمت من رقابة المخابرات الامريكية في كتاب المخابرات الامريكية وعبادة الاستعلام :

● المعروف بصورة عامة أن العلاقة بين المخابرات الامريكية والقادة السياسيين الذين تقدم لهم النصح والمال هي علاقات معقدة وشديدة الحساسية

فالمخابرات تسعى باستمرار الى اجتذاب قادة العالم واحزابهم في سياسة ملائمة للولايات المتحدة وفي مظم بلاد العالم الثالث تحرص سياسة الولايات المتحدة على الحفاظ على الوضع القائم (اذا كان مؤيداً لها) وعلى توزيع المعونات التي تهدف في الدرجة الاولى الى دعم مواقف هؤلاء القادة الحكام فالحاكم الذي يتلقى اموالاً من المخابرات الامريكية يهتم غالباً بتوظيفها لمصلحة «بقائه» في السلطة وهـو يتصـرف بهذا الشكل وحسب اعتقاده من أجل مصلحة بلده لكن مثل هذا الاعتقاد يبدو في معظم الاحيان ضعيف الاساس لأنه هو أو غيره من السياسيين بمجرد قبوله المعونات المالية من مصدر «كالمخابرات» يتجه جهده الى تبرير ما يفعل إن لم يكن في نظر الرأي العام فمن وجهة نظره الذاتية على الاقل.

أحد مظاهر النشاط السري للمخابرات الامريكية التي اجتذبت اهتمام الرأي العام بشدة هو علاقاتها مع المنظمات الخاصة سواء في الولايات المتحدة أم فيما وراء البحار. فما كادت تنشر التقارير السرية عن علاقة المخابرات بجمعية الطلاب الوطنية «اتحاد الطلبة» حتى نشرت الصحف سلسلة من المقالات عن «المعونات» التي توزعهـا المخـابـرات على مؤسسات اخرى بينها تلك التي تستخدم كغطاء للمخـابـرات باعتبـارها مملوكة لها «سراً» أو التي تقع تحت سلطانها لأن قادتها مستسلمون لها.

كيف تصطاد المخابرات الامريكية زعماء الطلبة:

صرح سام براون الـرئيس السـابق لمجلة الاتحـاد «ادارة جمعية الـطلاب الوطنية» والذي اصبح فيما بعد من اشد العاملين في المخابرات الامريكية اخلاصاً بأن المخابرات اكتفت فيما يتعلق بالجمعية باقامة علاقات مع واحد أو اثنين من زعماء الاتحاد قد ابلغتهما أنها ستطلعهما على بعض اسرار الدولة ومن ثم طلبت اليهما توقيع تعهد بألا يبوحا بشيء مما سيطلعان عليه وبعد التعهد قيل لهما «أنتما الآن في خدمة المخابرات الامريكية» وبالفعل أصبحت أقدامهما في الفخ باعتبار أنهمـا وقعـا على تعهد بعدم البوح بأيّ سر وهذا أسوأ وأبشع عمل حيث اصبح الرجلان مرتبطين بالمخابرات الامريكية بشكل لا فكاك منه والغريب وهذا نذكره

لقرائنا بأن زعماء الطلبة الذين جندتهم المخابرات الامريكية «بهذه الوسيلة» لم يظهروا أي ضيق بل إن عدداً منهم أصبح من انشط العملاء السريين وأصبح أحدهم الساعد الايمن لمدير المخابرات الامريكية وكان أحياناً يمثل المخابرات الامريكية رسمياً ليقوم بتسجيل وتطبيق عدداً آخر من زعماء الطلبة أعضاء الاتحاد وكان من عادته التي تعلمها من أسلافه أن لا يكشف لهم عن حقيقته إلا بعد أن يضع أقدامهم في الفخ ويحصل منهم على تعهد بعدم الكشف عن اسرار المخابرات وقيام اتحاد الطلبة بالتعاون مع المخابرات حتى توم براون الذي كان يرأس قسم المنظمات الدولية في المخابرات حينما كان هذا القسم مكلفاً بتوزيع الاموال على المؤسسات الخاصة قال بصراحة أهنيء نفسي على أن المخابرات الامريكية كانت لا أخلاقية وشرح تجربته مع المخابرات وبعض أعمالها فقال:

كلفت بتقديم مبلغ ١٥ ألف دولار الى ايرفنغ براون من «اتحاد العمال الامريكيين» لأن ايرفنغ كان بحاجة ماسة الى هذا المبلغ ليدفع مخصصات اصحاب الاذرع الطويلة في موانىء البحر المتوسط المكلفين بتفريغ بعض الشحنات الامريكية الخاصة رغم معارضة نقابات العمال الشيوعيين كما كلفت بتقديم ٥٠ ألف دولار لدعم موقف النقابات العمالية في المانيا الغربية. خلال فترة من الزمن كان للمخابرات الامريكية روابط مختلفة مع عدد كبير من المنظمات التي كان يعتبر اشرافها المباشر عليها مستحيلاً. وعندما نشرت المعلومات الاولى عن صلات المخابرات اكتشف الصحافيون الفضوليون أن الاتفاقات المالية كانت تمر عبر «مؤسسات وسيطة» من الصعب معرفتها كما اكتشفوا فئات أخرى افادت من اموال المخابرات وعلى اثر هذه الضجة التى اثيرت حول الموضوع عين الرئيس جونسون لجنة خاصة للتحقيق برئاسة مساعد وزير الخارجية في حينه نيكولا كاتزنباخ ونشرت هذه اللجنة التوصيات التي اقرها اعضاؤها بالاجماع وصادق عليها رئيس الجمهورية وسبق أن نوهنا عنها في الصفحات السابقة لكن التوصيات نصت من جهة اخرى على أنه بالامكان تجاوز هذه القواعد إذا ما تعرضت مصلحة البلاد الامنية في الاساس للخطر. ؟ طبعاً لم يرداسم أية مؤسسة من المؤسسات التي كانت تتلقى المعونات من المخابرات في قائمة الاستثناء هذه. وقد اعربت اللجنة عن أملها في نهاية تقريرها للكونغرس بأن تنهي المخابرات الامريكية كل صلاتها بالمؤسسات الخاصة. لكن بعد مضي سنة على هذا التقرير صرح ديتشارد بيسل

رئيس مجلس العلاقات الخارجية في المخابرات بأنه رغبة من المخابرات في توطيد عملها عليها أن تبذل جهداً متزايداً للافادة من مختلف المؤسسات الخاصة شريطة ألا تستمر في هذه العلاقات اذا ما كشف امرها. إذ من الضروري أن يجري العمل في سرية مطلقة، وأن يكون هناك مزيد من الاهتمام فيما يتعلق بمشكلة الاجهزة الوسيطة. إن صورة المخابرات يجب أن تظل سليمة في نظر العالم الخارجي حتى لو أن بعض الذين يتلقون المعونات لم يعرفوا مصدرها لما كان للكشف عن هذا الموضوع نتائج سيئة. يجب الاستمرار في حماية الصورة الممتازة للمخابرات في نظر مختلف فئات الاشخاص غير الرسميين بما في ذلك رجال الاعمال وزعماء الطلاب. وقد بدا من ذلك أن هناك تناقضاً كبيراً بين وجهة نظر المخابرات والسياسة الرسمية للحكومة الامريكية التي أقرها رئيس الجمهورية ومن ثم ظهر أن المخابرات لم تكن راغبة في تحدي رئيس الجمهورية بالرغم من أنها أي المخابرات كانت تفهم المعنى الحقيقي لتوصيات لجنة مجلس الشيوخ لكن الذي شاع هو شعور عام في المخابرات وهو شعور انصار عبادة الاستعلام الذين يعتقدون أن رئيس الجمهورية «اضطر» تحت ضغط الاصرار الى محاولة تقليص الصلاة القائمة بين المخابرات والمؤسسات الخاصة، وإنه عندما اختار «كاتزنباخ» رئيس اللجنة والذي تعتبره المخابرات مشايعاً لها حين كان مدير المخابرات في حينه ريتشارد هيلمز الرجل الثاني في اللجنة فإنه ـ أي الرئيس ـ أراد تسوية الامور بطريقة لا تسيء الى المخابرات. على أية حال كان لا بد من «إنقاذ» المخابرات بسبب بعض اخطائها المدنية وقلة حرصها في اسلوب توزيع المعلومات والمهم أن رئيس الجمهورية لم يكن راغباً بأن يطرأ تعديل كبير على برامج المخابرات في العمل السري. ورغم أن التحقيق قد كشف عن بعض علاقات المخابرات بالاوساط العمالية واثبت انها قدمت معونات كبيرة الى عدد من النقابات العمالية «الاجنبية» فإن اللجنة لم تشر الى هذه النقابات في قائمة المؤسسات التي يجب الامتناع عن دعمها بالمال لذلك أخذت الاحداث مساراً غير منتظر لأنه في الماضي كانت نقابات العمال الاجنبية تعرف أنه ليس ثمة اموال كثيفة تدفع لها ولكنها الآن باتت مقتنعة بأنها تحصل على مخصصات سرية من المخابرات الامريكية وبالتالي تصر هذه النقابات على أن تساعدها هذه المخابرات ومثال على ذلك نقابات العمال في غيانا الانكليزية التي طالبت بزيادة المعونات من المخابرات.

التأهيل الفردي للعمل السري وتبادل الاشخاص:

فيما يتعلق بقيام المخابرات بالتأهيل الفردي وتبادل الاشخاص كأحد اشكال العمل السري للمخابرات الامريكية فإن بعض النشاطات كان يجري بواسطة المخابرات وكانت هذه افضل وسيلة للعمل السريع وغير الرسمي رغم أنه لم تكن هناك ثمة حاجة للسرية لكن يمكن أن نلاحظ أن معظم البرامج يكون أكثر جدوى اذا ما تم تنفيذه عن طريق مؤسسات خاصة وليس عن طريق رسمية أي عن طريق حكومة الولايات المتحدة في هذه الحال لا حاجة للسرية. أما اذا لم تأخذ منظمات خاصة المبادرة فإن افضل وسيلة لدفعها الى ذلك هي أن تقدم المخابرات الامريكية الاموال الى اجهزة قيادية. ويشار في هذا الكلام الى برامج تبادل الاشخاص التي تمولها:

١ ـ وزارة الخارجية الامريكية.
٢ ـ وكالة التنمية الدولية.
٣ ـ وكالة الاخبار الامريكية.
٤ ـ مختلف الصناديق الخاصة.

على أن المخابرات كانت تسهم ايضاً بهذه البرامج في نطاق محدود وبمساعدات سرية تقدم الى اجهزة وسيطة كما كانت المخابرات تساعد في تسديد حسابات الاشخاص الذين يدعون لزيارة الولايات المتحدة (راجع صفحة ٣٠٥ من موسوعةالمخابرات والعالم ـ الجزء الثاني) وفي الوقت ذاته كانت المخابرات تقدم الى هذه المنظمة أو تلك من المنظمات التابعة الى «دول أجنبية» تسهيلات خاصة للتأهيل المهني وكانت كلية الشرطة العالمية التابعة لوكالة التنمية الدولية احد الاماكن التي يكثر ارتيادها للتدريب على التأهيل وكانت فرقة «الامن العام» هي التي تتولى شؤون تلك الكلية وتقدم «تغطية» رسمية لعملاء المخابرات الذين يتعاملون مع المخابرات الامريكية والعاملين في العالم كله. كما كانت المخابرات تستفيد من برامج تبادل الاشخاص لتكوين عملاء جدد، في حين كانت تعتبر نفسها مسؤولة شرعياً عن الاتصالات بالغرباء الذين يزورون الولايات المتحدة سواء كانوا ضباط أو مسؤولين وتجنيدهم للعمل في خدمتها رغم أنه لم يكن لها خط واضح ومقرر في هذا المجال.

تدخل المخابرات الامريكية في النشاط الاقتصادي:

إن البرامج السرية للمخابرات الامريكية للتدخل في اطار النشاط الاقتصادي للدول الاجنبية هي قليل نسبياً لأن المخابرات الامريكية كانت تفضل «النتائج المباشرة» من التعامل مع المنظمات الطلابية والعمالية ومن العمليات شبه العسكرية.

والواقع أن البرامج الاقتصادية التي نفذت بمساعدة المخابرات لم تقترن بنجاح كبير فخلال النصف الاول من السبعينات حاولت المخابرات اجتذاب رؤوس أموال يابانية لمساعدة برامج التنمية في فيتنام لأن الشركات الامريكية كانت شديدة الحذر والتحفظ فيما يتعلق بتوظيف أموالها في فتنام. وكانت حكومة الولايات المتحدة تأمل بأن يستطيع اليابانيون ولو جزئياً سد هذا العجز لدعم المساعدات الامريكية حتى أن المخابرات وعدت بعض رجال الاعمال اليابانيين بقروض كبيرة اذا ما أسهموا في برامجها وقدموا معدات وخبراء فنيين للاستثمارات الزراعية الكبرى في فيتنام. لكن كل المفاوضات بهذا الشأن أخفقت واضطرت المخابرات الامريكية في النهاية الى التخلي عن مشروعها هذا. ولعلم القارىء فإن المخابرات الامريكية كانت قد بذلت قبل سنوات جهداً كبيراً لبلبلة سوق السكر في كوبا أشهر دول العالم بانتاج السكر وذلك ضمن اطار برنامج يستهدف اسقاط نظام كاسترو فاقترحت مديرية المصالح السرية على رآسة المخابرات الامريكية شراء كميات كبيرة من السكر الكوبي بواسطة عملاءها ثم طرح هذه الكميات للبيع في مختلف دول العالم «بأسعار زهيدة» مما يؤدي الى انهيار الاسواق في كوبا.

لكن المخابرات الامريكية اضطرت ايضاً للتخلي عن هذا المشروع بسبب اخفاقه واكتفت في حينه بالموافقة على التآمر على شحنات السكر الكوبي فقد اضطرت السفينة البريطانية «مارفارد» المؤجرة للاتحاد السوفييتي الى القاء مرساتها في بورتوريكو لاجراء بعض الاصلاحات الضرورية وكانت هذه السفينة تحمل شحنة من السكر الكوبي من هافانا لحساب الاتحاد السوفييتي. واثناء رسو السفينة ريثما يتم اصلاحها في الحوض الجاف تسلل عملاء المخابرات الامريكية الى مستودعاتها وأفسدوا السكر بمواد كيماوية رائحتها كريهة جداً وغير مؤذية فأصبح السكر غير صالح للاستهلاك وأتلف بعد الاطلاع على الاذى الذي لحق به.

رؤساء الولايات المتحدة يوافقون على بياض لمؤامرات مخابراتهم:

إعتـادت المخـابرات الامريكية أن تقوم بعملياتها ومؤامراتها ضد الشعوب والؤسسات المناهضة لسياسة الولايات المتحدة دون الرجوع لرأي رئيس الولايات المتحدة أو استشارته وما على هذا الرئيس «أي رئيس كان» إلا الموافقة والتوقيع على بياض وبعد التنفيذ وإلا كانت نهايته كنهاية الرئيس كندي[1] والميزة الوحيدة التي تتركها المخابرات للرئيس هي افساح المجال أمامه لانكار أية مسؤولية فيما تقوم به من اعمال لذلك لم يحاول أي رئيس من رؤساء الولايات المتحدة إعادة النظر في اساليب المخابرات السرية سوى بعض التعديلات البسيطة التي ادخلت على وسـائلهـا وخاصة من الناحية الفنية لكن البيت الابيض لم يطلب أي تغيير اساسي في اساليبها العكس هو الصحيح فقد كان رؤساء الولايات المتحدة يقدرون ويمدحون أعمال المخابرات فهي التي تقوم بالاعمال المستحيلة وهي اعمال لا يستطيع غيرها القيام بها أما اذا اخطأت المخابرات أو أخفقت فإن الرئيس يستطيع وبسهـولـة إصـدار تكذيب رسمي يبعد الشبهة عن الجميع. أما بالنسبة لعناصر المخـابرات فيعتبر اللوم الرئاسي جزءاً من «مغامرات المهنة» وبالتالي لا يقتضي تعليق اهمية كبيرة عليه لأنـه أحـد مظاهـر التغـطية للعمـل السـري الذي تتولاه المخابرات والواقع أن قادة الولايات المتحدة لم يتوصلوا بعد الى حد التخلي عن أي تدخل في الشؤون الداخلية لدول اخرى تاركين للاحداث حرية الاتجاه في مسـارها الطبيعي فثمة اعتقاد لايزال منتشراً على نطاق واسع مؤداه «أن للولايات المتحدة الحق والمسؤولية في في التدخل بمجرى السياسة للدول الإجنبية بالرغم من أن الايمـان بذلـك وكـذلـك الايمان بعقيدة مضادة للشيوعية قد اهتزا خلال السنوات العشر الاخيرة ـ ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦. ومع ذلك فتبقى المخابرات الامريكية تتمتع بسلطة وثقل كبيرين لأنه رسمياً يبلغ عدد منتسبي المخابرات الامريكية الآن ٤٠٠ ألف نسمة بين عسكريين وموظفين وجواسيس وعملاء[2] وهي تتصرف بميزانية

---

(١) مراجعة صفحة (٢٧٧) من موسوعة المخابرات والعالم ـ الجزء الثاني...

(٢) مراجعة صفحة (٢٣٨) من موسوعة المخابرات والعالم ـ الجزء الأول...

تصل ارقامها الى مئات الملايين وكانت هذه الارقام «سرية» حتى تدخل الكونغرس وأصبحت لديه لجنة خاصة تتطلع على ميزانية المخابرات ومع ذلك فإن هذه المخابرات لا تعطي ارقاماً صحيحة «خلي الكونغرس يشرب البحر» ولذلك لا تكفي الارقام الرسمية لقياس أهمية المخابرات ونفوذها ذلك أن المخابرات الامريكية نفسها لا تعرف عدد الاشخاص العاملين في خدمتها فرقم ٢٥٠ ألف من الجزء الاول من هذه الموسوعة ورقم ٤٠٠ ألف في هذا الجزء لا يشملان أسماء ألوف العملاء المتعاقدين من مرتزقة وعمال سريون ومستشارون.. الخ ولا اسماء الذين يعملون لحساب شركات تملكها المخابرات. كما أن هذه الارقام لا تشمل الحراس المكلفين بحماية مباني المخابرات ومنشآتها المختلفة كما لايشمل موظفي وعمال المقاهي «نعم» المقاهي التي تملكها المخابرات الامريكية.
والحقيقة أن لجهود التي بذلتها لجنة الكونغرس حتى الآن لمعرفة العدد الصحيح للعملاء الاجانب لم تؤد الى أية نتيجة بسبب الجو المغلق والسرية المطلقة في دوائر استعلام المخابرات وضمن الاحتجاج باسباب أمنية يعمد المسؤولون في المخابرات الامريكية الى وضع لوائح غير دقيقة فيما يتعلق بشبكات عملائهم.
ونذكر للقاريء أن هناك «عملاء مناسبات» وهؤلاء يكلفون بمهمات خاصة ومحددة الزمن وعملاء سريون محترفون يقضون حياتهم كلها في خدمة المخابرات وفي بعض الاحوال يبقى العملاء المتعاقدون تحت تصرف المخابرات زمناً طويلاً بعد انتهاء المهمات الموكولة اليهم لكن بصورة عامة لا يعرف هؤلاء إلاّ رؤساء الشبكات التابعين لها. مثلاً: أحد لصوص «ووترغيت» المدعو «أوجينو مارتينيز» الذي كان من هذا النوع الاخير ويوم قبض عليه داخل مبنى ووترغيت وجرى التحقيق معه تبين أنه كان يتقاضى ٢٠٠ دولار من ميزانية المخابرات الامريكية شهرياً وقد اكدت المخابرات الى لجنة التحقيق أن اسم المذكور قد شطب من لوائح عملائها الذين يتقاضون رواتب شهرية. وفي باب «اعتمادات برامج المخابرات» يستخدم جزء كبير من موارد المخابرات بهذا الشكل ويمكن إبداء عدة اسباب لتبرير العوامل التي دعت الى «استمرار المخابرات في الدفع» لعملاء انتهت مهماتهم ومن هذه الاسباب:

١ ـ الحاجة للحفاظ على سر العمليات التي قاموا بها حتى ولو انقضى عليها سنوات عديدة.

٢ ـ امكانية الاستفادة من هؤلاء العملاء في مهمات جديدة.
٣ ـ الاستمرار في الدفع للعملاء السابقين تقديراً لظروفهم المالية التي تعرفها المخابرات جيداً بسبب تقديم هؤلاء لنشرات عن احوالهم بحذافيرها قبل استخدامهم.
٤ ـ تستمر المخابرات الامريكية في الدفع لعملائها السابقين لمجرد الاعتراف بالجميل لهؤلاء العملاء الذين اضطرتهم ظروفهم المعيشية السيئة لقبول التعامل معها.
٥ ـ تستمر المخابرات الامريكية ايضاً بالدفع لعملائها بعد انتهاء مهماتهم بسبب ما يسمونه بالرباط العاطفي بين هذه المخابرات وعملائها.

وهذا السبب الاخير كثيراً ما يتردد على السنة المسؤولين في المخابرات بالحاح وقوة. وهكذا فإن مئات بل ألوف من الكوبيين والمهاجرين من اوربا الشرقية ويوجد غيرهم اقل قيمة يتقاضون من المخابرات من هذه المخابرات سنوياً مئات الملايين من الدولارات. وهناك المرتزقة وعدد كبير من العسكريين الذين استخدمتهم المخابرات في عمليات شبه عسكرية يعتبروا متقاعدين مؤقتين ولا ذكر لهم على اللوائح الماليه التي يجب ألا يتجاوز عدد الموظفين فيها الرقم المسموح به. ومن جهة اخرى ثمة اشخاص تعاقدت معهم المخابرات وبقيت على اتصال سري بهم لتنفيذ مهمات مختلفة غير التجسس أو العمليات شبه العسكرية وليس لاسمائهم وجود على أية لائحة من لوائح المدفوعات حتى اضطر كايسي رئيس المخابرات الذي توفي اثر «جلطة دماغية» أصابته بعد طلبه للتحقيق معه حول دوره في فضيحة ايران غيت ١٩٨٧ اضطر الى ايقاف محاولات وضع لوائح دقيقة عن اسماء «منتسبي» المخابرات الامريكية لأن هذه المحاولات تهدد أمن عمليات المخابرات مع أن نفس المسؤولين في المخابرات أجابوه أنهم عاجزون عن دفع اللوائح المطلوبة ومع اصرار لجنة الكونغرس على طلب هذه اللوائح فقد وضعت بعد تحقيقات عديدة وتضمنت اسماء عدة مئات من اساتذة الجامعات والاداريين التابعين لاكثر من مائة جامعة؟ لكن الموظفين الذين وضعوا هذه اللوائح كانوا يعرفون أن عملهم غير كامل لأنه لم يمض بضعة أسابيع على نشر هذه اللوائح حتى كشفت الصحافة عن شبكات أخرى تعمل في اهم مراكز التعليم العالي دون أن يرد ذكرها في اللوائح.

ولا يتعلق الامر بالاشخاص فقط فالمخابرات الامريكية لم تستطع حتى الآن وضع قائمة كاملة بعدد الطائرات التي تستخدمها شركات الطيران التابعة لها ولا لوائح باسماء الموظفين العاملين في هذه الشركات ولعل ما يثير الانتباه في هذا الموضوع أن مؤسسة واحدة مثل «باسيفيك كوربوديشن» تشرف على شركة الطيران الامريكية وشركة الطيران الآسيوية التي يعمل بها ٢٠ ألف مستخدم أي اكثر قليلاً من العدد المسموح به المخابرات الامريكية وقد كانت نشاطات هذه المؤسسة المهمة خلال سنوات عديدة خاضعة لاحد العملاء المتعاقدين الذي قُبل فيما بعد في عداد الموظفين ذويّ المراتب العليا خلال تلك الفترة كانت ادارة المؤسسة من اختصاص مفتش واحد في المخابرات وكان يشكو من عدم امكانه «معرفة ما يجري فيها» كما أن احصاء الموظفين كان يبدو مستحيلاً لأية لجنة كذلك كانت الارقام المسجلة في ميزانية المخابرات لا تعطي فكرة صحيحة عن انفاقها الحقيقي أما الشركات التي تملكها فهي في رأيها مؤسسات اقتصادية تمد لها يد المساعدة دون مقابل؟ والواقع ان شركات الطيران التابعة لها والتي سجلت ارباحاً كبيرة إما من عمليات نقل الركاب العادية وإما من اعادة توظيف أرباحها، أصبحت مواردها اليوم

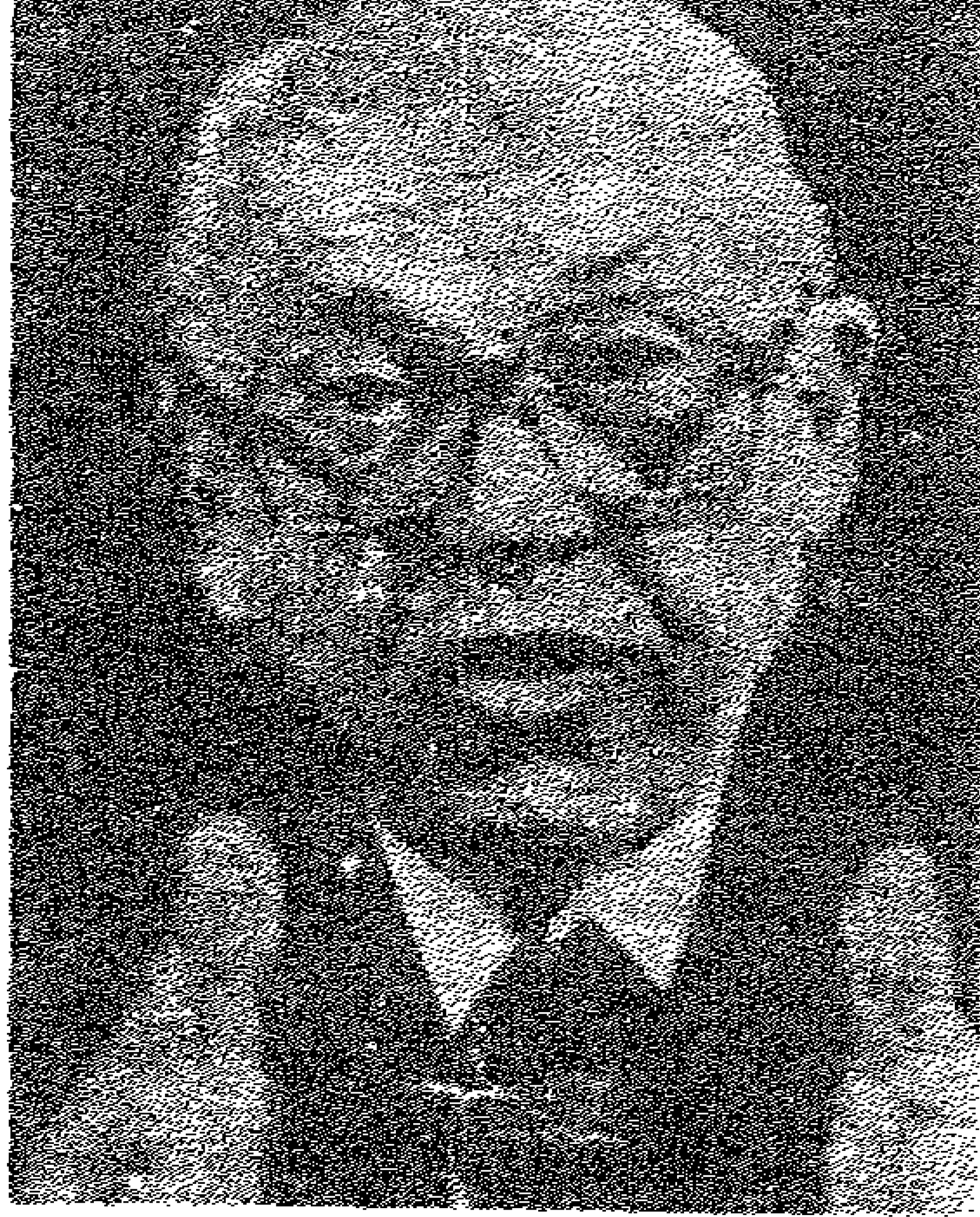
واشنطون والمخابرات الامريكية تمنع سترات واقية من الرصاص عن سوريا

نشرت مجلة ديرشبيغل الالمانية الغربية أن المخابرات الامريكية تدخلت ومنعت مؤسسة «مهد» في مدينة فولدا من بيع سوريا خمسين الف سترة واقية من الرصاص في نهاية عام ١٩٨٥ بعد أن وافقت حكومة بون في المانيا الغربية على هذه الصفقة وللدلالة على حقد هذه المخابرات فقد أوعزت الى وزير التجارة الامريكي الذي تدخل باسمها لمنع تصدير هذه المعدات حسب ادعائه الى دولة «معادية» للولايات المتحدة نظراً لأن الانسجة المستعملة في صناعة الستر الواقية من الرصاص هي من انتاج شركة «دوبون» الامريكية وأبدى وزير التجارة الامريكية أن بلاده على استعداد لشراء هذه السترات التي أنتجتها الشركة لصالح سوريا واستعادة الانسجة التي لم تستعمل وذلك لانقاذ المؤسسة الالمانية من الافلاس.

تحسب بعشرات ملايين الدولارات «لكن لا احد يعرف أرباحها الحقيقية»؟ لأن محاسبي ومفتشي حسابات المخابرات نفسها لا يطلبون من المؤسسة عادة تقديم تقارير مفصلة عن اعمالها ونشاطاتها. عملياً لأن الفروع الاقتصادية للمخابرات



ـ ريغان . .
أعلن الحرب على الصحافة الامريكية



وليام كايسي ـ رئيس المخابرات الامريكية . .
الذي هدد بوضع الصحفيين الامريكيين بالسجن

ومؤسسة باسيفيك منها مسؤولة «ذاتياً» عن ميزانيتها. وهذه هي المخابرات الامريكية في ماضيها وحاضرها مثلما تخفي الجرائم التي ترتكبها والمؤامرات أيضاً تخفي نشاطها في تعاملها مع الشركات والمؤسسات وحتى الجامعات. . . إنها المخابرات الامريكية.

اعلان الحرب بين الرئيس ريغان والمخابرات الامريكية من جهة والصحافة الامريكية.

الحرب العلنية . . حول المعلومات السرية

● نشرت صحيفة «واشنطون بوست» في عددها الصادر في: ١٢/٠٦/ ١٩٨٣ مقالاً بعنوان (هذا الرئيس يريد أن يفرض علينا الصمت بواسطة الرقابة).

أي قبل اكثر من ثلاث سنوات وكان الرئيس الامريكي ريغان لايزال في بداية السنة الثالثة من رئاسته وكان المقال تعليقاً على مرسوم اصدره ريغان «للحد» من نشر الصحف الامريكية المعلومات التي تتعلق بالمخابرات واعمالها.

وقتها كانت قضية الرقابة التي اخذت صحف ريغان تفرضها شيئاً فشيئاً على حرية المعلومات وعلى «حرية الصحافة» في المجتمع الامريكي الذي يعتقد أنه يتمتع بين شعوب العالم بالدرجة القصوى من هذه الحرية قد تحولت الى هاجس كبير للامريكيين ابتداء من ريغان نفسه الذي ازعجته كثيراً مشكلة «تسرب» أسرار الدولة الى الصحافة ثم الى المواطن العادي الذي أخذ يشعر بأنه يغوص تدريجياً تحت اغطية كثيفة من الرقابة.. بينما تطلق المؤسسة الحاكمة لنفسها العنان لاستخدام اخطر اساليب التكنولوجيا الحديثة في التجسس على الافراد والجماعات.

من وقتها ولاتزال تتفاقم مشكلة الصدام بين حرية المؤسسة الحاكمة في التجسس على الحياة الشخصية للامريكي العادي بواسطة الاجهزة الالكترونية.. وحرية الصحافة الامريكية في نشر المعلومات التي تتعلق بحياة الامريكيين وامنهم ومعيشتهم وضرائبهم.؟ ومن المعروف أن كاتب مقال الـ «واشنطون بوست» قبل ثلاث سنوات هو فرانك سنيب الذي كان يشغل منصب كبير المحللين الاستراتيجيين في المخابرات الامريكية وقد نشر بعد تركه العمل في المخابرات الامريكية كتاباً بعنوان (فترة فاصلة) انتقد فيه بشدة الدور الامريكي في الفترة الاخيرة من حرب فيتنام وقد اقامت الحكومة الامريكية بواسطة مكتب قضايا الدولة القضائي وبايعاز وضغط من المخابرات دعوى قضائية ضده لأنه لم يقدم مخطوطة كتابه الى المخابرات الامريكية لاخذ أذنها قبل النشر فقررت المحكمة الزامه بدفع مبلغ ٢٠٠ الف دولار هي قيمة ما كسبه من نشر الكتاب «للحكومة» في حينه ولذلك صرحت ادارة «واشنطون بوست» عندما نشرت المقال موضوع هذا البحث على أن تذكر في هامش المقال أنها حصلت على اذن المخابرات الامريكية بنشره وذلك احتياطاً من ردّ الفعل لدى هذه المخابرات.

واليوم التاريخ يعيد نفسه بعد مضي حوالي اربع سنوات فتجد الصحف الامريكية الآتية:

- واشنطون بوست.

- مجلة «نيوزويك».
- صحيفة «نيويورك تايمز».
- صحيفة «لوس أنجلوس تايمز».

بالاضافة الى شبكة تلفزيون «إن. بي. سي» في قلب العاصفة التي شنها وليام كيسي مدير المخابرات الامريكية ضد الصحافة الامريكية متهماً اياها بالخيانة العظمى . . . وبالتجسس (قبل وفاته). فقد طلب كيسي من وزارة العدل الامريكية اقامة الدعوى ضد شبكة تلفزيون «إن. بي. سي» لأنها اذاعة قصة اخبارية عن الامريكي رونالد بلتون المتهم بالتجسس لحساب المخابرات السوفييتية (K. G. B) تضمنت معلومات سرية عن المعلومات التي تسربت الى السوفييت بسبب نشاط بلتون لأن هذه المعلومات حساسة جداً وفي ذلك الوقت بدا أن كيسي قد اكثر من تهديداته للصحافة والصحافيين الامريكيين فاعتقدت صحيفة واشنطون بوست أن بامكانها وفي زحمة المعركة الحارة أن تنشر روايتها الخاصة عن نشاطات وتجسس بلتون والمعلومات التي نقلها للمخابرات السوفييتية خاصة عن الاجهزة الالكترونية الحديثة «في الغواصات الامريكية» وهي رواية تفوق في تفصيلاتها كثيراً عما اذاعته محطة التلفزيون «المدعى عليها» ولهذا اعلنت الصحيفة انها تعتزم نشر ما لديها من معلومات في هذه القضية على الرغم من تهديدات كيسي وبعدما حجبتها عن النشر عدة اسابيع فسبقتها اليها شبكة التلفزيون «إن. بي. سي» وقد اثارت عصبية وتهديد كيسي بالنسبة لهذه القضية بالذات كثيراً من التساؤلات مثلاً: ما هو الخطر في أن يعرف المواطن الامريكي معلومات اصبحت في حوزة المخابرات السوفييتية بالفعل؟ والتساؤل الآخر: هل كان كيسي يعتزم وبتوجيه من الرئيس ريغان «لجم الصحافة الامريكية» لابقاء الرأي العام الامريكي في الظلام فيما يتعلق باخطار وأخطاء سياسة هذه الحكومة. والتساؤل الاخير: هل تكسب المخابرات الامريكية المعركة ضد الصحافة أم تكسبها الصحافة؟.

ويبدو أن كل هذه التساؤلات بعيدة كثيراً عن قلب الموضوع ويعرف الصحافيون الامريكيون خصوصاً في واشنطون بوست أن ريغان الذي جاء معه الى الرئاسة بأكبر مجموعة من القوانين المقيدة لحرية الصحافة يشعر أن بينه وبين الصحافة «ثأراً» منذ أن تسربت الى قصره البيت الابيض وتجرأت على نشر معلومات عن خطط الحكومة الامريكية لشن الهجوم العسكري على الجماهيرية

وإن ريغـان قد قرر أن يأخـذ بنصيحة مدير مخابراته كيسي بأن يلقي اللوم على الصحافة الامريكية في فشل الهجوم العسكري على ليبيا عسكرياً وسياسياً[1] ولكي لا يبدو هذا الغرض سافراً تماماً فإن انتقاد البيت الابيض والبنتاغون «وزارة الدفاع الامريكية» للصحافة الامريكية واعتبارها مسؤولة عن قتل عامل المفاجأة في الهجوم العسكري على الجماهيرية وبالتالي فشل الهجوم جاء ضمن اتهامات وانتقادات اخرى كثيرة وعندما جاءت قصة الجاسوس بلتون وتجرأت الواشنطون بوست على تحدي رغبة كيسي في ابعادها عن معرفة الرأي العام الامريكي كانت هذه احسن فرصة للانتقام. وعندما ابدى الصحافيون الامريكيون انزعاجهم من هذه السياسة الجديدة التي ترمي الى «تخويفهم» من تهمة الخيانة والتجسس واحتمال تقديمهم الى القضـاء وفقـاً لقـوانين كانت قد اصبحت منسية منـذ زمن طويل كمـا صرح المسؤولون في حكومة ريغان أن مناقشة مسألة تقديم المؤسسات الصحافية الى القضاء بتهمة إفشاء أسرار بالغة الحساسية لأمن الدولة حدثت مرات عديدة خلال الخمس وعشرين سنة الماضية لكنهم اعترفوا في الوقت نفسه بأن المناقشة اسفرت في كل المرات السابقة عن الاحجام عن تقديم المؤسسات الصحفية للمحاكمة لسببين:

١ ـ تعرض الحكومة لضغوط سياسية باتجاه معارضة مثل هذا الاجراء ـ وهو الارجح. .

٢ ـ الخـوف من أن يؤدي نظر هذه الـدعـاوى أمـام القضـاء الى تأكيد صحة المعلومات التي نشرتها الصحافة. وهو ما لا تريده الحكومة قطعاً.

في الـوقت نفسـه صرح هوارد سيمـونز مدير مؤسسة نيمان للصحافة في هارفارد أن القرارات التي تتخذها الصحف بشأن نشر مقالات تتعلق بالامن القومي تتخذ عادة بعد مشاورات خاصة تجري مع المسؤولين في الحكومة «المخابرات» وشرح سيمونز كيف أنه في مثل هذه الحالات كان يتم في سرية تامة «استدعاء» مدير التحرير في أي صحيفة أو مجلة الى مقر المخابرات الامريكية أو حتى الى

---

(١) تحقق ما سبق ان حذرت منه الأخوة في ليبيا بعدة مواضيع صحفية بعنوان «على الجماهيرية اليقظة» وذلـك بقيام الطائرات الامريكية بهجوم وحشي على الجماهيرية وبمسـاعدة من تاتشر ذات الوجه البريطاني المعادي وكان هذا الهجوم يستهدف العقيد القذافي لكن الله سلم. . .

البيت الابيض ويتم اطلاعه على مدى الضرر الذي يمكـن أن يسببه نشر ذلك الموضوع ويترك له المجال بعد ذلك لاتخاذ قراره فاذا قام بالنشر رغم هذا التحذير فسوف يكلفه ذلك الكثير.

وقـد اظهرت التحقيقات في المعلومات التي نشرت عن نشاط الجاسوس بلتون أن صحيفة نيويورك تايمز كانت قد نشرت في عام ١٩٧٥ «أي قبل حوالي اثني عشر سنة» من قضية بلتون مقالاً عن «الحجر المقدس» تناولت فيه بكثير من التفصيل ما يشير اليه هذا الاسم بالشيفرة.. وهو اسم برنامج امريكي للتجسس على الموانيء السوفييتية بواسطة الغواصات.. وتضمنت المعلومات التي نشرتها «نيويورك تايمز» في ذلك الوقت الحوادث الخطيرة التي واكبت تنفيذ هذا البرنامج التجسسي ومنهـا اصـطدام بعض الغـواصـات الامريكية اثناء ممارستها للنشاط التجسسي بسفن سوفييتية وحصلت بعض النجاحات التي حققها هذا البرنامج ومنها التقاط الرسائل التي تبعث بها القطع البحرية السوفييتية من تحت الماء من خلال اجهـزة الاتصـال العسكـرية. لهذا فإن الصحافة الامريكية في هذه المعركة مع المخابرات الامريكية لم تأخذ بجدية الاتهام ضد شبكة تلفزيون «إن. بي. سي» أو ضد صحيفة «واشنطون بوست» بالحاق الضرر بالامن القومي الامريكي. وأثار بعض الصحـافيين أنـه الى جانب المحـاولة الرسمية للتغطية على فشل الهجوم العسكـري على الجماهيرية هناك رغبة مدير المخابرات الامريكية كيسي في رد الاعتبـار الى مخابراته بعد فضيحة «يورتشنكو» رجل المخابرات السوفييتية الفذ الـذي تمكن من خداع المخـابـرات الامـريكية فمثـل دور الهارب من الاتحاد السوفييتي الى الولايات المتحدة.. وتمكن خلال وجوده في الولايات المتحدة من الاطـلاع على الكثير من اسـرار الـ «سي. آي. إي» لاسيمـا في مجـال جذب المنشقين السـوفييت وكيفية استغـلالهم في الحصـول منهم على معلومـات عن الاتحاد السوفييتي وبعد ما أتم يورتشنكو[1] مهمته افلت من بين يدي المخابرات الامريكية وعاد الى بلاده سالماً غانماً. يضاف الى ذلك اتهاماً موجهاً من الصحافة الى كيسي بأنه يريد من وراء حملته على الصحافة تبرير القرار الذي اتخذه ريغان

---

(١) راجع الفصل الكامل عن عملية هروب يورتشنكو للغرب وعودته إلى الاتحاد السوفييتي في فصل المخابرات السوفييتية (K. G. B) في هذا الكتاب...

باستخدام اجهزة كشف الكذب على نطاق واسع في الاجهزة الحكومية كافة من أجل الحدّ من تسرب المعلومات وقد اتهمت الصحافة الامريكية «وهو اخطر اتهام مضاد» الرئيس ريغان ومدير مخابراته كيسي بأنهما مصدر معظم المعلومات التي تتسرب «من فوق» الى عدد من الصحافيين الامريكيين من أجل اغراض سياسة معينة تخدم هذا الطرف أو ذاك في لعبة الصراع السياسي لحكومة ريغان وقد ذكرت الصحف كنموذج لتسريب مثل هذه المعلومات المقصودة المعلومات التي سُربت عن الفضـائح الشخصية للسناتور «دورنبرغ» رئيس لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ. والواقع ان اتهام ريغان وكيسي بتسريب المعلومات قد عرضهما للخطر رغم أن كيسي هو اكثر المتحمسين عصبية لفكرة تقديم الصحافيين الى المحاكم والزج بهم في السجن وقد علم اخيراً أن مكتب التحقيقات الفيدرالي هو الذي أوعز أو شارك الصحافة في الاتهام بأن المعلومات تتسرب «من فوق» وهكذا تتضاعف الاتهامات وتتشابك ويظهر أن المسألة في جانب منها على الاقل تمثل عودة الصراع القديم الطويل بين جهازي المخابرات والتحقيقات هذين الجهازين الاخطبوطين اللذين يلعبات اخطر الادوار في لجم حريات الامريكيين وقد دار الصراع بينهما دائماً حول:

- أيهما أنجح في اداء دوره. وأيهما تعرض لفضائح اكثر واخطر خلال ممارسته لهذا الدور.
- تحديد الحدود الفاصلة بين المجالات الخارجية وهي ميدان عمل المخابرات والمجالات الداخلية. وهي مجال عمل مكتب التحقيقات الفيدرالي.
- ما ينبغي تبادله وما لا ينبغي تبادله من معلومات بين الوكالتين.

ولقد كانت اخطر فترات الصراع بين المخابرات الامريكية والمباحث العامة (إف. بي. آي) هي فتـرة فضيحـة ووتـرغيت التي لعبت فيهـا الوكالتان دورين متكـاملين وأحياناً متصارعين في التغطية على جرائم.. نيكسون وعندما افتضح الدوران تسارعت الوكالتان في البحث عن الكيفية التي يمكن فيها لكل منهما أن تقـدم ادلـة الادانـة ضد الاخـرى. وعلى أية حال فإن نفـوذ الوكالتين والدورين الخطرين اللذين تلعبانهما في الحياة السياسية الامريكية قد مكّن المسؤولين فيهما دائماً من الافلات من المساءلة ومن الاتهامات.. وبالتالي من أي محاسبة قانونية. وقد استند مدير المخابرات كيسي في الحرب التي اعلنها ضد الصحافة على قانون

امريكي لا يذكر احد أنه سبق أن وضع موضع التنفيذ منذ صدروه عام ١٩٥٠ وهو قانـون يحرم نشر نشاطات المخابرات المتعلقة بالاتصالات ومن الامثلة على ما يحرم هذا القانون نشره. الكشف عن تمكن الاجهزة الامريكية للتجسس من نشر نص الشيفرة السرية التي تستخدمها دولة اخرى.

وقد تنبه قليلون من اعضاء الكونغرس الى خطورة الحرب بين المخابرات الامريكية والصحافة التي اعلنها كيسي على الصحافة بحجة تسريب المعلومات ومن هؤلاء السناتور باتريك ليهي نائب رئيس لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ وقد اتخذ بوضوح جانب الصحافة في المناقشة التي درات حول هذه القضية وقال إن حكومة ريغان تهاجم الصحافة وليس سبب المشكلة تسريب المعلومات كمثل المنخـل حتى وجـدت الصحـافـة الامـريكية نفسها بين نارين لأنه عندما تكون الحكـومـة مؤيدة تأييداً قاطعاً لسياسة ما فإنه لا تصدر عنها أي شكوى كتسريب المعلومات السرية الى الصحافة اذا كان تسريبها يخدم هذه السياسة فإننا لن نجد أبـداً أي رئيس مخابرات يوعز باقامة دعوى بسبب تسريب معلومات هي لصالح الحكومة. غير أنه هناك ثمة حالات تطلب فيها الحكومة الامريكية من الصحافة نشر معلومات معينة ولكن وإن يكون هذا الطلب صحيحاً أي أن الحكومة تلجأ الى اسلوب التسريب لخدمة غرض معين ولصالحها.

تسريب خبر مقصود من البيت الابيض يقصد تخويف سوريا:

وإذا راجعنا التسريبات التي صدرت عن البيت الابيض منذ عام ١٩٨٣ (عام بدء الحرب بين الصحافة والحكومة والمخابرات الامريكية) ووقفنا عند أشهر هذه التسريبات لعرضها على القاريء:

بتاريخ ١٢ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٨٣ سربت الحكومة الامريكية (حكومة ريغـان) الى شبكة تلفزيون (H. R. B) والى صحيفة واشنطون بوست بالذات عن طريق «مصادر مسؤولة في البيت الابيض» نبأ مفاده أن ريغان قد اصدر تعليماته الى قادة قوات المارينز في بيروت بأن يطلبوا تدخل السلاح الجوي الامريكي للاغارة على أي موقع تصدر منه النيران الموجهة الى مواقعهم في لبنان (في حينه). وقد تبين أن المسؤولين في حكومة ريغان «أرادوا» من نشر هذا النبأ أن يكون «رادعاً

لسـوريا» بحيث تبـدي قدراً كافياً من ضبط النفس اذا ما عرفت أنها ستتعرض[1] لغارات من طائرات سلاح الجو الامريكي.

وقد افاد مسؤولو البيت الابيض فيما بعد الى لجنة الكونغرس بأن الهدف من تسـريب هذا النبـأ الكـاذب كان حمـاية ارواح جنود المارينز الى أن حان موعد انسحـابهم. وذلـك لأن قوى أخـرى في حكومة ريغان وعلى رأسها كيسي مدير المخابرات ووليام كلارك مستشار ريغان لشؤون الامن القومي آنذاك اقنعوا ريغان بضرورة اجراء تحقيق بين افراد طاقم البيت الابيض في شأن تسريب هذا النبأ الذي جعـل سوريا تبدي استيائها منه بل وإن رد فعل تسريب هذا النبأ جاء عكس ما ارادوا. وفعلاً انتقل عدد من محققي مكتب التحقيقات الفدرالي الى البيت الابيض واستجوبوا بصمت عدد من المسؤولين عن الاعلام هناك بدون أن يسفر التحقيق عن أي نتيجة (. . .)» وقد عاد كيسي مرة اخرى الى خوض المعركة ذاتها وقد صرح معظم الصحفيين أنه لم يتضح لهم بأن كيسي كان يريد «تهويشهم» فقط. . أم أنـه كان جاداً في محـاولـة دفـع بعضهم الى دخول السجن. أما لماذا يفتقر الصحـافيون الامـريكيون الى الوضوح في رؤية الهدف من معركة حكومة ريغان ضـدهم فلأنهـم يفتقـرون الى وضـوح الـرؤيا بشكـل عام. إنهم يصدقون أن الصحـافـة الامريكية «حرة» مع أنهم أول من يمارُس تقييدها لمصلحة المؤسسة الحـاكمـة. ويتعلقون بأوهام كثيرة عن حريتهم في التعبير عما يعتقدون ونشر ما يعرفون مع أنهم أول من يدري كيف تمارس لعبة التسريب لمصالح لا علاقة لها مطلقـاً بحـرية الـرأي العـام الامـريكي ولا في حقـه بأن يعـرف كل شيء. إن الصحافيون في النهاية يستحقون ما تفعله حكومة ريغان بهم بعدما فعلت الصحافة كل ما فعلت لتعبيد طريق ريغان للعدوان على ليبيا وقبل ذلك الى غزو غرينادا وقبل ذلك ولسنوات طويلة وضع الرأي العام الامريكي في الظلام فيما يتعلق باسرائيل المعتدية وسياستها وجواسيسها وحروبها ضد العرب. إن الصحافة الامريكية جَنت ما زرعت لأنها أول من فرض الرقابة على المعلومات وعلى الآراء التي لا تتفق مع

(١) هكذا الغباء في الاعلام الاستخباري في البيت الأبيض فقد اعتقدوا انه بتسريب مثل هذا الخبر سيجعل سوريا تتراجع عن مواقفها المعلنة على لسان رئيسها الفريق حافظ الأسد. كما ان العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري رد لهم الصاع صاعين باعلانه عن تشكيل الكاميكاز العربي مما عجّل ايضاً بانسحاب جميع قوات المارينز المحتلة من لبنان. . .

رؤيتهـا. . . وليس لها أن تشكو اذا مارست الحكومة الامريكية السياسة نفسها. والصحافيون الامريكيون يستحقون ما جرى لهم على يدي رونالد ريغان لأنهم هم الذين اطالوا له اظافره وهم الذين اطلقوا عليه لقب «الاعلامي الاعظم» فليتحملوا النتائج . . .

اسماء زعماء من العالم المرتبطين بالمخابرات الامريكية:

● تساءلت اوساط الحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيا الغربية لماذا سلطت النيران الامـريكية مجـدداً على رئيس الحـزب ويلي برانت؟ وأتى هذا التساؤل بعد ما نشر في الولايات المتحدة عن قبض برانت للاموال من المخابرات الامريكية وعن تعاونه مع هذه المخابرات منذ فترة طويلة فالمعروف في بون أن جميع السياسيين في المـانيا الغـربية قد تعـاونوا بعد الحرب العالمية الثانية مع الـولايات المتحـدة بشكل رئيسي وكذلك مع بريطانيا ومع فرنسا ولا يوجد حزب يستطيع أن يوجه أي انتقاد الى حزب آخر في هذا المجال. ذلك أن الوضع الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية والانشطار العميق الذي حققته مناطق الاحتلال ومن ثم اقـامة الدولتين الالمانيتين جعل تعاون الساسة الالمان مع الولايات المتحدة وأجهـزتها من الامور اليومية المألوفة وحتى فضيحة طائرات لوكهيد الخطيرة التي القت ظلالهـا على صفقـة طائـرات ستاد فايشر المعروفة في المانيا الغربية هذه الطائرات التي سميت بـ (مرملة النساء) لكثرة حوادثها هذه الصفقة التي مست نزاهة وزير الدفاع الالماني الاسبق وزعيم حزب الاتحاد الاجتماعي المسيحي فرانتس جوزيف شتراوس وحتى هذه الفضيحة لم تجد الاحزاب أنه في مصلحتها جعلها قضية عامة أو مادة مثيرة من الانتخابات.

وصلة ويلي برانت بالولايات المتحدة الامريكية ليست جديدة ولا سريّة منذ وقت بعيد وبلغ من «شرعية» هذه الصلة أن البيت الابيض وكان يشغله كارتر دعا الى المـأدبـة التي اقـامهـا على شرفـه «الـرجل. ؟» الذي كان صلة الوصل بين المخـابـرات الامريكية وبين المستشار ويلي برانت لسنوات طويلة. جلس هذا الرجل؟ الى جانب برانت على المأدبة بدون أن يوضع اسمه على مقعده أو توضع بطاقـة امام صحنه كما يقضي البروتوكول في البيت الابيض ولم تتعرف المغنية

المشهورة «بيرل بيلي» التي كانت تجلس الى يمين برانت على شخصية هذا الرجل (المجهول) كما أنه لم يكن خافياً على السلطات الامريكية أن اسم ويلي برانت كان وارداً بين اسماء عشرات من ساسة العالم الذين كانوا على صلة مع المخابرات الامريكية.

عميل للمخابرات الامريكية يسطو على دار للنشر:

بتاريخ ١٢ آذار (مارس) ١٩٧٧ سطت المخابرات الامريكية بواسطة المدعو روبرت لوهمان أحد عملائها على احدى دور النشر في نيويورك وأخذت منها مخطوطة كتاب وضعه فيكتور مارشيتي الموظف السابق في المخابرات الامريكية عن تجاربه ومعلوماته في داخل هذه المخابرات اثناء عمله بها.

هذه المخطوطة كانت تضم فيما تضمه من المعلومات اسماء عدد كبير من ساسة العالم ممن كانوا على صلة بالمخابرات الامريكية وقبضوا منها الاموال الطائلة وكان من بين هذه الاسماء:

١ - الحكومة الاسرائيلية.
٢ - ويلي برانت. (مستشار المانيا الغربية السابق).
٣ - شيانغ كاي شيك.
٤ - سنغمان ري.
٥ - نغويين ديم.
٦ - الدالاي لاما.
٧ - ماغا ياساي (رئيس الفلبين السابق).
٨ - الجنرال سيرجانوند (رئيس البوليس في تايلاند).
٩ - لون نول.
١٠ - فان تيو.
١١ - هولدن روبرتو (انغولا).
١٢ - الماركسي الامريكي اللاتيني فوريس بورنهام.
١٣ - أتشيغير (رئيس المكسيك السابق).
١٤ - بيريس (رئيس فنزويلا السابق).

ومن الظاهر أن هذه الاسماء نفسها هيَ التي ارادت المخابرات الامريكية كشفها دون غيرها وفي مقدمتها الحكومة الاسرائيلية بالطبع ومن ورائها مخابراتها وكانت المخطوطة تقول أن المخابرات الامريكية قد ساعدت ويلي برانت مالياً منذ سنوات الخمسينات. أما بالنسبة للمخطوطة فقد استصدرت المخابرات الامريكية «حكماً» يمنع نشر ٣٣٩ مقطعاً ويمكن أن يكون المقطع سطراً أو جملة أو صفحة من المخطوطة بينها كل ما يتعلق بويلي برانت ثم استطاعت المخابرات الامريكية شطب ١٧١ مقطعاً آخر من المخطوطة قبل أن توافق مبدئياً على نشر مخطوطة مارشيتي. أي أن المخابرات الامريكية استطاعت أن «تمنع» نشر أو تسرب أية معلومات حول علاقة ويلي برانت بها حتى نهاية عام ١٩٧٨ فلماذا اذاً حجبت المعلومات ثم عادت وسربتها للنشر كما هو ظاهر من هذا الفصل. إن بعض الاوساط التي تقف الى جانب الجناح اليميني داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي ترى أن لهذا النشر علاقة بعودة ويلي برانت الى العمل السياسي النشيط بعد أن أرغمته قضية سكرتيره الخاص (غونترغيوم) الذي القي القبض عليه بجريمة التجسس لصالح برلين الشرقية مما اضطر المستشار ويلي برانت الى الاستقالة من منصبه والركون الى عزلة نسبية في منزله بعد أن تحمل مسؤولية الاهمال فيما يتعلق بتجسس غونتر(١) وتقول هذه الاوساط أن واشنطون لا تنظر بعين الارتياح الى احتمال عودة برانت وهو رئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي «الى الحكم» مستشاراً اتحادياً لالمانيا الغربية مرة ثانية لأن واشنطون لا تنسى بأن برانت الذي بدأ حياته السياسية في النرويج «بتقديم التقارير» الى المخابرات الامريكية في السفارة الامريكية عن الاوضاع السياسية في المانيا الهتلرية وعن اتجاهات الجماعات المعارضة لهتلر، وهو الذي قاد السياسة الشرقية التي ادت الى عقد سلسلة من الاتفاقيات بين المانيا الاتحادية والبلدان الاشتراكية «ثبتت» نتائج الحرب العالمية الثانية واعترفت بها، وأنه هو ايضاً الذي حاول مع بومبيدو تحويل أوربا الغربية الى قوة مستقلة عن امريكا تكون عامل توازن بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة.

وقد دهش ويلي برانت من اقدام الولايات المتحدة على فتح صفحات

(١) راجع قصة تجسس غونتر غيوم في الصفحات ٣٧٧ إلى ٣٨٢ من كتاب المخابرات والعالم - الجزء الأول هذا التجسس الذي أدى إلى اعتذار المستر بريجنيف في الكرملين من المستشار ويلي برانت واكد له انه ليس له علم بتجسسه . . .

ماضية عندما كان لاجئاً في النرويج ثم عندما كان محافظاً لبرلين الغربية أيام أزمة الحرب الباردة بين الشرق والغرب لذلك ارسل على عجل صديقه وموضع سره ايغون بار مستشار الحزب الاشتراكي الديمقراطي الى واشنطون لاجراء الاتصالات اللازمة. وبار نفسه كان يعمل أيام الحرب الباردة معلقاً في محطة الاذاعة الامريكية في برلين الغربية المعروفة باسم (رياس) وحمل بار رسالة من برانت الى البيت الابيض يرجو فيها الرئيس كارتر شخصياً الايعاز للمخابرات الامريكية من أجل تصفية الموقف وتخفيف الضغط عن كاهله. وقد كتب كارتر في حينه الى برانت يقول: «كان بودي لو أنني كنت قادراً على منع هذه الاتهامات غير المستندة الى اساس منذ البداية ولكن هذا هو ثمن مكانتنا السياسية نحن الاثنين المرتبطين به والذي علينا أن ندفعه». وهكذا تنصل كارتر الذي كان يعتبر في حينه كأي رئيس امريكي هو الرئيس الفعلي للمخابرات الامريكية من مساعدة «عميل قديم» لهم في وقت محنتــه ممــا تسبب في عدم عودة ويلي برانت الى الـواجهـة السياسية والمستشـارية مرة ثانية لأن الصحف الالمانية الغربية وعلى رأسها ـ دير شبيغل ـ نشرت صوراً للتقارير التي كان ويلي برانت يقدمها الى الامريكيين وتوصياته لهم باقامة علاقات مع زعماء عماليين لتهيئة مرحلة ما بعد هتلر. وعندما تخلى برانت عن مهجره النـرويجي كان أول عمـل قام به مرتبـطاً بممثلي الولايات المتحدة وبالمنظمات الموجهة والمدعومة من المخابرات الامريكية.

كيسنجر أصدر أمره بقلب نظام جكم الليندي

● فيكتـور ماركيتي احـد المسؤولين لمدة ١٤ سنة في المخابرات الامـريكية صرح بأن المخـابرات الامريكية تلقت أمراً من وزير الخارجية الامـريكية (في حينه) بالاطاحة بنظام حكم الرئيس سلفادور الليندي في شيلي وقال ماركيتي أيضاً أن المخابرات الامريكية أنفقت ٢٠ مليون دولار لمنع اللينيد من تولي الحكم وإن كيسنجر مسؤول أخلاقياً عن موت الليندي وعن عدة جرائم ارتكبتهـا المخـابـرات الامـريكية باسم شعب الـولايات المتحدة مثل اغتيال رافائيل تروخيلو في الدومينكان والرئيس ديم في فييتنام.

فصل خاص عن تدخل المخابرات الاميركية
في نيكاراغوا...





المخابرات والثورة في نيكاراغوا تصدّ مؤامرة المخابرات الامريكية:

في منتصف حزيران (يونيو) ١٩٨٥ تغلغلت قوات المرتزقة التي يقودها ضباط من المخابرات الامريكية وتسمى اختصاراً «ف. د. ن» عميقاً داخل أراضي نيكاراغوا في محافظة ريوسان خوان على امتداد نهر ماخوكا وفي منطقة اغواس فريسكاس وعلى بعد ١٧ كيلو متراً الى الجنوب الغربي من أيل كاستيلو وقد تصدت لهذه القوات شرطة الحدود في نيكاراغوا المدربة تدريباً حسناً بالاضافة الى الجيش الساندينى وحملت هذه العملية اسم «السيادة» وأيضاً دفعت نيكاراغوا بقواتها الخاصة بالتغلغل داخل الغابات لمدة اسبوع وعلى امتداد النهر لمواجهة وحدات المرتزقة التي ظهر أنها احتشدت في منطقتي بوكادي سان وبوكادي ريو الواقعتين على مقربة من الحدود. وفي هذه العملية الكبيرة افلحت القوات الساندينية في محاصرة قوات المرتزقة المعادية وضربت قوات ومراكز الاسناد المتمركزة خارج الحدود بالمدفعية فخلال يومين من المعارك المكثفة قتلت واصابت القوات الساندينية حوالي ٢٠٠ مرتزق كما ارغمت ٥٠٠ آخرين على الهرب باتجاه كوستاريكا بالاضافة الى ١١٢ أسيراً جرى اعتقالهم خلال هذه العملية أما خسائر

قوات الثورة النيكاراغوية فكانت ٧ قتلى و ٣٣ جريحاً.

وفي المؤتمر الصحفي الذي جرى عقده في «ماناغوا» تم عرض الاسرى كما شاهد الصحافيون والمراسلون الاجانب الاسلحة التي تركها المرتزقة وراءهم ومنها بنادق A K صينية وألغام من نوع كلايمور وقنابل و M 7 ومدافع ميدان بالاضافة الى الاسلحة التي استخدمها جنود البحرية الامريكيون خلال غزوهم لغرانادا ومن ضمن الاجهزة الاخرى التي تم عرضها أيضاً أجهزة رادية للاتصال بالشيفرة من الجنس الذي يستخدمه عملاء المخابرات الامريكية مع مستشفى متنقل وضمنه غرفة للعمليات السريعة. وقد كشف ليوبولدو ريغاس نائب وزير الدفاع في نيكاراغوا والكابتن «ابوسكو ستينو» الذي قاد عملية «السيادة» ضد المرتزقة أن الخرائط التي تم الحصول عليها من الاسرى مكتوبة باللغة الانكليزية ومن وضع المخابرات الامريكية فمن الواضح أن المخابرات الامريكية هي التي تولت القيادة المباشرة لهذه العملية وإن المرتزقة والاسرى منهم ينتمون الى جنسيات مختلفة لأن الوثائق التي ضبطت معهم تشير الى أنهم جاؤوا من بورتوريكو وبنما وغواتيمالا.

وقد بذلت المخابرات الامريكية الكثير من الجهد لدفع المنظمات المضادّة للثورة الى التحالف وتنسيق عملياتها بل أن مصدراً في المخابرات الامريكية نفسها انتقد عمل المرتزقة وقال عنهم أنهم يقاتلون بطريقة صبيان الكشافة ولذلك عملت المخابرات على تولي القيادة بنفسها ومع ذلك انتهت كل عملياتها بالفشل.

وأكد ريغاس نائب وزير دفاع نيكاراغوا أن المرتزقة لن يغيّروا من تكتيكهم السابق فالمخابرات الامريكية مازالت ترفض فكرة التخطيط لعمليات واسعة منطلقة من مبدأ المجموعات الصغيرة وهو تكتيك تعلمته المخابرات الامريكية من المقاتلين الفيتناميين ومع ذلك فإن هدفها ايجاد قواعد كبيرة في كوستاريكا وهندوراس للقيام بهجوم كبير في الوقت المناسب وقد كان الهجوم على سان خوان جزءاً من خطة الهجوم الكبير حيث زجّت المخابرات الامريكية بأكثر من ٨٠٠ من المرتزقة في المعركة بهدف الانطلاق والنفاذ الى داخل نيكاراغوا لايجاد قاعدة يعلنون منها حكومتهم المؤقتة.

وعلى أية حال فقد فشل هذا الهجوم الذي وقع على منطقة معزولة تكاد تخلو من البشر وما من طرق أو جسور موصلة إليها وهي منطقة مستنقعات وغابات كثيفة وكانت الامدادات ترسل الى المرتزقة عن طريق الجو والبحر.

المخابرات النيكاراغوية تفضح أعمال وتدخّل المخابرات الامريكية :

حصلت المخابرات في نيكاراغوا على مجموعة من الوثائق والاعترافات من المرتزقة وضباطهم وعملاء المخابرات الامريكية فقامت القيادة الساندينية بتوزيعها على العديد من المؤسسات السياسية في العالم وعلى رأسها أمانة الامم المتحدة في نيويورك وهذه الوثائق تظهر بما لا يترك للشك مجالاً دور المخابرات الامريكية في قيادة قوات المرتزقة وتنظيم العمليات الحربية وأيضاً اشتراكها في عملية تنظيم قيادة «الجبهة الداخلية» التي ضمت رؤساء أحزاب وقادة نقابيين و «قس» وموظفين حكوميين ولم تترك القيادة الساندينية مجالاً للشك فقد نجحت المخابرات الساندينية في تصوير كل تفاصيل المؤامرة على شريط «فيديو» وأضيف الى هذا التسجيل وقائع المؤتمر الصيحفي حيث اعترض جميع المتآمرين على الوسائل التي تستخدمها المخابرات الامريكية في محاربة الثورة في نيكاراغوا. وكانت حكومة ماناغوا قد نبهت في العديد من المناسبات الى أن المخابرات الامريكية تحاول خلق جوّ من التوتر بين نيكاراغوا وكوستاريكا بالاضافة الى توفير قاعدة هجومية مضادة مشابهة لتلك القاعدة الموجودة في هندوراس. ولكن ليس كل ما تتمناه المخابرات الامريكية تدركه فقد «فقد» مرتزقة التحالف الديمقراطي الثوري الرغبة في القتال حسب تعبير احد قادتهم في كوستاريكا وكانت المخابرات الامريكية تجد صعوبة في العثور على الرجل الذي يحل محل «باستورا» في نفس الوقت الذي اشتدت فيه الخلافات داخل كوستاريكا نفسها بين اولئك الذين يدعمون المخططات الامريكية وأولئك الذين يطالبون بموقف محايد من الثورة في نيكاراغوا. ومن ناحية اخرى دفعت المخابرات الامريكية كوستاريكا الى اتخاذ موقف معاد من نيكاراغوا فقد رفضت كوستاريكا الاعتراف بأن المرتزقة ينطلقون من أراضيها للهجوم على أراضي نيكاراغوا وقالت ان الحكومة الساندينية تسعى لاثارة الحرب ضدها ومع ذلك اعترفت حكومة كوستاريكا أن عدد المرتزقة الموجودين فيها يبلغ الالف شخص. وهناك الجرحى المرتزقة الذين يعالجون في مستشفى كويسادا التابع للمخابرات الامريكية والذي يقع على بعد مئة كيلو متر الى شمال مدينة سان

خوزيه وثمة مراكز للصليب الاحمر التابع لكوستاريكا على طول الحدود مع نيكاراغوا. وتعتقد المصادر الساندينية أن عدد المرتزقة الموجودين في كوستاريكا والذين يتدربون للهجوم على نيكاراغو هو ما بين ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ مرتزق كما كشفت القيادة الساندينية خطة المخابرات الامريكية الرامية الى تكوين «جبهة داخلية» مكوّنة من الجناح اليميني في الحركة العمالية بالاضافة الى القادة السياسيين والدينيين تتولى هذه الجبهة استخدام العنف والتخريب الاقتصادي وقد نجحت مصادر الامن الساندينية (مديرية المخابرات الساندينية) في كشف تفاصيل هذه الخطة التي جرى ربطها بالهجوم الكبير للمرتزقة الذي فشل كما جرى اعتقال «بيدرو سانخيز» الذي يلقب بالسمكة وهو عميل المخابرات الامريكية الاول والمسؤول عن كل المؤامرات ضد نيكاراغوا وقد كشف بيدرو. في اعترافاته وامام المؤتمر الصحفي المار ذكره تورط قادة الحزب الديمقراطي المحافظ في العمل مع المخابرات الامريكية بهدف الاطاحة بالنظام الثوري في نيكاراغوا بالاضافة الى قس يعيش قريباً من ماناغوا وموظف كبير في محطة اذاعة ماناغوا وعدد من رجال الاعمال وبعض قادة اتحاد العمال النيكاراغوي وموظفين من شركة الباصات الحكومية.

كاميرا فيديو كشفت الجبهة المعادية التي نظمتها (سي. آي. إيه):

المخابرات الساندينية ضبطت مع السمكة اجهزة تفجير وقنابل وديناميت بالاضافة الى اجهزة لتزوير الوثائق كبطاقات اثبات الشخصية وجوازات السفر وشهادات قيادة السيارات كل ذلك بعد أن قامت المخابرات الساندينية بتصوير العديد من الاجتماعات التي حضرها الجميع بواسطة كاميرا فيديو نصبها عميل «مزدوج» في منزل السمكة وأهمها الاجتماع الخاص بين العميل السمكة والقس أمادوبنيا وكل الذين جرى اعتقالهم فيما بعد هم من المتورطين في هذه المؤامرة. وتقول مصادر المخابرات الساندينية التي تولت التحقيق مع بيدرو سانخيز «السمكة» أنه بدأ نشاطه المعادي منذ عام ١٩٨١ حيث جرى «تجنيده» من قبل المخابرات الامريكية وأنيطت اليه مهمة تكوين فريق يقوده هو مكوّن من ١٤ شخصاً

لخوض الحرب الداخلية السرية وكان من ضمن هؤلاء الاربعة عشر شخصاً سبعة من اتحاد عمال نيكاراغوا بالاضافة الى احد اقارب باستورا وقد طلبت المخابرات الامريكية من هؤلاء وبتكليف رسمي (اغتيال المدرسين الكوبيين) ولكن المجموعة لم تستطع قتل احد منهم ذلك لأنهم كانوا يقيمون في أماكن سرية بمعرفة الحكومة ولم يستطع أحد كشف مكان سكنهم حسب اعترافات السمكة. وكانت المخابرات



الكابتن سنتينو قاد العمليات ضد المرتزقة



بيدرو سانخيز «السمكة» عميل المخابرات الامريكية

الامريكية قد قررت «تفريغ» السمكة لقيادة «الجبهة الداخلية» لقاء راتب شهري قدره (٢٥ ألف دولار)[1] وقد قام بالفعل استئجار منزل فخم يقع بين ماناغوا وماسايا وقد اطلقت عليه المخابرات الامريكية لقب «القائد الوطني للجبهة الداخلية» وطلبت منه بدء العمل لتشكيل خلايا صغيرة مع دفع رواتب للمتطوعين وقد استدعي السمكة من قبل المخابرات الامريكية الى «نيغوسي غالبا» لتلقي دورة

(١) من هنا تظهر حاجة المخابرات الامريكية لتغطية نفقات عملياتها في نيكاراغوا للاستعانة بالمخابرات الاسرائيلية لتأمين هذه التغطية من أرباح صفقات الاسلحة التي سننشرها في الكتب القادمة بعد استكمال جمع الوثائق وترجمتها. . .

تدريبية عسكرية على استخدام المتفجرات وتكتيك حرب المدن وتخريب المنشآت الاقتصادية لكن المجموعة واجهت بعض الصعوبات فقد «سرق» السياسيون وقادة المرتزقة ومنهم بالطبع ضباط المخابرات الامريكية مبلغ الـ (٢١ مليون دولار) التي قدمتها رئاسة المخابرات الامريكية،لتمويل هذه العمليات وليس من المستبعد أنه تمت سرقة هذه الملايين بعد أن عرف المتامرون ضد نيكاراغوا أنها أي الملايين هذه ايضاً مسروقة والمثل العامي يقول السارق من السارق كالوارث ولذلك تولت المخابرات الامريكية فرع التآمر ضد نيكاراغوا عملية الانفاق بنفسها على عمليات التآمر وقد وُعد السمكة بقبض ٥٠ ألف دولار لتغطية نفقات جماعته ولكن المبلغ انحدر فجأة الى ١٠ آلاف دولار. هذه المعلومات والوثائق التي كشفت عنها القيادة الساندينية في نيكاراغوا تظهر حجم التآمر الذي تقوم به المخابرات الامريكية ليس في نيكاراغوا وحدها وإنما في امريكا اللاتينية كلها إنها الاخطبوط الذي تصل أصابعه الى كل مكان فهل نصحو ونتنبه لأننا لسنا بناجين من تآمرهم الدائم.

سفيرة نيكاراغوا في واشنطون تتبرع بليلة حب خدمة للثورة:

● اهتزت الاوساط الدبلوماسية في الولايات المتحدة حيث سمعت بنبأ تعيين (نورا أستورغا) نائبة وزير خارجية نيكاراغوا عام ١٩٨٤ في منصب «سفيرة» لنيكاراغوا في واشنطون وقد أحدث النبأ ردود فعل واسعة النطاق فكان السؤال الذي طرح على الفور ؟ ما هو القصد من تعيين أستورغا في هذا المنصب لدى الولايات المتحدة دون غيرها من بلاد العالم؟ وهل تعتزم السفيرة المعينة ممارسة المهام الدبلوماسية أم الاستفزاز؟ وهل تكون أستورغا مرتكز الاحتكاك والتوتر بين امريكا ونيكاراغوا؟.



نورا استورغا سفيرة نيكارغوا في واشنطون

لأن وراء هذه الاسئلة قصة شهيرة استخدمت فيها السفيرة استورغا التي كانت امرأة فاتنة قدراتها الانثوية للتغرير بالجنرال «رينالدو بيريز فيغار» أحد ركائز المخابرات الامريكية في نيكاراغوا وعموم امريكا اللاتينية حيث لعبت دور «الطعم» لأن الجنرال رينالدو كان متيماً بالمحامية الحسناء وقتئذ السنيوريتا أستورغا ويلاحقها كثيراً دون أن يعلم أنها كانت تعمل لصالح الثورة والحق يقال أن أستورغا قد صدته كثيراً وكان ذلك بعلم القيادة الساندينية حتى تأكدت هذه القيادة بأن أستورغا أصبحت قادرة على لعب دور مهم في تصفية هذا الجنرال الطاغية الذي اشترك بالتنكيل بشعبه دون رحمة فطلبت منها رسمياً وحزبياً استدراجه الى فراشها حيث ستكون عناصر المخابرات الساندينية بانتظاره. قبلت أستورغا بكل طيبة خاطر أن تلعب الدور بمهارة فرفعت سماعة التلفون واتصلت بالجنرال رينالد وحيث طلبت منه لقاءها في منزلها لسهرةٍ أرادها من مدة طويلة وهرع الجنرال لا يفكر سوى بالمتعة وقرع باب الشقة حيث تقيم المحامية الحسناء وفي غرفة خاصة كانت المخابرات الساندينية بانتظاره لافراغ الرصاص في جسمه وعندما دخل الجنرال «العبيط» المنزل كان مسرعاً فاستوقفته أستورغا وهي بكامل زينتها عارضة عليه أن يتناول مشروباً فرفض باصرار وخلع سترته وألقى بمسدسين كان يحملهما عند ذلك ◁

الصحافيون يتجسسون لحساب المخابرات الامريكية

● نشرت صحيفة واشنطون ستار في عددها الصادر بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٧٨ أنها علمت من مصادر مسؤولة في المخابرات الامريكية أن أكثر من ٣٦ صحفياً في دول اجنبية يعملون كجواسيس للمخابرات الامريكية وأن معظم الصحفيين الجواسيس يعملون ككتاب مستقلين للمجلات وكمخبرين للصحف والمجلات الاخبارية ووكالات الانباء ومؤلفين متجولين وإن معظم هؤلاء العملاء لا يعملون في مطبوعة واحدة بل يستخدمون كتاباتهم أو تغطياتهم للانباء كستار لوجودهم في الدول الاجنبية وهناك حوالي ٤٠ صحفياً أيضاً يتعاملون مع المخابرات الامريكية يعملون بدوام كامل وصحفيين مستقلين ومراسلين للمطبوعات التجارية ولهم هذه الاتصالات السرية مع المخابرات ومعظمهم من الامريكيين.

كانت اللحظة القاضية حين اعطت المحامية الحسناء اشارة متفق عليها الى رجال المخابرات الساندينية المختبئين فخرجوا اليها بمسدساتهم وقتلوه ثم القوا جثته في منطقة الملعب البلدي حيث شاهدها مئات بل آلاف المواطنين وبعد ذلك أعلنت الثورة أنها نفذت حكم الاعدام بحق أحد كبار أعداء الشعب النيكاراغوي ولم تعرف القصة الحقيقية التي قدمناها عن إعدامه في منزل المحامية نورا أستورغا سوى عند البحث عن ماضيها في الحياة السياسية فكانت بطلة مقدامة استحقت فيما بعد أن تصبح نائبة لوزير الخارجية النيكاراغوي ومن ثم جرى اختيارها لتكون سفيرة لبلادها بين ظهراني العم سام ومخابراته.

إذاعة قصة اغتيال دكتاتور نيكاراغوا لأول مرة:

● أناستازيو سوموزا ديبايلي - الدكتاتور السابق لنيكاراغوا الذي استطاع الهرب الى الباراغواي بعد نجاح الثورة ضده في نيكاراغوا استمر في تآمره مع المخابرات الامريكية لاسقاط الحكم الثوري القائم في بلاده سابقاً وقد أمنت له المخابرات الامريكية مسكناً لائقاً في شارع الدبلوماسيين بالباراغواي وكانت هذه الدولة قد أصبحت ملجأ لقدامى المجرمين النازيين ولدكتاتوريي أمريكا اللاتينية الهاربين من بلادهم واطلق عليها لقب «مملكة الصمت» وقد اتضح الدور الذي يقوم به الدكتاتور سوموزا مع المخابرات الامريكية في تمويل الهجمات المضادة للثورة للمخابرات والحكومة في نيكاراغوا والعديد ممن شاركوا في حرب تحرير نيكاراغوا كما أن شعب نيكاراغوا كان يرغب فعلاً في أن يدفع الدكتاتور الهارب ثمن جرائمه خاصة بعد أن أفلت من قبضته لذلك كله بدأ التخطيط في مقر المخابرات النيكاراغوية في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٨٠ وسميت العملية (العملية الزاحفة) وقد اوكلت المخابرات النيكاراغوية قيادة العملية الى «أنريكوها رولدوكو رياران مارلو» ويبلغ من العمر أربعين عاماً أما أصله الأول فيعود الى منطقة الباسك الاسبانية ثم هاجر أجداده منها الى الارجنتين وكان مارلو قائداً لحرب العصابات في نيكاراغوا طوال عشر سنوات كان خلالها «مطلوباً» من المخابرات الارجنتينية. ضمت فرقة الكوماندوس الانتحارية التي شكلها مارلو بقصد اغتيال

الدكتاتور سوموزا ستة رجال هو على رأسهم بالاضافة الى ثلاث نساء جميعهم من الجنسية الارجنتينية وكان عمل هذه المجموعة أو الهدف الذي وضعوه نصب اعينهم هو «الدكتاتور سوموزا» الذي كان يلقب فيما بينهم بـ (أنطونيو) وكان لديهم القليل من المعلومات وهي أنه يعيش على نفقة المخابرات الامريكية في الباراغواي ـ منطقة أسونسيسون وانطلاقاً من المعطيات التي جمعوها من الصحافة ومن بعض الروايات والاستنتاجات حاولوا تكوين فكرة عن كيفية تنقلات سوموزا وحول حرسه الخاص وعدد السيارات المرافقة له كل هذا تم تحديده شيئاً فشيئاً من خلال جملة من الملاحظات اللاحقة. وبعدما قدروا الامكانيات والعوائق «المحتملة» في هذه العملية بدأوا في اختيار الرفاق المعنيين بالتدخل مع مراعاة واعتبار تجربة كل رفيق من هؤلاء وقدرته على الدخول في عملية من هذا النوع كما اخذوا في الاعتبار قدرة الرفاق على استعمال الاسلحة المفروض استعمالها حسب مقتضيات الظرف وكان لهؤلاء تجربة معينة لكل منهم في بلده تخص المهام المختلفة لعملية من هذا النوع بدءاً من البحث عن المعلومات وحتى تنفيذ الخطة.

وكانت بداية المهمة القيام ببعض المهمات الفردية فأرسلوا رفيقين الى الحدود الباراغوية لدراسة مختلف امكانيات عبور الحدود القانوني وغير القانوني وبعد التأكد من ذلك بدأ الرفيقان في اعداد كيفية «تمرير» السلاح الى أراضي الباراغواي وهي المهمة التي نفذاها فيما بعد.

ثم أرسلوا رفيقين آخرين الى مدينة أسونسيسون في الباراغواي وذلك بهدف تحديد اقامة سوموزا وضبط تنقلاته بالساعة والدقيقة وكذلك لمعرفة امكانيات التمزكز حتى يكونوا انطباعاً أولياً حول الظروف التي من المفروض أن يتحركوا بها وقد قام بهذه المهمة كل من فرانشيسكو و : سوزانا. حيث لم يلاقيا أمامهما أية مصاعب هامة ومع ذلك اضطرا الى تكثيف نشاط مخيلتهما لتحديد مقر سوموزا.

الشرطة الباراغوية تدلّهم على سوموزا عن حسن نية :

كان الرفيقان فرانشيسكو وسوزانا يعرفان أنه يستحيل الاسترشاد الى منزل سوموزا في حي الدبلوماسيين المراقب من قبل قوات الامن بشكل صريح فقررا اتباع طريقة بسيطة جداً لكنها اعطت ثمارها.

استأجرت سوزانا تاكسياً وقالت للسائق أنها تريد الذهاب الى صالون حلاقة قيل لها أنه موجود على بعد خطوات قليلة من مقر سوموزا أي سكنه وكان السائق عند حسن ظنها ولكنه قادها الى جانب سكن سوموزا «القديم» لكن احد الجيران أعلمه بأن سوموزا غيّر مقر سكنه ولا يعرف عنوان السكن الجديد لأن دوريات الشرطة الباراغوية قامت بنقل عفش منزله الفخم بعد ذلك قام السائق بمبادرة منه نحو مخفر الشرطة وسأل بشكل طبيعي عن عنوان سوموزا وبدون أية صعوبة «دلّه» البوليس على العنوان عن حسن نية لأنه من المفروض أن أيّ رجل أمن مدرك لخطورة السؤال عن عنوان رئيس دولة سابق أو حتى السؤال عن أي ضابط يكون بمكانة اللاجيء السياسي فيقوم بالتحقيق تلقائياً لدى تلقيه أي سؤال عن أحد هؤلاء ولو قام رجل البوليس البراغوّاي باستعمال سلطاته والتحقيق مع السائق ومن ثم مع سوزانا لاكتشف أن هناك مؤامرة تعد لاغتيال الرئيس الذي سؤل عنه وهو سوموزا الذي قتل فيما بعد «نتيجة لمعرفة عنوانه من البوليس عن حسن نية».

عندما مرّ السائق بسوزانا أمام مقر سوموزا أشار اليه ليساعدها على معرفته وتشاء الصدف أن يكون هناك بالفعل صالون حلاقة نسائية على بعد خطوات من سكن «الهدف» بلغة المخابرات وهو سوموزا وبالتالي دخلت سوزانا الى الصالون وأخذت موعداً ثم عادت مع نفس التاكسي الى المدينة حيث ينتظرها زميلها الرفيق فرانشيسكو. بعد أن جرى الاستدلال على عنوان الهدف بدأت المجموعة بتأمين ادخال السلاح الى البارغواي فكلف مارلو قائد العملية اثنين من الرفاق الارجنتينيين بادخال السلاح ولم يكونا يعرفان الهدف من ادخال السلاح الى الباراغواي إذ اخبرهما مارلو أن الهدف من ذلك هو مساندة مجموعة ثورية كانت تناضل ضد نظام «ستروسنر» في الباراغواي ثم بقي هناك اربعة اشخاص مشاركين مباشرة في العملية أما النساء الثلاث فقد كانت مهمتهم استئجار المنزل الذي انطلقت منه المجموعة لتنفيذ العملية والحصول على معلومات أو التحري عن بعض الوثائق والاوراق.

انتقال مجموعة تنفيذ حكم الشعب بسوموزا الى الباراغواي:

انتقل (مارلو) مع الرفاق الثلاثة والرفيقات الثلاث الى داخل الباراغواي وبالتحديد الى مدينة أسكينسيون وأستأجر منزلاً مفروشاً فيها ثم أرسل للرفيقين

المكلفين بادخال الاسلحة فقاما بعملهما وادخلا الاسلحة المطلوبة لتنفيذ العملية عن طريق نهر ماخوكا وكانت عملية دقيقة وصعبة.

وبعد وصول الاسلحة بدأوا بالتثبت من سكن سوموزا وكان تتبعه صعباً نظراً لخصوصيات الحي الذي يوجد فيه مسكن سوموزا لأنه عبارة عن مقر للسفارات ومنازل الديبلوماسيين حيث من الصعب ايجاد اماكن تبرر وجودهم فيها لوقت طويل وبعد أربعين يوماً من المراقبة المتنوعة لم يحصلوا على نتائج ولكنهم صادفوه يوم ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٨٠ في الساعة التاسعة صباحاً راكباً سيارة في جادة متفرعة من شارع اسبانيا حيث مقر إقامته كان راكباً نفس السيارة التي كان فيها يوم تنفيذ عملية تصفيته فيما بعد كان ارموندو هو أول من شاهد «الهدف» وكان منفعلاً ومسروراً لأن المجموعة كانت قد اطلعت على مختلف الصور للهدف اثناء التدريب والاعداد للعملية فأصبحت صورته مطبوعة في اذهانهم وكانوا متأكدين من أنهم سيهتدون الى معرفته.

وقد شرح ارموندو مشاهدته لمارلو في المنزل بأن سوموزا كان يجلس بجانب سائق السيارة المارسيدس البيضاء وكانت وراءه سيارة تيوتا حمراء تابعة لشرطة الباراغواي وفيها اربعة حراس. استمرت المجموعة في المراقبة وقد واجهوا مصاعب كان عليهم أن يجدوا طريقة تمكنهم من تغطية كل ساعات اليوم في مراقبة وحصر تحركات الهدف وقد تمكن أحد الرفاق ويدعى أزافالدو بحل المشكلة فاتفق مع صاحب «كشك» لبيع الصحف والدخان للعمل لديه ويقع هذا الكشك في شارع اسبانيا الشيء الذي مكنهم من مشاهدته أثناء ذهابه الى المدينة وعودته ألا أنه وخلال الفترة الزمنية من اللحظة التي رأوه فيها لأول مرة الى يوم ابتداء ازفالدو عمله في الكشك شاهدوه فعلاً عدة مرات ونظراً للمصاعب الناجمة عن متابعة تنقلاته فقد قررت الجماعة البحث عن حل آخر وراودتهم فكرة تركيز نقطة بيع تستعمل للمراقبة على مستوى تقاطع شارع اسبانيا وشارع ساكرمان وهذا التقاطع يقع على مسافة ٢٠٠ متر من سكن سوموزا وبالتالي يشرف على الممر الوحيد عند انتقاله بالسيارة من المنزل الى وسط المدينة ويوجد في هذا المكان اشارات مرور ضوئية يقابلها العديد من الباعة المتجولين بالاضافة الى ثلاثة اكشاك صحف وبما أن اقامة كشك جديد في المنطقة يؤدي الى نزاعات مع بقية الباعة لذلك بذل أزفالدو جهداً واقتنع أحد اصحاب الاكشاك الثلاثة ووقع معه عقداً يتم بموجبه دمج

رأسمال صاحبه مع رأسمال جديد عرضه عليه ازفالدو (طبعاً هذا الرأسمال وجميع المصاريف وايجار المنازل المفروشة من أموال المخابرات) لتنشيط كشكه على شكل أفضل وبذلك أصبح بامكان الجماعة أن تؤمن مراقبة تحركات سوموزا من الساعة السادسة صباحاً حتى الساعة السابعة مساءاً بواسطة ازفالدو الذي أصبح له الحق في أن يشتغـل مع صاحب الكشـك وبصـورة منتظمة خاصة وان صاحب الكشك اتضح أنه ميال للتغيب عن عمله لملاحقة صديقه له.

أصبح ازفالدو يشاهد «الهدف» فعلاً ويومياً حتى تاريخ ٢٣ آب (اغسطس) حيث اختفى فيه سومـوزا لمـدة تفـوق الاسبوعين وهذا ما شغل الجماعة لأنهم ينتظرون على أعصابهم خصوصاً وإن صحافة البلد اشاعت أن سوموزا سينتقل الى بلد آخر وكانت الاشاعات تدور حول انتقاله الى الاورغواي وإن الجماعة شاهدت بالفعل سيارات ذات لوحات دبلوماسية تابعة للاورغواي تقف أمام منزله مما زاد في قلقهم. ولكنه عاد للظهور في العاشر من ايلول (سبتمبر) وقد افادت الصحف أن غيابـه كان بسبب علاقتـه بمهام جديدة قام بها خارج العاصمة فاعيدت المراقبة الدقيقة عليه مما مكنهم من جمع معطيات جديدة تشير الى كون سوموزا لا يخرج من منزله حسب مواعيد منتظمة فأحياناً كان يخرج في الثامنة صباحاً وأحياناً أخرى بعد الظهر. أو قد لا يخرج بالمرة وكذلك لا يوجد وقت محدد لعودته للمنزل وعلى هذا الاساس استبعدت الجماعة امكانية انتظاره داخل سيارة واعتراض طريقه لأن ذلك كان يشكل خطورة كبيرة في بلد مثل الباراغواي الخاضع لحكم دكتاتوري من ٣٠ سنة والقمع ظاهرة ثابتة ويومياً كجزء من الحياة اليومية وبالتالي فمن الخطر جداً على جمـاعـة اغتيال توقيف شاحنة تحمل رجالاً واسلحة بداخلها طوال ساعات عديدة وفي أي مكان من المدينة وإلا فإن الهدف يتحول الى لعبة حظ. وأمام هذه الظروف رأي مارلو بالاتفاق مع الرفاق أن يستأجروا منزل يكون في مكان حيث لا مفـر لسوموزا من أن يمرّ من امامه يومياً وكذلك يمكن للمجموعة البقاء فيه اليوم بكامله دون لفت الانتباه حتى تلقي اشارة مرور الهدف من ازفالدو فبدأوا بالبحث عن منزل في شارع اسبانيا فوجدوه على مسافة ٣٠٠ متر من الكشك وباتجاه مركز المدينة وبدأوا بتلافي العقبات فوجدوا البيت ولكن كان عليهم أن يخترعوا ذريعة يقدموها للملاك صاحب المنزل كي يقبل بتأجير المنزل لهم. وكان المنزل فخم يحوي خمسة غرف وحمامين مع مسبح في الحديقة ومثل هذا البيت وفي هذا الحي

لا يمكن أن يستأجره سوى دبلوماسي أو صاحب شركة وبالتالي فإن الحجة كان لا بد أن تكـون متينة ومعقولة وقادرة على اقناع الملاك فأرسلت المجموعة رفيقتهم «جـولية» التي قدمت نفسهـا للملاك على أساس أنها تنتمي الى «رابطة الفنانين الارجنتينيين» ومعها ترخيص «وهمي» من وكيل «وهمي» ايضاً للمطرب الاسباني المعروف خوليو أكليزياس وذكرت جولية أن الوكيل يود اخراج فيلم عن المطرب إكليزياس ولذلك طلب منها البحث عن منزل في ذلك المكان كي يقيم فيه الفنان الاسباني.

وكان في استقبال جولية زوجة صاحب المنزل ايضاً. في بادىء الامر لم تعر الزوجة اهتماماً كبيراً لكنها تحمست بسرعة عندما أخبرتها جولية باسم المستأجر بل وطلبت منها أن تعرفها على المطرب الاسباني حال وصوله فقبلت جولية لكن بعد أن اشترطت عليها «كتمان السر». وقعت جولية عقد استئجار المنزل واستلمت المفتاح فانتقل الجميع الى السكن الجديد المناسب لمهمتهم.

وفي اول ليلة لهم وضعوا خطة عمل لمهمتهم كما يلي:

بالنسبـة لازفالدو الموجود في كشك الصحف كنقطة مراقبة ويحمل جهاز ارسال «توكي ووكي» الياباني الصنع والذي يبلغ مدى موجته ١٠ كيلو متر كانت مهمتـه أن يرسـل اشارة مختصرة عندما يشاهد سيارة سوموزا الذي يقوم بتنقلاته بواسطة سيارتين مرسيدس واحدة بيضاء والثانية زرقاء وعند مشاهدة أزفالدو لسوموزا ومعرفة أي سيارة يستقل يعطيهم اشارة وهم عندما يسمعوا الاشارة تبقى المدة الزمنية لوصول سوموزا الى المكان الذي ستنفذ فيه العملية هي قطعه مسافة الـ ٣٠٠ متر إذاً حالما تصلهم الاشارة عليهم أن يحتلوا مواقعهم بحيث يحرك ازفالدو شاحنة اشتروهـا خصيصاً لهذا الغرض ويعترض طريق سيارة سوموزا وبعد ذلك يسرع سانتياغـو الى حديقـة المنـزل ومعه «البازوكا» ليطلق منها على الهدف أما مارلو فيهجم ببندقية من نوع م ١٦ على الحرس المرافق أو يشارك في الهجوم على سيارة سومـوزا «وفق ما تمليه الـوضعية والظروف» أما ارموندو فيتابع مهمته بعد تعطيله لحركة المرور فينزل من الشاحنة ويساعد مارلو في فتح النار على الحرس أو على سيارة سوموزا حسب الوضعية.

وكـان للمنزل واجهة بحوالي عشرين متر باتجاه اليمين أي الشارع وهناك كراج ومستودع وقد أوقف أرموندو شاحنته أمام الكراج وتبقى النسخة الثانية من جهاز

اللاسلكي مع مارلو منتظراً الاشارة وقد قامت المجموعة بقياس الزمن لتتابع العملية وقد أقر الجميع القيام بما يلي :

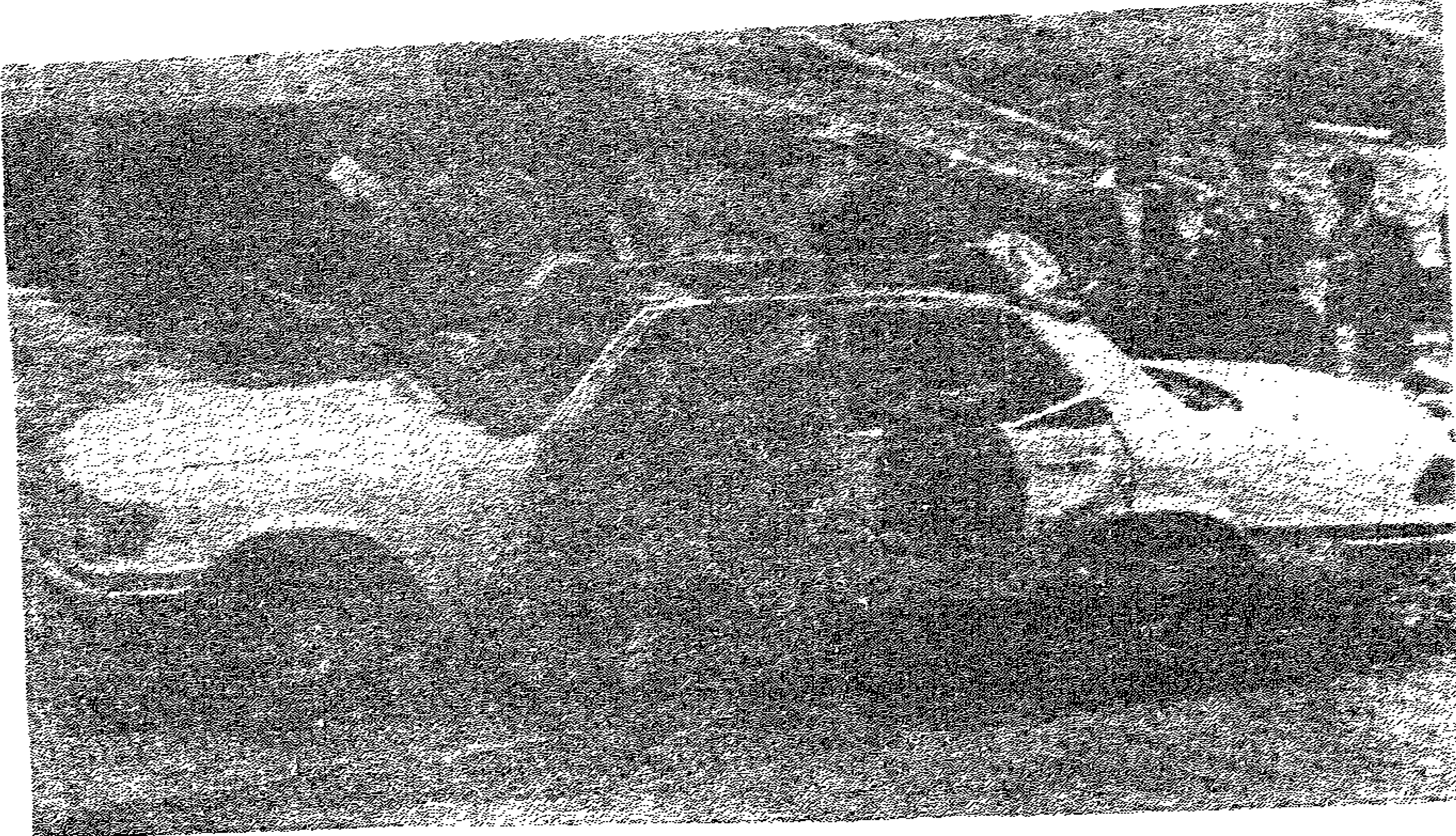
بعد مجيء الاشارة من ازفالدو يتمركز الجميع في مواقعهم بانتظار وصول سيارة سوموزا وكان هناك شجرة أمام المنزل على الرصيف الآخر تشكل مع البيت خطاً مائلاً فيعطي مارلو اشارة الى قاذف البازوكا سانتياغو وبنفس الوقت تكون الاشارة الى ارموندوكي يتقدم بشاحنته ويعطل حركة المرور وفي احتمال أن سانتياغو لم يوفق بالطلقة الاولى من البازوكا فإن مارلو وسانتياغو وارموندو يتكفلون بمعالجة الهدف وحراسه.

سوموزا يقع في الفخ :

في صباح يوم الاربعاء الواقع في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠ أخذ الجميع اماكنهم ابتداء من ازفالدو المكلف بالمراقبة من الساعة السادسة صباحاً في الكشك وقبل الانطلاق الى المهمات داعب مارلو الرفاق بقوله: هذا الرجل سيتركنا ننتظره سنة في هذا المكان فأجابه سانتياغو قاذف البازوكا «اطمئن فهو قادم اليوم». . . في الساعة العاشرة صباحاً سمع مارلو صوت ازفالدو في جهاز التوكي يقول بيضاء. . . بيضاء حوّل. فلزم الجميع اماكنهم كما هو مخطط وقد تأخرت المرسيدس البيضاء مدة اطول مما جرى حسابه بسبب توقفها امام الاشارة الضوئية في نقطة تقاطع شارع اسبانيا وشارع فنزويلا وكان الجميع يروها من اماكنهم فتراجع سانتياغو ومارلو الى الخلف لكيلا يُكتشفوا بتسرعهم وحتى ارموندو فقد انطلق بالشاحنة ثم أوقفها بباب المنزل الخارجي وعندما تحول ضوء الاشارة المرورية الى الاخضر وتابعت سيارة سوموزا السير اعطى مارلو الاشارة.

قام ارموندو بقطع المرور امام سيارة سوموزا في اللحظة المناسبة بوضعه الشاحنة في عرض الطريق. وقد تأخر سانتياغو في اطلاق قذيفة البازوكا بسبب عطل طرأ عليها فجأة فقام مارلو بعد أن رأى المرسيدس وقد اصبحت على بعد ثلاثة امتار من المكان المناسب لاطلاق البازوكا باطلاق النار من بندقيته الـ م ١٦ وهو يظن أن السيارة مصفحة ضد الرصاص فأطلق أولاً طلقة على السائق فاخترقت الزجاج وقتلته ثم تحول لاطلاق النار على سوموزا الذي كان يجلس في المقعد

الخلفي على غير عادته وعلى شخص كان لسوء حظه يجلس بجانبه ثلاث أو أربع مرات وكان مارلو يشاهد بالعين المجردة انتفاض جسد سوموزا عقب كل طلقة لأن الرمي كان دقيقاً ومن عنصر مخابرات قوي ومدرب تدريباً حسناً وعندما فرغ مارلو من المهمة حضر سانتياغو وقد استبدل البازوكا التي تعطلت بالروكيت ولم يقم بالقذف بسبب وجود مارلو على بعد خطوات من المارسيدس مما قد يؤذيه. أما الحرس المرافقين لسوموزا فقد نزلوا من سيارتهم والتجأوا الى خلف جدار بيت مجاور ومن هناك بدأوا الرمي باتجاه مارلو وسانتياغو وقد نفذت ذخيرة مارلو فانطلق مع سانتياغو الى المنزل دون أن يغيب عنهم مصدر طلقات الحرس وموقعهم الحقيقي. ومن جهة ثانية نزل ارموندو من الشاحنة بعد أن اعترض بها طريق سوموزا كما شرحنا وبقي متمترساً فيها ولحق بهم الى المنزل فأشاروا له على مكان اختفاء الحرس وراء الجدار باعتباره لايزال محتفظاً بذخيرته وبأول طلقتين استطاع أن ينسف الجزء الاعلى من الجدار المختفي وراءه الحرس فما كان منهم إلا أن اوقفوا الهجوم مذعورين وبهذه الاثناء كانت المرسيدس المقلة لسوموزا الذي قتله مارلو ببندقية م ١٦ عندما تأخر سانتياغو قاذف البازوكا هذه السيارة قد وقفت أمام كراج المنزل وقبل انجلاء الموقف قام سانتياغو باطلاق قذيفة بازوكا باتجاه السيارة فانفجرت الى الاعلى حيث مزقت السيارة كما هو واضح في الصورة وبالتالي فإن



سيارة سوموزا بعد العملية

المهمة قد انجزت لأن سانتياغو سأل مارلو؟ هل اصبتها فأجابه لقد حولتها الى قطع وبعد ذلك أي بعد تنفيذ العملية بشكل.جيد اخذت الجماعة بالاستعداد للانسحاب بالشاحنة بينما استمر ارموندو في اطلاق النار باتجاه الحرس وصرخ على مارلو وسانتياغو والبقية من النساء أن يركضوا باتجاه الشاحنة وهو يؤمن لهم التغطية النارية فقال سانتياغو لمارلو اركض مع النساء فركضوا ولكن مارلو سقط ارضاً ثم نهض واندفع داخل الشاحنة أما سانتياغو فصعد الى جانب السائق ثم لحقه ارموندو الى خلف المقود وكان حرس سوموزا قد توقفوا عن اطلاق النار بعد اطلاق ارموندو رشات متفرقة فوق رؤوسهم تغطية لانسحاب زملائه فانطلقت المجموعة بالشاحنة ولكن لسوء الحظ لم تكد الشاحنة تسير عدة أمتار حتى توقفت ورفض محركها الاستجابة للتشغيل ولم يكن هناك وقت لأنه ستحضر قوات باراغوية أو شرطتها خلال دقائق فنزلوا من الشاحنة جميعهم واخذوا يبحثون عن أي سيارة لمتابعة انسحابهم وتمكنهم من الابتعاد عن ذلك المكان فشاهدوا سيارة يابانية النوع قادمة باتجاههم فاعترضوا طريقها بسرعة وأنزلوا سائقها منها وركبوها مبتعدين كما هو مقرراً وقد شاهد ارموندو سائق السيارة اليابانية وقد وقف جامداً لغاية ابتعادهم عنه من الخوف والمفاجأة وقد اضطرت الجماعة لترك أكثر الاسلحة التي كانوا قد وضعوها في صندوق خشبي نظراً لصغر حجم السيارة اليابانية التي اختطفوها وتحت أحد الجسور أوقفت الجماعة سيارتهم واعترضوا سيارة ثانية اختطفوها مجدداً وعادوا حسب الخطة الى منزلهم القديم لأنهم أبقوه. لذلك وقد ذهب أرموندو بالسيارة بعيداً وعاد مشياً على الاقدام.

ماذا بعد عملية اغتيال سوموزا :

بعد أن أرسل ازفالدو إشارة مرور من أمام الاشارة بجهاز التوكي عاد الى الكشك دون أن يسمع الضجّة والطلقات لكنه بقي ينظر باتجاه المنزل وسيارة سوموزا وبعد أن تأكد من انتهاء العملية قال لصديقه صاحب الكشك الذي كان لايزال موجوداً بأنه لم يعر اهتماماً لأي شيء وأنه قد ضجر وسيترك العمل للتنزه. وفعلاً ترك الكشك ولكن الى حيث سيلتقي سانتياغو الذي عاد من منزل الجماعة

الاول واصطحب ازفالدو الى قرب أحد الجسور قد أعطاه مبلغ ألف دولار وكمية من العملة المحلية وتركه يكمل طريقه للخروج من البلاد وكان على سانتياغو أيضاً تأمين خروج «أنّا» ولكنه تأخر مع ازفالدو فغادرت أنّا الى المنزل وعلم فيما بعد بأنه الغى موعده معها بسبب كثافة دوريات الشرطة أما بقية المجموعة فقد انسحبت من المنزل واتجهت خارج الحدود بطرق مختلفة لم يفصحوا عنها لصالح الامن ولكن نتوقع كمحللين لمثل هذه العمليات أن بعضهم غادر عن طريق النهر والبعض غادر بشكل قانوني ظاهراً ومزوّر ضمناً لوجود مصاعب كثيرة ناجمة عن غلق الحدود من طرف بوليس الباراغواي. وبقي في المنزل سانتياغو[1] ليكون آخر من يغادر وكان بقاءه غلطة لأن الصحف نشرت صورته في صبيحة اليوم التالي للعملية ولدى محاولته الخروج وجد المنزل مطوقاً من البوليس الباراغواي فحاول الهرب ولكنه أصيب بطلقة في أعلى فخذه حسب شهادة الجيران ثم قتل بعد ذلك بشكل غامض وهو الوحيد الذي قتل من مجموعة المخابرات التي قامت بتنفيذ عملية سوموزا التي انتهت بالنجاح أما بقية المجموعة فقد عادوا جميعاً سالمين معافين وأجروا بعد مدة مقابلة صحفية ضرورية لأن الصحف الباراغوية ادعت أن مارلو هو ألذي قتل وقد أجاب مارلو على أسئلة الصحفيين من جهة كون أعضاء المجموعة من الارجنتين فقال:

هناك أمران هامان كان لهما تأثير في اتخاذ القرار الاول تاريخي إذ أن كلاً من سان مارتان وبوليفار وبقية ابطال استقلال الارجنتين كانوا ينظرون الى النضال ضد الاستعمار الاسباني من خلال رؤية أمريكية لاتينية فهناك مثلاً جنود أرجنتينيون وهبوا دماءهم من أجل حرية تشيلي وأليبرو هذا الموقف النضالي حقق استمرارية طوال تاريخ هذه القارة ولدينا أمثلة أخرى عديدة تؤكد هذه الظاهرة فبالأمس كان الاستعمار الاسباني والآن الامبريالية مع العمل بأننا مقتنعون بهذه الرؤيا.

والامر الثاني: هو اشتراكنا في حرب تحرير نيكاراغوا التي أتاحت لنا معرفة عميقة لما عاناه شعب نيكاراغوا من آلام تحت الدكتاتورية السوموزية... انطلاقاً

---

(١) سانتياغو الاسم الحركي للمدعو: هيجو آروارزون. أرجنتيني الاصل مثل زملائه كان أفضل المناضلين ضد مؤآمرات المخابرات الامريكية وعملاءها وكان له نشاط ثوري في الارجنتين وشارك في حرب تحرير نيكارغوا...

من هذين الأمـرين فقد عهد الى مجموعتنا بالذات بتصفية سوموزا؟ خاصة وإن القـراصنـة الـذين يحكمون بلدنا «يقصد الارجنتين في حينه» يقفون مع سوموزا تماشياً لعمالته وعمالتهم للمخابرات الامريكية. ويجيب مارلو عن سؤال آخر للصحافة.

لدينـا افكار مشتركة مع المخابرات النيكاراغوية ونحن نفهم أنه في بلدنا الارجنتين يجب إلغـاء التأثير الاقتصادي للاوليغادشيا (الاقلية) ومن أجل تدعيم القـوات المسلحـة للدفاع الحقيقي عن السيادة الـوطنية والانتصـارات الشعبية لنيكاراغوا ولا يمكننا القول بأننا كأرجنتينيين لا نشكل تنظيماً حتى ولو كان لدينا بعض الانسجـام النسبي الـذي مكننـا من تحقيق عملية بهـذا النجـاح لصـالح المخابرات النيكاراغوية وأخيراً أشيع أنني قتلت أثناء عملية التصفية لسوموزا وها أنا أمـامكم وعلى استعداد للتوجه لتصفية أي سوموز آخر أما الذي قتل عقب تنفيذ العملية فهو الرفيق سانتياغو الذي أذكره بالبطولة وأطلب لنفسه الراحة والخلود أما ما أشيع بأننـا قد صوّرنا «فيلماً» عن العملية فهذه حكاية روّجها البوليس الباراغواي الذي ادعى أنه عثر على الفيلم وبإمكاننا نحن منفذي العملية أن نطالبه بعرضه.

المخابرات الامريكية تمنع صدور كتاب عن أعمالها

● تقدم القسم القانوني في المخابرات الامريكية الى القضاء بدعوى يطلب فيها منع نشر كتاب بعنوان «عمل قذر: المخابرات الامريكية في أوربا الغـربية» من تأليف فيليب آجي «وهو وكيل سابق في هذه المخابرات وقد كشف هذا الكتـاب النقـاب عن ٧٠٠ عميل من عمـلاء المخابرات الامريكية ووكالة الامن القومي في أوربا الغربية مع ذكر اسمهائهم الحقيقية والمستعـارة وعنـاوينهم والمهمـات التي كلفـوا بها سابقاً والمهمات التي أصبحوا يقومون بها بعد ذلك.

عن جريدة البعث بدمشق

مقتل رئيس الدومينيكان وفييتنام:



عندما ابتعد الرئيس الدومينيكاني رافائيل تروجيللو عن خط سير المخابرات الامريكية والاصح ابتعد عن سياسة الولايات المتحدة الهدامة ومثله الرئيس نفودين دييم رئيس فييتنام الجنوبية أخذت هذه المخابرات تشيع عن الاثنين أنهما دكتاتورين يجب التخلص منهما ومما تجدر الاشارة اليه أن واشنطون تطلق عادة عبارة «دكتاتور» على كل زعيم أو رئيس دولة أجنبي لا يسير في فلك سياستها ولا يتمشى حسب أهوائها ورغباتها وكان كبار المسؤولين الامريكيين يعرفون جيداً أن هناك عناصر من جمهورية الدومينيكان ومن جمهورية فييتنام الجنوبية تعارض الرئيس تروجيللو والرئيس دييم وتطمح في الوصول الى سدة الحكم كما عرفوا أن تلك العناصر كانت تتمنى اغتيال الرئيسين المذكورين ليخلو لها الجو فاغتنمت المخابرات الامريكية الفرصة لمساعدة تلك العناصر على القيام بعمليات الاغتيال بل وإنها قامت بإرسال أدوات القتل الى العناصر الخارجة على الرئيسين وحرضتها على القيام بالاغتيال أيما تحريض. وقد تم تنفيذ عمليتي الاغتيال في عهد الرئيس الامريكي جون كنادي الذي لم يسلم هو نفسه من الاغتيال من قبل الثالوث الرهيب المخابرات الامريكية والمافيا الامريكية وتجار

الاسلحة في جريمة لا تنسى وهذه الجريمة كاملة جرى تسجيلها بحذافيرها في الصفحة (٢٧٧) من كتاب المخابرات والعالم ـ الجزء الثاني. وكان الرئيس كندي يعرف أن هناك محاولات لاغتيال الرجلين ولكنه لم يعرف مدى مشاركة مخابراته بالعمليتين وحري بالذكر أن الرئيس جون كندي كان «يحبّذ» التخلص من الرئيس الدومينيكاني رافائيل تروجيللو والرئيس الفييتنامي الجنوبي نغودين دييم على أيدي أشخاص محليين من بلادهم لكنه لم يحبذ اشتراك الولايات المتحدة «فعلياً» في اغتيالهما كما جرى وكانت لجنة سرية خاصة من المخابرات الامريكية ومجلس الأمن القومي قد اجتمعت أكثر من مرة لاستعراض الخطط اللازمة للاطاحة بالرئيس الدومينيكاني بالطرق السياسية ومدّ نظام الحكم الذي سيخلفه فوراً بالمساعدات العسكرية والسياسية والاقتصادية واتخذت اللجنة المذكورة فيما بعد خططاً أشمل وأوسع من الخطط السابقة لازاحة تروجيللو وهذه الخطط تقضي بتوجيه ضربة قاضية ضد تروجيللو نفسه لأن بعض الخطط السابقة لازاحته تكللت بالفشل.

وردت برقية مختصرة من فرع المخابرات الامريكية في جمهورية الدومينيكان الى القيادة في واشنطون تقول: الفريق يطلب تزويده بالأناناس للقيام بالنزهة. وهي برقية رمزية تعني أن الاشخاص الذين يعملون لحساب المخابرات الامريكية في الدومينيكان يريدون تزويدهم بالسلاح للقيام باغتيال الرئيس الدومينيكاني تروجيللو وكان عددهم ثلاثة فأرسلت القيادة في واشنطون (المخابرات الامريكية) ثلاثة مسدسات من عيار «٣٨» ماركة سميث أندرسون بواسطة الحقيبة الدبلوماسية[1] الى القنصل الامريكي في الدومينيكان هنري ديربورن الذي قام بدوره بتسليمها الى فريق الاغتيال بحضور رئيس فرع المخابرات ثم أرسلت قيادة المخابرات الامريكية كذلك وبنفس الطريقة «بواسطة الحقيبة الدبلوماسية» ثلاث بنادق بمنظار من ماركة (كاربيني) بنفس طريق الحقيبة الدبلوماسية الى القنصل الامريكي وأيضاً قام هذا القنصل بالذات بتسليم البنادق (حبات الأناناس) الى فريق الاغتيال بغية استعمالها في «نزهة».

---

(١) الحقيبة الدبلوماسية تستغل منذ مدة طويلة للأعمال الاجرامية والمؤآمرات ونقل الاسلحة والمتفجرات وأول من بدأ بخرق حصانة الحقيبة الدبلوماسية هي المخابرات الامريكية وتبعها العديد من الدول ومن الظاهر ان أغلب ما حصل في لبنان هو نتيجة استغلال الحقيبة الدبلوماسية...

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فقد تدهورت سمعة الولايات المتحدة في الداخل والخارج عقب انفضاح دور المخابرات الامريكية بأنها كانت وراء الغزو الفاشل لكوبا وهنا سارعت وزارة الخارجية وطلبت من المخابرات الامريكية الابراق الى عملائها في الدومينيكان التوقف حالاً عن القيام بأية عملية ضد الرئيس تروجيللو فلقد خشي الامريكيون أن تفشل خطة الاغتيال ويؤدي الفشل الى مزيد من الفضائح وكانت واشنطون في وضع حرج لا تقدر معه أن تتحمل مزيداً من الفشل والسمعة السوداء لأعمال مخابراتها وتآمرها.

اغتيال الرئيس تروجيللو رغم طلب واشنطون التوقف:

أجاب القنصل الامريكي في الدومينيكان ببرقية بالشيفرة الى الرئاسة في واشنطون بأن الحبل قد أفلت من بين يديه وإن الفريق السياحي (أي فريق الاغتيال) قد استلم الأناناس (ومعناها الاسلحة) ولم يعد يتمكن الاتصال بهم بسبب الاجراءات الأمنية الشديدة التي ضربتها الحكومة الدومينيكانية على بعض المواقع الحساسة في العاصمة. ورغم ذلك لم تفلح هذه الاجراءات في منع فريق الاغتيال المدرب من الوصول الى الرئيس تروجيللو واغتياله. ؟ فقد وقعت سيارته في كمين لفريق الأناناس واخترق الرصاص زجاج سيارته ليمزق صدره وأحشاءه فخرّ تروجيللو صريعاً مضرجاً بدمائه وخمدت أنفاسه الى الأبد. وحسب العادة في مثل هذه الأمور فقد تقاطرت الوفود الرئاسية من كافة عواصم العالم الى جمهورية الدومينيكان لتعزي بوفاة رئيسها وتمشي وراء نعش «الرئيس الراحل» ومشاركة الدومينيكان الحزن والأسى بفقد رئيسها. أما واشنطون فقد نفذت المثل القائل «يقتل القتيل ويمشي في جنازته» وطلبت من القنصل الامريكي في الدومينيكان هنري ديروبورن أن يمشي حسب البروتوكول في جنازة الرئيس الراحل تروجيللو (ونفس القنصل كان قد سلم القتلة الاسلحة التي اغتالوه بها) نيابة عن الولايات المتحدة وأن ينقل الى الحكومة الدومينيكانية حزن وأسى الحكومة الامريكية البالغين على مصرع الرئيس تروجيللو بيد مجرمين آثمين (هكذا وبكل بساطة) وقد حضر الرئيس كندي في حينه عدة اجتماعات على مستوى مجلس الأمن القومي

بعد اغتيال تروجيللو لبحث موضوع درجة اشتراك المخابرات الامريكية في عملية اغتيال الـرئيس تروجيللو بعد تحريك موضوع الاغتيال من قبل لجنة من مجلس الشيوخ وبعـد انتهـاء اللجنـة من عملهـا نشـرت تقـريراً حول تورط المخابرات الامريكية في عمليات الاغتيال لبعض زعماء العالم وجاء في هذا التقرير أن اللجنة استعرضت جميع الملفات والتسجيلات المتعلقة بالجريمة ولم تجد ما يشير الى اشتراك أو تورط المخابرات الامريكية في عملية اغتيال تروجيللو. وبعد الاطلاع على تقرير اجتماعات الرئيس الامريكي تبين أنه لا يوجد به أي توبيخ أو لوم لأولئك الامريكيين الذين حرضوا أو شاركوا في عملية اغتيال الرئيس الدومينيكاني تروجيللو.

أمـا بالنسبـة للرئيس الفييتنامي الجنوبي نغودين دييم فلقد كانت الولايات المتحدة مستاءة منه لأنه لم يوافق معها على اجراء تغييرات في الحكومة الفيتنامية الأمر الذي جعل مدير المخابرات الامريكية يبرق الى رجاله في سايغون طالباً منهم التعـاون مع الانقـلابيين المعـروفين وتحـريضهم على الاسـراع بالقيام بانقلاب عسكـري بعـد تأمين الاسلحـة الـلازمـة لهم من السفـارة الامـريكية أيضاً فقام الانقلابيون فعلاً بمحاصرة قصر الرئيس دييم فعرض عليهم الرئيس أن يستسلم لهم شريطة نقله بطائرة خاصة خارج فييتنام فاستمهله الانقلابيون وطلبوا من المخابرات الامـريكية التي دعمتهم تزويدهم بطائـرة لنقـل الرئيس دييم خارج البلاد ألا أن المخـابـرات أجابتهم بأنه ليس من المستطاع تزويدهم بطائرة أمريكية قبل «٢٤ ساعة» مما يدل على أن المخابرات كانت لا تريد أن يبقى الرئيس دييم على قيد الحياة فأوعـزت من جهـة ثانية الى «عميل» المخابرات الامريكية ليونين كوناين الرئيسي بين المتآمرين فقام هذا العميل بقتل الرئيس دييم في القصر الجمهوري أثناء انتظار الرئيس حسب وعد المتآمرين لنقله خارج فييتنام وهكذا تمكنا من نشر هذه المعلومـات عن قيام المخـابرات الامريكية بالمساهمة في قتل رئيسين من رؤساء الدول بكل معنى الكلمة لا لشيء بل إنما لأن هذين الرئيسين لم يسيرا في ركابها وينفذا طلباتها في السيطرة داخلياً وخارجياً على مقدرات بلادهما. . إنها المخابرات الامريكية.



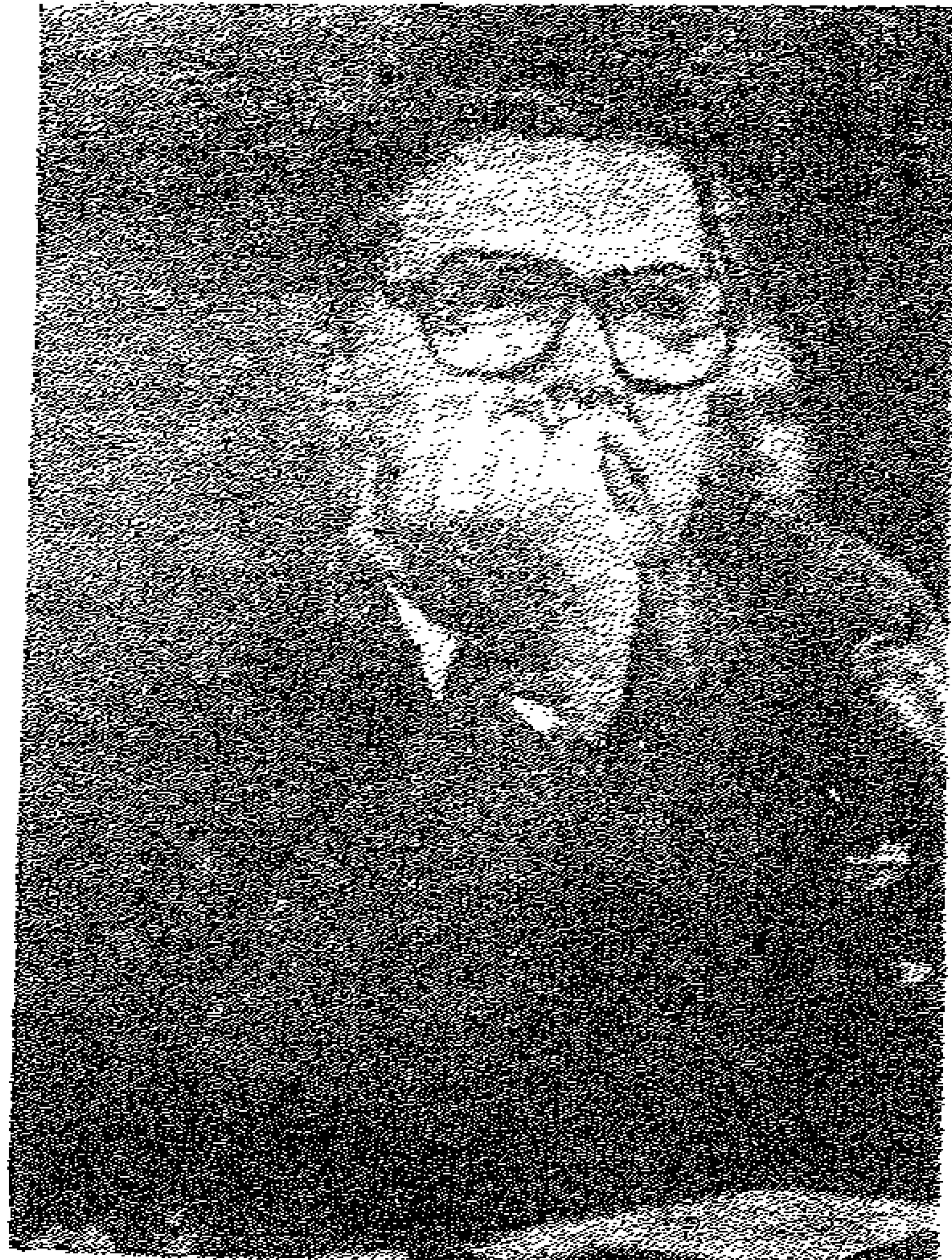
● صرح وليم كولبي المدير السابق للمخابرات الامريكية بأن دائرته لم تعد تقم باغتيالات سياسية والمزاعم عن عمليات من هذا النوع في الماضي تشمل «حالات يصعب شرحها» وأنه شرح تورط المخابرات الامريكية في مؤامرات الاغتيال المزعومة أمام لجان الكونغرس وأعلن أنه أصدر أمراً يمنع اشتراك المخابرات الامريكية في الاغتيالات السياسية وقال أيضاً: إنني سبق أن رفضت عدة اقتراحات من أجل القيام باغتيالات سياسية.

● لقي الكاتب المكسيكي المشهور «إلما بويل بوينديا» مصرعه في المكسيك على يد مجهول يقود دراجة نارية توارى عن الانظار بسبب نشره كتاباً عن الـ «سي. آي. إيه» يتضمن مقالات تميزت بالانتقاد الشديد لدور المخابرات الامريكية وتآمرها في أمريكا الوسطى.

مسلسل أعمال المخابرات الاميركية الإجرامية

لجنة مجلس الشيوخ للتحقيق مع المخابرات الامريكية تكشف الكثير:

● النـاتـور الامريكي فرانك تشيرش رئيس لجنة التحقيق مع المخابرات الامـريكية (من ولاية إيداهو) التابعة لمجلس الشيوخ التي حققت في مخالفات المخابرات الامريكية فجرّ قنبلة الموسم عندما فاجأ الناس داخل الولايات المتحدة



ـ فرانك تشيرش ـ
قدم اخطر تقرير عن أخطاء المخابرات

وخارجها باذاعة التقرير الذي أعدته لجنته عن الطرق «الجيمس بوندية» التي دبّرتها المخـابـرات الامريكية لاغتيال «زعماء» سبع دول على الاقل هي كوبا، فييتنام الجنـوبية، تشيلي، جمهـورية الـدومينيكـان، زائير، هايتي، أنـدونيسيا، وقـد استعملت المخابرات في محاولاتها أحدث ما انتجته تكنولوجيا العصر من أدوات

القتل وكذلك أسلحة القتل الجرثومية والبيولوجية والكيماوية المختلفة والحساسة جداً. ومن فقرات هذا التقرير أن يد القتل الامريكية امتدت الى البلاد العربية فقد تنامى الى المخابرات الامريكية أن عقيداً في الجيش العراقي قد أكثر من موالاته للسوفييت وسوف يكون له شأن كبير في المستقبل والمصدر هو فرع مخابرات الشرق الاوسط الذي أبرق الى قيادة المخابرات الامريكية في لانغلي يستشيرها في كيفية التخلص من هذا الضابط فحوّل الطلب الى شعبة العمليات التي قررت إرسال طرد بريدي للضابط يحتوي على «هدية» باسم إحدى الشركات الوهمية عبارة عن منديل نقش عليه اسم الضابط وهو مصنوع من القماش الثمين المذهب وتتخلله مادة كيماوية تصيب الانسان بالشلل بمجرد اقتراب فمه أو أنفه من المنديل وبالطبع لم يستلم الضابط العراقي المنديل المسموم بفضل يقظة المخابرات العراقية وقد ورد ذكر الضابط العراقي في تقرير لجنة مجلس الشيوخ عن لجنة غريبة عجيبة تابعة للمخابرات الامريكية اسمها «لجنة التعديل الصحي» ولها في القيود اسم آخر هو «لجنة تغيير صحة الانسان» ومهمة هذه اللجنة اقعاد الانسان عن العمل واصابته بالعاهات المستديمة أو الشلل أو العجز الجسماني وذلك باستعمال أنواع المواد الكيماوية والبيولوجية والمخدرات ضده. وقد جاء في التقرير أن المخابرات الامريكية قد جندت لحسابها عميلاً من منطقة الشرق الاوسط بارعاً في ممارسة عمليات الاغتيال ولم يكشف التقرير اسم العميل حفاظاً عليه وبناءاً على إلحاح المخابرات بل أشير اليه بالرمز QJ / WIN وكان ذلك العميل يرأس شبكة كبيرة من الأزلام والمحاسيب البارعين في الاغتيال بالاضافة الى ممارسته القمار مع شلة من أمثاله وقد استفادت المخابرات الامريكية كثيراً من خدماته وكذلك لم ينشر في التقرير ما هي تلك الخدمات التي قام بتنفيذها. ؟ من يدري. ؟ والمخفي أعظم. ؟ ولا رجم بالغيب. ؟

هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكية السابق وأهم الأعضاء البارزين في مجلس الأمن القومي كان المعارض الوحيد في كشف أسرار المخابرات الامريكية حيث قال: إن استمرار تحقيق لجان الكونغرس في شؤون المخابرات «يعرقل» السياسة الخارجية للولايات المتحدة ويعود بالضرر على الثقة بالولايات المتحدة. كما رفض الرئيس جيرالد فورد في حينه الموافقة على اعطاء لجنة التحقيق التي يرأسها السناتور تشيرش أية وثائق تحتوي على اسماء عملاء من غير الامريكيين

وعلل الـرئيس رفضـه ذلك بأن الكشف عن اسماء العملاء الاجانب في الخارج يعرضهم لاذى واضطهاد حكوماتهم وشعوبهم كما ناشد الرئيس اللجنة التكتم على نتائج التحقيق بأي شكل من الأشكال.

ولكن السنـاتـور تشيرش وأعضـاء اللجنـة لم يستجيبوا لنداء الرئيس فورد وكيسنجر حيث دعا السناتور تشيرش الى «مؤتمر» صحفي كبير أذاع فيه تقريره الذي تضمّن نتـائـج التحقيق التي توصلت اليها لجنته حول محاولات وتنفيذ الاغتيال العديدة التي قامت بها المخابرات الامريكية وتلقفت الصحافة الامريكية التقرير بنهم زائـد لأن بينها وبين المخابرات الشيء الكثير فنشرته على صدر صفحاتها الاولى وعلقت عليه التعليقات الشديدة والمحرجة في افتتاحيتها ولم تبق صحيفة في الساحة الامريكية إلا وكان التقرير شغلها الشاغل فشغلت الصحافة نفسها به لاسابيع عديدة فطغى خبره على جميع الاخبار وحدثه على جميع الاحداث وذهل الامريكيون لسماع النبأ ووقع عليهم وقوع الصاعقة خصوصاً وكانت فضائح إقالة الـرئيس نيكسـون ووتـرغيت لم تنس وحبـر أخبـارهـا لم يجف بعد مما اضطر المتحدث باسم البيت الابيض لتطمين الامريكيين بأن الرئيس سيتخذ اجراءات فعالة لتأمين سيطرة أكثر على المخابرات الامريكية وقال الناطق بأن رئيس الولايات المتحدة يكره فكرة أن يتورط موظفون في الحكومة الامريكية في مؤامرات اغتيال أي كان نوعها وسيعمل على منع تكرار ذلك. وعاد الدكتور هنري كيسنجر فعقد اجتماعاً مغلقاً مع اعضاء لجنة مجلس الشيوخ التي قامت بالتحقيق برئاسة تشيرش وأخبـرهم بأنـه مقتنـع بأنه لا بد وأن يوضع حد لمؤامرات الاغتيال التي تصنعها المخابرات الامريكية ثم قال للصحفيين أنه يؤيد فكرة إنشاء لجنة اشراف دائمة من الكونغرس على أعمال المخابرات وتحديدها.

أضخم تحقيق مع المخابرات الامريكية في تاريخها:

● بلغ سمك التقرير الذي اعلنه السناتور تشيرش حوالي بوصة واحدة وعدد صفحاته ثمانية آلاف صفحة وقد تم اعداده بعد مرور ستة أشهر على تأليف لجنة مجلس الشيوخ للتحقيق في عمليات القتل التي دبرتها المخابرات الامريكية خلال

الستين الماضية وفي عهود اغلب الرؤساء الامريكيين من ايزنهاور وكندي وجونسون وحتى نيكسون وفورد.. الخ واستمعت اللجنة خلال هذه المدة الى افادات أكثر من مائة شاهد دونت أقوالهم مع الحيثيات على الثمانية آلاف صفحة ويستعرض التقرير محاولات القتل موضوع البحث «أي قتل رؤساء الدول التي تسير في فلك الولايات المتحدة» وذلك حسب تسلسلها الزمني ومع أن رئيس اللجنة تشيرش خلص الى القول إن المخابرات الامريكية لم تستطع عبر تاريخها الطويل في الاجرام قتل أي زعيم سياسي أجنبي «بصورة مباشرة» ألا أنه أكد أن المخابرات حاولت ذلك أكثر من مرة لكنها كانت تفشل غالباً علماً أن المراقبون يعتقدون بأن رئيس اللجنة لم يقل الحقيقة كلها وفضل كأمريكي من داخل الصورة أن يحفظ بعض ماء الوجه لبلاده. ولقد بيّن التقرير أن في رأس «قائمة الموت» التي اعدتها المخابرات الامريكية اسماء زعماء سياسيين أرادت المخابرات تصفيتهم كان الرئيس فيدل كاسترو «وقد شرحنا محاولاتها في فصل خاص بالرفيق كاسترو وفي هذا الكتاب» والزعيم الراحل باتريس لومومبا كما بيّن التقرير أن رجال المخابرات الامريكية وبالتعاون مع آخرين من جنسيات مختلفة قد «نفذوا» عمليات اغتيال رئيس الدومينيكان تروجيللو والرئيس الفييتنامي الجنوبي نغودين ديم كما شرحنا سابقاً والجنرال التشيلي رينيه شنايدر. أما الوسائل التي كانت تلجأ اليها المخابرات الامريكية لتنفيذ عمليات الاغتيال فكانت تشمل كل ما يخطر أولاً على البال فالمخابرات لم يكن ينقصها الخيال الخصب كما يبدو فاستعانت بالسموم التي كان عملاؤها يضعونها في أقلام الحبر أحياناً أو في الأدوية البريئة أحياناً أخرى أو في السيكار بهدف أن تصل هذه السموم إما الى أفواه أو أجسام الزعماء المقصودين فبعض أنواع السموم التي استعملت[1] سم كان يكفي ملامسة جسم الشخص المقصود حتى يقضي عليه. واكثر من كان هدفاً لسموم المخابرات الامريكية هو الزعيم الكوبي كاسترو فلم يكن عملاؤها يكفون عن ابتداع الطرق لايصال السم اليه بأي صورة وذات مرة تمكن احد المسؤولين الكوبيين من الذي يعملون لحساب المخابرات الامريكية من وضع السم في علبة سيكار كان المفروض أن تذهب هدية

(١) المخابرات الامريكية هي المخابرات الوحيدة في العالم التي لديها صيدلية كاملة تحوي جميع أنواع السموم الفتاكة في العالم ولاستعمالها الشخصي...

الى كاسترو لكن خطأ بسيطاً عند التنفيذ أفشل العملية. ومرة اخرى حاولوا وضع السم الفتاك بالاجسام في ثوب جلدي للغطس العميق تحت الماء وهي الهواية المفضلة لدى الرئيس كاسترو غير أن هذه الخطة فشلت أيضاً ولم يقف الامر عند هذا الحد فتابعوا استعمال واستنباط الحيل الجديدة لكن كاسترو كان ينجو من شرها واحدة بعد الاخرى وكأن في الامر سحراً مبيناً(1) ومن المثيرات التي كشفها التقرير أن المخابرات الامريكية قد أسست فرع خاص داخل أجهزتها العديدة يقتصر على استعمال شتى الطرق للاطاحة بالزعماء والسياسيين والعسكريين في مختلف انجاء العالم «إذا» كان وجودهم يتعارض مع مصالح الولايات المتحدة وكان مفروضاً بالمشروع أن يلجأ العاملون ضمن شبكاته الى «القتل» كملاذ أخير بعد فشل جميع الوسائل الاخرى والجدير بالذكر أن هذا المشروع كان قد وافق عليه الرئيس كندي شخصياً عندما كان يساير المخابرات وقبل أن تنقلب عليه لكن الظروف منعت فيما بعد تنفيذه وفقاً للصورة المطلوبة ولكن حتى قبل ولاية كندي لم تكن المخابرات الامريكية تفتقر الى القتلة المحترفين لأنها كانت تملك إما داخل أجهزتها أو تحت تصرفها خبراء في مختلف مجالات القتل والاغتيال واكد التقرير أن المخابرات الامريكية لم تكن تختلف كثيراً في اساليبها عن الاساليب التي تلجأ اليها العصابات الاجرامية المنظمة كالمافيا مثلاً وكان التعاقد مع القتلة المحترفين يتم على مختلف المستويات ودون حساب للمصاريف منذ بداية السبعينات عندما كانت المخابرات مصممة على التطرف الى اقصى الحدود لتحقيق غاياتها وبالتالي غايات الولايات المتحدة. ولم يكن غريباً خلال تلك الحقبة الزمنية أن ينزل خريجو هارفارد وبرينستون ديبل وغيرها من الجامعات وهم الذين يشكلون عادة العصب الاساسي للمخابرات الى مستوى الحثالات الاجتماعية فيعقدون الصفقات مع اعضاء العالم السفلي من قتلة ومجرمين كي يتعاونوا معهم في تنفيذ المخططات المختلفة.

والتحقيق مع المخابرات الامريكية لم يلبث أن كشف أن مكتب التحقيقات الفيدرالي الامريكي كان «متضامناً» مع نشاطات المخابرات وطالما ساعدها في

---

(١) راجع فصل إصرار المخابرات الامريكية على اغتيال الرفيق كاسترو في هذا البحث ونجاة كاسترو من جميع المحاولات...

تحقيق مآربهـا بل ان تقارير التحقيق تدين هذا المكتب بجرم اللجوء الى احقر الوسائل واقذرها في مجال تنفيذ أهدافه وبما أن مكتب التحقيقات تنحصر مهام أعمـالـه داخل الولايات المتحدة فقط فقد كانت توكل اليه الاعمال التي تتعلق بالزعماء والسياسيين داخل البلاد وتدل الوقائع على أن الرؤساء كندي وجونسون ونيكسـون وفـورد كانوا يستغلون بشكل دائم امكانات مكتب التحقيق الفيدرالي لتحقيق مآربهم السياسية وبصورة خاصة في مجال «تحطيم» منافسيهم السياسيين بشتى الـوسـائل وفي معظم الأحيان بالوسائل القذرة ومن أبرز الشخصيات التي تعـرضت لوسائل المكتب القذرة الزعيم الزنجي الراحل لوثركينغ فلم يترك رجال المكتب وسيلة لم يستعملوها لمضايقته وتحطيم شعبيته وأشارت المعلومات الى أنهم كانوا يرسلون له رسائل التهديد والمكالمات الهاتفية التي لا تقل عنها بذاءة ووقاحة ثم قاموا كملاذ أخير حسب قولهم هم باغتيال مارتين لوثر كينغ عن سابق تصوير وتصميم للخلاص من اتساع نفوذه السياسي والشعبي .

وبعد ذلك فإن المخابرات الامريكية لن تعود الى ما كانت عليه مرة ثانية في أعقاب هذا التحقيق المحرج جداً الذي جرى في عالمها الغامض منذ انشائها قبل عشرات السنين ولن يسمح بعد اطلاع الشعب الامريكية على فضائح مخابراته وهي التي أنشأت لجمع المعلومات فقط في الخارج بالسر والعلن بالعمل بالحرية التي اعتادت العمل بها وقد بدت المراقبة أكيدة بالنظر الى مضمون تقرير اللجنة عن اعمـال المخابرات وقد ذكر التقرير أيضاً عن نشاطـاً داخلياً «غير مشروع» على الامـريكيين وتـلاعب بالبـريد الشخصي للأفـراد الامـريكيين واجـراء تجـارب بالمخدرات وحبوب التخدير النهائي أي أن الانسان الذي يعطى من هذه الحبوب يصبح أسير توجيهات المدرب حتى لو أمره بالانتحار فإنه ينفذ أمره وينتحر[1] وقد لخصت اللجنة تقريرها الضخم بتقديمها الى الرئيس ثلاثين توصية بحيث يستطيع العمل بموجب بعض هذه التوصيات وفقاً للصلاحيات المخوّلة له فوراً ولكن بقية التوصيات تحتاج الى قانون يصدره الكونغرس ولعل أهم هذه التوصيات هي أن يطلب الرئيس من الكونغرس إنشاء لجنة مشتركة دائمة تشرف على عمل المخابرات

---

(١) للتأكد يرجى مراجعة موضوع القتل الجماعي الذي نفذته المخابرات الامريكية في جونستان في كتاب المخابرات والعالم ـ الجزء الثاني ـ صفحة (٢٧١). . .

وهنـاك توصية اخـرى قام الـرئيس فورد نفسـه بتنفيذهـا وهي اعـطاءه المجلس الاستشاري للمخابرات الخارجية التابع للرئيس والذي يتمثل به زعماء الكونغرس «صلاحية اكبر» في حينه لمراقبة المخابرات كما وزع الرئيس توصيات اللجنة على وزارات الخارجية والعدل والدفاع طالباً ملاحظاتها واقتراحاتها فقامت وزارة العدل باعتبارها تمثل العدل ولديها النائب العام بدراسة التقرير دراسة مستفيضة خاصة المعلومات المتعلقة بجرائم القتل والاغتيال الموجهة للمخابرات «كمدعى عليها» حيث وجهت المـلاحقات الجنائية في حالات عديدة من ضمن التقرير بما فيها اعمـال التـآمر لقتل واغتيال زعماء اجانب وأيضاً وضعت دوائر التنفيذ التآمرة مع المخابرات العراقيل والمشكلات القانونية في وجه التنفيذ ومثال على ذلك رفض المسؤولين في دائرة التنفيذ العليا تنفيذ أوامر الاستدعاء والملاحقة والاحالة للنيابة العامة بحجة أن جميع القوانين الامريكية الجنائية تفرض اتخاذ اجراءات قانونية ضد هذه الجـرائم خلال خمس سنوات من تاريخ ارتكابها وهذا ما لم يتوفر في الجرائم التي نبشها التقرير أما بالنسبة الى مؤامرات الاغتيال فأيضاً قدمت الحجج الواهية وهي أن قيام أي مواطن أمريكي (في حينه) بالتخطيط لاغتيال شخص في بلد آخر لا يعتبر جريمة وكان على الرئيس فورد ووزارة العدل القيام بعمل مثالي فقـامـا بالايعـاز الى الجميع بالتـأكد في المستقبل من عدم ارتكاب المخابرات الامـريكية أية اعمال جنائية كالتي تتهم فيها. وأيضاً قدمت وزارة العدل مشروع قانون جرت الموافقة عليه ينص على أن أي امريكي «يغتال مسؤولاً أجنبياً يكون عرضة للحكم عليه بالسجن مدى الحياة وعقوبة «محاولة الاغتيال» عشرون عاماً.
وأيضاً أصبحت عمليات الابتزاز والتهديد التي كان يتورط بها عملاء المخابرات الامريكية خاضعة للعقوبة أيضاً بغض النظر عما إذا وقعت في الولايات المتحدة أو خارجها. ومع أن تقرير اللجنة لم يظهر اشياء جديدة عن اعمال المخابرات ألا أنه أظهـر ما كان قد ارتكب من عمليات مخـالفـة للعـرف السائد أي مخالفة لعمل المخابرات الروتيني كما وفّر التقرير معلومات صحفية وتفصيلات لم تكن معروفة.
وأيضاً ذلك مثال بأن المخابرات الامريكية قد جمعت وبصورة غير مشروعة بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٧ أي خلال عشر سنوات معلومات عن «منشقين» أمريكيين قادت هذه المعلومات الى اعداد «١٣,٠٠٠» ألف ملف وقد صنفت هذه الملفات في الادمغة الالكترونية وتحوي هذه الملفات أيضاً على معلومات لها علاقة بأكثر

من «٣٠٠,٠٠٠» ألف شخص ومنظمة مما سبب صدمة للامريكيين وقد نظر بشك لدى صدور التقرير ونشره في الصحف الى اللجنة التي كانت بطبيعتها مؤلفة من أشخاص اعتبروا من الشخصيات المؤيدة للمخابرات أو ممن لهم علاقات طويلة الامد مع العاملين في حقل المخابرات لكن تقرير اللجنة ولاسيما التفصيلات المذهلة التي تضمنها والتي تطلبت جهداً بالغاً نال ثناءاً عاماً من كافة الامريكيين مع أن بعض نقاد عمل المخابرات رأوا فيه ظلال تغطية إذ أن المعلومات المتعلقة بتهم الاغتيال لم يكشف النقاب عنها على الفور. غير أن الرئيس الامريكي لم يوصد الباب في وجه كشف النقاب عن المعلومات وكل ما قاله هو أنه شعر بأنه يجب عدم نشرها «في حينه» لأنها غير كاملة وحساسة جداً.



عمليات المخابرات الامريكية «زادت» منذ وصول ريغان للحكم

● المخابرات الامريكية زادت عملياتها خمسة اضعاف منذ تولي ريغان الحكم في بداية عام ١٩٨١ ويصدق على هذه العمليات عدد من المسؤولين أقل مما كان في الماضي وان هذا النوع من العمليات في العهود السابقة كان يصدق عليه بعد اجراء مشاورات بين مختلف الوزارات لكن الرئيس ريغان اراد تعزيز طابع السرية لعمل المخابرات بعد قليل من دخوله البيت الابيض أن يقصر عملية اتخاذ القرار على عدد محدود من كبار المسؤولين من مجموعة التخطيط للامن القومي (ناشونال سيكوريتي بلانينغ غروب) وهم نائب الرئيس جورج بوش وزير الخارجية جورج شولتز ووزير الدفاع كاسبار واينبرغر ومستشار الامن القومي روبيرت ماكفلرين ومدير المخابرات الامريكية وثلاثة من مستشاري الرئيس.

أكاديمية المخابرات المركزية الاميركية جامعة الجواسيس

● كتبنا في الجزأين الاول والثاني عن معاهد وجامعات التجسس في الاتحاد السوفييتي وبريطانيا والمانيا والآن جاء دور معرفة كل شيء عن اكاديمية المخابرات المركزية الامريكية لتخريج الجواسيس على المستوى الاكاديمي والمسماة «جامعة الجواسيس».

● لاول مرة دعت نشرة اسمها «الشرق الاوسط» تصدر في واشنطون لحضور مؤتمر ثقافي يعقد في مبنى كلية المخابرات الامريكية وبعنوان (الشرق الاوسط ـ مشاكل وتطلعات) وكانت الدعوة لكبار السياسيين الامريكيين المنحدرين من اصل عربي ثم الصحافة التي تدعي ايضاً لاول مرة الى مثل هذا المؤتمر ولم يصدق الصحفيون أن المخابرات الامريكية ستسمح بحضور الصحافة أو الكتابة عن المؤتمر.

الداخل الى مبنى كلية المخابرات تستقبله فتاة جميلة بثياب عسكرية أنيقة وأكف بيضاء تنظم السير وتدل الضيوف على مدخل الكلية فليس هناك «تعقيد» ولا تفتيش ولا سؤال عن أي شيء.

كلية المخابرات تبدو كقصر طويل في الوسط تقسمها حديقة وملاعب للتمارين الرياضية. أبنية الكلية موزعة على الجانبين ولدي مرور الزائرين يشاهدون على الطبيعة مجموعات متفرقة تتدرب وهي باللباس العسكري من الوسط. فيسرقون النظر اليهم ولكن لا احد يقول «ممنوع» وفي جانب آخر من مباني كلية المخابرات كانت المنازل الحمراء متلازمة ومشدودة باعمدة بيضاء كبيرة تشبه اعمدة بعلبك مع فارق بسيط هو أن هذه الاعمدة لاتزال تحمل أدواراً حية ومعجونة

بالسياسة الاستراتيجية والحروب والنزاعات الدولية على مدخل كل منها كان يوجد اسم ربما يعود لرئيس قسم أو فرع في الكلية أحد المنازل كان يرفرف في حديقته العلم الامريكي كان منزل عميد الكلية. المدافع المدهونة باللونين الاخضر والابيض كانت تنتصب وسط الحدائق وكأنها بقايا مراحل الحروب الماضية أما المراحل الحديثة فأصبحت صغيرة حجماً كبيرة فعلاً وفاعلية إنها نظام استباق تخزين المعلومات والحفاظ عليها لاستعمالها في اللعبة الكبرى المشروعة «الحرب واوتدتها المشدودة ـ المصالح».

تلاميذ كلية المخابرات كانوا يبدون مرتاحين البعض منهم كان يركض في الهواء الطلق بلباس الرياضة والبعض جالس في الكافتيريا والبعض يقفز في حوض السباحة وآخرون تحت أشعة الشمس وكانت نسبة الفتيات مرتفعة جداً بين الطلاب «العامة» وليس بين «القادة» وهنا يحق لنا أن نتساءل: ترى بماذا يفكر من يلتحق بالكلية. ؟ ولماذا يندفع اليها ومن ثم كيف يتباهى بشهادة جامعية يحملها في ارفع واحدث اساليب التجسس وقاعات المحاضرات في كلية المخابرات عديدة وسط هذا المبنى الكبير لكن القاعة التي كانت تشير اليها الاعلانات كمقر للمؤتمر كانت بجانب سلسلة من الغرف الصغيرة المسماة على اسماء الدول والقارات والتي يوجد بداخل كل منها آلات عرض سينمائية وكمبيوترات وأجهزة إتصال. وكانت قاعة المؤتمر اشبه بقلعة عالية تلفها القناطر من الداخل والنقوش الحبرية بشكل يضاهي أحياناً بعض المساجد في الشرق. . كانت الجدران تتفاخر بصور القادة وخريجي الكلية وكلهم من الرجال (يعتقد أن الخريجات من الجنس الناعم لا يسمح بتعليق صورهنّ) وقاعة المؤتمر كانت ملأى بالحضور (في حينه) رغم أن الدعوى المفتوحة لم توجه سوى للمشتركين في المجلة التي يصدرها مركز كلية المخابرات والذي اشرف على تنظيم المؤتمر بالتعاون مع رئاسة كلية المخابرات الحضور من العرب الى مؤتمر (الشرق الاوسط ـ مشاكل وتطلعات) كان محدوداً جداً ولم يزد عن بضعة اشخاص عرف منهم الاستاذ محسن زوقان من جامعة جورج تاون الذي صرح لكاتب المقال بقوله:

كنت اخشى المجيء بعدما تلقيت الدعوة ـ كلهم هنا مخابرات ومع ذلك سوف احضر لأرى ما لديهم لأنها المرة الاولى التي اعرف فيها بوجود كلية أمريكية تدرس المخابرات العسكرية.

كانت اسماء المتحدثين والمواضيع المطروحة تغري كل منهم بشؤون الشرق الاوسط لحضور المؤتمر.

أعمال اليوم الاول لمؤتمر كلية المخابرات الامريكية:

اليوم الاول للمؤتمر تميز بالطابع النظري لمركبات الشرق الاوسط فالحلقة الاولى كانت عن الاقتصاد والتغييرات التكنولوجية في المنطقة. الحلقة الثانية كانت عن القيادة الايديولوجية السياسية وفي هذا الموضوع تميزت اطروحة الدكتور (نزيه أيوبي) استاذ الدراسات الشرق اوسطية في جامعة كاليفورنيا الذي تحدث عن التغييرات في المجتمع العربي والانهيارات التي سببتها القيادات العسكرية ذات الفكر المثالي (قيادة الرئيس عبد الناصر) والامريكيون يحبون سماع من يتحدث عن «اعدائهم». وكان تركيز اغلب المحاضرين على أن أي تغيير يمكن أن يحصل في مستقبل دول الشرق الاوسط سيكون «منطلقه» طائفياً دينياً اسلامياً. وتحدث الدكتور فريد خوري وهو من أصل فلسطيني يحمل شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا وكتب كثيراً في موضوع الصراع العربي ـ الاسرائيلي ويشغل منصب استاذ العلوم السياسية في جامعة فلانوفا في الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٥١. حاضر الدكتور خوري فأعطى شرحاً شيقاً عن القضية الفلسطينية ففي عام ١٩٤٨ كانت قضية لاجئين. وبعد ١٩٦٧ تحولت الى قضية سياسية ومن خلال التحدث عن هذه التحولات ركّز على الاهداف الصهيونية والتي يبرز أهمها من خلال هدفين:

الاول هو السيطرة على المنطقة. والثاني ضم الضفة والقطاع. أما الاهداف الفلسطينية فكانت عام ١٩٤٨ تؤكد على ضرورة اقامة دولة فلسطينية محررة من الاستعمار الصهيوني. ولكن منذ عام ١٩٦٧ تغير الهدف ضمن الخط القائل: «إذا صعب الحصول على كل الرغيف فإنهم يكتفون بنصف الرغيف» وبمعنى آخر إن الفلسطينيين بعد نكسة عام ١٩٦٧ أخذوا يظهرون قبولهم لقرار التقسيم لفلسطين بين الفلسطينيين واليهود. ولكن منذ الثمانينات حتى الآن أصبح هدفهم **الكونفودرالية** مع الاردن ولكن هذه القضية معقدة وغير مبلورة والعامل الحاسم هو

تلبية الـرغبـات الـوطنية للفلسـطينيين لذلـك يفتـرض على الاقـل ادخالهم في «ميكـانيزم» أو «عجلة» المباحثات لالزامهم اخلاقياً بأي معاهدة يوقعون عليها. فرغم الاعترافات الدولية والمكاسب الدبلوماسية على الصعيد العالمي فإنهم حتى الآن لم يحصلوا حتى على «نصف الرغيف» ثم شدد الدكتور خوري على ضرورة العمل على ترسيخ التوجه السلمي ودعمه لأنه إذا تأكد للفلسطينيين أنه لا يمكنهم الحصول على «نصف الرغيف» بالطرق السلمية فإنهم سيقتنعون بأنه ليس لديهم أي يخسروه وبالتالي سيعودون الى الهدف الابعد والاقصى وهو الحصول على كل «الرغيف» وبالطرق العسكرية الثورية وهذه توجهات اغلب المنظمات في هذه المرحلة.

وانتهى الدكتور خوري الى التأكيد على دعمه الشخصي للحلول السلمية وأنـه يفتـرض بأمريكا أن تدعم المعتدلين الفلسطينيين وتعمل على تحقيق فكرة الدولتين المستقلتين: فلسطين واسرائيل. وبذلك تؤكد هيبتها ومصداقيتها.

الثورة الاسلامية الايرانية ومحاضرة عن اهدافها:

وعن الثورة الاسلامية الايرانية تحدث المحاضر جيمس بل وهو استاذ انظمة الحكم في جامعة تكساس وله مؤلفات عدة آخرها وأهمها كتاب بعنوان: السياسة الثورية ومفهوم التوازن السياسي في العالم الاسلامي.

قال بل: مضت عدة سنوات على الثورة الاسلامية وهي لاتزال تتجذّر. وعي حكام الدول المجاورة لها أبعد من وعي الغرب وكذلك فهمهم لها اعمق من فهم المحللين الغربيين فبعض دول المنطقة تعمل على ابعاد هذه الثورة رغم أن هذه الثورة وجدت لتبقى.

وقد وصف بل الثورة الاسلامية بأنها كانت ثورة شعبية ضد نظام «محنك» ومبـرمج بالسلاح ومدعوم من قبل أقوى قوة عالمية ومع ذلك نجحت الثورة التي صنعتها طبقة المستضعفين وعامة الشعب الايراني وأضاف إن الاعتقاد السائد هو أن انتصار الثورة في ايران بقيادة آية الله الخميني هو أول انتصار للاسلام منذ زمن طويل وإن هذه الثـورة سوف تنتشر إذا وجدت الظروف الموضوعية مهيأة لتقبلها

وليس لأنها ثورة ذات ايجابيات في حد ذاتها وإن أمريكا بعدم مبالاتها ومن خلال ممارساتها في المنطقة تبدو وكأنها هي التي تهيء الظروف لمثل هذه الثورات.

المخابرات الامريكية لم تسكت لهذا المحاضر فحين طلب المحاضر جيمس بل من المحاضرين «التعليق» على محاضرته قام الكابتن أسكوت بيد من المخابرات الامريكية وقال في الميكرفون الموجود أمامه:

إن الثورة الايرانية تشكل «تحدياً» للانظمة والقوى المعتدلة في المنطقة. وهذه من ابرز المشاكل التي تواجه السياسيين والمسؤولين الامريكيين في واشنطون. وإن الثورة الاسلامية في ايران رسخت حكم «الخميني» وعلماء الدين ولكنها لم تمتد الى الخليج.. أما جون بيترسون وهو أحد المحللين في قسم الشرق الاوسط في مكتبة الكونغرس فقد تحدث عن الحرب العراقية ـ الايرانية مختصراً حديثه بالقول إن هذه الحرب مهدت لقيام التعاون الخليجي الذي أبعد القوتين العسكريتين إيران والعراق من هذا الاطار الامني. ثم تكلم الكولونيل توماس بيانكا من خبراء المخابرات الامريكية عن اسرائيل قائلاً: اسرائيل اليوم ليست كاسرائيل الامس إن ظهور الصهيونية الجديدة المتشددة حقيقة مخيفة بالنسبة «للمصالح الامريكية». وعن الفلسطينيين ومنظمة التحرير قال: لا يمكن للقيادة الراهنة الفلسطينية أن توصف.. «بالارهابية». وأيد الكولونيل توماس فريد خوري في محاضرته ومواقفه متمنياً على الفلسطينيين أن لا يتحولوا الى راديكاليين وطلب حثهم وجذبهم الى المواقف المعتدلة وانتهى الى تأييد خطة الرئيس ريغان ومهمته على اعتبار أنها متقدمة على اطار كامب ديفيد.. وانتهى المؤتمر بكلمة من السفير الامريكي السابق في جمهورية مصر «هيرمان إيلتس» الذي كان له دور بارز في محادثات «كامب ديفيد» بين مصر واسرائيل بحضور ورعاية الولايات المتحدة والسفير إيلتس التحق بوزارة الخارجية الامريكية عام ١٩٤٧ وتنقل في الشرق الاوسط ففي عام ١٩٥٩ و ١٩٦١ كان مسؤولاً عن شؤون الجزيرة العربية وبعد ذلك التحق بالكلية الحربية ثم عين سكرتيراً أول في السفارة الامريكية في لندن وفي عام ١٩٦٤ أصبح المسؤول عن البعثة الامريكية في طرابلس الغرب (الجماهيرية) وفي عام ١٩٦٦ عين سفيراً في السعودية ثم عاد في السبعينات الى واشنطون كمستشار للكلية الحربية في شؤون الشرق الاوسط وفي عام ١٩٧٣ عين سفيراً في القاهرة وهناك برز اسمه خلال الدور الذي لعبه في مباحثات «كامب

ديفيد» تقاعد من الخارجية الامريكية عام ١٩٧٩ ويعمل الآن «استاذ محاضر» في جامعة بوسطن ويبدو أنه كمعظم الدبلوماسيين وخاصة الامريكيين يتمتع بروح مرحة وساخرة وله ذاكرة قادرة على اختزال المواقف السياسية الكبيرة في «نكتة» صغيرة وهذه صفة مطلوبة خاصة لدى الاطراف التي تسعى الى مصالحة الاعداء فقد بدأ إيلتس كلمته في حفلة العشاء الوداعية للمشاركين في المؤتمر التي اقيمت في مبنى الشؤون العسكرية بنكات أعاد بها الحضور الى اجواء مفاوضات الهنود الحمر ثم ربط هذه الاجواء بكامب ديفيد وقضية الشرق الاوسط حيث بدأ إيلتس متحمساً جداً وناقماً على السياسة الامريكية المتقلبة والتي تتغّير كل أربع سنوات بين رئيس وآخر وقال: إن كل سفير امريكي يعرف الاعباء السلبية لهذا التغيير. ثم ركز على قضية الصُراع العربي الاسرائيلي قائلاً: إن امريكا تواجه مشكلة لها وجهان في الحقـوق المتصـارعـة بين «الفلسـطيني» و«الاسرائيلي» وقال إنه لا يقبل بسهولة ادعاءات ريغان بالحقوق الشرعية المستمدة من الكتاب المقدس لليهود وفي عدم اعـطائـه أي حق للشعب الفلسطيني الذي عاش على هذه الارض(١). ثم انتقد انغماس السياسة الامريكية بالقضية اللبنانية وتقديمها اياها على القضية الفلسطينية كما انتقد بصوت عال الاجتياح الاسرائيلي للبنان وقال إن القضية اللبنانية هي قضية جانبية قياساً للنزاع العربي ـ الاسرائيلي واعطى على ذلك مثالاً من خلال قوله إن العرب قد تعودوا على «التعايش» مع النزاع في لبنان ثم شدد على اهمية التفاوض مع الفلسـطينيين أنفسهم وانتقـد الانغمـاس في التفسيرات التي تبعـد القضية الفلسطينية عن جوهرها كالبحث في معنى الحكم الذاتي الذي أصبح هدفاً بحد ذاته وليس حلاً. وقال: ما اتمناه هو سلام حقيقي في الشرق الاوسط وامريكا هنا قادرة على أن تلعب دوراً هاماً. لكن ما يعطل هذا الدور هو البنية الامريكية وتغيّر الرئيس وادارته كل أربع سنوات ورفض القول بأن المصداقية الامريكية في أزمة وتحدث عن رغبة كل الاطراف بالتعاون مع امريكا وعلق على ذلك بقوله: ماذا فعل

(١) رغم ان السفير الامريكي المتقاعد «هيرمان إيلتس» كان عضواً فعالاً في مباحثات كامب ديفيد وساعد على نجاحها وكان من العاملين في وزارة الخارجية لمدة ٣٢ سنة فإنه انتقد الرئيس ريغان «علناً» بأنه لا يعـطي الفلسـطينيين أي حق باعتبارهم أصحاب الارض «فلسطين» بينما يعطي لاسرائيل كل شيء... انه العدل...

عرفات، كي لا يدعى الى عشاء امريكي؟ إنني أعلم حسب خبرتي أن الكل يريد الحوار لأنه الأمل المستمر نحن لانزال قادرين على فعل الكثير وانتهى الى التأكيد على امكانية تطوير «كامب ديفيد» ليضم كل العرب الذين «يريدون» أن يمثلوا فيه بما فيهم منظمة التحرير. وقال: الوقت للسلام سيبقى بانتظار نتائج انتخابات امريكية (حين تكلم هذا الكلام عاد ريغان للرئاسة الامريكية للمرة الثانية) ثم انهى السفير إيلتس كلمته بقوله: منذ عشرين عاماً وفي هذا المكان بالذات كان المحاضرون يقولون الكثير عن سياستنا في الشرق الاوسط ولقد شبهونا كمن يطلق النار على اصابع قدميه. لو كان هذا الكلام صحيحاً لكنا الآن كسحاء. العكس هو الصحيح نحن في الشرق الاوسط اليوم نقف على اقدام ثابتة ونمشي «بارتياح؟..» ثم أضاف أنا لا انفي أن مصداقيتنا تجاه أصدقائنا العرب في خطر ولا يوجد سفير امريكي في الشرق الاوسط لم يشعر بذلك والسبب هو البنية السياسية المتغيرة مع تغيير كل رئيس كما ذكرت أي أنه كل أربع سنوات يتغير الطاقم الحاكم. بعض الرؤساء يحاول الابقاء على الاولويات نفسها لكنه لا يستطيع أن يقدم الضمانات نفسها ومن هنا يشعر عدد كبير من اصدقائنا أنه لا يمكنه الاعتماد علينا.

؟ كلام كهذا كان يعتبر خطيراً ومثيراً وكان يتم التعتيم عليه أما اليوم فيبدو الارتياح الامريكي الكامل والشامل في التعامل مع الشرق الاوسط لدرجة أن يعقد مؤتمر عن مشاكل ومستقبل الشرق الاوسط في كلية تخرج رجال المخابرات وبشكل علني ومفتوح للعموم.

وقف الجميع من الحاضرين للعشاء الختامي وفيهم أبرز الاختصاصيين والخبراء الاكاديميين والدبلوماسيين الامريكيين مصفقين كثيراً لصدق وجرأة السفير المتقاعد هيرمان إيلتس وخرجوا من قاعة الطعام فوجدوا موظفة من كلية المخابرات توزع عليهم نشرة اضافية قرأوا فيها دعوة مفاجئة في التاسعة من صباح اليوم التالي لسماع محاضرة من الدكتورة اوفرا سلكتار وهي اسرائيلية شرقية وتعمل في قسم الدراسات الشرق اوسطية في جامعة بنسلفانيا وكذلك في جامعة تكساس «أي. أوم» ولم تنجح في الحصول على كرسي للتدريس في الجامعات الاسرائيلية ولها مؤلفات عديدة آخرها كتاب بعنوان «الصهيونية الجديدة» وهو عبارة عن تحليل نفسي للنظام الاسرائيلي وسياسته.

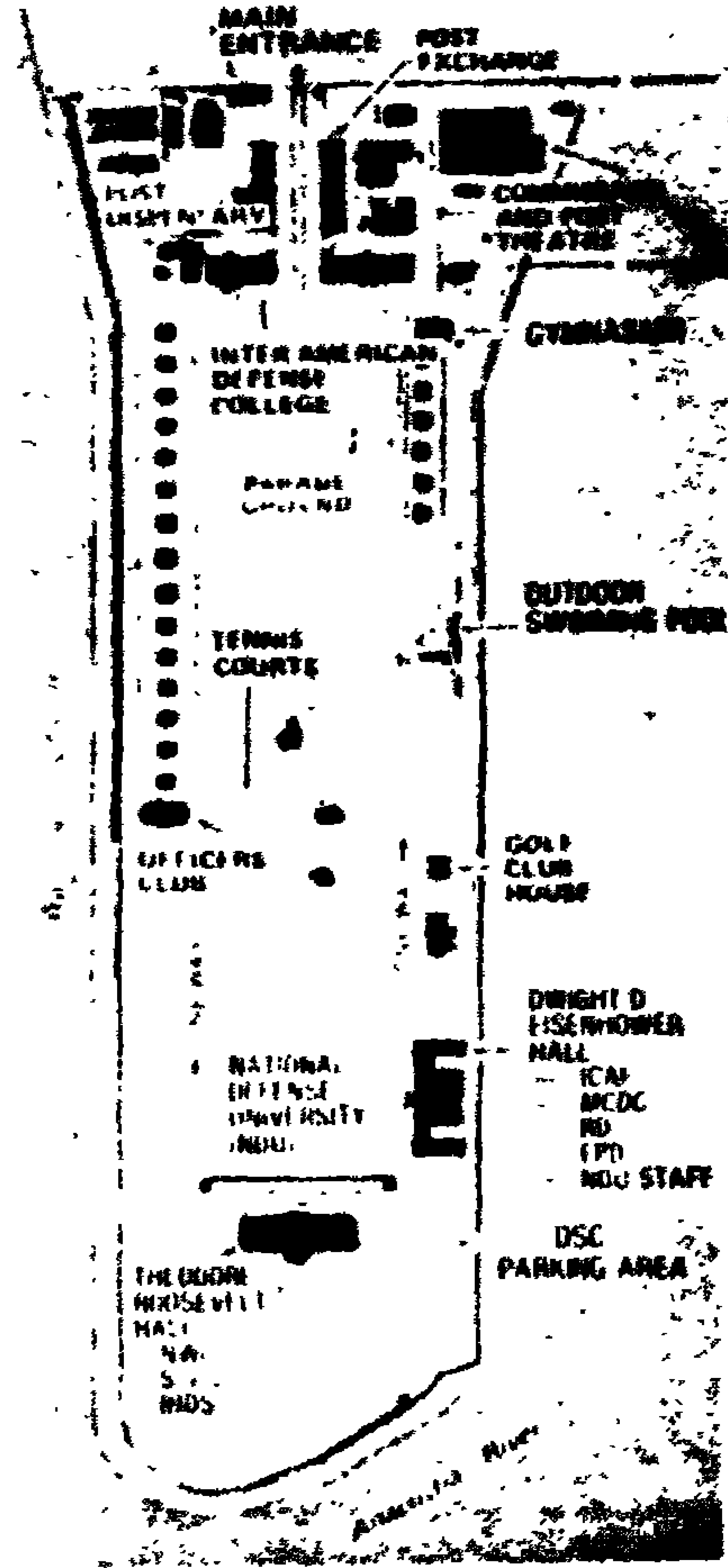
اسـرائيـل غيـر ملزمـة بالخضوع للارادة الامريكية وهي الادرى بتعقديدات المنطقة ولعب دور حماية المصالح :

في اليوم التالي حضر حوالي نصف لمدعوين محاضرة الدكتورةسلكتار التي بدأتهـا بنـظرة فلسفية عن القيم السياسية وكيفية انبعـاثهـا وتأثيرها على السياسة الخارجية الاسرائيلية فقالت: إن نظرة الصهيونية الجديدة الى الشرق الاوسط مبنية على اساس كونها منطقة مركبة من أقليات وطوائف محكومة من قبل اغلبية «سنية» ولذلك إذا اقامت اسرائيل علاقات جيدة مع الاقليات الطائفية في المنطقة فإنها تضمن بذلك استمرارها وهيمنتها السياسية منطلقة من مبدأ الواقعية الطائفية. فلو قويت الطوائف والنزعات الطائفية في المنطقة لكانت «اسرائيل» الاقوى كأغلبية سياسية وسكـانية في المنـطقة. والصهيونية الجديدة برأيها والمتمثلة بقيم وثقافة اليهود الشرقيين «تنظر الى العرب وكأنهم دائمو الخضوع لفكرة القوى ولذلك فإن «اسـرائيل» تسعى دائمـاً للظهور بمظهر الاقوى عسكرياً في المنطقة والصهيونية الجديدة تلبي هذه النزعة الغريزية العربية في الاحترام والخضوع «للقوى». ومن منطلقات هذه السياسة تضيف سلكتار أن لا تعطي (الاصح أن لا تعيد) اسرائيل الضفة الغربية للعرب أبداً لأن ذلك سيبدو وكأنه تنازلاً من جانبها ولو كانت الضفة الغربية ذات مردود سلبي على اسرائيل فإن عليها الاحتفاظ بها لمجرد المحافظة على صورة القـوى. أمـا بالنسبـة للعـلاقـة مع امـريكا فلا يفترض بـ «اسرائيل» الخضوع لارادتها حتى وإن كانت هي مصدر الحياة والسلاح[1] لأن اسرائيل موجودة في الواقع الموضعي للمنطقة فهي الاقرب الى منابع النفط وهي الادرى والاكثر معرفة بتعقيدات المنطقة وهي التي تتصدى بشتى الوسائل للنفوذ السوفييتي وتلعب دور حمـاية المصـالـح الامـريكية. ثم هناك النظرة الاكثر جرأة والتي تعبر عنها المحاضرة بكل وضوح قائلة: بأن الصهيونية الجديدة تتبع فكرة «إذا كان العرب

---

(١) هذا ما تفعله اسرائيل فعلاً حسب المثل القائل «فرعون مين فرعنه قالوا ما في أحد يردّه» وزرع بولارد للتجسس لصالحها على امريكا نفسها هو خير دليل..؟

يملكون الغاز فنحن نملك الكبريت»(١)وتشرح ذلك بأن امريكا اذا فكرت في وقف السلاح عن اسرائيل أو أي دعم اقتصادي لتطوير البنية التحتية فيها فإن اسرائيل



الخارطة الامريكية التي وزعت للمدعوّين إلى مؤتمر كلية المخابرات الامريكية

ستقوم بعمليات عسكرية ساحقة لتغيير الواقع السياسي في المنطقة لصالحها وضد

(١) هذا التهديد منتهى الوقاحة من المحاضرة التي ثبت ان اضافة محاضرتها كان لهذا الهدف أي ان تكون صوت الصهيونية في المؤتمر وفي مبنى كلية المخابرات الامريكية.

ارادة ومصالح امريكا. وفيما يتعلق بنظرة الصهيونية الجديدة للضفة الغربية قالت سلكتار انها ذات شقين: أولهما النظرة السيكولوجية للعاطفة الدينية. والثانية: هي النظرة الواقعية التي تعتبر الضفة جزءاً من دولة «اسرائيل» الكبرى.

وهكـذا انتهى مؤتمـر «الشرق الاوسط ـ مشاكل وتطلعات» الذي عقد في مباني اكاديمية المخابرات الامريكية في واشنطون وبقي أن نلقي الضوء على هذه الاكاديمية (كلية المخابرات الامريكية متى؟ كيف؟ ولماذا انشئت؟):

● في القـرن الخامس الميلادي قال الفيلسوف الصيني سان تسو حديث عن الحرب (إن المعلومات كانت ديناموفكر أمير الصين في جميع تحركاته) من هذه العبارة نركّز على أهمية اكتساب المعلومات عن العدو والتي تعتبر اساس كل نصر. والتجسس بلغة الغرب أو المخابرات تختلف حتى بلغتها إذ تسمى (الانتلجانسيا) أو الذكاء وهذا ما تحاول المخابرات المركزية الامريكية الظهور به بل وتؤكد أن هذه المهنـة المهمة وطنية وأنها تعكس قدرات الشخص الجسدية والفكرية. وبذلك تهتم بكلية المخابرات التي انشئت عام ١٩٦١ وإن ابرز نشاطاتها موجهة لتدريب وتخريج جواسيس على مستوى عال من التعليم الاكاديمي للعمل في كوبا والشرق الاوسط وفييتنام وافريقيا وامريكا اللاتينية وجنوبي آسيا. أن كلية المخابرات هذه تؤمن الكوادر والخريجين لكل من الولايات والمكاتب وقيادة المخابرات الامريكية:

١ ـ نفس المخابرات الامريكية «الأم»، سي، يّ، إيه.
٢ ـ وكالة الأمن القومي «آن، إس، إيه».
٣ ـ مخابرات هيئة الاركان «جي، سي، اس».
٤ ـ مخابرات إدارة وزارة الدفاع «دي، أو، دي».
٥ ـ مكتب وزير الدفاع «أو، إس، دي».
٦ ـ الدائرة الوطنية للمخابرات الخارجية «إن، إف، إي، سي».

وبمـا أن مهمـة المخـابـرات الامريكية هي حماية الولايات المتحدة من التهديدات الخارجية العسكرية والسياسية والاقتصادية... وإن أعمالها في جمع المعلومـات وتحليلها، استقصائها وانتاجها وتنظيمها هي أعمال دائمة مستمرة ما استمرت الحياة أي لا تنتهي أبداً والمثال على ذلك «اهتمام المخابرات المركزية الامريكية حالياً بتحديد نوعية الصواريخ الصينية» وتدعو المخابرات الامريكية دائماً كل شخص لتـدعيم قدراتـه في العـطاء والتحـدي من خلال انضمـامه الى نواة

المواطنية ودخوله كلية التجسس في فريق المخابرات الامريكية.

وقد طرح احد الصحفيين سؤالاً على احد عمداء كلية المخابرات عن امكانية دخول أي شخص غير امريكي الى الكلية فأجاب العميد:

يمكن ذلك إذا كان من بلد صديق وجاء ضمن شروط التعاون والتبادل الثقافي والعسكري وقد جاءنا فريق من لبنان وقد دربناه واضاف العميد وسيكون بامكان الاشخاص العاديين أخذ ولو مادة دراسية واحدة في الكلية أو الالتحاق بالصف الذي تدرس فيه مادة الشرق الاوسط. وبعد هذا عرض عن مؤتمر الشرق الاوسط في الثمانينات «مشاكل وتطلعات» الذي عقد في مبنى كلية المخابرات الامريكية «كلية التجسس» وإن كان لم يضف الكثير فيما يختص بالمعلوماتية للخبير بقضايا الشرق الاوسط ألا أنه يشكل إضاءة مهمة على الارتباط الاكاديمي بالسياسة الامريكية ويميز كيفية توظيف القدرات الاكاديمية بالسياسة الامريكية والدفاع عنها. فهذا المؤتمر يذكرنا بما تحدث عنه ادوارد سعيد في كتابه «الاستشراق» عن الربط بين الثالوث المقدس الامريكي:

آ ـ السياسيين.

ب ـ الشركات التجارية المستقلة.

جـ ـ الاكاديميين.

ومهما حاول الاكاديميون التخفي تحت مظاهر النزاهة والموضوعية الاكاديمية فانهم يمثلون في النهاية «مصالح الحكم» وبالاصح مصالح المخابرات المركزية الامريكية.

* * *

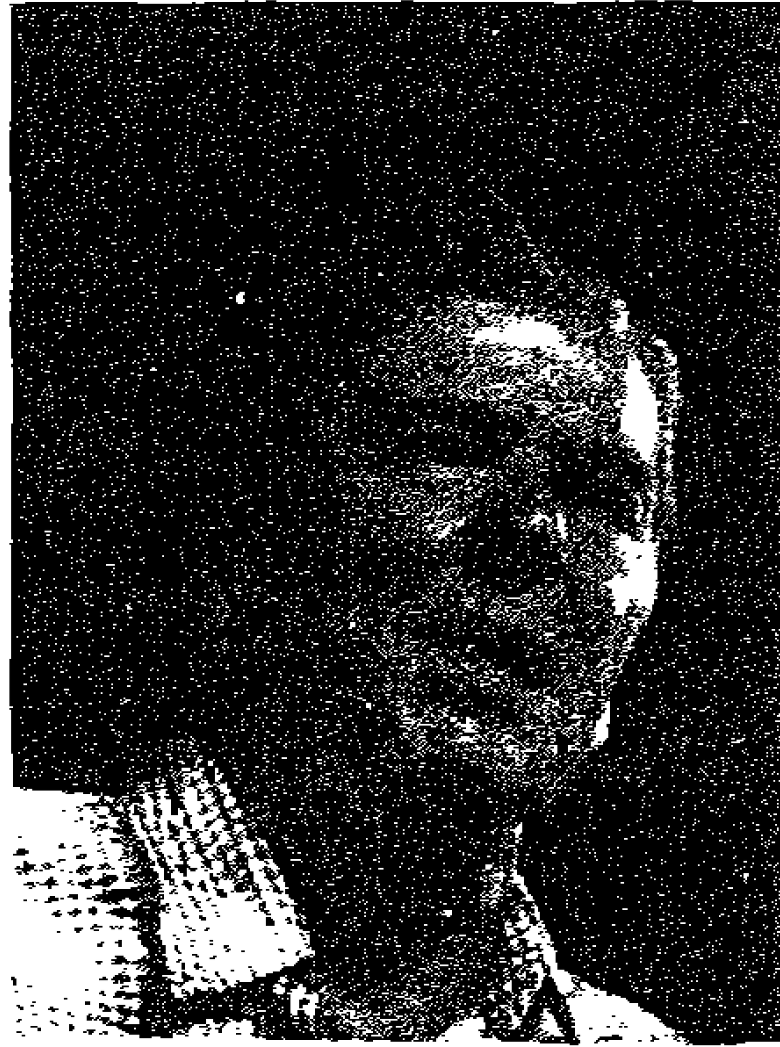
التاريخ يعيد نفسه

سبق أن نشرنا هذه الصورة للرئيس السابق ريتشارد نيكسون عندما كان رياضياً يحمل الرقم (١٢) وكان بنفس الوقت مخبراً أي مرشداً للمخابرات الامريكية في الصفحة (١٢٥) من كتاب المخابرات والعالم الجزء الأول.



ـ الرئيس السابق نيكسون عندما كان رياضياً وبنفس الوقت كان يتعامل مع المخابرات الامريكية كمخبر سري.

وقد كشف النقاب أيضاً على أن الرئيس رينالد ريغان قد عمل «مرشداً» لمكتب التحقيقات الفيدرالية حينما كان يعمل ممثلاً وأنه كان يبلغ بصفة منتظمة عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي بالنشاط الموالي للشيوعية وبنفس الوقت نشاط زملائه الممثلين في النقابة.



ـ الرئيس ريغان «أيضاً» كان مخبر سري لمكتب التحقيق الفيدرلي.

من أعمال المخابرات

التنصت

● **أعمال التجسس والتنصت التي تتم على ايدي مخابرات الدول معروفة وتاريخ الجاسوسية الحديث حافل بأعمال من هذا النوع فكل طرف يستخدم أدهى الاساليب للتنصت على الطرف الآخر. هذا التنصت قد يدوم لحظات أو أياماً أو سنين وربما عقوداً بكاملها وفي أحيان كثيرة تحكم هذا التنصت بمصير حروب فأحدث دولاً والغى اخرى. وفي أحيان كثيرة ايضاً كان سبباً في تبريد علاقات طالما كانت تعاني من الغليان فكيف يتم التنصت:**

● إذا كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي هما حالياً الدولتان الاكثر نشاطاً على صعيد التنصت فإن بريطانيا تحتفظ لنفسها بمجلد عريق في هذا المجال وأيضاً بأقدمية في الجاسوسية الالكترونية فقد كانت اول دولة تستعين بأسلوب التنصت عبر الاسلاك. وإذا عدنا سبعون عاماً الى الوراء وتحديداً الى عام ١٩١٧ (لأننا الآن في عام ١٩٨٧) عندما أرسلت المخابرات البريطانية شاحنة عسكرية الى شمال فرنسا وهي تقل فريقاً من اختصاصي اللاسلكي. هذه الشاحنة استقرت في منطقة منعزلة وراح ركابها يسجلون الرسائل المتبادلة بين وحدات الجيش الالماني. وبعد فترة استعانت هذه المخابرات بعربات تجرها الخيول راحت تتابع تنقلات الجيش الالماني «لاسلكياً» وعلى الارض في الاراضي الموحلة وبين المزارع في الارياف. لكن الالمان شاطروا الانكليز التنصت على الخطوط الهاتفية وذلك بمد أسلاك عادية ولعدة اميال مرتبطة بشبكة الهاتف المستخدمة مدنياً وعسكرياً وكان يتعيّن على كل طرف أن يتفحص شبكات خطوطه دورياً لضمان سلامتها. ولقد استطاع الألمان أن يتجاوزا عمليات فحص الشبكات

الـدورية حين لجـأوا الى التنصت على خطوط الهـاتف السالبة مستعينين بمضخات صوت هامة وما ان علم البريطانيون بذلك حتى طوروا جهازاً للتشويش يحرم أي متنصت من فرصة فهم الرسائل وكان هذا الجهاز يتصل بالأرض القريبة من جهاز الهـاتف «بـاثا» طنيناً مذوياً مزعجاً بصورة متواصلة. لكن البريطانيين سجلوا في كانـون الثاني (يناير) ١٩١٧ حدثاً تاريخياً في التجسس ألا وهو تسجيل تلغراف «تسيمرمان» الشهير. ؟ فكيف تسنى لهم ذلك. ؟.

منذ اليوم الأول للحرب العالمية الأولى أي في ٥ آب (أغسطس) ١٩١٤ أرسل البريطانيون السفية تلكونيا الى بحر الشمال للقيام بمهام تجسسية محددة أهمها التقاط الرسائل التي تبعث بها المانيا عبر الأطلسي الى الولايات المتحدة والتشـويش عليهـا أو تعـطيلها إذا أمكن ذلك وبالفعل فقد تسنى للسفينة تعطيل الاتصـالات الـلاسلكية الألمـانية مما اضطر الألمان الى استخدام جهاز الراديو للاتصال بالعالم أو استخدام الخطوط السلكية التى تمرّ تحت سيطرة الأعداء.

وبحلول عام ١٩١٧ كانت الجيوش تراوح مكانها في حرب مواقع تستنزف الجميع دون قدرة على حسم المعـركـة لصالح طرف ما. ؟. ففكرت ألمانيا في مهاجمة السفن التي تنقل المؤن الى بريطانيا بواسطة الغواصات الألمانية وكانت معظم هذه السفن تأتي من الولايات المتحدة التي كانت تلتزم الحياد آنذاك فالرئيس الأمريكي ولسون كان قد أعيد انتخابه على اساس برنامج انتخابي «تعهد» فيه بعدم تورط الولايات المتحدة في الحرب العالمية. لكن مهاجمة السفن الأمريكية في الاتجاه المعاكس وعندما يتدخل الامريكيون فلا شك أن اتجاهات الحرب ستتغيّر حكماً وهنا فكر وزير خارجية ألمانيا آنذاك «أرثر تسيمرمان» في عقد معاهدة مع حكومة المكسيك ورئيسها «فون إيكارت» تقوم الأخيرة بموجبها بشن هجوم على الولايات المتحدة أثر عملية إغراق السفن ووعد الوزير الألماني حكومة المكسيك بدعم مالي وعسكري هام وباعادة كلاً من ولاية نيومكسيكو وولاية تكساس وولاية أريزونـا التي احتلتهـا الـولايات المتحـدة «في حينه» الى المكسيك وكان على تسيمرمان أن يرسل برقياته عبر استوكهلم في السويد أو كوبنهاغن في الدانمرك لكن ولسوء حظه مرّت برقيتان عبر لندن حيث التقطتهما أجهزة التنصت في المخابرات البـريطانية وأخفت علمهـا بالأمر. لكن برقية بالشيفرة وصلت عبر واشنطون الى السفارة الألمانية في العاصمة الأمريكية تحمل كافة المعلومات الى المكسيك.

فالرئيس الأمريكي ولسون كان لا يعارض استخدام السفارة الألمانية للشيفرة في مراسلاتها مع برلين حسب الأعراف الدبلوماسية لكن البريطانيون خشوا أن يعتبر الأمـريكيون كشف رسـالـة تسيمـرمـان الى الرئيس المكسيكي إيكارت نوعاً من الاختـلاق يراد به زج أمـريكا في الحرب الى جانبهم واستطاعت مخابراتهم أن تحصل على نسخة من الرسالة من سفارة برلين في واشنطون وكانت مرسلة بشيفرة أبسط من شيفرة الرسالة التى حصلوا عليها قبلاً. وعندما قدموا هذه الرسالة الى المخابرات الأمريكية تظاهروا أنهم يسعون الى «التعاون» معهم في حلها واستطاع الامـريكيون بفضل بعض التلميحات الانكليزية أن يقرأوا الرسالة. وقد صدرت الصحف البريطانية في اليوم التالي وهي تكيل المديح لبراعة المخابرات الامريكية في كشف سر كبير كهذا بينما هاجمت المخابرات البريطانية متهمة إياها بالتقصير والعجز والضعف أما في برلين فقد سلم وزير الخارجية الالماني بصحتها أمام رجال الاعلام.

هذه الحادثة تظهر مدى تحكم اجهزة التنصت في سر المعارك والتحالفات رغم بدائية الاجهزة المستخدمة أما في الحرب العالمية فكانت عملية اختراق أجهزة الاتصالات تحدث كل ساعة وكانت تعرقل سير العمليات العسكرية لدى الطرفين بحيث أن نجاح العمليات العسكرية كانت تعتمد الى حد كبير على مدى تطور أجهزة الاتصالات وحصانتها النسبية.

ومن الاحداث البارزة في اعمال الجاسوسية بذلك الوقت أن الدبلوماسيين السوفييت قدموا الى سفير الولايات المتحدة في موسكو منحوتة خشبية على شكل «نسر» الولايات المتحدة الرئاسي وذلك كعربون صداقة وعرفان لما قدمته واشنطون من مساعدات لموسكو إبان الحرب العالمية الثانية وبمناسبة العيد الوطني القومي للولايات المتحدة فسر السفير الامريكي بالهدية السوفييتية..؟ ووضعها في مكان بارز في مكتبه الخاص بدون الانتباه لما يحويه هذا النسر. لكن بعد ثلاث سنوات وأثر انزعاج الامريكيين من مدى إطلاع المخابرات السوفييتية على جميع مجريات الامـور داخـل السفـارة الامريكية قام جهاز خاص من خبراء المخابرات أحضر خصيصاً من واشنطون باجراء كشف عام على كل شيء في السفارة وكانت المفاجأة المذهلة عندما اكتشفوا أن جوف النسر كان فارغاً وفيه اداة تنصت عبارة عن قطعة معـدنية نصف دائرية تضغط على زنبرك فولاذي. فكانت أدنى الاصوات تجعل

الزنبرك يهتز وهنا كان خبراء المخابرات السوفييتية (ك. ج. ب) يسلطون أجهزة استقبال رادارية خاصة من مبنى مقابل للسفارة الامريكية ويتنصتون على الأحاديث بواسطتها وكان بامكان الاجهزة المذكورة ترجمة الذبذبات الصادرة الى كلمات مفهومة فما كان من الامريكيين والحالة هذه إلا أن حملوا النسر السحري الى بلادهم وبايعاز من اعلى المستويات نقلوه الى «الامم المتحدة» وقاموا بتفكيكه أمام مندوبي اكثر من مائة وعشرين دولة من دول العالم للتشهير بالاتحاد السوفييتي وممارسات مخابراته. لكن المندوب السوفييتي لم يبد أي تأثر من هذه الحملة الدعائية الامريكية تلك لاسيما وهو يدرك أن تنصت المخابرات السوفييتية مدة ثلاث سنوات على سفارة واشنطون في بلاده هو أثمن من أي دعاية مضادة كما أن هذه الحادثة لم تثن السوفييت عن متابعة نشاطهم وتنصتهم على السفارة الامريكية «لاحقاً»(١) حيث انتقلت السفارة الى شارع تشايكوفسكي في موسكو، ولما كان المبنى الجديد صغيراً نسبياً فقد تم بناء ثلاث طبقات اضافية فوقه بواسطة المقاوليين السوفييت وبعد ثمان سنوات شعر الامريكيون مجدداً بتسرب المعلومات من السفارة الى المخابرات السوفييتية واكتشفوا بعد البحث الدقيق أن سفارتهم بأسرها مزودة بأجهزة تنصت دقيقة مرتبطة مباشرة بمكاتب المخابرات السوفييتية القريبة من السفارة الامريكية وهكذا لم تنجح السفارة الامريكية من الغزو الاستخباري السوفييتي طيلة ١٩ عاماً وسبب طول المدة وعدم كشف اجهزة التنصت هذه أن السوفييت استخدموا ميكروفونات خشبية بدلاً من الميكروفونات المعدنية في عمليتهم التنصتية مما حال دون رصد أجهزة التدقيق فجاء هذا الاكتشاف الجديد للميكروفونات السوفييتية بمثابة صدمة لأنها اعقبت الحادثة السابقة وهو زرع النسر الامريكي السوفييتي الصنع فوق رأس السفير الامريكي في موسكو لمدة ثلاث سنوات وكان من الصعب استغلالها عالمياً وتبرير فشل الامريكيين في الكشف عليها لذا انفقت واشنطون ملايين الدولارات لاحقاً في حملة تفتيش دقيقة في كافة سفاراتها في العالم ولم تفصح بأي معلومات من

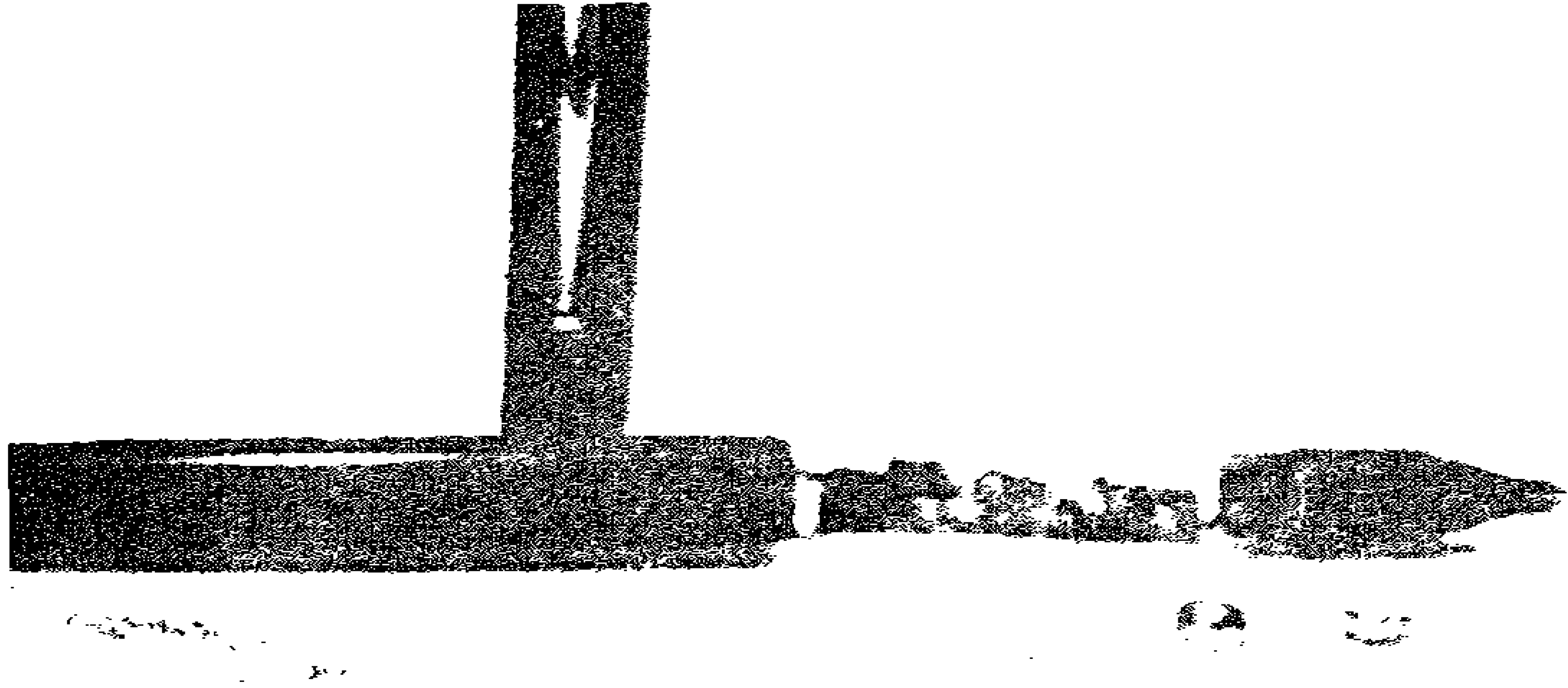
(١) للاطلاع على جميع تفاصيل عمليات المخابرات السوفييتية في التنصت والدخول إلى السفارة الامريكية وكيفية زرع الميكروفونات ومن ثم تسليط اشعاعات ورش مواد على موظفي السفارة الامريكية كل ذلك تجدوه في الصفحة ٣٣٢ إلى ٣٣٨ من كتاب المخابرات والعالم ـ الجزء الثاني...

نتائجها. غير أن السوفييت لم يكفوا عن محاولاتهم لاقتحام حرمة السفارة الامريكية في موسكـو وقد لاحظ السوفييت من طرفهم أن السفارة الامريكية وضعت خلف نوافذها ستائر معدنية ولم يفصح الامريكيون أو السـوفييت عن أسباب هذا الاجراء. لكن خبراء أجهزة التنصت الحياديين اعتبروا أن اجراء كهذا يتخذ عادة عند ملاحظة وجـود موجات اشعاعية دقيقة (ميكرو وايف) مسلطة باتجاه المكان. ثم تسربت معلومات تفيد أن جهازاً طبياً استقدم الى السفارة لفحص جميع موظفيها والتأكد من سلامتهم الصحية خاصـة وأن موجـات الميكـرو وايف هذه تلحق ضرراً بخلايا الاجسام لكنهم لم يلاحظوا أي اشعاعات ضارة من هذه القبيل ذلك أن موجات الميكرو وايف هذه المستخدمة في افران الطهي تعمل على تليين اللحوم وتعجل في طهيها. لذا رجح الخبراء أن تكون الاشعاعات الملتقطة هي من ضمن جهاز رصد معقد هذا الجهاز يرسل أشعة من أماكن خفية عبر النوافذ فتقوم الأجهزة لاحقاً بالتقاط جميع الذبذبات التي تمر عبر الاشعاعات وتسجلها ثم تحللها وفي هذه الحالة تستفيد الاجهزة من الذبذبات التي ترددها الالواح الزجاجية في النوافذ «لذا» وضعت السواتر المعدنية خلف النوافذ الامريكية للتشويش على موجات الاشعاع السوفييتي.

وإذا كان السـوفييت قد نجحـوا طويلاً في رصد اعمال السفارة الامريكية بالتنصت عليها وغيره فالمخابرات الامريكية بدورها تهمل هذا الامر ويسجل في هذا المجـال أن الامريكيين قاموا بحفر نفق في ضاحية «رادو» في برلين الغربية متوغلين مسافة نصف ميل في منطقة «ألت غليتسك» داخل اراضي المانيا الشرقية حيث قام خبـراء التنصت الامـريكيين بتـوصيل أسـلاك هاتفية بالشبكة الرئيسية الممتدة بين برلين الشرقية ولايبزغ وذلك بالتعاون مع المخابرات البريطانية فتمكنوا من رصد الخطوط الخاصة المتصلة بمقر القيادة العسكرية لالمانيا الشرقية. واستمر الغـرب يتنصت على جميع المخـابـرات الشرقية السرية حتى عام ١٩٧٦ حيث اكتشف النفق من قبل فريق فني حضر الى مكان التنصت لاصلاح اعطال فنية طارئة كان من الاولى أن يصلحها الامريكيون بيد أن التنصت إذا ما مورس طويلاً يصبح نهجاً سياسياً يستخدمه رجال السياسة حتى ضد مواطنيهم في البلد الواحد. ولا شك أن حادثة أو فضيحة «ووترغيت» هي اسطع برهان على التنصت أو ممارسة التنصت فبعد أن انضم غوردون ليدي وهوارد هنت الى فريق موظفي البيت الابيض لم ينسيا

الخـدمـة الـطويلة التي أمضياها في المخابرات الامريكية والتي دامت ٢١ عاماً فدخلا مع خمسة رجال محترفين الى مقر الحزب الديمقراطي في ووترغيت في واشنـطون وحاولوا زرع أجهزة للتنصت في داخله ثم اكتشفت العملسة مما ادى لاحقاً اكتشاف أن البيت الابيض نفسه كان مزروعاً بأجهزة التنصت وأن الرئيس نيكسـون كان يتعرض شخصياً لتسجيل مكالماته ومحادثاته. هذا التنصت أطاح بالرئيس نيكسون نفسه عن كرسي الرئاسة فضلاً عن الاطاحة أيضاً بموظفين بارزين في البيت الابيض وعلى رأسهم غوردون وهوارد.

وأخيراً طالما استمر عمل المخابرات فإن حرب التنصت سوف تستمر وتتطور بحيث يقال أن الاجهزة الحديثة قادرة على التقاط موجات الصوت الصادرة من قاعة معينة ومن مسافات بعيدة في الفضاء الخارجي وبوسع اجهزة الكمبيوتر بعد ذلك اعادة تجميعها وصياغتها. واذا استمر التقدم العلمي هكذا فمن يدري وقد يجيء اليوم الذي تتمكن فيه هذه الاجهزة من تعقب واسترجاع الاصوات القديمة السابحة عبر الفضاء. . ؟ من يدري إنه العلم والمخابرات.



؟ انتبهوا قلم الحبر يتنصت

■ جهاز تنصت على شكل حزام:



يجب ان يستخدم هذا الجهاز (ت ر م ١٣٩١) اشخاص معرضون لعمليات أختطاف. وهو من نوعين:

- حزام مجهز باشارة تصدر عند كل ١٥ ثانية.
- حزام مجهز بجهاز ارسال عادي يستطيع ارسال الاحاديث واصوات اخرى.

والحزام مزود ببطاريات قابلة للشحن وقادرة على العمل لمدة ٢٦ ساعة لمسافة ١٠٠٠ متر تقريباً. والجهاز يشغل عن طريق ازار صغيرة في «بكلة» الحزام. وثمة امكانية لجعل التردد الصادر عنه شبيهاً بترددات اجهزة الشرطة المحلية بحيث يسهل تحديد موقع حامل الحزام.

المواصفات التقنية:

مدة العمل: ٢٦ ساعة.

المدى: ١٠٠٠ متر تقريباً.

الطاقة: بطاريتان قابلة للشحن.

■ جهاز تنصت على شكل ساعة يد:



إن «ت م ١٣٧٠» جهاز ارسال مموه بشكل جيد على هيئة ساعة يد. ويشبه جهاز الارسال الاسطوانة التي لا يتعدى ارتفاعها ٤ ملم تقريباً. وقطرها ٢٥ ملم ويجب وضع هذا الجهاز تحت ساعة اليد.

المواصفات التقنية:

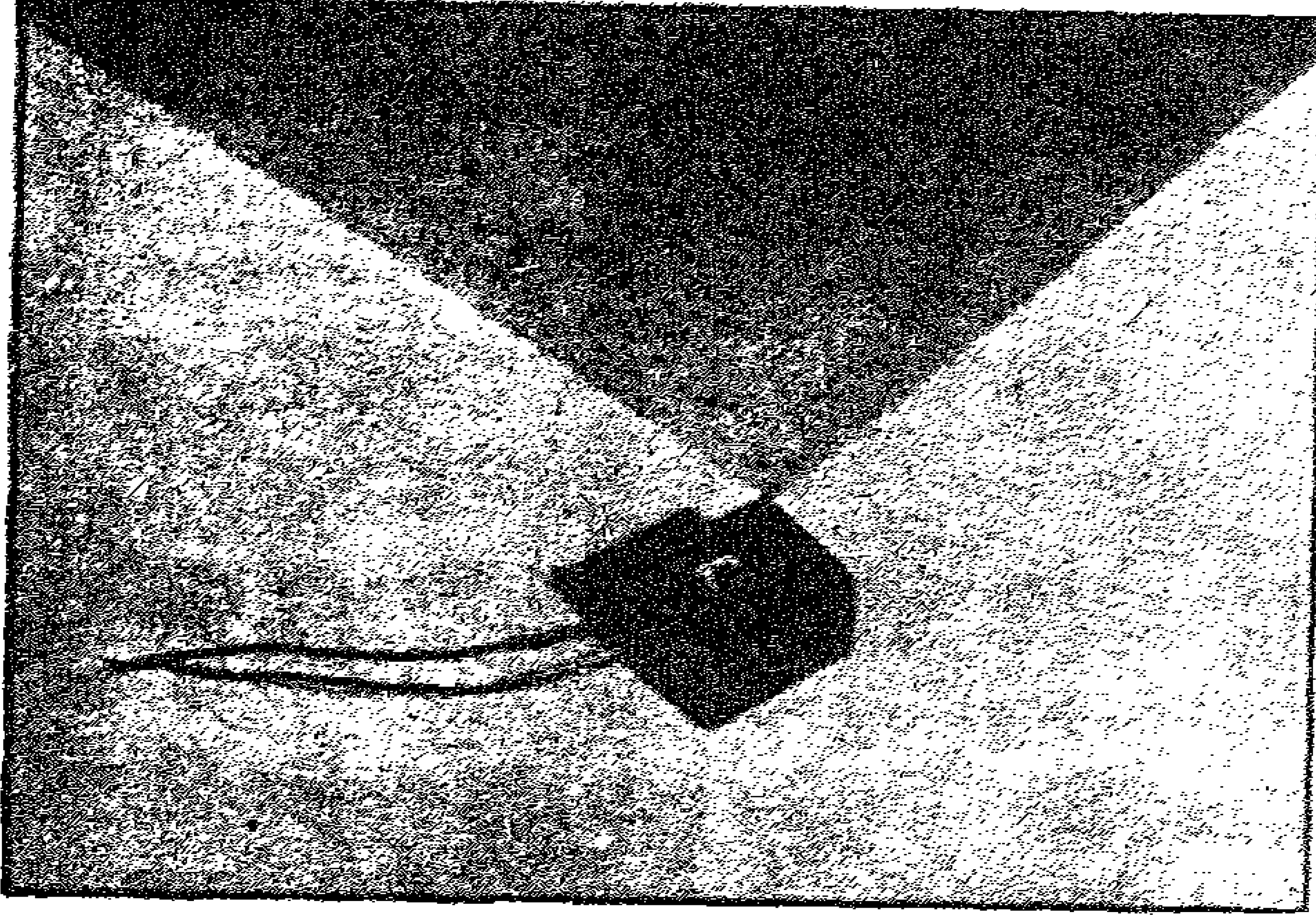
الابعاد: ٢٥ ×٤ ملم.

الوزن: ٤٠ غرماً.

الطاقة: خلية بزر قوتها ١,٥ فولت.

مدة العمل: ٦ ساعات.

المدى: ١٠٠ متر.



■ جهاز تنصت على المكالمات الهاتفية:

يراقب هذا الجهاز كل مكالمة هاتفية والغرفة التي يتم وصله بها سواء عبر خط الهاتف، أو علبة الاتصال الرئيسية، أو عبر جهاز الهاتف نفسه. وفي الجهاز اجراء ضبط الكتروني خاص يضمن سرية تسجيل المكالمة، وينقل المكالمة بوضوح متميز. وبما أن الجهاز يستمد طاقته من تيار الخط الهاتفي فليس هناك حاجة الى بطارية ثم ان التبدل غير المنتظم في خط الهاتف (من حالة التشغيل الى حالة التوقف وبالعكس) لا يفسد عمل الجهاز. والاشارات بحد ذاتها ترسل من طريق خط الهاتف بحيث لا تكون هناك حاجة الى هوائي ارسال خاص.

■ المواصفات التقنية:

الابعاد: ٢٦ × ٢١ × ١٢ ملم.

الوزن: ١٠ غرامات.

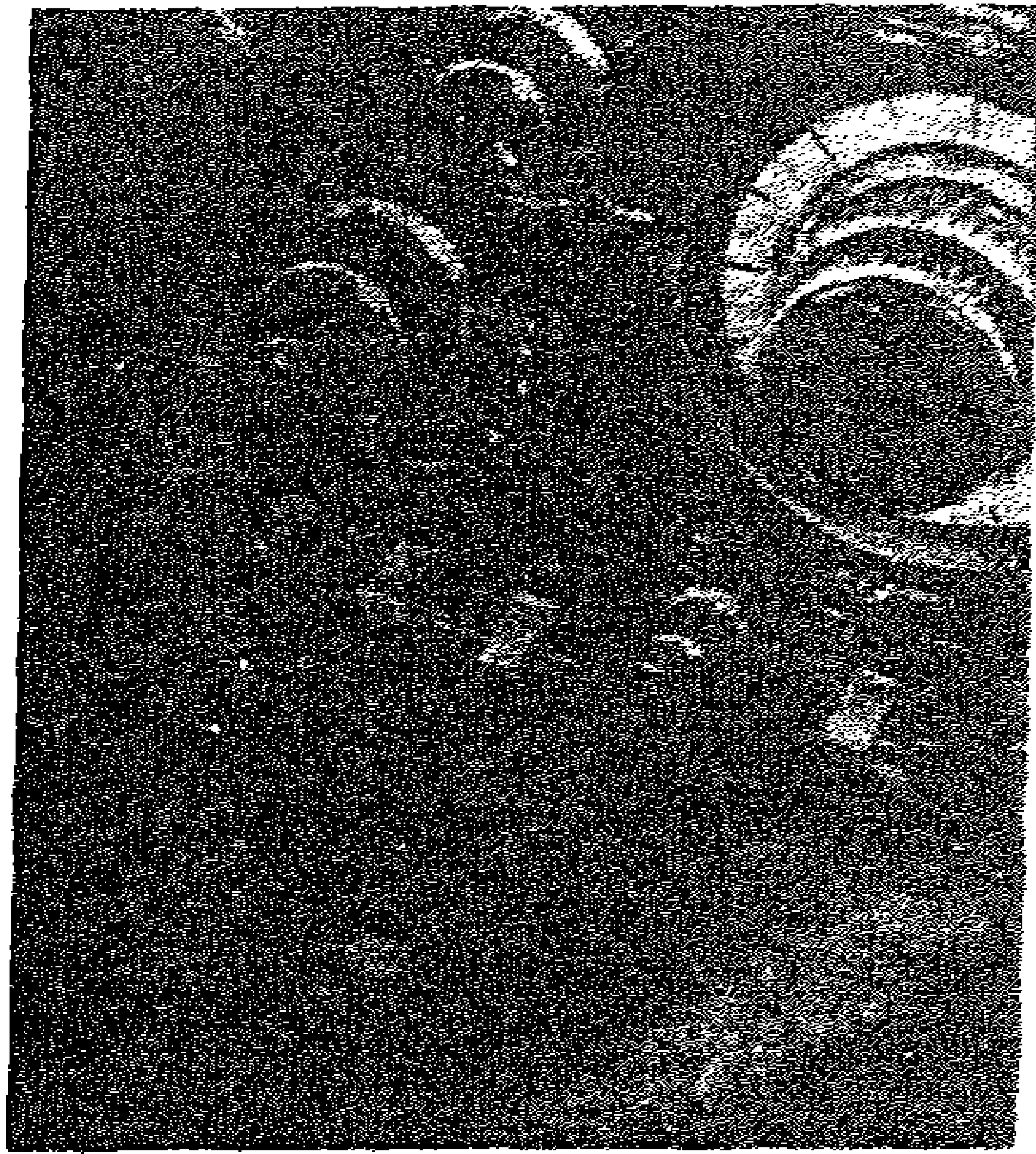
الطاقة: تؤخذ من تيار الهاتف.

مدة العمل: غير محددة.

المدى: ٣٠٠ متر.

■ جهاز تنصت على شكل ولاعة:

يمكن وضع هذا الجهاز على الطاولة لتسجيل احاديث الاشخاص من دون أن يثير شكوكهم. وهو قادر على ارسال كل كلمة بوضوح حتى مسافة ١٠٠ متر. وهذا الجهاز (ت ر م ١٣٦٠) يعمل في الوقت نفسه كولاعة عادية. ويمكن تبديل بطارياته بازالة لوحة من جهة القاعدة. وفيه مبدل زئبقي يسمح بايقافه عن العمل، وذلك عن طريق امالته الى جنبه، ومن ثم تشغيله عن طريق اعادته الى وضعيته الاولى.



المواصفات التقنية:

الابعاد: ٨٠ × ٣٢ × ٥٢ ملم.

الوزن: ١٥٠ غراماً.

الطاقة: بطاريات ٤ × ١,٥ فولت.

مدة العمل: ٥٠ ساعة في حالة الاستعمال بصورة مستمرة.

غلافه: من الكروم والبلاستيك.

التردد: ٨٠ ـ ١٥٠ ميكروويف/ الثانية.

■ جهاز تنصت بلوري:

إن هذا الجهاز بما يحويه من بلور وتردد ثابت يمكن استخدامه في كافة المواقف، لاسيما في حالة تعقب شخص ما. ونظراً الى ميكروفونه المصغر فبالامكان التقاط الاحاديث التي تجري همساً من مسافة تبلغ ٢٠ متراً. وفي الجهاز ايضاً مفتاح للتشغيل والتوقيف الامر الذي يتيح اطالة مدة عمل الجهاز.

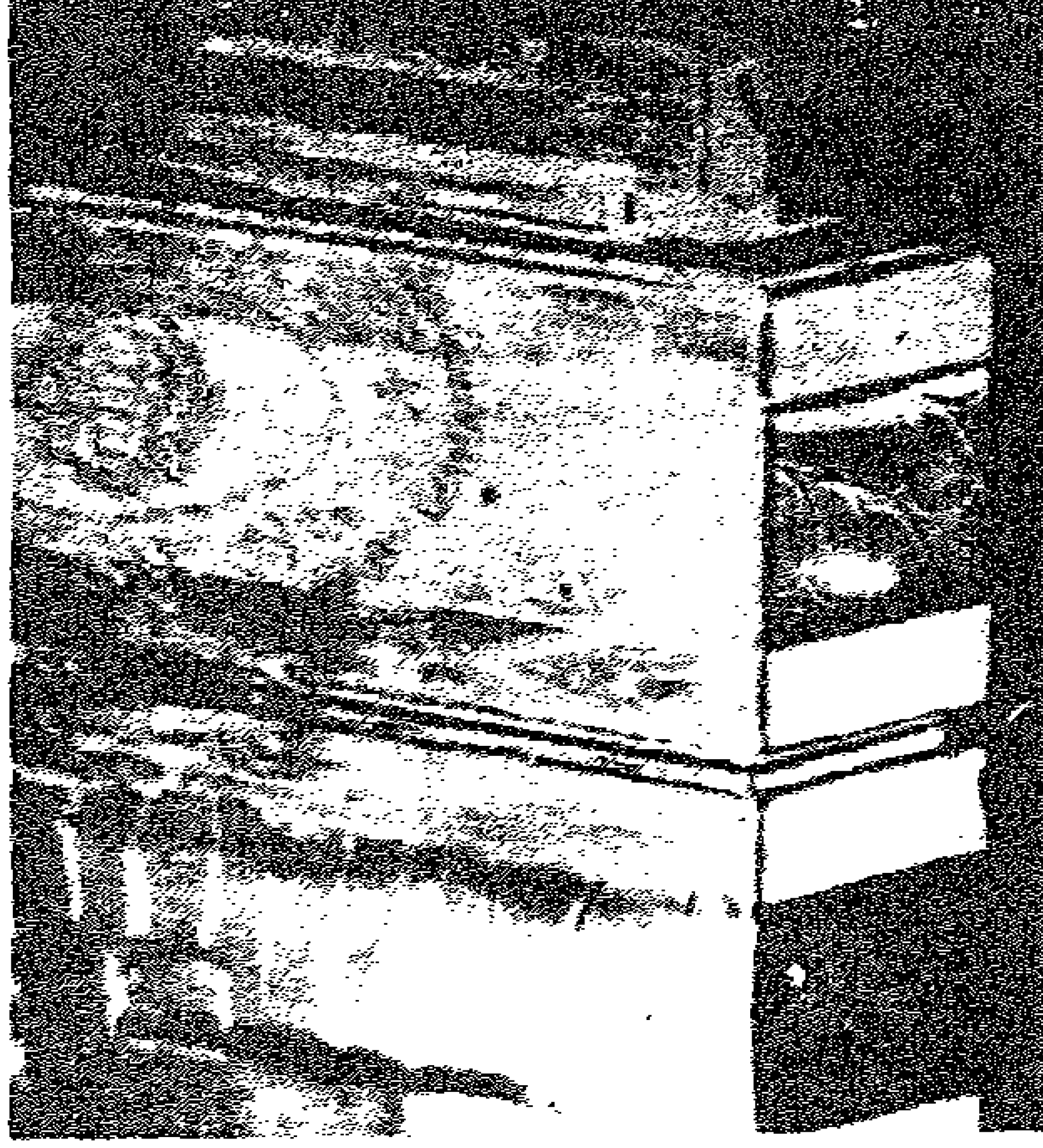
المواصفات التقنية:

الابعاد: ٤٥ × ٣٠ × ١٤ مم.

الوزن: ٥٠ غراماً.

الطاقة: بطارية ليثيوم ١ × ٦ فولت.

مدة العمل: ٣٥ ساعة.



الهوائي سلك مرن

التردد. ١٣٩ ميكروويف/ الثانية أو ١٤٠ ميكروويف/ الثانية

المدى. ٦٠٠ متر تقريباً.

■ جهاز تنصت على شكل حاسبة الكترونية:

ان تطوير جهاز التنصت «ت ر م ١٣٥٠» يعتبر خطوة هامة جداً في عالم تقنيات المراقبة. من المعروف ان كل واحد تقريباً يستخدم حالياً حاسبة الكترونية، الامر الذي يجعل استخدامه كجهاز تنصت بعيداً عن أي شبهة. وفي هذه الحاسبة ميكروفون حساس قادر على التقاط انعم الاصوات واشدها انخفاضاً وارسالها الى مسافة ٢٠٠ متر. وهي تستمد طاقتها من بطاريات الحاسبة نفسها والارسال لا يعمل إلا حين يكون الزر على ناحية «OFF». أما اذا كان الزر على ناحية «ON» فلا يمكن استخدام سوى الحاسبة عندئذ. ولكن اذا لم تستخدم الحاسبة لاجراء حسابات فانها تصبح في حالة «OFF» اتوماتيكياً بعد دقائق قليلة حتى ولو بقي الزر على ناحية «ON».



■ المواصفات التقنية:

الابعاد: ١٤٥ × ٧٥ × ١٥ ملم.

الوزن: ١٧٠ غراماً.

الطاقة: بطاريتان ٢ × ١,٥ فولت.

مدة العمل: ١٠٠٠ ساعة.

المدى: ٢٠٠ متر

كل جديد عن المخابرات السوفيتية
الـ K.G.B

ملاحقتها للجواسيس الغربيين
كشفها للعملاء الامريكيين
محافظتها على الأمن الداخلي للاتحاد السوفيتي



الكرملين



- يورتشنكو الجاسوس العائد الى الشرق

المخابرات السوفييتية (K. G. B). وكل جديد عن اعمالها

● لم تكن المخابرات الروسية موجودة ايام الحكم القيصري وكان محلها «البوليس السري القيصري» المسمى (شيبيكا) وقد انتقلت صلاحيات هذا البوليس الرهيب الى الحكم الشيوعي الجديد عام ۱۹۱۷ في بداية الثورة واستلام الشيوعيين للحكم فكانت مهمته الجديدة التصدي لاعداء الثورة حتى عام ١٩٥٤ حيث جرى تطهير ضخم في البوليس السري - شيبيكا وأطلق عليه تسمية المخابرات السوفييتية (K. G. B) واصبحت هذه الاحرف الثلاثة رمز وشعار للمخابرات السوفييتية حتى تاريخنا هذا. وقد صفي رئيس البوليس السري أي أول رئيس للمخابرات الروسية في عهد ستالين واسمه «بيريا»[1] أما المخابرات السوفييتية الآن فهي قد اصبحت اقوى جهاز مخابرات في العالم واقوى جهاز امن داخل الاتحاد السوفييتي خاصة اذا علمنا أنها مرتبطة مباشرة برئاسة مجلس السوفييت الاعلى ومديرها يجب أن يكون عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي ومديرها الحالي مجهول حيث عيّن من الحزب بعد أن أصبح الراحل أندروبوف رئيسها السابق رئيساً لمجلس السوفييت الاعلى ومن ثم رئيساً للاتحاد السوفييتي ثم ارتحل من الدنيا في شباط (فبراير) ١٩٨٤.

وفي مطلع الثمانينات قدّر الخبراء الغربيين ميزانية المخابرات السوفييتية بمبلغ خمسة بلايين دولار أي ما يعادل نصف ميزانية المخابرات المركزية

(١) جميع المعلومات المفصلة عن المخابرات السوفييتية ونشأتها موجودة في الصفحات من ١٣٤ إلى ١٧٨ من كتاب المخابرات والعالم - الجزء الأول.

الامريكية. وعدد العاملين في المخابرات السوفييتية رسمياً بمائة الف موظف في داخل جمهوريات الاتحاد السوفييتي مع مائة ألف موظف وعميل آخرين في الخارج علاوة على هيمنتها على اجهزة الدول الشيوعية الاوربية.

إن مهمات المخابرات السوفييتية متعددة لا يمكن حصرها كما هو الحال في الدول الغربية إذ أن صلاحيتها واسعة جداً لاسيما وإن المخابرات العسكرية نفسها قد وضعت تحت سيطرة المخابرات السوفييتية العامة (ك. جي. بي) منذ عام ١٩٦٨ غير أن بعض الخبراء تمكنوا من تحديد بعض مهمات المخابرات السوفييتية وهي:

١ - الحفاظ على أمن الدولة الداخلي.
٢ - التجسس واعتقال الجواسيس داخل الاراضي السوفييتية.
٣ - مكافحة التجسس الغربي على الاتحاد السوفييتي.
٤ - جلب المعلومات عن الدول المعادية بواسطة مختلف العملاء.
٥ - التجسس العلمي والاقتصادي لصالح الدولة السوفييتية.

ومن المعروف أن اهم اقسام المخابرات السوفييتية هو قسم (الاعلام والدعاية) وهذا القسم بلغت ميزانيته في مطلع الثمانينات ٥٠٠ مليون دولار وقد وصفه الجنرال كلوز في كتابه «الحرب العالمية الثالثة» بأنه القسم المهم في المخابرات السوفييتية حيث أنيطت به مهمة مراقبة الصحافة والكتّاب والعلماء والمدرسين وتوجيه الشعب السوفييتي وفقاً لعقيدة الحزب الشيوعي الحاكم، وبث الدعاية في المجتمعات الغربية واضعاف الثقة بالدول الاطلسية والولايات المتحدة ومن مهام قسم أو فرع الاعلان في المخابرات السوفييتية ما يلي:

١ - الايعاز بتنظيم التظاهرات الطلابية ضد الحرب في مختلف البلدان التي تدين بالنظم الاشتراكية.
٢ - اعداد المقالات للصحف الشيوعية «اثناء حرب فيتنام».
٣ - تحريك المظاهرات في المانيا الاتحادية ضد الحرب النووية.
٤ - تحريك المظاهرات في بريطانيا بواسطة الشيوعيين ضد الحرب النووية أيضاً.

● ويتبع المخابرات السوفييتية جهاز مخابرات الجيش الأحمر (المخابرات العسكرية) المكلف بالمحافظة على أمن الجيش وتوجيه العسكريين كما يتبعها

جهاز مخابرات حرس الحدود ومخابرات البوليس الداخلي غير أن جميع هذه الاجهزة موضوعة تلقائياً باشراف مدير المخابرات السوفييتية بشكل مطلق مما يجنبها المشاحنات والخلافات ونظراً لهذه المركزية القوية بادارة المخابرات في الاتحاد السوفييتي نستطيع أن نؤكد بأن هذه المخابرات قد حققت نجاحات كثيرة في الداخل والخارج حتى وصل مديرها قبل الاخير الراحل بوري أندروبوف الى قمة السلطة وهو حدث تاريخي في الاتحاد السوفييتي. كما شرحنا الكثير في الجزأين الأول والثاني ونعرض على سبيل المثال أن للمخابرات السوفييتية عدة معاهد اكاديمية لتخريج الجواسيس ويوجد لديها مدينة كاملة تشبه مدينة امريكية بكل ما فيها لتدريب الجواسيس السوفييت الذين سيزرعون في الولايات المتحدة حيث لم يكشف من خريجي هذه المعاهد حتى الآن سوى واحد بالمائة وذلك بسبب التدريب الجيد والاخلاص.

جاسوس خطير للمخابرات السوفييتية يبدأ من الصفر:

في الخمسينات كان العملاء السوفييت في الغرب أصلهم من الجامعيين ويعتبرون أن الشيوعية تشكل آخر المعاقل المتصدية للفاشية وكانوا يؤدون خدماتهم بدون أية مطامع وبصورة خيالية وفي اعتقادهم أنهم يخدمون البشرية غير أن اسرار الاحداث الرهيبة التي وقعت في الاتحاد السوفييتي خلال عهد ستالين والتي أكدتها السلطات السوفييتية رسمياً أثارت نقمة المثقفين في العالم وكلما كشف النقاب عن نتائج هذه الاحداث في الخارج كلما ازدادت الصعوبات التي واجهت المخابرات السوفييتية في «تجنيد» العملاء من المثقفين الذين تحركهم دوافع ايديولوجية بحتة. وفي أمريكا الشمالية مثلاً كانت المخابرات السوفييتية تسعى بوجه خاص لتجنيد عملاء لها من بين المثقفين الذين كانوا من أصل شيوعي أو من الاشخاص المتعاطفين مع الشيوعية وكان هيوج جورج هاملتون احدهم:

● ولد هاملتون عام ١٩٣٣ في مدينة أوتاوا من أب انجليزي وأم ايرلندية وكان والده صحفياً شهيراً وأول مراسل دائم لجمعية الصحافة الكندية في أوتاوا وكان ذو شخصية مرموقة تتميز بالقوة ويتحدث اللغة الالمانية بطلاقة وكذلك اللغة

الفرنسية وعلى اتصال بكبار الساسة في الثلاثينات وقد ساعدته هذه العلاقات على جذب الانتباه اليه واشتهر بفضل مقالاته التي كان ينشرها بتوقعاته عن الحرب العالمية الثانية وبينما كان والد هامبلتون يتنقل في مختلف دول اوربا بحكم مهمته الصحفية بقي هامبلتون مع والدته واخته بفرنسا حيث تعرفت والدته على اسرة فرنسية ارستقراطية وعاشت هي واولادها بكنفها باحد القصور العريقة لمقاطعة نورماندي الفرنسية حيث تلقى هامبلتون تعليمه في افضل المدارس الفرنسية وكان أن شغفت والدة هامبلتون بحب روسيا وبالتجربة الثورية التي مدت بها روسيا ودرست التاريخ الروسي وبدأت تختلط بمجتمع المهجرين الروس الذي تسرب اليه العديد من العملاء السوفييت. وقد استمرت السيدة هامبلتون على اتصال وثيق بالسوفييت حتى آخر حياتها.

وبسبب اقتناع والد هامبلتون بقرب نشوب حرب في أوربا أرسل عائلته الى أوتاوا في عام ١٩٣٧ وهناك أيضاً ترددت زوجته على السفارة السوفييتية واستضافت العديد من اعضائها في منزلها مراراً وعكفت على تعليم البعض منهم دروساً في اللغة الانكليزية وقد توطدت صداقتها مع الدبلوماسيين السوفييت نتيجة لذلك.

● أنهى هامبلتون الابن دراسته الثانوية في عام ١٩٤٠ ثم قام بزيارة الولايات المتحدة وتعلم اللغة الاسبانية وعندما قام سلاح الجو الياباني بالهجوم المعروف على ميناء بيرل هاربور وقضى على الاسطول الامريكي بكامله وعلى مئات الطائرات الامريكية تكهرب الجو العام في الولايات المتحدة فعاد هامبلتون الى كندا حيث تطوع فدائياً (كوماندوس) في أحد المعسكرات الفرنسية في نبراسكا ومنح رتبة رقيب (سرجنت) وهو مازال بالتاسعة عشر من عمره وبعد أن أكمل تدريبه بهذا المعسكر أرسله الفرنسيون الى ادارة المخابرات العامة في الجزائر ليقوم بترجمة التقارير التي كان يرسلها عملاؤهم في اسبانيا وفي المخابرات الفرنسية في حينه شاهد واطلع كيف تحاك المؤامرات وتدرب هو نفسه على لذة التآمر. وبعد تحرير باريس نقل هامبلتون الى ادارة المخابرات الفرنسية العامة ثم رقي وعين ضابط اتصال بالفريق ١٠٣ ـ بالجيش الامريكي حيث نفذ عدة عمليات مخابرات لحسابه ثم أعيد للعمل بالجيش الكندي لغاية عام١٩٤٦ وعندما غادر الجيش الكندي كان قد عمل في مخابرات ثلاث دول ـ كندا ـ فرنسا ـ أمريكا وكانت المهام التي قام بتنفيذها لا تمثل اهمية خاصة ألا أنها خلفت في نفسه حباً للمغامرة

والمخاطرة والتعرف على اسرار العالم واسرار مستقبله وأخيراً سجل في جامعة أوتاوا بالاضافة الى تلقيه دروساً مكثفة باللغة الاسبانية بجامعة مكسيكو الوطنية المستقلة خلال الصيف حتى حصل على ليسانس في العلوم الاقتصادية من هذه الجامعة عام ١٩٥٥.

● في بداية الخمسينات كان السوفييت قد فرضوا سيطرتهم على دول أوربا الشرقية وحاولوا الاستيلاء على ايران وتركيا واليونان واقاموا حصار حول برلين وبدأ ستالين يقيم حملات تطهير وهجم الشيوعيون من كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية. كل هذه الاحداث أدت الى تغيير شامل وجذري للآراء التي كونها الغرب عن الروس أما بالنسبة لموقف كندا تجاه الاتحاد السوفييتي فقد تغير بالفعل منذ انشقاق «ايجور جوجنكو» الذي كان يعمل بالسفارة السوفييتية بأوتاوا عن بلاده ومنذ كشفه النقاب عن كيفية قيام عملاء سوفييت بسرقة اسرار القنبلة الذرية وكيف نجحوا في التغلغل داخل الاوساط الحكومية الكندية والامريكية وقد دلل المدعو «ايجور» عن اقواله ببراهين هامة بالرغم من ذلك فقد استمر هامبلتون ووالدته في الاختلاط بالدبلوماسيين السوفييت وحضور الحفلات على شرف ضيوف السفارة بين حين وآخر وحتى دعوة السوفييت الى منزلهم الخاص.

نضوج الجاسوس وعرض العمل عليه:

في عام ١٩٥١ قدمت السيدة هامبلتون ابنها الى المستشار الاول بالسفارة السوفييتية (فلاديميير بوردين) وقد التقيا عدة مرات بعد ذلك وبدأ موظفي السفارة السوفييتية في اوتاوا يدعون هامبلتون لتناول العشاء برفقته في المطاعم الفاخرة. وفي احد الايام اقترح بوردين على هامبلتون أن يساعده ويقدم له بعض الاوراق من مكتب السينما الذي كان يعمل به فتجاهل هامبلتون هذا الطلب. وفي عام ١٩٥٤ قرر تحضير رسالة الدكتوراه في الاقتصاد في جامعة باريس على أن يأخذ زوجته وهي من أصل كندي - افرنسي مزدوج.

● لدى استعداده للسفر وفي احدى الايام دق باب منزله «بوردين» الذي كان برفقة ضابط من المخابرات السوفييتية يدعى الكسي وخلال حديثهما عرض بوردين على هامبلتون القيام ببعض الابحاث المستقلة في مقابل تعويضات مادية من

المخابرات السوفييتية فاعتذر هامبلتون للمرة الثانية معللاً ذلك بانشغاله بتحضير رسالة الدكتوراه غير أنه لم يقطع علاقته بـ «بوردين» والكسي ووافق على مقابلة الاخير عدة مرات في بعض المطاعم غير المعروفة وقد اقترح عليه الضابط الكسي في بداية عام ١٩٥٦ أن يتقدم بطلب للعمل بالقيادة العامة لقوات حلف شمال الاطلسي. وبالفعل قوبل طلبه بالترحاب وتم تعيينه بها وكان عمله ينص على تحليل قوة وضعف ومدى امكانيات وحدود اقتصاديات حلف الاطلسي وكان هذا العمل يجعله على اتصال وثيق بأدق المعلومات السرية وبالاضافة الى ذلك كان مجلس وزراء خلف شمال الاطلسي يأخذ في عين الاعتبار التحاليل التي كان يقوم هامبلتون باعدادها تلك التحاليل المتعلقة ببرامج الخطوط الرئيسية لسياسة التحالف. وبسبب خوفه من اتصال ضابط المخابرات السوفييتية به أوصى هامبلتون والديه بعدم الاعلان لاحد عن مكان عمله ثم انتقل الى منزل آخر وقام بتغيير رقم هاتفه ومر الصيف والخريف بدون أن يتصل به احد أو يعرف مكان عمله أحد. وفي احدى الامسيات وجد هامبلتون (الكسي) بانتظاره على باب عمله وأشار له باتباعه الى احدى المطاعم القريبة وقد علم من الكسي أن المخابرات السوفييتية تعرف مكان عمله من أول يوم وطلب منه أن يعود الى عمله ويحضر بعض الوثائق ليصورها ويعيدها له خلال ساعة واحدة مبرراً الامر أن الاتحاد السوفييتي الحريص جداً على احلال السلام لا يمكنه تحقيق هذه المهمة إلا اذا اطلع على ما يدور بالدول الغربية وخشي هامبلتون اذا لم يوافق على القيام بهذه المهمة أن تكشف المخابرات السوفييتية النقاب عن معرفتها السابقة به لذلك قرر أن يسلمهم ولكن وثائق ليست سرية ولا تمثل أهمية بالغة وبالفعل تم تسليم الوثائق لـ «الكسي» الذي قام بتصويرها واعادتها في خلال ساعة واحدة كما وعده غير أن هامبلتون رفض استلام النقود التي دفعها له الكسي ولفترة طويلة استمر هامبلتون في تسليم المخابرات السوفييتية وثائق عادية ووافقت المخابرات على استلامها رغم معرفتها أنها وثائق غير سرية ولكن لتوريط هامبلتون دون أن تدفعه للتمرد على أوامرها.

الجاسوس بدأ عمله الفعلي:

في بداية عام ١٩٥٧ اعتبرت المخابرات السوفييتية أنها سيطرت بما يكفية

على هاملتون حتى تبدأ المرحلة الثانية لتخطيطاتها وهي مطالبته بتسليم وثائق سرية وشاملة ولم يحتاج «الكسي» الى اللجوء لتهديد هاملتون بعد أن أقنعه بأن لا مجال أمامه للاختيار فإما تنفيذ أوامر الروس وإما فقدانه الوظيفة والسجن. بدأ هاملتون يسلم المخابرات السوفييتية وثائق سرية بل سرية للغاية وفي مكان اللقاء كان الكسي ينتظر هاملتون فيأخذ منه الوثائق ويسرع الى عربة شحن تقف على مقربة من المكان فيسلمها الى الفنيين ليقوموا بتصويرها واعادتها له خلال عشر دقائق فقط وكانت هذه الوثائق تحتوي على تحاليل دقيقة عن الاستراتيجية النووية وتوازن القوى العسكرية والنزاعات السياسية المتفاقمة بين الدول الاعضاء في حلف شمال الاطلسي واسعار المعدات الحربية المستقبلية وسباق الصواريخ وغزو الفضاء وتقييم نتائج الحرب بين الشرق والغرب وامكانيات ونوايا السوفييت والتوتر القائم داخل دول الشرق والغرب وردود فعل فنون التكنولوجيا الحديثة التى ستوضع قيد التنفيذ بعد عشرة أو عشرين عاماً. وبفضل هذه المعلومات ادرك الروس حقيقة الغرب والى أي مدى توصلت اليه الدول الغربية في اكتشافاتها لنوايا الاتحاد السوفييتي وقد أكد «الكسي» لـ هاملتون أن الوثائق التي تم تسليمها له قيمتها نادرة جداً وإن أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي قد اطلعوا عليها. استمر هاملتون في «رفضه» لتلقي نقوداً أو مكافأة من المخابرات السوفييتية مبرهناً بأن ذلك على كونه ماركسياً وذو استقلالية ثقافية ولم تتمكن المخابرات السوفييتية من تسليمه جهاز راديو لتلقي الرسائل حتى بعد طلاق هاملتون من زوجته وأخيراً وافق هاملتون على استلام جهاز حديث يتلقى الرسائل على شريط مغناطيسي ويرش فوقه مسحوقاً أسوداً فتظهر عليه رسائل الشيفرة التي يمكنه فك رموزها بفضل دفتر فك الرموز وأوصته المخابرات السوفييتية بحمل الوثائق معه الى منزله لتصويرها هناك بشكل هادىء وافضل من إعطاءها الى الكسي واستعادتها في الطريق ثم وضع الصور في صناديق بريد تحمل اسماء انكليزية كما تقرر أن يرد على رسائل طلبات من الـ (كي. جي. بي) بارسال بطاقات بريدية على احد العناوين في مدينة جنيف وأخيراً تقرر أن لا يحدد له اكثر من ثلاثة لقاءات شهرياً على أن يكون في باريس لأنه يتردد اليها نظراً لتحضيره رسالة الدكتوراه في الاقتصاد في جامعتها ثم اعطي رقم هاتف خاص بالـ (كي. جي. بي) لاستخدامه في حالات طارئة ألا أن هاملتون رغم شغفه بمهنة الجاسوسية فقد بدأ يسعى لايجاد وسيلة تمكنه من

التهرب من قبضة الـ (كي. جي. بي) حيث كان يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن حلف شمال الاطلسي يشكل قوة توازن ضرورية وبناءة في تسيير الشؤون الدولية وكان يشعر بما يدينه للمنظمة التي يعمل بها وقد دفعه ولاءه في بعض الاحيان الى الامتناع على تسليم الـ (كي. جي. بي) بعض الوثائق الهامة التي كان بامكانه تصويرها ونقلها لهم وأدرك هامبلتون الى أي مدى أصبحت «خيانته» بشعة خاصة عندما تدهورت العلاقات بين الشرق والغرب في عام ١٩٦١ وبدأت المخابرات السوفييتية تطالبه بمزيد من الوثائق العسكرية السرية والهامة وازدادت الضغوط التي مارسها الـ (كي . جي. بي) على هامبلتون فاتخذ قراراً حاسماً أبلغه لضباط الاتصال به أنه قد فصل من عمله لاسباب أمنية وادعى أن ذلك قد تم بسبب علم حلف شمال الاطلسي برحلة سرية قامت بها شقيقته الى كوبا وبسبب اكتشاف المخابرات الخاصة للحلف لامر هذه الرحلة. نصحته المخابرات السوفييتية باللجوء الى محام ورفع قضية على المنظمة لاعادته لعمله غير أن هامبلتون رفض قائلاً أنه حتى في حال اعادته الى منصبه السابق فإنه سيكون موضع شك دائم وهكذا فقدت المخابرات السوفييتية ثمار جهود مستمرة لمدة خمسة اعوام متتالية بذلها هامبلتون وبعد بضعة أيام التقى هامبلتون ضابط الكي جي بي الذي اقترح عليه (استناداً لأوامر من موسكو) أن يذهب الى موسكو ويقبل لاجئاً سياسياً فوراً ثم يدلي بتصريح من راديو موسكو يفضح فيه المؤامرات التي يحيكها حلف شمال الاطلسي ضد السلام ثم يبقى في الاتحاد السوفييتي عزيزاً مكرماً مثل فيلبي وبيرجس وغيرهم كما افهمه أن وراء هذا العرض منصب استاذ في احدى الجامعات ومع هذه الاغراءات رفض هامبلتون أيضاً مؤكداً على اهمية استمرار وجوده بالغرب وأبلغهم أنه قرر قبول عرض قدمته له كلية الاقتصاد في لندن. ثم سلمهم جهاز الراديو ودفتر فك الرموز وآلة التصوير ورفض مرة اخرى قبول أية نقود منهم وقبل انصرافهم ابلغوه أنه في حالة رغبته في الاتصال مستقلاً فان عليه ان يتواجد كل ثالث يوم اربعاء من كل شهر في الساعة الثانية عشر ظهراً في احد شوارع باريس حيث سيجد أحد ضباط الكي جي بي بانتظاره. واستقر هامبلتون بعد ذلك فترة في اسبانيا على الشريط الساحلي بمنطقة كوستا برافا وخطر في ذهنه باحد الايام الاربعاء وكان ثالث اربعاء في الشهر أن يذهب الى باريس وهناك وجد فعلاً ضابطاً من الكي جي بي وخلال هذا اللقاء شرح هامبلتون للضابط امكانية قيام الاتحاد

السوفييتي بتنظيم حرب عصابات في اسبانيا ألا أن الضابط رفض مؤكداً له أن الكي جي بي يعتمد على وجود العديد من عملائه في اسبانيا وسأله عن مشاريعه المستقبلية فأجاب هامبلتون بأن سيقدم رسالته الماجستير في العلوم الاقتصادية للمناقشة في ربيع ١٩٦٤ وبعد ذلك يكون قد حصل على لقب دكتور في العلوم الاقتصادية فإنه سيحصل على منصب استاذ في احدى الجامعات الكندية فوعده الضابط بمساعدته في حال مواجهته لأية صعوبة في التعيين بهذا المنصب أو في أية مشكلة مادية أو معنوية وأنهم سيكونوا دائماً بانتظار طلبه المساعدة. مر عامان بعد ذلك دون أن يحصل أي اتصال بين هامبلتون والكي جي بي وانصرف هامبلتون خلالها الى انجاز الاعمال المتعلقة برسالته الجامعية وفي نهاية ربيع عام ١٩٦٤ اتصل هامبلتون بضابط اتصاله وأبلغه أنه ينوي قبول منصب استاذ بجامعة لافال «كويبك» الا أن الضابط أبلغه بضرورة السفر الى فيينا لمقابلة بعض ضباط الكي جي بي فطلب هامبلتون مبلغ ٧٥ دولار ثمن تذكرة القطار المتجه الى فيينا (وطلبه لهذا المبلغ يدل على ضعف حالته المادية في حينه). أعطي المبلغ وزيادة وسافر الى فيينا وهناك حثه ضابط المخابرات السوفييتية على الانتساب للجامعة حالاً والترقي في مختلف مناصب السلك الجامعي وحددوا له مكاناً ليلتقوا به أمام مبنى البريد العام في مدينة أوتاوا وفي الفترة ما بين ١٩٦٤ لغاية ١٩٦٧ التقى هامبلتون بضباط الكي جي بي ثلاث مرات وكان اللقاء في كل مرة داخل سيارة تنتظر بالموعد المحدد قرب مبنى البريد العام وخلال هذه اللقاءات طلبوا منه تجنيد عملاء للكي جي بي من ضمن اعضاء الهيئة التدريسية بجامعة لافال كما حثوه على التغلغل داخل أوساط وزارة الخارجية املاً في الحصول على منصب فيها وقرر هامبلتون عدم الرضوخ لطلباتهم لذلك فقد توقف بمنتهى البساطة عن الذهاب الى اماكن اللقاء المحددة بأوتاوا وبعد مرور ثمانية عشر شهراً من آخر لقاء أرسلت المخابرات السوفييتية له الكولونيل رودلف هرمان وهو عميل مزروع للكي جي بي فسر به هامبلتون كثيراً وتعددت لقاءاتهمت فابلغه رودلف أثنائها أن الكي جي بي ترغب منه التسرب الى داخل معهد «الهيودسن» وتحضر تقرير كامل عن الاقتصاد الصيني ومن أجل تنفيذ المهمة اضطر هامبلتون الى الكتابة الى سفارة تايوان باعتباره استاذاً جامعياً حاملاً لدكتوراه في العلوم الاقتصادية التي امدته بكافة المعلومات عن الاقتصاد الصيني وهكذا تمكن من اعداد التقرير المطلوب وتسليه للكي جي بي

بواسطة رودلف وقد وصف ضباط الكي جي بي هذا التقرير امام رودلف بأنه نوع من الاعجاز لأن هامبلتون ذكر في هذا التقرير ما يرغب الروسي في سماعه عن الصينيين الشيوعيين.

ايفاده بمهمة نووية الى اسرائيل نتيجة الثقة به :

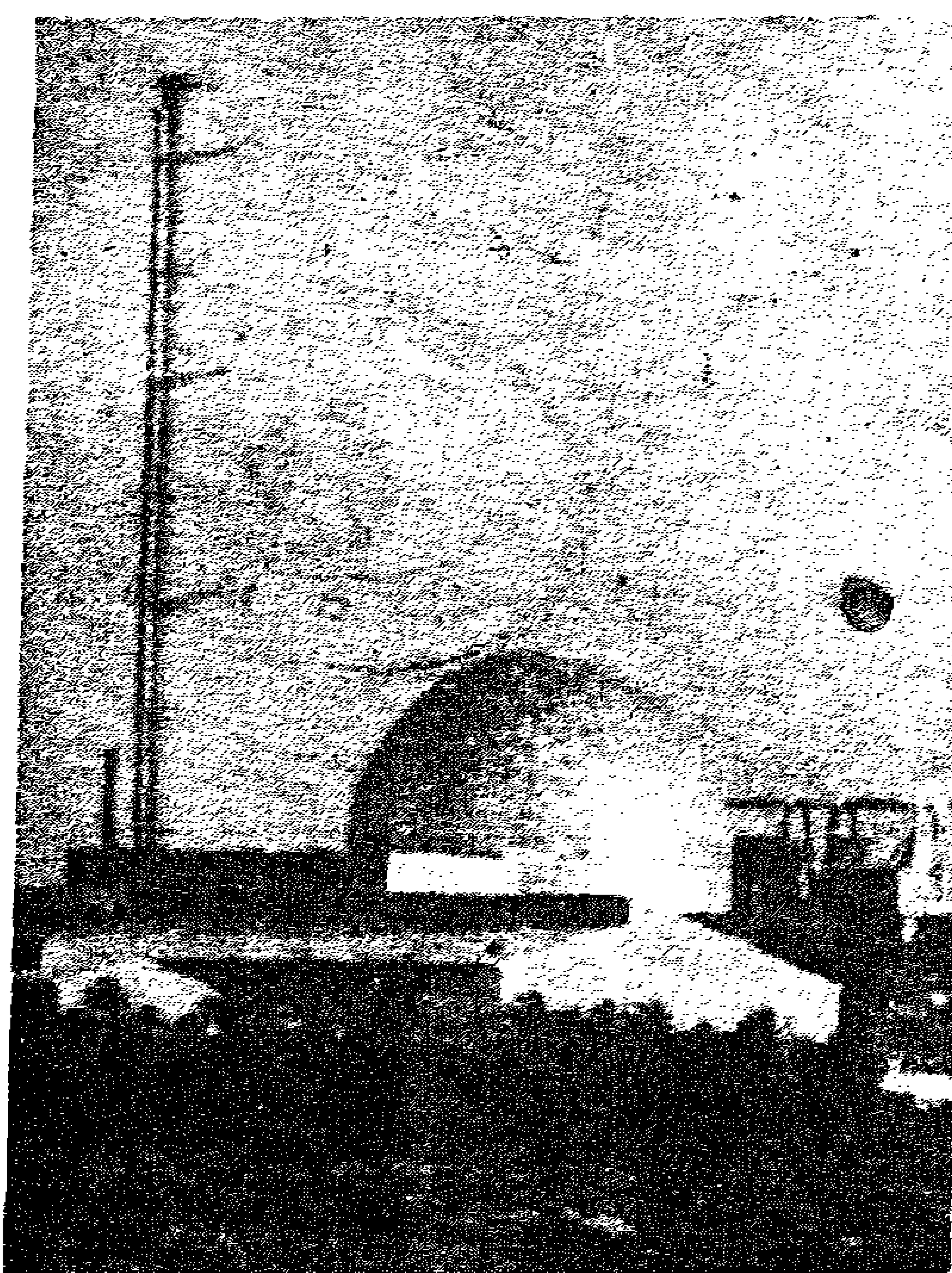
نتيجة مضاعفة الثقة بهامبلتون من قبل المخابرات السوفييتية اتصل ضابط الكي جي بي في اوتاوا بهامبلتون وكلفه بأنه تلقى اوامر صارمة من موسكو للحصول على المعلومات الضرورية لصنع اسرائيل لقنبلة ذرية وهل صحيح ما هددت به غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل في حينه باستعمالها السلاح الذري على ان يكون ذلك بحصوله على وثائق رسمية من اسرائيل وطلب منه الضابط التوجه الى فيينا لتلقي المزيد من المعلومات المفصلة عن مهمته.

● أبلغ هامبلتون محيطه واصدقاؤه بنيته في السفر الى الشرق الاوسط خلال الصيف المقبل ليجري دراسات عن مقر رودوس وقد كتب للجامعة العبرية بصفته فتبرعت هذه الجامعة في القدس بوضع مكتبتها تحت تصرفه خلال الابحاث التي سيجريها كما حرص هامبلتون على حجز مكان لاقامته في دير راهبات سيون حيث يستحيل على أيّ كان اكتشاف وجود عميل سوفييتي. وفي فيينا التقى بضابط الكي جي بي ويدعى بول واعطاه هذا الاخير قائمة بالمعلومات التي تطالب بها المخابرات السوفييتية وهي :

١ ـ هل امتلكت اسرائيل القنبلة الذرية..؟.
٢ ـ هل تنوي استخدامها في حالة نشوب نزاع جديد مع الدول العربية.؟.
٣ ـ كيف يمكن لاحد المهاجرين لاسرائيل أن يؤسس تجارة بها.؟ وكم يحتاج من النقود في سبيل ذلك.؟
٤ ـ ما هو وضع اسرائيل الاقتصادي.؟.
٥ ـ اذكر التوقعات التي تلمسها عن مستقبل اسرائيل.؟.

● لقي هامبلتون لقاءاً وديـاً من جانب مجلس الجامعة العبرية واساتذتها الذين بذلوا جهوداً كبيرة لمعاونته في مهمته وخلال مناقشاته الودية معهم تمكن من

جمع المعلومات اللازمة للاجابة على معظم اسئلة الكي جي بي فيما عدا الجانب المتعلق بالاسلحة الذرية التي بحوزة اسرائيل. فبدأ البروفيسور هامبلتون (كما كانوا ينادونه في اسرائيل) يستفسر عن المناطق التي يمكنه زيارتها في اسرائيل ثم حدد الامـاكن التي يرغب في زيارتهـا وتبـادل اطـراف الحـديث مع المثقفين الاسرائيليين ليحدد نوع المنشآت الواقعة في مناطق محظورة ومدى قربها من مراكز النقل ومن مصادر الطاقة وكذلك هوية وتخصص بعض العلماء الذين عملوا بها وكـذلك أجرى البروفيسور هامبلتون تحريات خفية عن علاقات اسرائيل بأفريقيا الجنوبية لأنه كان يعتقد أن هذه الاخيرة تمتلك الامكانيات الاساسية لانتاج أسلحة ذرية لأنه علم أنها تستعمل نفس الطرق اللاأخلاقية في الحصول على اليورانيوم من سرقة وتهريب ورشوة. وعندما غادر البروفيسور هامبلتون اسرائيل الى فيينا في نهاية شهر آب (أغسطس) كان متأكداً من صدق ظنه.



ـ المفاعل الذري الاسرائيلي (ديمونا)

في مقر السفارة السوفييتية في فيينا قدم هامبلتون لمسؤولي المخابرات السوفييتية ثلاثة تقارير عن مهمته الناجحة في اسرائيل (رغم تبجح المخابرات الاسرائيلية باستحالة التجسس عليهم وامكانية أية مخابرات عربية أو صديقة القيام بعملية جاسوسية داخل اسرائيل بنفس الطريقة بسبب وجود عشرات الاصدقاء الاجانب كهامبلتون مخلصين ويمكن تكليفهم بعد تأمين مستقبلهم واعطائهم المصاريف اللازمة السخية). نالت التقارير الثلاثة اعجاب المخابرات السوفييتية وكان التقرير الاول صورة سيئة للغاية عن الاقتصاد الاسرائيلي مؤكداً أن الوضع لن يتحسن اذا رفضت اسرائيل التعاون مع الدول العربية (رأي هامبلتون) رغم أن هذا القول لم يكن يمثل أية اهمية على الاطلاق خاصة من الناحية الجغرافية السياسية لأن اسرائيل مستمرة في الاعتماد على المعونات الخارجية التي تقدمها لها الولايات المتحدة بدون حساب وبضغط من اللوبي الصهيوني المسيطر والمعونات التي يوفرها لاسرائيل صندوق الجباية اليهودية والمعونات التي تجمع سنوياً من يهود الولايات المتحدة أما تقرير هامبلتون الثاني فقد أكد على أن أي مهاجر يهودي الى اسرائيل بامكانه تأسيس شركة تجارية برأسمال قدره ٢٠ عشرون ألف دولار أو زيادة حسب نوعية عمل الشركة مع مراعاة تضخم الضرائب والمصاريف الادارية التي تشكل عبئاً ثقيلاً على كل المؤسسات المستقلة باسرائيل. أما التقرير الثالث فقد اهتم به العقيد بول شخصياً إذ جاء به أن اسرائيل تمكنت بالفعل من تصنيع عدة قنابل ذرية بفضل تعاونها المباشر مع افريقيا الجنوبية فيما يتعلق بنواحي التكنولوجيا وأضاف هامبلتون في تقريره أن مفاعل ديمونا لايزال يعمل في تصنيع القنابل الذرية وأكد «أن اسرائيل ستستخدم القنبلة الذرية لتحمي نفسها من الدمار الشامل».

● بعد مهمة اسرائيل اوصى العقيد بول هامبلتون محاولة التعرف على عناصر كندية تقدمية في جامعة لافال وعندما أجابه هامبلتون بأن كثيراً من الكنديين لا يبدون تعاطفاً مع الاتحاد السوفييتي رد بول قائلاً أنه متأكد بالرغم من ذلك من وجود طلبة متعاطفين مع الشيوعية حسبما أكدته له مصادر أخرى موثوقة ثم أعطاه اسم طالب يعتقد أنه ماركسي وطلب منه إعداد دراسة عنه ثم طالبه أيضاً باعداد قائمة باسماء الطلبة الموهوبيين دون التقيد بأفكارهم وأخيراً حث بول هامبلتون على ايجاد وظيفة لنفسه بالحكومة الكندية مهما كانت الظروف وحانت الفرصة في عام ١٩٧١ عندما طلبت الوكالة الكندية للتنمية الدولية من هامبلتون أخذ ستة أشهر

اجـازة للعمـل كمستشـار اقتصـادي لدى حكـومـة «بيرو» وأبلغ هامبلتون ضابط المخابرات السوفييتية بذلك والتحق بوظيفته الجديدة في «ليما عاصمة البيرو» وفي ليما لحق به العقيد بول وهنأه بعمله الجديد ثم هنأه مرة ثانية عن تقاريره عن اسرائيل خاصة فيما يتعلق بالقنبلة الذرية واعلمه أن المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي بجميع اعضائه قد اطلع على تقاريره وانهم يهنئونه أيضاً ثم طلب منه كتـابـة تقـرير سياسي حول المـوقف السياسي في بيرو ومـدى استقرار الحكومة «سياسياً» والفرص المتاحة أمام مختلف القادة السياسيين غير أن الكي جي بي كانت ترغب أولاً وأخيراً في توصـل هامبلتـون الى اقامة علاقات بينه وبين الامريكيين المتـواجـدين في «ليمـا» ليحـاول معـرفة من منهم قد يميل لسبب أو لآخر نحو السوفييت وفي مساء اليوم التالي اعطى بول عنواناً بريدياً لهامبلتون في برلين الشرقية وأرشـده الى كيفية استخـدام الـرموز ووعده بتدريبه على خفايا مهنة الجاسوسية وكانت المخابرات السوفييتية تثير في نفس هامبلتون الغرور والاعتزاز بالنفس لما كان يستقبل به من تقدير واحترام واهمية وقد عاد هامبلتون الى جامعة لافال بعد انتهاء اعارته الى بيرو في نهاية عام ١٩٧١ قام بتحرير تقارير سرية عن جميع ما علم وشـاهـد وسمع في ليما وكذلك تقارير عن النشاطات التي زاولها في الفترة الاخيرة. وفي شهر أيار (مايو) ١٩٧٣ سافر هامبلتون الى هايتي ليتولى تنفيذ برنامج مشترك قامت بتمويله الحكومة الكندية ومنظمة الدول الامريكية ويهدف الى تعليم سكان هايتي كيفية اعداد برامج مفتوحة للتنمية تعرض للدراسة على منظمات دولية تقوم بمساعدة الدول النامية ومؤسسات أخرى قادرة على تنفيذ هذه البرامج غير أن هامبلتـون خشي أن يراسـل الكي جي بي من هايتي بسبب مراقبة عناصر موالية للمخابرات الامريكية للبريد الصادر والوارد في هايتي ولذلك ظلت اخباره منقطعة عنهم ولكنهم كانوا يعلمون عنوانه ومكانه فأرسلوا له صديقه السابق رودلف هرمان في خريف عام ١٩٧٤ حيث ابلغه بعنوان جديد بالنمسا يمكّنه ارسال الرسائل اليه وحدد له موعداً مع العقيد بول في فيينا في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤.

وفي الموعد المحدد سافر هامبلتون والتقى بولاً الذي رحب به واعطاه بعض المال المتـراكم في ذمـة المخابرات السوفييتية وكلفه بمهمات جديدة من أهمها تركيز جهوده على مقابلة وتقييم اشخاص أمريكيين وكذلك التفكير من الآن بايجاد بديل له في كندا مستقبلاً في حالة تقاعده عن العمل ومن ضمن المهمات التي كلف بها

مهمة غريبة جداً وهي تقتضي ابلاغ الاتحاد السوفييتي عن تاريخ أي هجوم للولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفييتي(1) وقد طلبت المخابرات السوفييتية من هاملتون التوجه الى اسرائيل «للمرة الثانية» خلال الصيف القادم.

الزيارة الثانية لاسرائيل للجاسوس السوفييتي:

أصبحت زيارة اسرائيل بالنسبة للجاسوس هاملتون كالنزهة رغم ما قام به في زيارته الاولى من تعرية الكيان الصهيوني أمام الكي جي بي ولذلك طلبوا منه العودة الى اسرائيل مجدداً لاعداد دراسة ديمغرافية فسافر وهو واثق بأن المخابرات الاسرائيلية لن تكشف أمره رغم ادعاءاتها وغطرستها لن تعرف شيئاً من أمر البروفيسور هاملتون الباحث الدارس وصديق اسرائيل المزيف وفي اسرائيل لجأ الى معاونة عناصر جامعة اسرائيلية عندما درس خطة التهجير الى اسرائيل من جميع نواحيها فلاحظ وجود نسبة من المهاجرين القادمين من دول الشرق الاوسط تزيد على نسبة المهاجرين القادمين من امريكا الشمالية واوربا وهذا يشكل عاملاً مؤثراً على سياسة اسرائيل الداخلية ويرفع نسبة اليهود الشرقيين فيها ليأخذوا حظهم من الحكم والتحكم بعد أن كان ذلك محصوراً باليهود الغربيين (منذ اغتصاب الارض الفلسطينية عام ١٩٤٨ ـ المؤلف) مما سيدفع القادة الاسرائيليين في حينه الى ابداء المزيد من التشدد تجاه قضية الاحتفاظ بالقدس كعاصمة لكيانهم رغم معارضة الكثير من الزعماء الاسرائيليين.

الجاسوس هاملتون وجهاً لوجه مع اندربوف:

عاد هاملتون من اسرائل الى فيينا واجتمع بالمخابرات السوفييتية وسلمهم التقرير الذي اعده عن اسرائيل ثم توجه الى أثينا في القطار ليستريح بعض الوقت

---

(١) نفس الطريقة للمخابرات الاسرائيلية حيث طلبت من أحد عملائها المصريين إعلامها مسبقاً اذا تمكن عن موعد أي هجوم عربي عليها لتتمكن من اتخاذ الاحتياطات اللازمة ونحن نعلم علم اليقين انه لا يوجد لا مصري ولا أي عربي رغم اغراء المخابرات الاسرائيلية بمبلغ نصف مليون دولار لهذا العميل يقبل ان يتورط بالتجسس وخير دليل على كلامنا هي حرب رمضان...

فالتقي بامرأة يوغوسلافية شابة شاركته مقطورته ولما تعرف بها علم أنها تدعى ليليانا وهي في الحادية والعشرين من عمرها طالبة جامعية تدرس علوم الاحياء في جامعة بلغراد فشعر هامبلتون بالاعجاب الشديد بها من النظرة الاولى وهو الذي شغل نفسه بالتجسس منذ سنوات ولم يعطها حقها من الحب والحنان اللازمين لكل انسان تبادل معها كلمات الود والاطراء واتفقا على اللقاء في مدينة بلغراد بعد خمسة ايام.

وبعد يومين عاد الى فيينا فوجد العقيد بول بانتظاره على احر من الجمر حيث اعلمه أن القيادة في موسكو تطلب مقابلته فوراً فخشي هامبلتون أن تكون المخابرات السوفييتية قد اكتشفت كذبه عليهم عندما ادعى أنه سُرّح من وظيفته في حلف شمال الاطلسي غير أن استدعائه الى موسكو كان لسبب آخر فقد أعد له برنامجاً مكثفاً لتدريبه بهدف حماية شخصه ولاجراء مناقشة سياسية معه والاهم من ذلك اعداد المخابرات السوفييتية برنامجاً حافلاً لزيارة المعالم الاثرية في موسكو ولينينغراد ثم مقابلة بعض قادة المخابرات.

● قام ضباط المخابرات السوفييتية بتدريبه على استخدام وسائل الاتصال الخاصة بالجواسيس ومنها الكتابة بالحبر السري وكيفية اختيار صناديق خطابات وأماكن سرية لاخفاء الرسائل بالاضافة الى ذلك لقنوه دروساً مبدئية تمكنه من اكتشاف من يتبعونه كما تم تدريبه على تلقي رسائل الكي جي بي على جهاز «جروندج ساتيلين» المجهز بمعدات خاصة تغني عن استخدام اسلوب هورس وهو جهاز صامت وبسيط لا يتأثر بتغييرات الطقس (لاحظ المدربون أن هامبلتون يجهل نظريات ماركس ولينين ولا يبدي رغبة خاصة للنقاش بها) وفي احدى ايام الزيارة لموسكو اخبره الضابط المرافق له أنه سيلتقي بزائر هام جداً وسيتناول العشاء معه ويتناقشان حول عدة قضايا دولية ليتعرف على رأيه الخاص والصريح عنها وفي المساء حضر الزائر الهام وبدأ يوجه لهامبلتون الاسئلة الآتية: هل الولايات المتحدة تستطيع زيادة نفقاتها العسكرية.؟ وأجاب هامبلتون على هذا السؤال قائلاً: انه مجرد رجل اقتصاد ليس بامكانه الاجابة على هذا السؤال هذا بالاضافة الى أنه كان يجهل ما اذا كانت أسس صناعة الاسلحة الامريكية بامكانها اتاحة الفرصة لزيادة سريعة في انتاج هذه الاسلحة غير أن هامبلتون أضاف قائلاً: ان الولايات المتحدة يمكنها بسهولة مضاعفة ميزانية الدفاع الخاصة بها دون احداث تغييرات أساسية في اقتصادها شريطة أن ترفع نسبة ضرائبها وتحد من ميزانية وزارات أخرى أما السؤال



الرئيس يوري اندروبوف رئيس المخابرات السوفييتية ثم رئيس هيئة مجلس السوفييت الأعلى رئيس الجمهوريات السوفييتية ٠

الثاني الذي وجهه الزائر الهام لهامبلتون فقد كان: هل يضطهد اليهود في الولايات المتحدة. ؟ وأجابه هامبلتون إنه بالرغم من توفر بعض المواقف الفردية التي يعاني منها اليهود في الولايات المتحدة فانهم أي اليهود يتمتعون بحقهم في التعليم وفي ممارسة وظائف أو تأسيس شركات أو في حقهم في السكن مثلهم في ذلك مثل الامريكيين أنفسهم وبالتالي فإن الاضطهاد العنصري تجاه اليهود لا يمكن أن يكون عاملاً متفشياً في المجتمع الامريكي وقد سببت هذه الاجابة للزائر الروسي كثيراً من الدهشة. ثم انتقل الى السؤال الثالث وهو: هل الشباب الامريكي التقدمي يعتبر الاتحاد السوفييتي أملاً للمستقبل. ؟ وأجاب هامبلتون بحذر: إن الشباب الامريكي التقدمي منجذب الى كوبا والصين لأن عيوبهما مجهولة في حين أن عيوب الاتحاد السوفييتي معروفة. رد الزائر المهم على هامبلتون قائلاً: ومع ذلك فإن الصين تعاني من عيوب خطيرة يمكن اكتشافها بسهولة وسوف تنكشف هذه العيوب في القريب العاجل وبدت عليه علامات الانفعال وهو يردد ما قاله ثم ابدى كثيراً من الأسف على مدى تدهور العلاقات الصينية السوفييتية المشتركة ثم تناول الحديث موضوع أوروبا الغربية وأدلى الزائر المهم بتوقعات حول قرب انهيار السوق الأوروبية المشتركة وعندما خالفه هامبلتون في الرأي التزم الزائر بالصمت ثم انتقل الحديث عن مستقبل هامبلتون نفسه وهنا أشاد الزائر بأعمال هامبلتون مع المخابرات السوفييتية الجليلة التي قدمها لهم وسأله هل بإمكانك مستر هامبلتون أن تلعب دوراً سياسياً في كندا. ؟ هل يمكنك ترشيح نفسك الى مجلس الشعب في كندا. ؟ في الدورة المقبلة للبرلمان فأجاب هامبلتون بعدم امكانيته ذلك بسبب عدم ممارسته السابقة للسياسة ولافتقاره الى أية تجارب أو أسس تتعلق بالنواحي السياسية ثم سأله الزائر هل بامكانك العمل بالولايات المتحدة بأحد مراكز الابحاث السرية مثل معهد الهيودسن مثلاً. ؟ وهنا أجاب هامبلتون بالايجاب فأكد له الزائر أن ينفذ ذلك وأبلغه أنهم (أي المخابرات السوفييتية) سيستمرون في استخدامه في مناطق حساسة والمناطق المحظورة التي لا يتوفر بها عملاء سوفييت وبعد ساعة من هذا الاجتماع والعشاء نهض الزائر فجأة وتمنى حظاً سعيداً لهامبلتون ثم انصرف مع حراسه بعد أن اختتم حديثه مع هامبلتون بقوله: فعلاً مستر هامبلتون أنك تمثل حالة فريدة في عالم المخابرات والجاسوسية. ولما سأل هامبلتون الضابط المرافق عن شخصية هذا الزائر أجابه: إنه يوري أندروبوف

ـ رئيس الكي جي بي (في حينـه) الذي أحب أن يكرم عميله هامبلتون وبنفس الوقت يطلع على حسن سير وعمل المخابرات التي يرأسها.

● عاد هامبلتون الى فيينا بعد انتهاء الزيارة والتدريب والتقى بالعقيد بول الـذي هنـأه على استقبـال أندروبوف له وطلب منه مراجعته بعد يومين لاستلام التعليمـات الجـديدة وبعد انقضاء المدة حضر الى مكتب بول الذي أعلمه أن التعليمات تنص على أن يقيم اتصالات بمعهد الهيودسن وكذلك أن يوجد لنفسه مبررات عمل تقتضي تردده على دول الشرق الاوسط بصفة دورية. وقد دلت هذه التعليماتُ الاخيرة على أن المخابرات السوفييتية قررت تكليفه بمهام خطيرة للغاية قد تعرّض عمله وحياته نفسها للخطر لذلك قرر هامبلتون بينه وبين نفسه ألا يبحث عن الـوظيفـلا في الهيودسن فقـد تؤدي الى تدميره بصورة نهائية (إلا) إذا جاءته الوظيفة بنفسها ثم قرر القيام بزيارة يوغسلافيا للقاء ليليانا ولدى وجوده في احدى فنـادق بلغراد اعتقلته المخابرات اليوغسلافية ونقل الى مركز المخابرات ليجري التحقيق معه عما يلي:

١ ـ لماذا جاء الى يوغسلافيا..

٢ ـ من هم الاشخاص الذين سيتصل بهم في يوغسلافيا..

٣ ـ ماذا عمل في اسرائيل عند زيارته لها..

٤ ـ هل يعمل في حلف شمالي الاطلسي...

وأجـاب هامبلتـون على اسئلة المخـابـرات اليوغسلافية بشيء من الثورة والشراسة ليبرهن لهم على مدى استنكاره وبراءته واعترف أنه كان يعمل في حلف شمال الاطلسي ولكنه ترك العمل به منذ أربعة عشر عاماً ثم برر سفره الى اسرائيل بالمهمـة التالية: جمع المعلومات عن حصن «رودس» الذي بني عام ١٩٨٠ م والذي بفضله انتشرت المسيحية في القرن الخامس عشر أما سبب حضوره الى يوغسلافيا فلكي يستشير اخصائياً بخصوص حصن رودس أيضاً وبعد ثلاث ساعات من الاستجواب المتواصل طالبه مدير فرع مخابرات بلغراد بحزم بمغادرة البلاد فوراً وسافر هامبلتون يائساً بعد أن فشل في مقابلة حبيبته ليليانا ولدى عودته الى كويبك تلقى رسالة من ليليانا فرد عليها فوراً وبدأت المراسلات تنتظم بين الحبيبين بمعدل ثلاث أو أربع رسائل اسبوعياً وفي شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٦ وجه هامبلتون دعوة الى ليليانـا وشقيقتهـا لزيارتـه في كويبك وخلال هذه الزيارة توثقت الروابط بين

هامبلتون وليليانا وقررا الارتباط بالزواج بعد عامين أي بعد تكملة دراستها وهكذا اغفل هامبلتون في غمرة سعادته في حبه الجديد اتصالاته بالكي جي بي وفي شهر آب (اغسطس) ١٩٧٦ تلقى برقية بالحبر السري تحتوي على بعض الاوامر الصادرة له من قبل المخابرات السوفييتية ثم تلق قلم حبر باركر هدية من أحد صناديق البريد التي يعتمدها. كان هذا القلم يحتوي على قائمة بصناديق بريد تقع في محيط مدينة مونتريال وعلى اماكن لقاءآت بمنطقة أوتاوا ثم تلقى منهم دفتر لفك الرموز ثم جهاز للاستقبال من طراز ٧ ج جروندج وخطة جديدة للارسال. وبدأ يتلقى رسائل متتالية منهم وفي رسالة سألوه عن امكانيته للتوجه الى مصر أو تركيا أو عودته الى اسرائيل للتجسس عليها للمرة الثالثة خلال صيف عام ١٩٧٦ ثم اتبعوها برسالة يستفسرون بها عن الخطوات التي انجزها بهدف التقرب من المسؤولين في معهد الهيودسن والى أي مدى نجح في محاولة ايجاد وظيفة له بالولايات المتحدة أجاب هامبلتون الذي كان قد خطط لقضاء عطلة الصيف مع محبوبته ليليانا: بأنه خطط للمشاركة في ندوة ستعقد في مكسيكو وبالتالي سيتعذر عليه القيام بالاعمال التي سألوه عنها كما اغفل الاجابة عن السؤالين الاخيرين المتعلقين بمعهد الهيودسن وامكانية العمل بالامم المتحدة وفي نهاية شهر نيسان (ابريل) اقترحت عليه الكي جي بي مهمة استهوته حالاً رغم مصاعبها:

● هل بامكانك التوجه الى جنوب أفريقيا للتوصل الى معرفة مدى ما تم انجازه بخصوص برنامج التسلح النووي؟.

● بدأ هامبلتون حالاً بمراسلة بعض رجال العلوم والاقتصاد في جنوب افريقيا كما فعل قبل سفره لاسرائيل كما أخذ يقوم بالاطلاع على بعض المعلومات عن الموارد والامكانيات التكنولوجية لجنوب افريقيا ساعده على الاطلاع عليها بعض المعلومات المماثلة التي حصل عليها من اسرائيل بالاضافة الى جمعه المعلومات والكتب من المكاتب العامة والخاصة وكان الهدف الظاهري من بحثه هو دراسة التكاثر النووي. وفي نهاية شهر أيا (مايو) عاد من جنوب افريقيا بعد أن قام بزيارة بعض الاساتذة هناك وكتب تقريراً كاملاً جاء فيه ان جنوب افريقيا قد حصلت على كل الموارد والمنشآت الضرورية لانتاج القنبلة الذرية ولكن بقوة اكبر من قنبلة نغازاكي وقال هامبلتون في تقريره أن جنوب أفريقيا مثلها في ذلك مثل اسرائيل تريد امتلاك اسلحة نووية وقد تنبأ بأن المسؤولين فيها سيفجرون قنبلة

خلال شتاء ١٩٧٧ وقد صور هامبلتون تقريره الهام هذا ووضع الفيلم في غلاف من البلاستيك بجوار حجرة بالقرب من عامود البرقيات في مُقاطعة اونتاريو ثم مر بعد الظهر ولم يكن الفيلم قد أخذ من قبل المخابرات السوفييتية فأسرع بالتقاطه بعد أن لاحظ وقوف سيارة بالقرب من المكان وأحرق الفيلم في سيارته وعاد الى منزله فحرر التقرير مجدداً بالحبر السري وأرسله بالبريد. وفي شهر حزيران (يونيو) وصلت ليليانا وكانت علامات التعب ظاهرة عليها وأخبرته بأنها مريضة وأنها تتابع علاجاً كيمائياً بسبب اصابتها بالسرطان فأحاطها بحنانه وعطفه ورعايته حتى سافرت وبدأت المراسلات تتوالى بين الحبيبين ثم حضرت اليه مرة ثانية وأخبرته أن المخابرات اليوغسلافية قد استجوبتها بسبب تسلمها العديد من الرسائل التي كان يرسلها لها وكانت المخابرات تراقب رسائله لها وأبلغته أيضاً أن العلاج الكيمائي قد فشل وأن الشفاء هو باجراء عملية جراحية دقيقة وسافرت الى بلغراد بعد أن اتفقا على عدم تبادل الرسائل ولذلك لم ترسل له سوى رسالة قصيرة جداً تخبره فيها بخروجها من المستشفى وعودتها للدراسة. قرر هامبلتون زيارتها مهما كان الثمن وأبلغ الكي جي بي أنه سيذهب الى مصر للتجسس عليها حسب طلبهم في أيار (مايو) ١٩٧٨ فحضر العقيد بول اليه وأعلمه أن طلبهم هو معرفة الوضع الاقتصادي العام لمصر وعدد المؤسسات الامريكية فيها والاستفسار عن المصادر التي تستورد منها اسرائيل النفط وعن الكمية التي تنتجها بنفسها وعن انواع المواد الاولى التي تنقصها وعن أنواع الحظر الدولية التي تؤثر بشدة على اقتصادها لأنه يعرف أن هامبلتون من الممكن أن يعرف هذه الامور عن اسرائيل من الناس الذين سيقابلهم في مصر في نهاية المقابلة حث بول هامبلتون على التوجه الى الولايات المتحدة في الخريف ليقيم في نيويورك وواشنطون لمدة عام فوعده بذلك (وكان كاذباً في قرارة نفسه) ولدى سفره حضر الى بلغراد لرؤية ليليانا وكانت حالتها الصحية مرهقة للغاية فقد استغرقت العملية التي أجريت لها سبع ساعات وفشلت لأن السرطان انتشر في جميع انحاء جسمها وكادت العملية أن تودي بحياتها فعرض عليها هامبلتون أخذها معه الى اسرائيل حيث يتوفر علاج ممتاز لمرض السرطان (من الممكن أن تكون هذه الفقرة من الدعاية المركزية التي يصيغها بعض الكتاب المتعاطفين مع اسرائيل فيرجى الانتباه) غير أنها اجابته بأنها منهكة وغير قادرة على الوقوف سوى ساعتين أو ثلاث ساعات يومياً. تأثر عليها هامبلتون وأعطاها ما يقدر

عليه من الدورلارات ووعدها بزيارتها مرة ثانية لدى عودته من مصر.

سفر هاملتون الى القاهرة:

توجه هاملتون الى القاهرة حسب طلب المخابرات السوفييتية وأقام في فندق الهيلتون بصفته البروفيسور العالم هامِلتون القادم للتباحث مع اساتذة مثله فقابل عدداً منهم ومن رجال الاعمال وضباط الجيش المصري جميع هؤلاء تحدثوا اليه بوضوح وصراحة مثل ممثلي الحكومة الذين توجه لاجراء مقابلات معهم فلم يحاول الحصول منهم على أية أسرار بل كان يطلب منهم معلومات رسمية ضرورية لاعداد دراسة اقتصادية عن الشرق الاوسط وكان التقرير الذي اعده تافهاً لدرجة أنه تركه مفتوحاً على طاولة غرفته في الفندق (كان لديه احتمال ١٠٪ أن تكون المخابرات المصرية في حينه تراقب الاجانب) أنهى مهمته في القاهرة وعاد الى بلغراد لرؤية ليليانا التي روت له كيف تتعرض لارهاب المخابرات اليوغوسلافية التي لا تكف عن استجوابها واحتجازها «رغم مرضها» وأكدت له رغبتها في قضاء ايامها الاخيرة مع اسرتها وطلبت منه بكل الحب والعطف أن يخطط لحياته المستقبلية ونصحته أن ينساها ويلتفت الى مستقبله. عاد الى مقره وكتب الى الكي جي بي رسالة بالحبر السري يفسر لهم استحالة سفره للولايات المتحدة بسبب رفض جامعته منحه اجازة لمدة عام أرفقها مع تقريره المفصل عن الاحوال في مصر ووضعهم في احد صناديق البريد.

سفره الى اسرائيل للمرة الثالثة رغم ادعاء مخابراتها:

ركب هاملتون طائرة العال الاسرائيلية بعد حصوله كاستاذ جامعي على فيزة اسرائيلية وهناك تنقل في مختلف المدن من القدس الى تل أبيب وحيفا ويافا وقام بالزيارة الروتينية للكنيست (البرلمان) ولم ينس أن يزور الاساتذة الاسرائيليين الذي زارهم في أول زيارة لاسرائيل وكان قد جعل من جامعة ومستشفى هداساً منطلقاً له هذه المرة ومركزاً لابحاثه التي اجراها وسجلها على الاحوال في اسرائيل وبعد أن قضى في اسرائيل عدة أشهر عاد الى فيينا فقابله العقيد بول فوراً وأعلمه بأن

المخابرات النمساوية قد اطلعت على تقريره عن مصر وتقريره عن استحالة سفره للولايات المتحدة وبذلك يصبح هاملتون تحت مراقبة المخابرات الغربية واستلم منه تقريره الجديد عن الاحوال في اسرائيل وسلمه مبلغ ٥٠٠٠ خمسة آلاف دولار وطلب منه التوقف عن العمل وخيره بين اللجوء للغرب أو السفر مختاراً للاتحاد السوفييتي لينضم الى فيلبي وأمثاله. كان مبلغ الـ ٥٠٠٠ خمسة آلاف دولار هو اضخم مبلغ قبضه من المخابرات السوفييتية خلال مدة عمالته لهم وهي (٣٠) عاماً ومع ذلك سافر فوراً الى بلغراد وقدم المبلغ الى حبيبته ليليانا لتستعين به في حياتها ومرضها وعاد الى الجامعة وعمله الجامعي وتباعدت الرسائل بينه وبين الكي جي بي حتى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ حيث زارته المخابرات الكندية التي اكتشفت أمره من خلال صديقه (رودلف هرمان أولوديك) العميل الذي خدم المخابرات السوفييتية ١٧ عاماً ثم طلب اللجوء السياسي في الولايات المتحدة وانتقل اليها. وقد حققت المخابرات الكندية معه بحياد تام وتجرد فتبين لها أنه لم يقم بتسليم المخابرات السوفييتية أي خبر أو وثيقة كندية وأن جميع ما سلمه لهم هو من ملفات وأعمال ووثائق حلف شمال الاطلسي وبالتالي فإنه قانونياً لم يقترف أي عمل غير شرعي على الاراضي الكندية الشيء الذي كان سيجعل مصير أي قضية ترفعها عليه النيابة العامة ضده غير مضمونة النتائج لذلك فضلت المخابرات الكندية عدم محاكمته في مقابل تعاونه معهم فقدم لهم اعترافات صريحة بتفاصيل علاقاته مع المخابرات السوفييتية فسمحوا له بالعودة للتدريس في الجامعة ولكن ◁

تكاثر الجواسيس السوفييت في امريكا

● زادت عمليات التجسس السوفييتية عام ١٩٨٣ في الولايات المتحدة الامريكية زيادة كبيرة حيث يعتقد بأن للمخابرات السوفييتية ما يقارب من ٣٥٠ عميلاً وأن الكي جي بي وضع في مقر بعثاته الدبلوماسية في الولايات المتحدة أجهزة حديثة للغاية للمراقبة تسمح لهذه البعثات بالتنصت بنظام على اتصالات وزارة الدفاع الامريكية والمخابرات المركزية الامريكية ووزارة الخارجية والتنصت على اتصالات بعض القواعد العسكرية وأنهم أقاموا شبكة من المحامين من أجل النضال لصالحهم...

أخبار ليليانا انقطعت عنه فحزن عليها معتقداً أنها ماتت لأنه لم يتأكد من مصيرها وفي عام ١٩٨٢ سأل هامبلتون المخابرات الكندية عن امكانية سفره الى الولايات المتحدة أو بريطانيا فنصحوه بألا يفعل ذلك لكي لا يقتل من أحد جهازي مخابرات إحدى الدولتين. لم يستمع هامبلتون الى النصيحة بل سافر الى لندن في حزيران (يونيو) ١٩٨٢ حيث كان يعتقد أنه سيعامل مثل معاملته في كندا ولكن المخابرات البريطانية الأنتلجانس سرفيس لم تكن معه في هذا الحساب فاعتقل في فندق وندسور وحقق معه حوالي الشهرين عن نشاطه لصالح المخابرات السوفييتية فاعترف للمخابرات البريطانية بأنه قد نقل للمخابرات السوفييتية أسرار مهمة من الغرب وأنهُ بلغة القانون وأمام المحلفين (مذنب) فحكم عليه بالسجن ٤٠ عاماً أنزلت لأسباب تخفيفية الى ١٠ سنوات تنتهي في حزيران (يونيو) ١٩٩٢ إذا لم يجري تبادله مع جاسوس يماثله في القيمة والاسم كما هي عادة الدول.

والى هنا تنتهي قصة هذا الجاسوس السوفييتي الذي عشق مهنة التجسس وقام بها خير قيام حتى انتهت به الى السجن.

صدور كتاب عن اعمال الجاسوس هامبلتون :

وقد صدر كتاب وثائقي عن اعمال هذا الجاسوس الذي امتدت اعماله وخدماته الجاسوسية لمدة ثلاثين عاماً حيث يقول المؤلف (ليوهيس) أن استاذ الاقتصاد الكندي هامبلتون الذي تجسس لمدة ثلاثين عاماً كان شخصية ساذجة ني عالم التجسس الغامض وقد قام بالتجسس للاثارة وليس بناء على معتقد سياسي.

ويقول الكتاب أن المؤلف كان صديقاً للجاسوس لمدة طويلة وإن هامبلتون «الذي يقضي حكماً بالسجن لمدة عشر سنوات» في بريطانيا عاش حياة معقدة في الخداع امتدت في انحاء العالم من كويبك الى هايتي والقدس المحتلة وتسرد السيرة ـ عن هامبلتون الجاسوس التفاصيل القذرة لحياة جاسوس وتقدم لمحة رائعة عن مدى صبر ومثابرة أي جاسوس تجنده المخابرات الاجنبية ومع الرواية عن الاجتماعات السرية في باريس وموسكو وفيينا أقرب الى القصة مع أنها حقيقة قطعت عقود الخداع في النهاية بالنسبة الى هامبلتون. ويعد أن أدين بسبب

اعترافاته أرسل الى السجن بعد أن اعترف بنفسه أنه مذنب بقيامه بتصوير وثائق «سرية جداً» لحلف شمال الاطلسي فيما كان يعمل في المقر الرئيسي للحلف في باريس بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦١

ويستنتج المؤلف هيس الذي عرف هامبلتون منذ أيام الدراسة قائلاً: عندما كشف هامبلتون القناع عن وجهه لم يكن احد متأكد تماماً ازاء أية حياة كانت حياته الحقيقية وكان اقلهم تأكداً الجاسوس نفسه واعترف المؤلف هيس وهو مؤرخ وروائي وكاتب مسرحي بأنه كان محتاراً في تحديد ما اذا كان هامبلتون منحرفاً ومكرساً نفسه لدولة أجنبية أو أنه كان هاوياً سادجاً تأرجح عند طرف الاثارة (دون المخاطرة بحياته) ويظهر السرد الروائي ان دراسة الشخصية الثانية هي الاكثر ترجيحاً ويقول الكاتب ان الامر (التجسس) بدأ في الخمسينات عندما اختار ملحق ثقافي في اوتاوا هامبلتون واقنعه بسرقة تفاصيل جهاز سري لسبر الاعماق تحت الماء من والد زوجته وهو موظف كبير في الدولة. ويكتب المؤلف هيس قائلاً: أنه جرى تجنيد هامبلتون وكان الامر وكأنه دُفع الى شعائر سرية لاخوة عظيمة تحتضن اذرعها القوية كل الانسانية. ومع هذا انتظرت المخابرات أربع سنوات حتى انهى هامبلتون دراسته في السوربون «باريس» قبل أن تشرع في استخدامه بشكل أكبر حيث جرى تقديمه الى رجل كان المعروف أن اسمه بول وكان موجهه في العمل وقد رافق بول هامبلتون الى مطاعم فاخرة واغواه بعمليات اطراء رقيقة واقترح عليه أن يعمل في حلف شمال الاطلسي للقيام بمهمات قليلة ذات تفاؤل متبادل. قام هامبلتون بتصوير عدة ألوف من صفحات المعلومات العسكرية والاقتصادية القيمة التي تمثل ارفع ما جرى حفظه في المصنفات السرية وكان بول يدس في جيب هامبلتون بين فترة واخرى مبلغ (١٠٠٠ ألف دولار) للمصاريف. وفي وقت لاحق عاد هامبلتون الى الحياة الاكاديمية ولكن قبل تسلمه العمل في جامعة لافال في مدينة كويبك جرى تحضيره بشكل متقن على يد بول فاجتاز الاختبار واتصل به رودولف هيرمان وهو منسق المخابرات الاجنبية[1] في أمريكا الشمالية وقد فر في وقت لاحق وكان أول من دل على الاستاذ هامبلتون. وتمكن هامبلتون الذى نجح

(١) يخشى المؤلف ليوهيس ذكر اسم المخابرات المعنية بالذات (المخابرات السوفييتية) فيصفها بالمخابرات الأجنبية.

في تغطية نفسه تماماً بالعمل في مشاريع المساعدة للحكومة الكندية في تقديم تحاليل سياسية واقتصادية قيّمة بينما كان يعمل في بيرو وهايتي واسرائيل. وبعد ذلك تلقى حفاوة كبيرة من رؤوسائه في التجسس[1] ويقول المؤلف أن هامبلتون ذهب في عام ١٩٨١ الى بريطانيا وهو يحمل خططاً للفرار الى الشرق ولكن قبض عليه وحوكم وأدين. وقد قابل المؤلف هيس هامبلتون في السجن البريطاني لعدة مرات من أجل نقل مواد الكتاب منه حسب تسلسل احداثها وذلك بعد أن سمحت له المخابرات البريطانية بذلك ولكنها اشترطت أن يقدم لها نسخة طبق الاصل من المواد للاطلاع عليها حسب الاصول ومع ذلك سمحت هذه المخابرات بنشر الكتاب كاملاً دون اقتطاع أو منع شيء منه وقال المؤلف أنه رأى هامبلتون في آخر

(جاسوسة امريكية تدعي أن لها علاقة جنسية مع اندروبوف)

● ادعت السيدة أوغود دينيكوفا مواليد ١٩٥٠ المتهمة مع زوجها نيكولاي دينيكوفا بالتجسس في مدينة لوس أنجلوس لصالح الاتحاد السوفييتي بأنها كانت تتلقى تعليمات التجسس من السيد اندروبوف شخصياً عندما كان رئيساً للمخابرات السوفييتية وأنها في كل مرة كانت تزور موسكو حاملة الوثائق والمعلومات الهامة الى المخابرات السوفييتية كانت تؤخذ الى الدارة الخاصة بأندروبوف بسرية تامة لتقيم علاقات جنسية معه ثم تعود الى امريكا وتعلم زوجها الجاسوس عن ذلك ويروح رياضية. . . ؟

(بلجيكي يبيع أسرار الاطلسي للمخابرات السوفييتية)

● حكمت محكمة جنيات بروكسل عاصمة بلجيكا على «أوجين ميشل» مواليد ١٩٢٣ والموظف سابقاً في الشؤون الخارجية لحلف شمال الاطلسي عليه بالسجن ثمان سنوات وذلك بسبب «بيعه» تقارير سرية عن تجهيزات الحلف الى المخابرات السوفييتية (K. G. B) اثناء عمله بالحلف من عام ١٩٧٧ لغاية شهر آب (اغسطس) ١٩٨٥ لقاء تقاضيه مبلغ «٥٠,٠٠٠ خمسون ألف دولار» مقابل التجسس.

ملاحظة: يظهر أن المعلومات التي سلمها للمخابرات السوفييتية ثمينة.

---

(١) الحفاوة كانت استقبال الراحل اندروبوف ـ رئيس المخابرات السوفييتية له في حينه.

زيارة وقد افرغ من كل العواطف والشعور ولم يبق غير هيكله الخارجي.

ومع هذا فإننا نعتقد أن هامبلتون سوف لا يمضي في السجن سوى القليل من العشر سنوات وسوف يخرج ليتقاعد ويرتاح مثل فيلبي ورفاقه. إنها المخابرات.

محاولة تغلغل الكي جي بي الى الادارة الامريكية:

تكلف المخابرات السوفييتية بعض اعضائها من الموظفين البارزين والذين يعملون بشتى المظاهر في الولايات المتحدة بايهام اعضاء من ضباط أركان في الجيش الامريكي وبعض المشرعين الامريكيين بأنهم همزة الوصل المباشر بين المكتب السياسي للحزب الشيوي والكونغرس الامريكي وبهذه الطريقة حاول الاعضاء التأثير على موقف اعضاء الكونغرس الامريكي تجاه اتفاقيات الحد من الاسلحة النووية وقد حاول ضابط آخر من الكي جي بي يدعى «بوريس دافيد» اقناع اعضاء الكونغرس واعوانهم وبعض الصحفيين الامريكيين بأن من مصلحة الولايات المتحدة التزام الصمت حول مسألة أفغانستان كما نشر هذا الضابط أخباراً عن الاجراءات التي اتخذتها السلطات الامريكية تجاه الاتحاد السوفييتي بهذا الصدد وهي المقاطعة. ومن ضمن المعلومات غير الصحيحة التي يحرص ضابط الكي جي بي على نشرها سواء كان في الولايات المتحدة أم في أوربا:

● إن القلة السوفييتية الحاكمة منقسمة الى قسمين «الصقور» و«الحمائم» ولذلك كان ضباط المخبرات السوفييتية يحثون الولايات المتحدة على تقديم التنازلات التي تتيح بدورها «للحمائم» أن تبرهن على أن الاعتدال هو أفضل سياسة يمكن اتباعها وإلا انتصر المتشددون وعرضوا حالة الانفراج الدولي للخطر والعديد من الضباط السوفييت التابعين للكي جي بي يسعون باستمرار الى تكوين جماعات ضغط مهمتها الدفاع عن المصالح السوفييتية. وبعد القرار الذي اصدره كارتر بمقاطعة الالعاب الاولمبية التي أقيمت في موسكو عام ١٩٨٠ اتصل الضابط السوفييتي «فكتور تونتين» باحدى الشخصيات الامريكية ذات النفوذ وكان يعتقد بأنه «عدو لكارتر» وعرض عليه مبالغ من المال مقابل قيامه بتأسيس لجنة من الساسة والرياضيين يقومون بارسال ٦٠٠٠ ستة آلاف رسالة الى الكونغرس بالاضافة الى

تصريحات تنص على أنّ اعضاء هذه اللجنة قد عقدوا العزم على التوجه الى موسكو حتى لو أصرت الولايات المتحدة على مقاطعة دورة الالعاب الاولمبية. وعلى رغم اهمية فرع المخابرات السوفييتية التابع للسفارة السوفييتية في واشنطون فإن تواجد مبنى هيئة الامم المتحدة بنيويورك يتيح الفرصة للكي جي بي باقامة قاعدة مهمة لهم على الارض الامريكية ففي عام ١٩٨٣ بلغ عدد السوفييت العاملين بسكرتارية الامم المتحدة وبالوفد الدبلوماسي السوفييتي لدى الامم المتحدة ٣٣٥ عضواً بالاضافة الى عدد آخر من السوفييت كانوا يعملون بنيويورك بصفات صحفية وتجارية مستعارة وكان ٤٠٪ منهم ينتمون الى الكي جي بي ومن المعروف أنّ ضباط لكي جي بي الذين يعملون «ضمن» الوفد السوفييتي في الامم المتحدة يتمتعون بقدر كبير من الحرية في تحركاتهم بالولايات المتحدة بينما لا يسمح للدبلوماسيين السوفييت الملحقين بالسفارة السوفييتية في نيويورك وقنصلياتها إلا في محيط لا يتعدى الـ ٤٠ كيلو متر حول أماكن عملهم وإذا ارادوا الانتقال الى مدى ابعد من ٤٠ كيلو متر يجب عليهم تقديم طلب للحصول على اذن رسمي من السلطات الادارية. ومن الطريف جداً أن الولايات المتحدة تساهم مباشرة في تمويل عمليات الكي جي بي التي تنفذ بمقر السفارة السوفييتية بنيويورك حيث تقوم بدفع ربع الميزانية المخصصة للامم المتحدة. أما الاتحاد السوفييتي فيقوم بدفع ١٢٪ من الميزانية الاساسية لهيئة الامم المتحدة كما أنه يساهم في بعض البرامج ويهمل في بعض الاحيان دفع ما يترتب عليه. وبالرغم من المشاكل الداخلية في مقر السفارة السوفييتية في نيويورك فقد نجح جهاز المخابرات السوفييتية في مساعدة عملائه على التسلل الى مختلف ادارات هيئة الامم المتحدة والوصول الى العديد من مراكز السلطة والنفوذ فقد حرصت المخابرات السوفييتية على استخدام عناصر فعالة بهيئة الامم المتحدة وعلى سبيل المثال «يوري بافلوفتش تشستنوي» وهو خبير للدعاية ومحام ممتاز يقوم بالدفاع عن المصالح السوفييتية داخل اللجنة الاقتصادية التابعة لهيئة الامم المتحدة بمدينة جنيف. وهناك جواسيس آخرون يحرّضون على اعداد تقارير ودراسات تقبل بها هيئة الامم المتحدة وتخدم بنفس الوقت المصالح السوفييتية والبعض الآخر مهتم بسرقة التكنولوجيا الغربية ومنهم من يعمل على تسريب الملايين التي تنفقها الامم المتحدة والمخصصة لدول العالم الثالث نحو الاتحاد السوفييتي. كل هؤلاء يحاربون من أجل تحويل هيئة الامم المتحدة الى

ادارة لخدمة السياسة السوفييتية لكي يعكسوا من خلالها صورة محببة للاتحاد السوفييتي فالجاسوس السوفييتي بارامانوف مثلاً يهتم بالسلام وبتعميق علاقات التفاهم الدولي وهو على اتصال مستمر بـ «كارل يندل» وهي مواطنة امريكية ورئيسة للجنة الدولية للمرأة التي تقوم بتدعيم السلام والحرية والمسؤولة عن لجنة اقامة حوار بين مواطني الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية وقد قامت هذه اللجنة بالدفاع عن القواعد العسكرية المقامة في الخارج وعن حركة التوقف عن انتاج الاسلحة النووية كما نادت بالتخلص من الاسلحة النووية المتوفرة حالياً وبالاضافة الى ذلك يستغل ضباط الكي جي بي تواجدهم في هيئة الامم المتحدة ليقيموا اتصالات سرية مع الحزب الشيوعي الامريكي الذي يقومون بتمويله بالملايين والذي يخدم بنفس الوقت مصالح الاتحاد السوفييتي والمخابرات السوفييتية بصورة خاصة.

الجواسيس السوفييت يحميهم القانون:

وتستعمل الكي جي بي التسهيلات التي تمنح من قبل الولايات المتحدة وغيرها من المجتمعات الحرة التأشيرات السهلة للدخول والاقامة لأعضاء الوفود الملحقة بالامم المتحدة لتسريب الجواسيس الى داخل البلاد حيث يتمتعون بحماية القانون. ومازلنا نؤكد أنه بامكان الولايات المتحدة وغيرها من الدول الديمقراطية التصدي لمحاربة الكي جي بي دون أن يؤثر ذلك بدوره على الحريات الشخصية وبامكان الولايات المتحدة الاقدام على عدد من الاجراءات الفعالة والحذرة لاضعاف مقدرة الكي جي بي الهجومية ولتدعيم اجراءات الامن الامريكية التي تحمي البلاد من جواسيس السوفييت. ومن واجب الولايات المتحدة تقليص أعداد عناصر المخابرات السوفييتية داخل اراضيها وذلك باستبعاد اعضائها. فمن المنطق أن لا يسمح لضباط سوفييت بالتواجد داخل امريكا لاسيما وإن أغلبهم وجدوا باسم الوفد السوفييتي في الامم المتحدة وسواء كانوا يعملون في هيئات حكومية أو الجامعات فمن المنطق أن لا تترك لهم الدفاع عن المصالح السوفييتية

وحرية التجول وسط المعامل والمصانع الامريكية لسرقة التكنولوجيا ومقابلة جواسيسهم ليلاً والتنصت على المحادثات الهاتفية لمئات الألوف من الامريكيين فمثلاً (القنصلية السوفييتية) في سان فرنسيسكو تعتبر وكراً للجواسيس السوفييت. ومن جهة ثانية تستطيع الولايات المتحدة تأكيد سيادتها من جديد وابلاغ هيئة الامم المتحدة على عزمها على عدم الاستمرار في قبول افواج من العناصر الشيوعية السوفييتية التي تزحف الى الولايات المتحدة كما يحق للولايات المتحدة ابلاغ الامم المتحدة بضرورة خضوع موظفيها للقوانين الأمريكية وفي حالة رفض الامم المتحدة لهذه الشروط عليها اذن اقامة مقرها في دولة أخرى. وفي حالة توصل الولايات المتحدة الى تقليص عدد اعضاء عناصر المخابرات السوفييتية فوق أراضيها تكون قد أجبرت الكي جي بي على الاعتماد بصورة أساسية على عملاء وضباط لا يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية وهؤلاء لا يمكنهم الوصول بسهولة الى مصادر معلومات هامة وسرية مثل الدبلوماسيين. وبالاضافة الى ذلك يعلم هؤلاء العملاء تماماً أنه في حالة كشفهم يكون مصيرهم السجن وليس (مجرد الابعاد مثل الدبلوماسيين) - ففي عام ١٩٧١ قامت بريطانيا بطرد ٥٠٠ دبلوماسي سوفييتي اكتشفت أنهم انما يقومون بنشاطات هدامة وينتهكون قوانين البلاد وبالمقابل قام الاتحاد السوفييتي بطرد مماثل لدبلوماسيين بريطانيين وبالرغم من ذلك فمازالت بريطانيا والاتحاد السوفييتي تتمتعان بعلاقات دبلوماسية جيدة للغاية ويتصدر السفير السوفييتي أحياناً الدعوات الملكية أما من جهة الولايات المتحدة ومخابراتها المركزية بالذات فيجب عليها الاهتمام بتدعيم اجهزتها والابقاء على عناصرها المدربة فقد تعرضت هذه المخابرات في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ الى هزة عنيفة حيث أمر مديرها حينه (ستانفيلد تورنر) بالغاء ٨٢٠ وظيفة وبذلك تعرض الكثير من الضباط الى فقدان وظائفهم بطريقة تعسفية عدا عن تقديم ٢٨٠٠ ضابط وموظف استقالاتهم تبعاً لذلك حيث رحل أغلب هؤلاء حاملين معهم خبرة مهنية لا يستهان بها واجازة ممتازة للغات اجنبية منها العربية ومعرفة دقيقة بعدة مناطق هامة في دول عديدة من العالم بالاضافة الى صداقة بعضهم الشخصية مع العديد من المواطنين الذي يقدمون لهم الاخبار الامنية أولاً بأول بدون تكليف حتى. ومن هؤلاء المبعدين عن المخابرات الامريكية من قام بتأليف الكتب عن نفس هذه المخابرات.

عودة الى العملاء والفارين من الاتحاد السوفييتي:

مقابل الهاربين الى الاتحاد السوفييتي من الدول الغربية هناك العديد من الهاربين الروس من الكتاب والمهندسين والعلماء والرياضيين الذين يلجأوون الى الدول الغربية وخاصة الى الولايات المتحدة وتحاول الدول الغربية أن تقوم بطبع مؤلفات كبار الكتّاب الروس الذين يهربون الى هذه الدول وتوزيع هذه المطبوعات في الدول الشيوعية نفسها حتى يعلم السوفييت ما يدور في بلادهم فما من شيء يخشاه الحكام هناك مثل ردود الفعل الضارة للافكار والمبادىء الليبرالية التي ينشرها السوفييت من المنشقين ولهذا السبب يمكن تعرض كبار الكتاب والمثقفين الروس الى اضطهاد المسؤولين الذين يقومون بحظر طبع وتوزيع مؤلفاتهم ولذلك يتحالف الغرب مع المنشقين الروس طالما الاتحاد السوفييتي مستمر في أعماله العدائية تجاه الدول الغربية ومن الممكن تقديم نماذج للقراء من حالات ضباط المخابرات السوفييتية الذين انشقوا عن مخابراتهم لأسباب خاصة بهم والتجأوا الى الغرب وهم:

١ - أنا تولي نيكولا ييفتش فيلاتوف الذي عمل في السفارة السوفييتية في الجزائر في السبعينات والذي قدم نفسه للمخابرات الامريكية ولمدة ١٤ شهر قام فيلاتوف بتسليم المخابرات الامريكية أطناناً من المعلومات والاسرار العسكرية السوفييتية ثم استدعي فيلاتوف الى موسكو حيث استمر في امدادهم بالاسرار المتعلقة بالعمليات الحربية الى أن اكتشفت الكي جي بي أمره فقبض عليه وقدم للمحاكمة فحكم عليه بالاعدام ثم تم تخفيف الحكم الى ١٥ سنة سجن.

٢ - عميل آخر - هو المنشق أوجورودونيك الذي كان موظفاً في وزارة الخارجية السوفييتية ويدين بالولاء للشيوعية حتى تحوّل فجأة الى معاد للشيوعية وحمل شعور عدائي تجاه الشيوعية وفي عام ١٩٧٤ اتصل بالمخابرات الامريكية وكان يعمل بالسفارة السوفييتية في «كولومبيا» وعندما انهى عمله في عام ١٩٧٥ كان قد برع في جميع فنون التجسس واصبح يحمل لقب «عميل» وعندما عاد الى موسكو عمل في قسم الشؤون الدولية بوزارة الخارجية وهو

أحد الاقسام النادرة بهذه الوزارة التي تحصل منها المخابرت السوفييتية على معلومات دقيقة حيث على كل سفير أن يقدم الى قسم الشؤون الدولية بوزارة الخارجية تقريراً سنوياً مفصلاً يحلل الموقف السياسي للبلد الذي يخدم فيه واحتمالات تطور هذا الموقف وكذلك تطور موقف السوفييت انفسهم في هذا البلد أي مشاركة الكي جي بي في هذا التقرير باعطاء السفير بالذات معلومات ووجهات نظر تقوم المخابرات السوفييتية بجمعها ولدى قراءة أي محلل لهذه التقارير يرى العالم من خلالها كما يراه الكرملين ويستطيع تقييم نقاط قوة السوفييت ونقاط ضعفهم في كل مناطق العالم كما أنه يستطيع تكوين فكرة عن نواياهم. ولمدة عشرين شهراً استمر أوجورودونيك على تسليم ميكرو فيلم عن مئات من الوثائق السرية السوفييتة الي المخابرات الامريكية ومن ضمنها العديد من التقارير التي اطلع عليها البيت الابيض ومجلس الامن القومي وخلال صيف عام ١٩٧٨ تبين للكي جي بي أن الكثير من الاسرار السوفييتية السياسية المهمة تتسرب الى واشنطون وأن هذه الاسرار هي من نوعية أعمال قسم الشؤون الدولية بوزارة الخارجية السوفييتية وبعد التحقيق لم يتبين للمخابرات السوفييتية «اختفاء» أيّ من الوثائق من هذا القسم فتقرر وضع كاميرات سرية تعمل ليلاً نهاراً وحتى في عطلة بنهاية الاسبوع والاعياد وهكذا اكتشف أوجورودنيك الذي اعترف فور القاء القبض عليه وفي سجن المخابرات السوفييتية طلب كتابة ما قام به من أعمال التجسس منذ البداية وحتى النهاية فطلب منهم السماح بالكتابة بقلمه فسمح له بذلك وهذه الاخطاء التي سبق أن نبهنا عنها (صفحة ٣٨ في الجزء الاول من كتاب المخابرات والعالم) لأن القلم كان يحوي على نوع نادر من السم ذو المفعول السريع والذي كان قد سلم اليه من قبل المخابرات الامريكية اثناء تدريبه على الجاسوسية في كولومبيا وقد تناول أجورودنيك السم الذي قتله في أقل من عشر ثوان وهكذا لم تكتشف المخابرات السوفييتية كيفية اتصاله مع المخابرات الامريكية وهل كان له ضابط اتصال من موسكو أم كانت اتصالاته تتم عن طريق شخص ثالث وما هي كمية الوثائق التي نقلها لهم..؟

٣ - الجاسوس صديق الرؤساء ـ شفتشنكو صديق الرؤساء السوفييت ومن أهم

مائة شخصية من كبار الشخصيات السوفييتية حصل شفتشنكو على شهادة الدكتوراه من معهد العلاقات الدولية في عام ١٩٦٤ وسرعام ما ترقى في مختلف مناصب وزارة الخارجية بفضل كفاءته ومساندة صديقه «أندريه غروميكو» وزير الخارجية السوفييتية في حينه الذي وعده أيضاً بضمان تعيينه سفيراً لدى بلوغه عامه الاربعين كما أتاح له تعيينه نائباً للسكرتير العام للامم المتحدة عام ١٩٧٣ في مجال نزع الاسلحة النووية. وفي عام ١٩٧٧ اكتشف الروس أن الامريكيين يعلمون مسبقاً مواقفهم حول مسائل الحد من الاسلحة النووية فتقرر أن تقوم المخابرات السوفييتية بتحريات حول الموضوع فتوصلوا في عام ١٩٧٨ أن هذه المعلومات لا بد أن تكون قد تسربت من أحد ثلاثة أشخاص مسؤولين عنها وهم:

آ ـ السفير السوفييتي في الولايات المتحدة ـ أناتولي دوبرينين.

ب ـ السفير السوفييتي لدى الامم المتحدة ـ أوليج ترويانوفسكي.

جـ ـ نائب السكرتير العام للامم المتحدة لشؤون الاسلحة النووية «أركادي شفتشنكو».

ونظراً للمراكز الحزبية والوظيفية الهامة التي يشغلها هؤلاء الثلاثة فقد طلب أندروبوف «رئيس الكي جي بي في حينه» اذناً خاصاً من المكتب السياسي للحزب الشيوعي لاجراء تحريات حول الشخصيات الثلاث حيث يتمتع الاعضاء الحزبيين بحصانة مرموقة ولا يسمح باجراء تحريات حول كبار شخصيات الحزب بدون الحصول على اذن خاص ومسبق من المكتب السياسي للحزب لرفع الحصانة عنهم حيث تجري دراسة هامة للموافقة أو عدم الموافقة على السماح أو رد الطلب وهكذا صدر الاذن باجراء تحريات حول هؤلاء الثلاثة نظراً لحساسية الموضوع وتعلقه بالامن القومي للاتحاد السوفييتي فتعمدت المخابرات السوفييتية تسليم هؤلاء الاشخاص الثلاثة وثيقة أصلية وسرية للغاية تلخص المواقف الجديدة للسوفييت فيما يتعلق بالحد من الاسلحة النووية وتم وضع الشخصيات الثلاث تحت المراقبة فظهر أن شفتشنكو هو الوحيد الذي تهرب من المراقبة وعندما دارت مناقشات غير رسمية بين السوفييت والامريكيين حول الحد من الاسلحة النووية تبين بوضوح أن واشنطون كانت على علم بالمواد التي دارت حولها المناقشات موضوع الوثيقة الطعم التي وضعتها المخابرات السوفييتية للثلاثة المشتبه بهم

وعندما تأكدت المخابرات السوفييتية أن «شفتشنكو» هو عميل الامريكيين ولكي لا يشعر بالاجراءات السوفييتية التي ستتخذ ضده أرسلوا له برقية تهنئة على قيامه بمهامه في الامم المتحدة على اكمل وجه وأبلغوه «وزارة الخارجية السوفييتية طبعاً» بأنها قد مددت مهمته في الامم لمدة عامين آخرين وطلبوا حضوره الى موسكو لمناقشته في بعض النقاط السياسية الهامة في الوقت الذي يجده مناسباً بالنسبة لجلسات الامم المتحدة.

انطلت عليه الحيلة فعلاً وتأهب للسفر الى موسكو في شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٨ لولا أن أحد اصدقائه أبلغه أن موسكو استدعته لأنها كشفت أمره وأخبره هذا الصديق المخضرم بأنه حسب خبرته إن هو سافر الى موسكو فإنه لن يخرج منها وهكذا اختار اللجوء الى الولايات المتحدة وانشق عن بلده الاتحاد السوفييتي (قصة تعامله مع المخابرات الامريكية لها فصل خاص).

استمرت الكي جي بي في تحرياتها حوله فاكتشف أنه عندما كان يتعامل مع المخابرات الامريكية خلال ٣٠ شهراً قبل اكتشافه وعندما كانوا يطلبون من المعلومات حول نوايا السوفييت كان يستفسر عنها بمنتهى البساطة ومباشرة من الحكومة السوفييتية حسب وضعه ومركزه وإن بعض الامور الملحة التي طلبتها منه المخابرات الامريكية سابقاً استفسر عنها من غروميكو بالذات مما اضطر الحزب الى اصدار تعليماته بوقف تحرياتهم والالتزام بالصمت وكتم الموضوع منعاً للاحراج.

عملاء جدد ومبالغ خرافية تنفقها الكي جي بي:

دائماً تضع وزارة الخارجية السوفييتية والمخابرات السوفييتية نصب أعينهما أن تقوم الدول التي انشئت بها سفارات للاتحاد السوفييتي بطرد اعضاء هذه السفارات من بلادها سواء بعد قطع العلاقات المفاجيء أو عقب اكتشاف حالات تجسس في بلاد تلك السفارات وطرد اعضاء من سفاراتها فيضطر الاتحاد السوفييتي لطرد اعضاء مماثلين بالعدد من سفارات هذه البلاد فخلال السنوات الاولى من نشأة الاتحاد السوفييتي لم تعترف به العديد من الدول الامر الذي اضطر ضباط وعملاء

المخـابرات السوفييتية الى التسلل لهذه البلاد والتخفي بصورة غير شرعية لعدم تمتعهم بالحصانة الـدبلومـاسية ولهـذا السبب لجأت المخابرات السوفييتية الى استخـدام رجـال ونسـاء ذوّي هويات مستعارة ليندمجوا داخل هذه المجتمعات الغربية حتى يمارسوا أعمال التجسس التي تقوم المخابرات السوفييتية بتكليفهم بها وقد سمي هؤلاء بالعملاء غير الشرعيين «أي غير المتمتعين بالحصانة الدبلوماسية» وقـد يكـون منهم المخـرب والقـاتل ولكن يبقى أهم شيء في عمل المخابرات السوفييتية خارج الاتحاد السوفييتي هو اشراف البعثة الدبلوماسية «السفارة» على اعمال التجسس كما يوجد هناك في كل سفارة سوفييتية مسؤول من الكي جي بي يكون على استعداد دائم لتأمين الاتصال بين شبكات التجسس السوفييتية والمركز الرئيسي للكي جي بي في حالة اغلاق السفارة في هذه الدولة. لذلك لا تبخل هذه المخابرات بانفاق مبالغ خيالية لكي يسمح بتغلغل أحد ضباطه في اعماق المجتمع الامـريكي ولا بد أن يتمتع هذا الضابط بصفاة نادرة حيث يتوقع منه دائماً انجاز المهمات شبه المستحيلة مثلاً أن يكون قادراً على العيش في الولايات المتحدة بهـوية مستعـارة وأن يكون قادراً على اخفاء أفكاره وشخصيته الحقيقية وأن يقيم صداقات بغرض الاستفادة منها وخيانة هؤلاء الاصدقاء إذا لزم الامر أو تطلب العمل المكلف به ولا بد من الحصول على عمل معتمداً على جهده الشخصي وأن يتفانى في عمله مثل أي امريكي طموح وفي نفس الوقت عليه القيام بمهمته السرية على اكمل صورة. وعليه أن يعيش في عزلة عن ثقافته ولغته واسرته وأن يتكيف مع نمط الحياة الامـريكية دون أن يضعف أمام الاغراءات التي يمارسهاهذا الصنف من الامريكيين وهو معرض بالطبع لخطر الاعتقال من قبل المخابرات الامريكية وعليه أيضاً أن يحافظ على توازنه النفسي والمعنوي في أي موقف يتعرض له وأن يكون متأكداً من نقطة رئيسه وهي اعتماده على نفسه فقط وبالتالي لا بد أن يتمتع هذا الضابط العميل غير الشرعي بذكاء نادر ومقاومة جسدية هائلة ومقدرة على التعامل مع نوعيات مختلفـة من البشـر والأهم من ذلـك كله هو الـولاء الكـامل للقضية السـوفييتية وعـزوفه عن ممارسة حياة عادية. وفي عام ١٩٥٥ عثرت المخابرات السـوفييتية على شاب شيوعي يتمتع بهذه الصفات المار ذكرها وقد عثر عليه خارج الاتحاد السوفييتي وهذا العميل الذي جندته المخابرات السوفييتية كان أحد سكان «مـورافيا» التي أصبحت بعـد ذلـك جزءاً من تشيكوسلوفاكيا المستقلة في نهاية

الحرب العالمية الاولى. كان مصوراً يدعى جوزيف زمينيك وقد علم ابنه «لوديك» أسرار مهنته التصوير وفي عام ١٩٣٩ عقد اجتماع في ميونيخ حضرته المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وقررت هذه الدول حفاظاً على السلام أن تجبر تشيكوسلوفاكيا على تسليم منطقة السوديت لألمانيا وفي الخامس عشر من شهر آذار (مارس) ١٩٣٩ تقدمت الجيوش الالمانية نحو براغ وضمت اليها «مورافيا» و«بوهيميا» وضم جزء من سلوفاكيا الى المجر وتحولت تشيكوسلوفاكيا الى اجزاء متفرقة وكان جوزيف معجباً بصراع روسيا ضد القوات الألمانية وبسبب هذا الاعجاب وعندما نجحت القوات السوفييتية في تحرير تشيكوسلوفاكيا أعلن جوزيف لاسرته وأهل قريته أنه اعتنق الشيوعية عن قناعة وعمق وكذلك فعل ابنه «لوديك» ولكن بعكس والده عكف على دراسة مؤلفات ماركس ولينين وفي مدرسته الثانوية أسس أول جماعة من الطلبة الشوعيين وقام بالاشراف عليها وقام بعدة رحلات عبر البلاد للدعاية لجماعته وضم أعضاء جدد لها وخلال صيف ١٩٤٦ قام بتوزيع منشورات والقاء محاضرات لصالح المرشحين الشيوعيين الذين حصلوا على ٣٨٪ من أصوات الناخبين وأخيراً عندما بلغ لوديك الثامنة عشر انضم الى الحزب الشيوعي انضماماً كاملاً وفي عام ١٩٤٨ وعندما استلم ستالين الحكم بدأت تصفيات كثيرة في المدينة التي يقيم بها لوديك ثم بدأ الشيوعيين بتأميم المشاريع الخاصة ولذلك اضطر جوزيف والد لوديك الى التنازل عن مشروعه الخاص وهو معمل التصوير للدولة واكتفى بمرتب شهري قدره (١٢٠٠ كورونة) وفي عام ١٩٤٩ انضم لوديك الى الصفوف المختارة لدراسة مادة العلاقات الدولية بجامعة تشارلز حيث أنها أفضل فرصة تؤهله لخدمة الحزب والعمل بالشؤون الخارجية للبلاد وسافر الى مدينة براغ وهناك تعرض لمعاملة قاسية من جانب السلطات الشيوعية فبدلاً من صرف ٢٠٠٠ كورونة له صرف له ٦٠٠ كورونة فقط لأنه ليس من طبقة العاملين «رغم تقديم والده خدمة طوعية هي تنازله عن معمله الخاص للدولة حسب المبدأ الشيوعي» وقبل لوديك هذا الموضوع الشاذ بدون مناقشة مما اضطره لمزاولة اعمال اضافية ليكمل مصاريفه وبالرغم من كل ذلك نجح في أن يظل متفوقاً في دراسته وكثيراً ما كان يشارك في اجتماعات الحزب ويلقي الخطب الحماسية حتى نال شهرة عظيمة في أوساط الطلبة والمدرسين بفضل اخلاصه ووفائه للحزب وتم ترشيحه لرئاسة منظمة الطلبة الشيوعية ولكن الحزب اعترض في حينه وعيّن شخصاً آخر عوضاً عنه.

وخلال الثلاث سنوات التالية اختير كأفضل طالب مرشح للذهاب الى الاتحاد السوفييتي لتكملة دراسته ثم كأفضل طالب مرشح للسفر الى الصين ثم انتخب كأفضل مرشد للمعرض المقام بمناسبة العيد الثامن والعشرين للحزب وأخيراً كممثل تشكيلي لوفد دولي مهمته المطالبة بالهدنة في كوريا وفي كل مرة كان موظفو الشعب الحزبية يعترضون على تعيينه لأنه لم يكن من طبقة العمال وأخيراً تخرج لوديك في عام ١٩٥٣ وكان أحد أربعة من الطلاب الذين فازوا بالدبلوم الاحمر. إلا أن اضطهاد الحزب لاحقه عندما جاءت فرصة تعيينه ضابط احتياط وموظف باحدى الوزارات كغيره من زملائه حيث اكتفى الحزب بتعينه مجرد جندي في سلاح الحدود - الالمانية وبالرغم من ذلك استمر لوديك في نشاطاته التي تهدف الى خدمة الحزب الشيوعي فعكف على تلقين زملائه مبادىء الشيوعية وتفوق في محاضراته السياسة التي كان يلقيها وقد أثنى عليه مديره لدى رؤسائه وبعد فترة صدر أمر من العاصمة «براغ» باستدعائه فتوجه اليها في شهر آذار (مارس) عام ١٩٥٥ وفي مبنى وزارة الداخلية قام ثمانية من المدنيين بتوجيه أسئلة اليه تتعلق عن معلوماته ومواقفه السياسية وقد استفسروا منه حول ما اذا كان مستعداً لخدمة الحزب رغم مواقفه منه اثناء دراسته فأجابهم بالايجاب.

اختياره للعمل في المخابرات السوفييتية:

«السفر الى موسكو»

● في أول شهر أيار (مايو) ١٩٥٥ استدعي لوديك مرة أخرى الى براغ حيث ابلغه مسؤولو الحزب أنه قد تم اختياره للعمل في المخابرات السوفييتية (كي. جي. بي) وربما استدعى عمله الجديد بقاءه سنين عديدة في الخارج. أو قد تعرضت حياته للخطر فقبل لوديك على الفور وبقي في براغ ليعيش فترة في شقة جميلة تمهيداً للذهاب الى المانيا الشرقية ليتعلم اللغة الالمانية ثم ينتقل بعد فترة الى المانيا الغربية ليشترك في محاربة موجة النازية الحديثة. وبالفعل توجه الى مدينة (هال) الجامعية القديمة ليتابع هناك محاضرات في اللغة الالمانية وفي نفس

الوقت ليتدرب على ايدي ضباط الكي جي بي المتواجدين بالقرب من برلين على اعمـال التجسس وقـد عثـرت له المخابرات السوفييتية على هوية مستعارة فكان يتجول في المنطقة كمندوب تجاري سوفييتي ولد في تشيكوسلوفاكيا التي انضمت الى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٥ الشيء الذي يفسر لهجته التشيكية وعدم اتقانه اللغة الروسية وأبلغه مدربوه من ضباط الكي جي بي أن عليه التوجه الى الاتحاد السـوفييتي أولاً والى مقر الكي جي بي رأساً وهناك تعرض الى استجواب أطباء نفسيين سوفييت والى استجوابات تتعلق بآرائه الحزبية والسياسية ونجح في اجتيازها نجاحاً باهراً وعندما عاد من رحلته الى موسكو أبلغه رؤسائه أنه بعد هذا الاختبار أصبح عضواً رسمياً عاملاً في المخابرات السوفييتية وأصبح له اسماً حركياً هو «دوجلاس» . . .

حب الجواسيس :

في مكتبة الجامعة تعرف لوديك الذي أصبح اسمه دوجلاس على طالبة من أصل الماني تدعى «أنجا جورجون» وكان والداها قد اعتنقا الشيوعية لكراهيتهم الشديدة لهتلر وكانت أنجا بطبيعة الحال مثل والديها عضوة في الحزب الشيوعي وأخـذت على عاتقهـا تلقين لوديك مبـادىء اللغـة الالمانية ثم استمرت العلاقة والحب بينهما فتقدم بطلب الى رؤسائه يعلمهم فيها بعلاقته مع أنجا (كان رؤسائه بنفس الوقت يدرسون امكانية تزويجه من آنسة أرجنتينية في العشرين من عمرها لتساعده في عمله وتؤنسه في أعمال التجسس بالاضافة الى امكانية حصوله على الجنسية الارجنتينية التي كانت ستتيح له سهولة التحرك داخل أية دولة غربية يزرع بهـا) وبـدأ مسؤولـو الكي جي بي دراسة حالة أنجا وأهلها وأصدقائها وتبين أنها شيوعية مخلصة مثل لوديك تماماً وهي على استعداد للقيام بأي مهمة تكلفها بها الكي جي بي بألمانيا الغربية أو غيرها . وفي هذه الاثناء بدأ لوديك يتعلم أصول المهنـة فكان يتدرب على كتابة التقارير عن نشاطاته خلال الاسبوع وهي تقارير تتعلق بالاشخـاص الـذين قابلهم والصفـات التي لفتت نظره في كل من هؤلاء الاشخاص والتي تجعله جديراً باهتمام المخابرات السوفييتية فقد تعلم لوديك كيف

يستخدم أماكن محددة لاخفاء رسائله التي يوجهها للكي جي بي وكيف يخفي دفتر فك الرموز وتعلم كيف يقوم بارسال الرسائل بجهاز الارسال الخاص أما أنجا فقد ارسلتها المخابرات السوفييتية الى المانيا الغربية لاختبارها بعد أن كلفتها باداء بعض مهمات التجسس فاجتازت الاختبار ونجحت به بل تفوقت وعند ذلك طلبوا منها السفر الى موسكو وهناك اخضعوها لامتحان ايديولوجي ونفسي فاجتازته بنجاح وفور عودتها الى المانيا انضمت الي لوديك في توظيف جهودهما لاستيعاب كل المعلومات المتعلقة بهوية الاشخاص المستعارة التي سيتخذونها مستقبلاً.

وقد طلب الكي جي بي من لوديك انتحال شخصية عامل الماني عثر على اوراقه في الارشيف السوفييتي يدعى (رودلف هرمان) كان قد توفي في الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٤٢ وكانت المخابرات السوفييتية قد تأكدت من وفاته ووفاة كل أقاربه فاحتفظت بأوراقه لاستغلالها بهدف احياء شخصيته مزورة تخدم أغراضها.

● كان رودلف هرمان الاصلي قد ولد في ٢٢ نيسان (ابريل) لعام ١٩٢٥ في منطقة السوديت من أبوين ألمانيين فوالده كان صانع زجاج وكان مصاباً بالسل فأرسل الابن (رودلف هرمان) الى جدته حيث التحق بالمدرسة التشكيلية وهو ما يفسر اتقان لوديك للغة التشكيلية وبعد بداية الحرب عمل رودلف كعامل في شركة تقوم باصلاح العربات العسكرية ثم عمل كسائق واستمر الفرع المختص في المخابرات السوفييتية بتأليف مقاطع وهمية من حياة رودلف ومنها أنه بتاريخ ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٥ صدر أمر اليه بالذهاب الى برلين لتسليم مخططات بناء وقد نجا رودلف باعجوبة من عملية قصف برلين ألا أن سيارته أصيبت على بعد ٦٠ كيلو متراً من جنوب برلين ونقل الى المستشفى ثم اضطر الى الفرار بسبب تقدم القوات الروسية. فقد رودلف والدته وجدته خلال الحرب وحاول العثور على بقية أهله دون جدوى فاستقر في مدينة «درسر» حيث عمل في مصنع معلبات ثم عمل بالمكتبة العامة في مدينة «ماجديبورج» منذ كانون أول (ديسمبر) ١٩٥١ حتى نهاية عام ١٩٥٧ ثم ترك هذه الوظيفة ليكون بجوار صديقته التي أصبحت تعمل سكرتيرة في معمل أدوية بمدينة «بيدرمن»..

● تقرر أن يبدأ لوديك البحث عن وظيفة جديدة منذ شهر كانون ثاني (يناير) ١٩٥٧.

■ **إن قصة رودلف كان لها ميزات عديدة فهي قصة إنسان عادي غير جدير بلفت الانظار أو اثارة الشكوك وكان بنفس الوقت يشكل نموذجاً مثالياً للاجيء عادي جداً من لاجئي الكتلة الشرقية. وفي احدى أمسيات شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ أبلغ بوفاة والده فذهب ليحضر الجنازة وبعد اتمام الدفن اعلنت والدته البالغة من العمر ستون عاماً أنها سوف تعمل من أجل الحزب لكي تنسى حزنها على زوجها. الى هنا توقفت حياة رودلف (لوديك) المزورة ليبدأ عمله المخطط له..**

انتهاء عملية تزوير الجاسوس واستعداده للزفاف:

بعد أن تمت عملية تزوير هوية لوديك باتقان حيث أصبح (رودلف هرمان) اهتمت المخابرات السوفييتية بتزوير هوية صديقته أو خطيبته أنجا فأعطوها هوية امرأة وسموها (أنجالور مويرك) من مواليد ١٩٣١ في مدينة ستيشن والتي قتلت مع افراد اسرتها في عمليات القصف التي وقعت على المانيا عام ١٩٤٤ وكانت الكي جي بي قد عثرت على شهادة ولادتها الحقيقية في بلدية برلين الغربية كما عثروا لها على وظيفة سكرتيرة رسومات بمدينة فرانكفورت أما خطيبها لوديك فقد تعمدت المخابرات السوفييتية على تركه يسعى الى ايجاد وظيفة بمجهوده الخاص بحيث تكون هذه الوظيفة في احدى المؤسسات الخاصة التي لا تقوم الدولة بالتدخل في اختيار موظفيها وقد لاقى لوديك صعوبات كثيرة في ايجاد عمل له حسب طلبهم بسبب عدم اتقانه اللهجة الالمانية وأخيراً عثر على عمل لدى صاحب محل قطع غيار سيارات نازي متعصب وعدو لدود للشيوعية كان قد عمل مأمور ضرائب في عهد هتلر وكان يعتقد أن الخطأ الوحيد الذي ارتكبه هتلر هو خسارته للحرب أما ابن هذا الشخص فكان قد حاول تفجير مقر القيادة السوفييتية في برلين ولذلك كان في السجن. وقد لقن الاب صاحب العمل لوديك كيفية الاضطلاع بعملية الحسابات وكيفية التهرب من الضرائب كما ردد على مسامعه كل التقاليد والكلمات والاناشيد النازية وجميع الحجج التي اخترعها ليبرهن على مخاطر الشيوعية الملحدة.

الزواج:

في أواخر عام ١٩٥٧ اتفق الجاسوسان (عفواً) الخطيبان على اتمام الزواج فتوجها الى دار البلدية لتوثيق الزواج وبعد حوالي السنة من الزواج رزقا بطفل سمياه «بيتر» وفي تاريخ ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) غادر لوديك برلين الغربية ليبحث عن عمل في منطقة شتوتجارت وبينما كان يتنزه في مدينة «فريبور» اقترب منه رجل أنيق في الخامسة والستين من عمره وسأله بأدب جم مستفسراً عن أحد المطاعم ثم طلب منه أن يرشده الى أحد الفنادق فأخذه لوديك الى نفس الفندق الذي يقيم هو به وبينما كانا يتجولان بالمدينة في اليوم التالي روي الرجل الذي قدم نفسه باسم سيفيلدر قصة حياته للوديك وكيف أنه كوّن ثروة من تجارة الماشية والنسيج بالارجنتين خلال الثلاثينات وعندما طلب هتلر من اللاجئين الالمان العودة الى وطنهم مصطحبين نقودهم عاد سيفيلدر وقام بتأسيس مصنع للنسيج في المانيا وطنه. وبالرغم من كل ثرائه كان تعيساً لأن الله لم يهبه أطفالاً وعرض سيفيلدر على لوديك أن يعمل بمصنعه تمهيداً للقيام بادارته فيما بعد كما عرض عليه أن يقيم هو واسرته بالطابق الثالث من منزله الخاص.

● سافر لوديك ةالى المانيا الشرقية واتصل بالمخابرات السوفييتية حيث عرض عليها طلب سيفيلدر فوافقوا له فوراً بل وبُلّغ بترقيته بسبب ولائه ونجاحه في عمله.

● أحسنت عائلة سيفيلدر معاملة لوديك وزوجته أنجا وعاملتهم كأبنائها ولقنتهم عادات وتقاليد هذه الطبقة من صفوة رجال رجال الاقتصاد الغربي وبعد فترة وحسب وعده أعلن سيفيلدر أنه قرر تكليف روديك بادارة مصنعه وكان ذلك يعني أن لوديك سيظل في مدينة «آيشنهاوزن» ولن يتمكن للعمل لصالح الكي جي بي في مكان آخر لذلك قرر أن يعتذر عن قبول هذا المنصب على اعتبار أنه غير مؤهل للأعباء المطلوبة منه وقبل سيفيلدر اعتذاره المقنع ووعد بمساعدته في الحصول على عمل آخر وقدم له مساعدة مالية كتعويض عن المدة التي قضاها في مصنعه مبلغ عشرة آلاف مارك بالاضافة الى مبلغ خمسة آلاف مارك منحته اياها المخابرات السوفييتية فتمكن من شراء مؤسسة تجارية كانت تقوم ببيع الادوات المدرسية

للمدارس الحكومية وبدأ يتعلم كيفية تسويق بضائعه واشترى لذلك سيارة فولكس فاكن صالون. وبعد مدة وصلته رسالة (طلب مراجعة) لدائرة أجهزة الامن الالمانية الغربية حيث أن قانون البلاد يقضي باستجواب القادمين من الكتلة الشرقية عم ماضيهم. توجه لوديك وزوجته أنجا الى مقر المخابرات الالمانية الغربية (الفرع ١٣) وهناك شرح لهم التفاصيل التي لقنته اياها الكي جي بي عن ماضيهم المزعوم ولدى سؤالهم عن سبب هروبهم من المانيا الشرقية أجاب لوديك بتعداد مخاطر الشيوعية ومدى الاضطهاد والاستغلال الذي يتعرض له العمال والفلاحين كما أكّد لضباط المخابرات الالمانية الغربية أن البيروقراطيين الشيوعيين يستنزفون دماء الشعب وأنهم هم الامبرياليون الحقيقيون وأنهم يلبون أوامر قادتهم الدكتاتوريين ولا يتورعون عن قتل أي شخص في سبيل ذلك أما النازيون فكانوا على الاقل لا يقتلون سوى فئات معينة من الاشخاص ولما سؤل من هم أجاب: اليهود.

أظهرت المخابرات الالمانية تصديقها لروايته وتركته يعود الى منزله وعمله ولكن بعد مدة استدعي للمرة الثانية وعرضوا عليه العمل كعميل لهم في تشيكوسلوفاكيا وكان عملاً في غاية الخطورة سيضطره للافتراق عن زوجته وولده في كثير من الاحيان وأوصاه ضابط المخابرات الالماني الغربي بأن لا يفاتح زوجته بالامر وترك له مهلة ١٥ يوم للرد على طلبهم. احتار لوديك لأنه وقع بين نارين فمن ناحية لا يستطيع رفض هذا العمل لأنه سيتعرض لشكوك واضطهاد المخابرات الالمانية الغربية وكان من جهة ثانية يستحيل عليه اعلام الكي جي بي لأنه يتوقع منهم عدم تفهم هذه القضية أو اقتناعهم بها وبدأ الموقف متأزماً تماماً وفجأة شاءت الصدفة أن يقابل لوديك ضابط المخابرات الذي قدم له طلب مع اثنتين من الغواني في احد المقاهي الراقية فتقدم منه وحياه باحترام ثم انسحب ودفع عنه الحساب مما دعا ضابط المخابرات الى الوقوع بالحرج وكانت آخر مرة يراه فيها. وخلال هذه المدة كانت المخابرات السوفييتية تطالب لوديك باعداد تحاليل عن الموقف السياسي ومدى الفرص المتاحة للمرشحين التقدميين خلال الانتخابات المقبلة ودراسة موقف اللاجئين تجاه الاشتراكية. وبعد مدة قام لوديك ببيع مشروعه التجاري الذي كان قد اشتراه سابقاً وافتتح محلاً لبيع آلات التصوير في «هلبرون» في شمال شتوتجارت فازدهرت تجارته الجديدة مع متابعته عمله التجسسي مع الكي جي بي فحصل بتاريخ ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ على ترقية جديدة

في سلك المخابرات السوفييتية الوظيفي وفي شهر شباط (فبراير) من نفس العام صدرت اليه أوامر عاجلة بالقيام برحلة الى كندا والولايات المتحدة كسائح لدراسة العيش والعمل في أي من الدولتين مع تحويل مبلغ عشرون الف دولار له للتصرف على هذا الاساس.

استمتع لوديك برحلته الى كندا والولايات المتحدة على حساب الكي جي بي وأحب كل ما رآه في الولايات المتحدة وخصوصاً الموقف الذي لقيه من الامريكيين واعرب لهم لدى عودته عن سروره للعيش بأي من الدولتين فصدرت اليه الاوامر للشروع في اجراءات الهجرة الى كندا ودراسة اللغة الانكليزية وكذلك تصفية وبيع مخله الاخير ثم استدعيت زوجته الى موسكو وفي قيادة المخابرات السوفييتية سلمت دفتراً جديداً لفك الرموز وخطة معقدة للارسال على جهاز راديو متطور ومبلغ ٥٠٠٠ دولار جديدة وقائمة من الارشادات منها الاقامة في مدينة تورنتو لدى وصولهم الى كندا وشراء محل لبيع آلات التصوير ليصبحا مواطنين كنديين صالحين مثلما كانا مواطنين صالحين في المانيا الغربية. نفذ لوديك الاوامر حرفياً فقام بشراء منزل في مدينة تورنتو بمبلغ ٧٥٠٠ دولار ثم اشترى محلاً لبيع آلات التصوير بعد جهود ضخمة ولكنه لم ينجح في مهنة بيع آلات التصوير فحوّل المحل بعد صبغه الى حانة صغيرة لبيع الوجبات الخفيفة والمشروبات يقوم على خدمته مع زوجته أنجا وفي شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٢ أنجبت زوجته أنجا طفلها الثاني فأسمياه (مايكل) واضطرت للتوقف عن العمل وبالتالي اضطر لوديك الى بيع الحانة بمبلغ ١٠٠٠٠ دولار ثم صدرت الاوامر اليه للسفر الى موسكو وهناك هنأه الجميع على نجاحه فيما حققه وطلبوا منه اثناء فترة الضيافة كتابة كل ما يتذكره منذ مغادرته لموسكو في زيارته الاخيرة ثم قام بعض خبراء الكي جي بي بمناقشته عن افضل الاماكن لاخفاء دفتر فك الرموز بمنزله ولاخفاء خطة جهاز الارسال وكذلك الاوراق المخصصة للكتابة بالحبر السري ثم اعطوه عنوان صندوق البريد المخصص لارسال الرسائل العاجلة من مقر اقامته الجديد في مدينة «أوتاوا» ثم سألوه عن السياسة الكندية وعن مدى قوة التيار الانفصالي بمقاطعة كويبك وعن أهم الخلافات القائمة بين كندا والولايات المتحدة وعن مشروع اقامة علاقات بين كندا والصين الشعبية.

مهمة تأسيس شبكة جاسوسية في كندا:

أعلمه العقيد كيروف من المخابرات السوفييتية اثناء مناقشته في موسكو بأن مهمته الاساسية هي الاستعداد لتولي مسؤولية شبكة التجسس السوفييتية في كندا تحسباً لقيام حرب أو لانقطاع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي وكندا. وسأله عن الطريقة التي يجدها مناسبة كحجة لاقامته فأجاب لوديك بأن نيته تأسيس شركة لانتاج الافلام الدعائية والتجارية لحساب شركة «سي. بي. سي» وهذا العمل بدوره سيكون مبرراً كافياً لاقامته وتنقلاته وسفرياته العديدة.

● طلب منه العقيد كيروف أيضاً البحث عن أشخاص تقدميين خاصة في الاوساط السياسية والصحفية وأن يرسل له تقريراً عن كل شخص مهم يقابله سواء كان تقدمياً أم لا وأضاف العقيد كيروف أن أهم التفاصيل المتعلقة بهؤلاء الاشخاص والتي يتوجب عليه اخبارهم بها هي:

١ - اسم الشخص ومركزه وعمره التقريبي.
٢ - تاريخ وظروف المقابلة.
٣ - تقدير «لوديك» لوجهات نظر الشخص السياسية والاجتماعية.
٤ - أسباب ميل هذا الشخص للاتحاد السوفييتي.
٥ - أسباب كراهيته للولايات المتحدة أو غيرها من الدول الغربية.
٦ - تقييمه لطباعه وشخصيته مع الاخذ بعين الاعتبار عيوب هذا الشخص أو هواياته وميوله.
٧ - مدى احتياجه للنقود.
٨ - هل يمارس الشذوذ الجنسي أو يحب النساء أو هو من رواد الحانات الليلية حتى تعرف المخابرات السوفييتية ما هي «نقطة الضعف» التي يمكن لها أن تنفذ اليه من حلالها.

● عاد لوديك الى تورنتو ليبدأ العمل كفني للصوت في شركة «سي. بي. سي» ثم كمخرج للافلام باحدى الشركات التي تعمل بحقل الدعاية حتى كون له اسماً مشهوراً مع استمراره في عمليات التجسس وبدأت المخابرات السوفييتية تحثه على مضاعفة جهوده في عمليات التجسس فمنذ بداية عام ١٩٦٦ تلقى رسالة من قيادة المخابرات السوفييتية تحتوي على امر له بالتردد على ملاهي تورنتو مرتين

أو ثلاث مرات في الاسبوع لسماع ما يتحدث به الناس من اقوال فقام بمجاوبتهم فوراً بأن تركيز جهوده على أعماله مع شركات الاعلان وانتاج الافلام التي ستتيح له امكانية مقابلة اشخاص يمثلون أهمية بالنسبة للكي جي بي وقد أكد لهم أنه لم يجد مثل هؤلاء الاشخاص الذين يسترعون الانتباه في الملاهي الليلية التي طلبوا منه التردد عليها.

● أرسل لوديك هذه الرسالة الجوابية نظراً لاهميتها مع زوجته أنجا الى موسكو فعادت وهي تحمل معها نقوداً عن الاشهر السابقة ودفتراً جديداً لفك الرموز وخطة إرسال مع راديو جديد بدون أن تحمل معها رداً مباشراً على رسالة زوجها مما دفعه الى احتقار الكي جي بي على تعنته.

حصول الجاسوس لوديك وزوجته على الجنسية الكندية:

بعد استيفائه شروط الحصول على الجنسية الكندية لجهة المدة الكافية للاقامة في كندا والشروط المتمّمة فقد حصل لوديك وزوجته على الجنسية الكندية وبعد ابلاغه الكي جي بي بهذه البشارة الطيبة بعدة ايام تلقى منهم رسالة بالشيفرة يطالبونه بعمل الاجراءات اللازمة للحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة تمهيداً للهجرة اليها. ذُهل لوديك لأنه كان يعتقد بأن الكي جي بي تخطط لاقامته الدائمة في كندا بعد أن نجح في الاستقرار بها وفي تحقيق مركز اجتماعي مرموق وفي اقامة علاقات صداقة بالعديد من الكنديين وفي التقرب من بعض الشخصيات الكندية وكان يعتقد أيضاً أنه من الحماقة التخلي عن كل ما أنجزه في كندا ليبدأ من الصفر في الولايات المتحدة ولكنه فهم متأخراً أن كندا ما كانت تمثل سوى مرحلة قبل الولايات المتحدة التي خصصتها المخابرات السوفييتية لاقامته النهائية لأن كندا هي اسهل بلد يمكن الانتقال منه للولايات المتحدة بصورة قانونية وشرعية.
قبل لوديك طلب الكي جي بي على مضض لأنه أصبح بوضع لا يسمح له برفض أي طلب لهم فأخذ يدرس أوضاع الهجرة من كندا الى الولايات المتحدة وأدرك أن فرصته في القبول تكون أقوى فيما لو حصل على احدى التخصصات النادرة مثل هندسة الالكترونيك ولكي يتخصص في هذا المجال انضم الى المؤسسة الكندية لمهندسي التلفزيون والاخراج السينمائي للحصول على الاختصاص المطلوب

وبنفس الوقت كان يتابع تصفية اعماله التجارية حسب طلب الكي جي بي ومن شدة انهماكه في مسألة التصفية تمهيداً للهجرة الى الولايات المتحدة لم يهتم باحدى المهمات التي كلفوه بها وهو التأكد من عنوان البروفيسور (هيوج هامبلتون) الاستاذ بجامعة لافال بمقاطعة كوربيك (الذي وردت قصة تعامله مع السوفييت في هذا الفصل) ولكنه أرسل زوجته أنجا التي تأكدت بنفسها من عنوان هذا العميل وهنا اعلمت الكي جي بي لوديك أن هامبلتون أحد عملاءهم الموثوقين وكلفوه بالذهاب اليه وتعريفه بنفسه وتسليمه بعض التعليمات الصادرة اليه من المخابرات السوفييتية وقد ذهب لوديك للقاء البروفيسور بمقره بالجامعة وبعد تقديم نفسه اليه لاحظ أنه مثال الشخص المتواضع المثقف وأنه يمثل شخصية ايديولوجية مرموقة واوضح له لوديك أن الكي جي بي تطالبه باعداد تحليل اقتصادي عن الاوضاع الكندية وتحاليل تتعلق باحتمال قيام حركة انفصالية بكندا وبعلاقات كندا بالصين. ولكي لا يلفت الانظار اليه اصطحب لوديك ابنه بيتر حيث تركه امام أحد المحلات التي تطلق عليها اسم «مونت رويال» وكانت درجة الحرارة أقل من الصفر لأنهم في شهر كانون الاول (ديسمبر) وأيامه الباردة. سلم البروفيسور الى لوديك تحليلاً طويلاً قرأه وأعجب به ثم زوده لوديك بتعليمات الكي جي بي الجديدة وهي تنص على اقامة علاقات شخصية بالبروفيسور (بول لن دوماكجيل) الذي تعتقد المخابرات السوفييتية بأنه على اتصال مع (ماوتسي تونج) في حينه. وطلب منه أن يسعى في الحصول على وظيفة في السلك الدبلوماسي الكندي. وبعدما انفصلا بعد لقائهما تصرف لوديك كما لو كان يرشد أحد الغرباء ثم أخذ يتنقل من محل لآخر محاولاً التهرب من أي شخص يكون قد تتبع آثاره حتى قارب أن يصل الى منزله فتذكر فجأة «ابنه» الذي نسيه تماماً لانشغاله بأعمال الجاسوسية فاندفع بسيارته كالمجنون نحو المكان الذي تركه أمامه ليجده وقد أوشك أن يتجمد من البرد بعد أن قضى فترة أربع ساعات وهو ينتظر أباه الذي نسيه لانهماكه في عمله بالجاسوسية. إنها المخابرات. . .

● نجح لوديك في انتقاله للولايات المتحدة حسب الخطة التى وضعتها له المخابرات الروسيةمع زوجته وولديه نجاحاً باهراً وحصل على وظيفة جيدة في حقل هندسة الالكترونيات الذي اختص به في كندا استعداداً لهذه المهمة كما سعى لايجاد وظيفة لابنه بيتر الذي أنهى دراسته الثانوية في كندا وأصبح شاباً يافعاً وذلك

في مؤسسة أرلنفتون للنظم الآلية في واشنطون.

● في نهاية شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٦ اتصل به مقر الكي جي بي وطلبوا منه التوجه الى موسكو عن طريق فيينا وأعلموه أن عليه حين وصوله الى الموعد في فيينا بأن يرسم علامة (×) بالطبشور على الباب الداخلي لاحدى العمارات قبل ذهابه الى موعد اللقاء مع ضابط الكي جي بي بست ساعات وكان الموعد المتفق عليه أمام أحد محلات بيع الملابس الداخلية النسائية.

● غادر لوديك واشنطون بعد أن تفاهم مع زوجته وابنه بيتر الى فيينا وانتظر في مكان الموعد ساعات طويلة بعد أن رسم علامة (×) كما طلب منه ولم يحضر ضابط المخابرات السوفييتية وتكرر الامر أربع مرات على مدى أربعة أيام متتالية مما عرضه لتهديدات بعض الشبان من أهل تلك المنطقة الذين ظنوا أنه يقف في ذلك المكان وهذه الساعات الطويلة انتظاراً لاحداهن وهددوه بالضرب قبل أن ينفذوا تهديدهم ظهر ضابط المخابرات السوفييتية بسيارته فأسرع لوديك وأنقذ نفسه.

● خلال اللقاء في موسكو مع العقيد كيروف أخبره أن بعض رسائله قد اختفت وأن احمر الشفاه الذي ارسله كطرد بريدي الى عنوان لهم في موسكو وكان يحتوي على رسالة سرية قد فتح وثار لوديك وقال أنه ليس بامكانه تقديم أي عذر منطقي لاختفاء الرسائل لأنه وضعها في الصناديق المتفق عليها كما أنه لا يعرف سبباً للعبث الذي تعرض له أحمر الشفاه سوى اعتقاده بأن فرع مراقبة البريد من قبل المخابرات الامريكية قام بالكشف عليه لدى ايداعه بريد واشنطون بمعنى أن الحيلة لم تنطلي على المخابرات الامريكية ثم ذكر لوديك شكواه شفهياً الى العقيد كيروف وهي تتلخص بما يلي:

١ ـ لماذا صممت المخابرات السوفييتية على أن يتغلغل في صفوف معهد «الهيودسن».

٢ ـ لماذا طلبوا منه بالحاح التردد على الحانات (رغم اعتذاره).

٣ ـ لماذا يصرون على أن ينجح في الولايات المتحدة كما نجح في كندا وهل سيطول به المقام في الولايات المتحدة (هذه الفقرة اشارة لعدم رضاه عن عمله في الولايات المتحدة).

٤ ـ اهماله تلقين ابنه بيتر الايديولوجية الماركسية.

وأضاف بعد ذلك بأنه مصر على عدم العودة للولايات المتحدة وأنه سيصفي أموره فيها بالمراسلة من كندا فتركه العقيد كيروف ليستريح ٢٤ ساعة ثم أرسلوا اليه أحـد الضباط الذي تولى مهمة تليينه واقنعه بالعدول عن رأيه فوافق لوديك على العودة مرة أخرى للعمل بالولايات المتحدة، وقد قرروا مكافأته مادياً تشجيعاً له واعطاءه جهاز راديو جديد يقوم بطريقة آلية بتسجيل الرسائل المضمونة والمرسلة عبر الاقمار الصناعية وكان هذا الجهاز صغيراً الى اقصى حد وسرياً للغاية ولا يسلّم إلّا لبعض العمـلاء النـادرين ووافقـوا على تلقين ابنه بيتر الايديولوجية الشيوعية ووعدوه بمهمات جديدة تناسب اهتمامه. وخلال رحلة العودة من موسكو شعروا أن نفسيتـه قد تغيرت تجاههم رغم استمرار ولائه للقضية الاشتراكية وتفانيه للحزب وكثيراً ما يكون الجاسوس صادق الحس والشعور في مراحل تتسم باليأس أثناء عمله ويكون هذا الشعور بمثابة انذار له بأن يد عنصر المخابرات ستوضع على كتفه قريباً.

القاء القبض عليه من قبل المخابرات الامريكية:

عاد لوديك للولايات المتحدة ولم يقم بأي عمل لصالح الكي جي بي رغم تزويده أخيراً بدفتر جديد لفك الرموز وفي صباح الثاني من شهر أيار (مايو) ١٩٧٦ اتصـل به احـد الاشخاص طالباً التقاط صور لحمام ساونا اقامه في منزله وذلك استناداً لهوايته في التصوير التي اعلن عنها في جميع أوساط بائعي آلات التصوير وعندما وصل الى موعده المحدد اكتشف أن افراداً من المخابرات الامريكية كانوا في انتظاره لالقاء القبض عليه وفي مقر المخابرات اعلموه أنهم على علم نشاطه هو وزوجته وخيّروه ما بين التعاون معهم ضد الكي جي بي أو تقديمه للمحاكمة بتهمة التجسس باعتباره لا يتمتع بحصانة دبلوماسية ووعدوه بأنه إذا تعاون معهم بشكل صحيح فإنه سيمنح هو وافراد اسرته اللجوء السياسي وهويات جديدة تؤمن سلامتهم مدى الحياة. وقد منح لوديك فرصة لدراسة هذا العرض مع عائلته لغاية الساعة الثالثة من بعد ظهر نفس اليوم ليخطرهم برده.

● اكتشف لوديك أن المخابرات الامريكية تراقبه منذ فترة طويلة وقد صبروا عليه كثيراً حتى حصلوا على الدليل من زوجته أنجا.

● أخذ لوديك يفكر ويضرب أخماس بأسداس وأخيراً وافق على التغاون مع المخابرات الامريكية بشرطين:

الاول: أن لا يؤمر بالقتل تحت أي ظرف.

الثاني: أن لا يطلبوا منه التخلي عن معتقداته الشيوعية.

● وافق مسؤولـو المخـابرات الامريكية على شروطه وبدأوا التحقيق معه فروى لهم بالتفصيل كل مراحل حياته منذ طفولته واستمر يروي لهم حتى الساعة الثـانية صبـاحـاً فاكتشف اثنـاء افـادته ومن كلام ضباط التحقيق في المخابرات الامريكية أنهم كانوا على علم بأماكن كل صناديق البريد التي كان يستخدمها وبكل الرحلات التي كان يقوم بها هو أو زوجته الى «موسكو» وقد أعلمهم أنه من المقرر أن تسافر زوجته أنجا في الخامس من شهر أيار (مايو) الى مدينة مكسيكو حيث ستقـابل مراسلاً للكي جي بي سيقوم بتسليمها خطة جديدة لجهاز الارسال ومن المستحسن عدم تخلفهـا عن المـوعـد خوفـاً من اثارة الشكوك لدى المخابرات السوفييتية ولكن ضباط المخابرات الامريكية أعلموه خشيتهم ايضاً اذا ذهبت زوجته الى هذا اللقـاء أن تقوم باخطار الكي جي بي بما حدث كذلك أدرك لوديك أن المخابرات الامريكية بفضل اكتشافها اماكن صناديق البريد المستخدمة كانت قد تعرفت على عملاء الكي جي بي الذين كانوا يستخدمون هذه الصناديق غير أن المخـابـرات الامريكية فضلت عدم اعتقالهم من أجل تسريب معلومات خاطئة للمخابرات السوفييتية.

● سأل لوديك المخابرات الامريكية: هل اكتشفتموني بسبب خطأ ارتكبته وكانوا صريحين في اجابتهم له مؤكدين على أنه كان ممتازاً في عمله وان سبب اكتشافه يعود الى اخطاء ارتكبتها المخابرات السوفييتية نفسها وخطأ آخر من زوجته.

● تقرر اعلام زوجته بالموافقة على ذهابها الى موعد مكسيكو وأوهموها أنها ستكون تحت مراقبة المخابرات الامريكية خلال تحركاتها في هذه الرحلة.

● أثنـاء سفـرها للقاء المخابرات السوفييتية في مكسيكو كانت تعرف أن المخابرات الامريكية لن تراقبها كما ادعوا لها وأن المخابرات الامريكية نفسها لم تكلف نفسها عناء مراقبتها.

● لدى عودتها من مكسيكو ابلغتهم بأن المقابلة تمت كما كان متوقعاً لها غير أن الظرف الذي تم تسليمه لها كان فارغاً وأنكرت أنها أعلمت الكي جي بي

أنهم وقعوا بين يدي المخابرات الامريكية ولكن ضباط المخابرات الامريكية لم يقتنعوا بروايتها لمعرفتهم بدقة مواعيد وعمل المخابرات السوفييتية فأصروا عليها لتقديم حقيقة ما جرى معها وأمام الحاحهم اعترفت أنجا بأنها تخلصت من خطة الراديو بسبب احساسها بالذنب ولكن لم تعترف بموضوع المخابرات الامريكية واعتقالها لوديك.

● اعترفت أنجا بأن المخابرات السوفييتية أعلمتها بأن تاريخ ١٤ أيار (مايو) هو موعد لوديك معهم لتلقي رسالة عمل منهم وفي نفس اليوم توجه لوديك مع دورية من المخابرات الامريكية الى حيث تلقى بالفعل الرسالة تحت اشرافهم ثم طلبوا منه استدعاء ولده بيتر ولدى وصوله أبلغوه آخر التطورات ولاحظ لوديك أن ولده كان أقلهم تأثيراً باكتشاف أمرهم بسبب عدم تأثره بالايديولوجية الشيوعية وأخيراً تركهم يعودوا الى منزلهم واعلموهم بأن المخابرات الامريكية ستضعهم تحت المراقبة الدائمة وأن عليهم أن يحرصوا على نفس المسلك الذي يتبعوه مع الكي جي بي. وفي اليوم الاول لعودتهم الى منزلهم طلبت منه المخابرات السوفييتية تنظيم رحلة استكشاف الى السلفادور كما استفسروا منه عن حالة الزوجة أنجا خلال رحلتها السنوية التي تقضيها في اوربا. أجابهم لوديك على هذه الرسالة أن ولده بيتر سيكون مشغولاً خلال الصيف بدراسته وأن زوجته أنجا مريضة ولن تستطيع السفر الى أوربا هذه السنة. وبدأ لوديك يضع في صناديق بريد الكي جي بي تقارير اعدها باشراف المخابرات الامريكية ومع ذلك فوجىء بمنحه ترقية جديدة من المخابرات السوفييتية وتهنئته له ولاسرته على اعمالهم الجليلة للاتحاد السوفييتي ثم طلبوا منه مقابلة احد ضباطهم في مكسيكو في الاول من آذار (مارس) ١٩٧٨ وذهب لوديك ولكن هذه المرة تحت رقابة مشددة من المخابرات الامريكية.

● ابلغه ضابط الكي جي بي عن اهتمامهم بولده بيتر وطلبوا منه تعليمه جميع فنون التجسس بالاضافة الى تلقينه الايديولوجية الماركسية وأعطاه مبلغ خمسة عشر ألف دولار عن اتعابه السابقة ثم سأله عن امكانية توجه ولده بيتر الى موسكو أو فيينا خلال الصيف لعقد دورة جاسوسية مكثفة له فأجاب لوديك بأن بيتر على وشك الالتحاق بوظيفة هامة بمؤسسة اتصالات ذات نظم آلية بـ «أرلنجتون» الشيء الذي سيتيح له امكانية التقرب من اعضاء ومجلس الكونغرس الامريكي وفي نفس الوقت متابعة تعلم اتقان النظم الآلية فاقتنع الضابط بوجهة نظر لوديك

وفي نهاية المقابلة استفسر منه الضابط السوفييتي عن حالة أنجا الصحية وانتهت المقابلة وعاد لوديك تحت اشراف المخابرات الامريكية الى واشنطون. حيث عادت طلبات الكي جي بي الى لوديك بارسال تقارير اسبوعية وانجاز بعض المهمات الاخرى.

بداية النهاية:

بدأت المخابرات الامريكية في البحث عن مزرعة بالقرب من «وودستوك» حيث ستقيم عائلة لوديك مستقبلاً وبدأوا بتكوين هوية مستعارة لهم لحمايتهم واحتوائهم وفي اثناء ذلك طلب منه الكي جي بي ايجاد ٥ أو ٦ صناديق بريد في منطقة ـ دالجرين ـ في فرجينيا وتبين أن هناك مركز ابحاث للاسلحة البحرية حيث يشرف بعض الاخصائيين الامريكيين على اقامة نظم لتوجيه الصواريخ واسلحة الغواصات من طراز «ترايدنت» بالاضافة الى انظمة المراقبة عن طريق الاقمار الصناعية ومعدات عسكرية الكترونية وبنفس الوقت عكف الخبراء على تصنيع أسلحة بنفس خطورة القنبلة الذرية مما استدعى المخابرات السوفييتية لوضع جاسوس لها في تلك المنطقة لذلك طلبت المخابرات الامريكية من لوديك بذل كل جهد ممكن من أجل اكتشاف هذا الجاسوس ومهما يتكلف ذلك من جهد ومال (اتخذ هذا القرار بموافقة البيت الابيض بالذات مما يدل على أن الرئيس الامريكي يطّلع شخصياً على أعمال المخابرات الامريكية ـ راجع صفحة ٢٣٧ من الجزء الاول لموسوعة المخابرات والعالم هذه ـ وقد اقر مدير المخابرات الامريكية خطة تم وضعها استخدم فيها اكثر من ١٠٠ موظف ومعدات بلغت قيمتها ملايين الدولارات (عربات جيب وعربات شحن ومولدات كهربائية وكابلات واكياس رمل وكاميرات تصوير) وبالرغم من ذلك لم يظهر الجاسوس السوفييتي لوضع أي رسالة للكي جي بي بالصندوق المقرر بالغابة المجاورة لمنطقة (دالجرين) وقد ارسلت المخابرات السوفييتية رسالة لاسلكية الى لوديك تفسر فيها صعوبة اقتراب جاسوسهم من المنطقة المحددة لصندوق الخطابات بسبب استفزازات «امبريالية» وسئل لوديك عوضاً عن ذلك متى يمكنه الحضور الى «فيينا» أو مكسيكو لتسليم المعلومات المتوفرة لديه والمتعلقة بـ (دالجرين)، فأفاده ضابط الاتصال المرافق

له من المخابرات الامريكية بأن يرد عليهم مؤكدا امكانية توجهه الى مكسيكو أو فيينا بعد منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وذلك لكسب مدة شهراً كاملاً لصالح المخابرات الامريكية يمكنهم خلاله انجاز كل الاجراءات المطلوبة استعداداً للموقف.

سارت الامور سيرها الطبيعي في خداع المخابرات السوفييتية وفي الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) قابل لوديك (ضابط المخابرات السوفييتية في مكسيكو وسلمه تقريراً من ابنه «بيتر» ثم أربعة تقارير سياسية أخرى منه هو شخصياً ثم رسائل لاسرته واسرة زوجته ثم اعطاه وصفاً تفصيلياً عن خمسة صناديق بريد تقع في محيط «دالجرين» في آخر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وصله رسالة من قيادة المخابرات السوفييتية تعلمه بوصول رسائل مكسيكو منه ومن ولده وفي حينه أعلن الاتحاد السوفييتي عن وجود أكثر من مائة موظف في مؤسسة وهمية على الساحل الغربي لدالجرين وقيل أن هذه المؤسسة مختصة بنشر الموجات الصغرى ليلاً ونهاراً مهما كانت الاحوال الجوية للرصد وقد طالبت المخابرات السوفييتية لوديك بارسال المزيد من هذه المعلومات كما اعلموه موافقتهم على التحاق ولده بيتر باحدى المؤسسات التي توصله لمعرفة بعض اعضاء الكونغرس الامريكي. وقد ظل افراد المخابرات الامريكية في اماكنهم بالقرب من دالجرين حتى التاسع من شهر آذار (مارس) حيث صدرت اليهم الاوامر بالانسحاب فجأة وبدون أي تفسير.

وفي نهاية الصيف نفذت جميع الاعذار التي لجأ اليها لوديك لتأجيل لقاءه بالمخابرات السوفييتية خارج الولايات المتحدة وبدا واضحاً أن عدم مقابلتهم سيثير شكوكهم وبالطبع كان بامكان زوجته أن تستمر أو بيتر في مقابلتهم واختلاق الاعذار للوديك وكان ذلك سيؤدي لاستعمال بيتر كعميل مزدوج وتتعرف المخابرات الامريكية بفضله على جميع طلبات واسرار المخابرات السوفييتية داخل الولايات المتحدة غير أن هذه العملية كانت ستعرض حياة بيتر ووالدته أنجا الى خطر محقق في حالة اكتشاف الكي جي بي لخيانتهم لذلك قررت المخابرات الامريكية «إنهاء هذه العملية» واخفاء أفراد الاسرة ليعيشوا بمكان آخر مجهول تحت الاسماء والهويات المستعارة والتي منحت لهم وفي ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ يوم الاحد انتقلت الاسرة بسيارات المخابرات الامريكية الى المكان الجديد الذي خصص لاقامتها في رعاية المخابرات الامريكية وحسب وعدها لهم وفي شهر كانون الاول

(ديسمبر) ١٩٧٨ أرسلت المخابرات السوفييتية رسالة الى لوديك تخطره فيها بأنه (تحت مراقبة) المخابرات الامريكية ويطالبوه بالانتقال الى فيينا لترتيب مهمة جديدة ومنصب جديد وبالطبع بقيت هذه الرسالة بلا جواب لأن لوديك انتقل نهائياً الى جانب الولايات المتحدة ومخابراتها واذا سألنا أنفسنا لماذا تصرفت المخابرات الامريكية بهذه الطريقة وقد كان بامكانها القاء القبض على لوديك فور عودته الاخيرة من موسكو وتقديمه للمحاكمة مع عائلته والتشهير بالمخابرات السوفييتية ولكنها فضلت تحويله لعميل مزدوج ثم تحويله لصفها بما قدمت له من تسهيلات حيث فازت بالاطلاع على كافة العملاء السوفييت عن طريق مراقبتها لصناديق البريد التي كان يستخدمها لوديك ثم النجاح في تحويل هؤلاء العملاء الى عملاء مزدوجين مثل لوديك كما فازت المخابرات الامريكية بالكثير من المعلومات التكتيكية الهامة عن عمل الكي جي بي وأخيراً لولا اكتشاف المخابرات الامريكية للوديك لكان الابن «بيتر» قد نجح مع والده وترقى في اعلى المناصب الحكومية الاميريكية لخدمة المخابرات السوفييتية وبذلك يتبين لنا أن المخابرات عمل وصبر ودهاء وإن هدفها هو خدمة مصلحة بلادها سواء المخابرات السوفييتية أم المخابرات الامريكية أم أية مخابرات في العالم.

أخيراً وليس آخراً عميل سوفييتي ينحاز للغرب:

ولد ايمانتس ليزنسكيز في شهر كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٣١ في بلدة ريجا من لاتفيا حيث أتم دراسته الابتدائية والثانوية وانتسب بعد حصوله على الثانوية العامة الى معهد العلاقات الدولية في موسكو في عام ١٩٥٠ وتخرج منه عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٥٨ عمل في الجمعية اللاتفية للعلاقات الثقافية مع الدول الاجنبية في ريجا وفي نفس الوقت انضم للمخابرات السوفييتية فرع لاتفيا كعميل سري في «قسم المخابرات المضادة» وسافر الى موسكو من ١٩٥٨ حتى ١٩٥٩ لاتباع دورة عميل مخابرات للخارج وفي عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٠ عين مراسلاً لصحيفة «ديزيمتينيز بالز» وبعد ذلك رئيساً لتحريرها وكانت مهمته المكلف بها من المخابرات السوفييتية هي مهمة صحفية بحتة وهي «نقض» المعلومات التي تنشر في الصحف الغربية لحساب الكي جي بي وهذا الموضوع ننصح به رؤساء

المخابرات العربية باتباعه بحيث ينتقي قسم الصحافة في المخابرات العربية المواضيع التي تنشرها اجهزة الاعلام العادية ويطلب من الموظفين المختصين امثال ليزنسكيز بنقضها والرد عليها بما يناسب. وفي عام ١٩٧٦ ترقى الى منصب رئيس اللجنة اللاتفية للعلاقات الثقافية للاتفيين المقيمين في الخارج وهذه المنظمة خاضعة للمخابرات السوفييتية ومهمتها التجسس والتخريب ونقض المعلومات الصحفيه المعادية وفى عام ١٩٧٨ نقل الى نيويورك للعمل في سكرتارية الامم المتحدة واحتفظ بعلاقته كعميل للكي جي بي وهو أمر مناف لميثاق الامم المتحدة وعمله الحزبي كسكرتير للحزب الشيوعي الذي يضم المواطنينَ السوفييت الذين يعملون في الامم المتحدة.

● منذ عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٧٨ وأثناء وجوده في الامم المتحدة كان ينتمي ليزنسكيز الى الطبقة البيروقراطية العليا التي تعمل تحت اشراف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في لاتفيا مباشرة وكان يدعى بانتظام الى حضور الاجتماعات السرية التي تعقدها اللجنة واحتفظ باتصالات وعلاقات وثيقة مع اعضاء سكرتارية اللجنة ورؤساء الاقسام.

● في الاول من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ تقدم ليزنسكيز وعائلته بطلب حق اللجوء السياسي الى الولايات المتحدة وقد منح حق اللجوء اعتباراً من تاريخ تقديم الطلب كما منح اسم وهوية مستعارة من المخابرات الامريكية. وللوهلة الاولى للقارىء يعتقد أن ليزنسكيز كان يعمل للمخابرات الامريكية إبان عمله مع الكي جي بي وخلال العشرين سنة الماضية ولكن المذكور كان يعمل لمخابرات غربية غير المخابرات الامريكية وإنها قبلت لجوءه الى الولايات المتحدة استناداً لعمله مع الوفد الدبلوماسي للاتحاد السوفييتي لدى الامم المتحدة واستدعائه الى كوبنهاجن عاصمة الدانمرك للادلاء بشهادته في قضية تجسس لصالح الاتحاد السوفييتي وسفره تحت حماية المخابرات الامريكية الى الدانمرك. وكان من المتوقع أن يدلي بشهادته في اليوم الاول لانعقاد المحكمة ولكنه لم يذهب حيث اتصل تلفونياً بالمحكمة ليقول أنه موجود في مكان ما من كوبنهاجن وأنه خوفاً على حياته واحتياطاً للطوارىء سيحضر في وقت ما اثناء انعقاد المحكمة.

وحضر في اليوم التالي وأدلى بشهادته بسرية مطلقة ومع ذلك فانه توقف فجأة عن الكلام وفقد التركيز وهو ينظر الى شخص ما جالس بين الجمهور وتلعثم لسانه

فسأله رئيس المحكمة:

● هل هناك شخص تعرفه بين الحاضرين؟.

ـ نعم.

● من هو لنأمر باعتقاله؟.

ـ شخص من الاتحاد السوفييتي.

● هل يمكنك أن تشير عليه فقط؟.

ـ لا تطاوعني يدي.

● وهنـا طلب رئيس المحكمة من الحرس اخلاء المحكمة من الحضور وإبقاء المحامين فقط. ولكننا نؤكد أن المخابرات السوفييتية كانت هناك فعلاً تستمع الى شهادته ضد الاتحاد السوفييتي.

● في الفنــدق الــذي ينـزل فيه مع مرافقيه من المخـابـرات الامـريكية والـدانمـركية سعى اليه أحـد الصحفيين الـذين يتمتعـون بجرأة أدبية واتفق مع المرافقين على أخذ حديث صحفي منه وكان هذا الحديث في الغرفة التي ننزل فيها في الفندق.

س : لقد عملت كما سمعنا في المحكمة عشرين سنة للمخابرات الغربية. هل اكتشفت الكي جي بي. ذلك؟.

ج : إنني حي أمامك كما ترى وعلى كل حال فليست الكي جي بي هذه القوة الجبارة كما يظن البعض

س : ما هي المخابرات الغربية التي كنت تعمل لها من وراء ظهر الكي جي بي؟.

ج : لا أحب هذه الاسئلة.

س : هل كنت تحب مهنتك كعميل مزدوج؟.

ج : لم أرد أن أكون جاسوساً أبداً ولم أحب هذا العمل في يوم من الايام.

س : هل انتسبت للعمل بالمخابرات بمحض ارادتك؟.

ج : لقد أجبرتني الكي جي بي على ذلك بواسطة التهديد والابتزاز ولكن عندما اتصلت بي المخابرات الغربية بعد ذلك كان ذلك بمحض ارادتي واختياري.

س : هل العمل في المخابرات ككل فيه شيء من الاثارة؟.

ج : يعتقد البعض أن عمل الجاسوسية مثير ولكنه ليس كذلك إنه عمل ممل وأنا سعيد الآن لأنني خرجت من هذه الدائرة واليوم أنا نظيف وأشعر بالسعادة وأنا أمارس حياتي الجديدة في الولايات المتحدة ولكن لا يمكنني نسيان كل اولئك الاشخاص الذين سقطوا ضحايا اثناء عملي في الاتحاد السوفييتي انهم كثيرون ولا اعتقد أنه سيمكنني النسيان أبداً.

س : هل أنت خائف؟.

ج : لا، لا استطيع أن أقول أنني خائف. إنه قدري. كما أنك لا تستطيع أن تعيش حياتك وأنت خائف طوال الوقت ولكني أعرف بالطبع أن الكي جي بي مازالت تطاردني بأساليبها المتعددة لأن شهادتي في المحكمة الجنائية في كوبنهاجن والتي بلغت أكثر من عشر صفحات عن الحياة في لاتفيا وأعمال الحزب الشيوعي واللجنة المركزية وعلاقة الحزب الشيوعي اللاتفي مع الحزب الشيوعي السوفييتي في موسكو هي السبب..؟

● هذه أول مرة يعلن فيها ايمانتس ليزنسكيز الذي يعيش الآن في الولايات المتحدة تحت اسم مختلف هو وعائلته. انه كان عميلاً مزدوجاً. ومثله كثير في هذه المهنة المشوقة (المخابرات)..



ليزنسكيز ٢٠ سنة عميل مزدوج

عميل روسي مزدوج:

فيتالي يورتشنكو - ضابط مرموق من ضباط المخابرات السوفييتية يبلغ من العمر ٥٠ عاماً في عام ١٩٨٥ وصل الى روما بتاريخ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٨٥ على طائرة خطوط إيرفلوت القادمة من موسكو وبقي في روما على اتصال مع السفارة السوفييتية حسب الاصول مدة اربعة أيام ثم اختفى أثر زيارة قام بها لمتحف الفاتيكان وفي شهر أيلول (سبتمبر) أعلنت الصحف الامريكية أن يورتشنكو لجأ الى (الغرب) في الولايات المتحدة وأنه انشق عن الكي جي بي ولدى استجوابه من قبل ضباط المخابرات الامريكية تبين لهم أنه المسؤول الخامس في المخابرات السوفييتية وقد كشف يورتشنكو أثناء التحقيق اسم عميل قديم من المخابرات الامريكية كان يعمل للكي جي بي يدعى / ادوارد هاورد / كما كشف النقاب عن سر اختفاء احد المهاجرين السوفييت في فيينا عام ١٩٧٥ ويدعى (نيكولاي شادرين) الذي كانت المخابرات الامريكية قد جندته للعمل لصالحها في حينه فأكد يورتشنكو أن الكي جي بي قد اغتالته.

عودة الابن الضال:

بتاريخ يوم الثلاثاء الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥ ظهر يورتشنكو (فجأة) في مبنى السفارة السوفييتية في الولايات المتحدة بعد أن نجح في الافلات من مرافقيه الامريكيين أثناء تناولهم الطعام في مطعم كائن في أحد الأحياء القديمة في واشنطون وخلال المؤتمر الصحفي الذي عقده له السوفييت في مبنى سفارتهم أدلى يورتشنكو بالتصريح التالي:

● لقد قامت المخابرات الامريكية باختطافي في روما واحتجزتني لمدة ثلاثة أشهر وقد تم حقني بالمخدرات حتى ينطلق لساني وعقلي الباطن وأدلي بكافة المعلومات التي أعرفها.

● بعد هذا التصريح الصحفي تعقدت الامور فقد اعتقدت المخابرات

الامريكية أن الامر بالعكس وأن المخابرات السوفييتية هي التي حقنته بالمخدرات حتى يدلي بهذا التصريح بعد اختطاف وأعلنت وزارة الخارجية بواسطة الصحف أن يورتشنكو واقع تحت ضغط المخابرات السوفييتية وأنها أي وزارة الخارجية الامريكية ترغب بالاطلاع على حالته الصحية بواسطة لجنة تشكل لهذا الغرض وتزور السفارة السوفييتية. وفي اليوم التالي أعرب يورتشنكو للمسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية عن رغبته في العودة للاتحاد السوفييتي وأكد أنه اتخذ هذا القرار بمحض ارادته وإن ما أعلنه في المؤتمر الصحفي هو الحقيقة وأنه غير واقع تحت أي ضغط..

● وهكذا انفجرت قضية «يورتشنكو» فهل كان عميل مزدوج يعمل لجهتين بآن واحد أم أنه عاد وتراجع عن خيانته لـ «الكي جي بي» ولذلك لجأ لاتهام المخابرات الامريكية باختطافه. الاحتمال الاول يبدو مقنعاً للغاية لأن اتهام المخابرات الامريكية باحتجازه وتعذيبه قبل اسبوعين من قمة ريغان ـ غورباتشيف من شأنه اضعاف موقف الرئيس الامريكي كما أنَ المعاملة السئية التي يؤكد يورتشنكو أنه قد لاقاها من جانب المخابرات الامريكية بامكانها أن تشكل سلاحاً في يد الرئيس السوفييتي اذا ما تطرق الرئيس الامريكي ريغان الى مسألة حقوق الانسان. ومن المحتمل بالمثل أن يكون الجاسوس السوفييتي قد تم تكليفه بمهمة فنية هي معرفة الاساليب التي تستخدمها المخابرات الامريكية لانتزاع المعلومات من المنشقين السوفييت مثلما حدث معه بالذات.

هذا ويعتقد معظم الذين يتابعون نشاط المخابرات الامريكية أن يورتشنكو عميل مزدوج وقد أكدت ذلك سكرتيرة سابقة كانت تعمل في سفارة الاتحاد السوفييتي بواشنطون قبل أن تلجأ الى الغرب في عام (١٩٧٧) وتدعى الكسندرا كوست وقالت بأنها تعرفت عليه حيث كان يعمل في نفس السفارة في الفترة ما بين عام ١٩٧٥ الى عام ١٩٨٠ وتقول الكسندرا أن يورتشنكو أقدم على هذا التصرف بايعاز من موسكو ليختبر معاملة المخابرات الامريكية للفارين السوفييت. ألا أن واقعتين هامتين تناقضان نظرية الكسندرا وهما:

١ ـ إن يورتشنكو لجأ للغرب بمحض ارادته وإن المخابرات الامريكية اثناء التحقيق معه عرضته على جهاز كشف الكذب ولم يسجل الجهاز شيئاً يدينه.

٢ - إن المخابرات الامريكية قد أكدت على أن يورتشنكو قد كشف النقاب عن معلومات هامة جداً تم التأكد من صحتها (وهذا لا يحدث مع العميل المزدوج).

وقد ثبت أن يورتشنكو كان مسؤولاً عن ادارة عمليات التجسس السوفييتية في امريكا الشمالية بالادارة الاولى في المخابرات السوفييتية وبالتالي فقد كان على علم بكل أسرار المخابرات السوفييتية في هذه المنطقة من العالم. لهذا يعتقد (ريتشارد هيلمز) رئيس المخابرات الامريكية السابق والسفير السابق لدى شاه ايران أن المخابرات السوفييتية لن تكلف ضابطاً بهذه الرتبة بالقيام بدور عميل مزدوج حتى ولو لم يكن يورتشنكو المسؤول الخامس في جهاز الـ «كي جي بي» كما أكدت معلومات المخابرات الامريكية فمن المؤكد أنه من بين مائتي ضابط يعملون في هذا الجهاز. والسؤال الذي يطرح نفسه. . ؟ لماذا قام يورتشنكو بتسليم نفسه الى سلطات بلاده من جديد. . ؟ والجواب من المخابرات الامريكية التي يؤكد أن وراء الامر (امرأة) فقد كان يورتشنكو ينوي بدء حياته من جديد في الغرب رفقة زوجة أحد الدبلوماسيين السوفييت التي أحبها واتفق معها على أن يعيشا حياة جديدة في كندا وعندما تراجعت الحبيبة عن وعدها في فترة لاحقة شعر يورتشنكو بالاحباط والحزن فقرر العودة الى الاتحاد السوفييتي وتحمل نتيجة عمله. وأياً كانت الحقيقة فإن يورتشنكو الآن في موسكو ولم تذع الانباء السوفييتية عنه أي شيء بعد سفره من واشنطون على طائرة ايرفلوت وبقيت قضيته غامضة بعض الشيء بالنسبة لنا كخبراء محللين لهذه القضايا الاستخبارية ولكنها تخدم بالدرجة الاولى الاتحاد السوفييتي لأن المخابرات السوفييتية سوف تستغلها لتلوث سمعة المخابرات الامريكية كما وأن هذه القضية ستشكل درساً قاسياً لأي ضابط من ضباط الـ «كي جي بي» تسول له نفسه اللجوء للغرب وبالتالي لن يتعرض العملاء الذين كشف يورتشنكو أمرهم الى أية مخاطر لاستحالة تصديق جاسوس منشق تراجع عن موقفه وهروبه من مخابرات بلاده وعاد تائباً مستغفراً اليها. إن مثل هذا الجاسوس لن يمر في حياة الشعوب إلا نادراً لأنه الجاسوس الاول الذي تجرأ وعاد طائعاً مختاراً الى بين يدي المخابرات السوفييتية بعد هروبه منها. كل ذلك ليطهر نفسه من الحب الفاشل الذي عاشه مع زوجة زميله الدبلوماسي السوفييتي.

معركة مهنيّة بين المخابرات السوفييتية والمخابرات الامريكية:

● اندلعت الحرب الاعلامية والمهنية بين الجبارين وبدأت لعبة القط والفأر بين المخابرات السوفييتية والمخابرات الامريكية حتى بلغت ذروتها في عام ١٩٨٥ عندما قرر العميل السوفييتي فيتالي يورتشنكو العودة الى بلاده معلناً «توبته» أمام مؤتمر صحافي عقد في سفارة بلاده في واشنطون والحقيقة أن اعلان «التوبة» جاء على شكل تصريحات مذهلة ادعى فيها يورتشنكو أن المخابرات المركزية الامريكية عمدت الى اختطافه عنوة اثناء وجوده في روما ونقلته سراً الى الولايات المتحدة. . الخ كما ذكرنا في الفصل الخاص «به» وأتت هذه التصريحات اثناء الحملة الاعلامية الواسعة والمنظمة التي كان يخوضها الجبارين استعداداً للقاء القمة بين الرئيس ريغان والزعيم السوفييتي ميخائل غورباتشوف في جنيف (في حينه) وكانت التصريحات والحملة الاعلامية تستهدف في الواقع تسجيل بعض النقاط وكسب الرأي العام. أي باختصار تعزيز الموقف التفاوضي لكل من امريكا والاتحاد السوفييتي ومحاولة القاء اللوم على الطرف الآخر في حال تعثر المحادثات بين الرئيسين أو فشلها.

ويجمع المراقبون على أن الكرملين نجح بعد وصول غورباتشوف الى رأس الهرم في تحقيق انتصارات اعلامية عدة وغير متوقعة فقد اعلن الزعيم السوفييتي غورباتشوف استعداد بلاده «لخفض» ترسانته الحربية النووية الى «النصف» ولاقى هذا الموقف استحساناً كبيراً من قبل الرأي العام لغربي الذي بدا ميالاً أكثر فأكثر نحو اعادة العلاقات السياسية مع السوفييت الى وضعها الطبيعي.

والمرمى الآخر المهم الذي سجل السوفييت ضد الغرب وضد الولايات المتحدة بالذات هو «نجاح» المخابرات السوفييتية في اقناع ابنة ستالين بالعودة الى مسقط رأسها بعد فترة طويلة امضتها في الغرب ولاسيما في امريكا بالذات حيث امضت ١٨ عاماً. واعتبرت وسائل الاعلام السوفييتية يومها عودة ابنة ستالين بمثابة «انتصار» للنظام الاشتراكي على النظام الرأسمالي واثباتاً واضحاً على تفوقه وإلا فما هي الاسباب الموجبة التي تدفع امرأة مثقفة مثل سفيتلانا ستالين للعودة الى الاتحاد السوفييتي مع العلم بأن أبواب الغرب كانت مشرعة أمامها وكذلك الأوساط النخبوية

فيه «أي نخبة المجتمع الغربي الراقي».

ويبدو أن هذا الانتصار اعاد بعض الثقة الى المخابرات السوفييتية خلال تلك الفترة التي تميزت باجتياز عدد من المسؤولين السوفييت باتجاه الغرب وعلى رأس هؤلاء نائب رئيس البعثة الدبلوماسية في الامم المتحدة أركادي يفتوشنكو الذي حمل معه الاسرار الهامة الى امريكا والكثير عن أعمال واهتمامات السلطات السوفييتية وأيضاً كيفية عمل مخابراتها داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه وكان هذا الهارب بمثابة الدرة الفريدة في عقد المسؤولين والجواسيس السوفييت الذين فروا الى الغرب بصورة عامة.

والعكس بالعكس فقد قرر العميل السري بيتوف العودة الى موسكو أيضاً وحسب الاصول عقد له مؤتمر صحفي عام فضح فيه ممارسات المخابرات البريطانية (كانت المخابرات البريطانية قد أعلنت قبل مدة عن نجاحها في الحصول على اسرار هامة عن العملاء السوفييت العاملين في الغرب بفضل هروب بيتوف نفسه الى بريطانيا وطلبه اللجوء السياسي) غير أن الرواية التي قصها العميل السوفييتي على المراسلين الصحافيين الاجانب في موسكو كانت مختلفة تماماً جوهراً وتفصيلاً فقد ادعى أن المخابرات البريطانية عمدت الى خطفه ووضعه في أماكن تابعة لها في مناطق مختلفة من بريطانيا ثم حاولت هذه المخابرات ابتزازه وبغية الفرار من قبضتها «تظاهر» بالتعاون معها وعندما حصل على ثقتها قرر العودة الى بلاده وقام بتسليم نفسه الى السفارة السوفييتية في لندن.

وتتشابه رواية بيتوف «من وجوه عدة» مع القصة التي رواها يورتشنكو حول عملية اختطافه.

وتوالت عمليات الكر والفر بين المخابرات الغربية والمخابرات السوفييتية وقد استفاق الغرب ذات يوم على فضيحة تعتبر فريدة من نوعها في ميدان التجسس فقد وضع مكتب التحقيقات الفيدرالي في امريكا يده على شبكة سرية للتجسس تعمل لحساب السوفييت.

وتبين من خلال التحقيقات أنها تتكون من أب وابنة وأخ آخر وبعض الاصدقاء واطلق على تلك الشبكة اسم «خلية عائلة واكر» علماً بأن اهتماماتها انصبت على تسريب معلومات سرية للغاية الى السوفييت تتعلق بشيفرة الاتصال بين السفن الحربية الامريكية وكيفية تبادل المعلومات بين القطع العسكرية والمراكز

الرئيسية عبر الاقمار الصناعية بالاضافة الى الوسائل المستخدمة من قبل البحرية الغربية من أجل تعقب الغواصات الروسية وأدى تسريب هذه المعلومات الى احداث خضة عنيفة في الدوائر العسكرية وأجهزة المخابرات التابعة للعواصم الغربية الرئيسية وكانت تلك العملية بمثابة ضربة محكمة استدعت اعادة النظر بشكل جذري في طريقة عمل الدوائر المعنية وهذا يعني كما يقول المراقبون بذل جهود مضنية وانفاق مبالغ مالية تقدر بمليارات الدولارات من أجل اجراء تحقيقات مستفيضة والتحقق من هوية جميع العاملين في المراكز الحساسة في الغرب خصوصاً في امريكا وبريطانيا. أما الرد على هذا الاختراق السوفييتي فكان تمكّن المخابرات البريطانية من اقناع رئيس فرع مخابرات السفارة السوفييتية في لندن في طلب اللجوء السياسي اليها ومن ثم تزويدها ببعض المعلومات السرية والهامة عن زملائه في بريطانيا خاصةً والغرب عامةً وقد حاول بعض المراقبين في بريطانيا الربط بين هروب رئيس فرع مخابرات السفارة «غوديفسكي» واضطراب عدد من الجواسيس الذين يعملون لصالح الدول الاشتراكية للفرار الى المانيا الشرقية قبل افتضاح امرهم وتجدر الاشارة الى أن حكومة المستشار الالماني الغربي «هيلموث كول» تعرضت لهزة عنيفة أثر ذلك بعدما تبين أن نائب المدير المسؤول عن مكافحة التجسس في المخابرات الالمانية في بون هو نفسه «عميل» للمخابرات السوفييتية والمخابرات الالمانية الشرقية كما لم يمض وقت طويل حتى بدأت الاوساط السياسية في لندن تتحدث بشكل مكشوف عن احدى الفضائح الغربية التي قالت محطة التنصت البريطانية في قبرص (باستطاعة تلك المحطة التقاط المخابرات الهاتفية الهامة من منطقة الشرق الاوسط).

واصدرت احدى محاكم كاليفورنيا حكمها ببراءة احد الباحثين المدنيين (مستخدم مدني) التابعين للبحرية الامريكية ويدعى صموئيل مولن والتهمة التي اسقطت عنه هي «تسريبه» ثلاث صور عن حاملات الطائرات السوفييتية النووية التي التقطها أحد الاقمار الصناعية الى مجلة «جاين» البريطانية بعد أن اعترف صموئيل أمام المحكمة «وصدقته المحكمة» بأنه قام بهذا العمل بدافع ذاتي لفضح التسلح السوفييتي. ونحن نعتقد أن ما قام به هذا المتهم البريء هو تحذير للـ كي. جي. بي وتنبيههم الى كيفية وصول بعض الاسرار الهامة للغرب.

أهمية محطة لندن للمخابرات السوفييتية :

بعـد هذه النصـوص عن أعمال المخابرات السوفييتية التي تقابلها أعمال مضـادّة من المخـابـرات الامـريكية يحق لنـا المـرور بالعاصمة البريطانية لندن لنستكشف فيها بعض عمليات التجسس ويكفي أن نعرف أن محطة لندن بالنسبة للمخابرات السوفييتية تأتي بالدرجة الثانية بعد محطة الولايات المتحدة للمخابرات السوفييتية من حيث الاهمية وأنها الاهم في اوربا وتقدر أهمية محطة لندن بالنسبة للجاسـوسية السـوفييتية تفـوقهـا على محطة بون أيضاً ويرأس مركز الجاسوسية السوفييتية (المخابرات). في لندن دائماً شخص ذو مستوى عظيم في المخابرات السوفييتية أو صاحب رتبة عسكرية تتعدى رتبة العقيد وفي عام ١٩٨٥ كان يرأس جهاز الكي جي بي في لندن (اوليغ غوديوفسكس) الذي يحتل المرتبة العاشرة في الدائرة الاولى للمخابرات السوفييتية التي تشرف على نشاط المخابرات السوفييتية خارج الاتحـاد السـوفييت. والـذي بلغ أعلى المستويات في جهاز المخابرات السـوفييتية حتى عيّن في هذا المـركـز الحســاس ومع هذا كله كان غوديوفسكي (عميلاً) للمخابرات البريطانية حيث تمكنت هذه المخابرات من اجتذابه للعمل معها منذ سنوات وغوديوفسكي كان بحكم رئاسته لمحطة لندن مطلعاً على كافة المعلومـات المتعلقة بهويات جميع مساعديه الحقيقية وتغطياتهم ويعرف بطبيعة الحال كل شيء عن العملاء البريطانيين الذين يمدون الكي جي بي بالمعلومات.

هروب غوديوفسكي للغرب :

قام اوليغ غوديوفسكي كبير أو رئيس جهـاز المخابرات السوفييتية في لندن بالانتقال الى الجهة الاخرى (أي الهروب الى الغرب) كما يطلق على هذا الهروب خبراء المخابرات حيث التجأ للمخابرات البريطانية التي يتعامل معها وهي التي أمنت له الرعاية والحماية كما كانت اثناء تعاملها معه حريصة على أن تحافظ عليه بعنـاية فائقـة خلال سنوات فلم تكشف عن هويته الحقيقية سوى لستة من كبار المسؤولين في المخابرات البريطانية والامريكية (حليفتهم). وكان من المفروض

بـ غوديوفسكي اثناء رئاسته للمخابرات السوفييتية في لندن تأمين المعلومات الانية للاتحاد السوفييت أي الـ كي جي بي :

١ ـ معلومات عن الدفاع.

٢ ـ معلومات عن التطور العلمي.

٣ ـ معلومات عن التطور التكنولوجي.

٤ ـ معلومات عن حلف شمال الاطلسي.

ومن هنا يتبين مدى الضرر الذي الحقه غوديوفسكي بالمخابرات السوفييتية من جراء هروبه للغرب لكن الخسارة السوفييتية لا تتوقف عند الناحية العملة فقط فإن مجموعة المعلومات التي حملها معه أهم بكثير لأنه كشف للغرب (كلمة للغرب تعني أخـذ العلم لجميع دول أوربـا بالمعلومـات التي أدلى بهـا غوديوفسكي للمخابرات البريطانية والتي توزع على الجميع لقاء مبدأ المعاملة بالمثل . .) كل ما يعرفه وشاهده وسمعه داخل المخابرات السوفييتية وهو كثير حتى وصل به الحال من الاندفاع في خيانته لبلده تقديم معلومات عن رؤسائه في موسكو وطباعهم كما أنه تكلم عن بعض الصراعات داخل الـ كي جي بي وعن كيفية تجنيده للعملاء وكيف يشتريهم ثم يهددهم.

وبصورة عامة فقد اطلق عليه لقب (الكنز الثمين) نظراً لوفرة المعلومات التي ادلى بها. ويبقى سر وصول (خائن) من مستواه الى أعلى المراتب في المخابرات السوفييتية من دون أن يثير الشكوك حوله في مجتمع بوليسي كالمجتمع السوفييتي طي الكتمان رغم أن غوديوفسكي كان رجل النخبة حتى في الاتحاد السوفييتي ذكي ومثقف ولا بد حسب رأي المخابـرات في الغـرب أنـه تقـدم في المـراتب عن استحقاق. وهناك رأي للخبراء أيضاً بأن المخابرات البريطانية التي كانت تتعامل مع غوديوفسكي قبل تعيينه في لندن هي التي افتعلت الاحداث التي ادت الى ابعاد رئيس المخـابـرات السـوفييتية السـابق في لنـدن أردكـاي غولـك حين وصـول غوديوفسكي مرؤوساً الى العاصمة البريطانية عام ١٩٨٢ فخلفه في هذا المنصب الهـام. ويسـأل القـراء والخبـراء. .؟ ما هو الـدافـع لخيانـة رجـل مرمـوق مثل غوديوفسكي لبـلاده. . . ويجيب بعض الخبـراء أيضـاً أن الـدافـع هو انتمـاء غوديوفسكي الى تيار ناقـد للنـظام السـوفييتي ظهـر بين الخمسينـات والستينات ويستبعد هؤلاء الخبراء أن يكون رئيس الـ كي جي بي في لندن السابق باع نفسه

من أجل المال. أو نتيجة ضغوط ثانية ويقول الخبراء أن السبب ايديولوجي فقط وإن غوديوفسكي يسعى الى ايذاء النظام السوفييتي في اجهزته الامنية ويستبعدوا أن يكون المال الدافع لأنه كان يعيش في رخاء كلّي. أما لماذا قرر غوديوفسكي ترك منصبه الرفيع الذي يحلم به معظم ضباط الـ كي جي بي واللجوء الى الغرب فهناك تفسيرين للخبراء:

١ ـ أن يكون سئم الحياة كعميل مزدوج وهي حياة الكذب المتواصل والخداع الدائم وخطر اكتشاف أمره فإن من شأن هذه الضغوط النفسية أن ترهق الاعصاب وتحطمها والعجب هو أن يكون غوديوفسكي قد تمكن من تحمل هذا الوضع طوال هذه السنوات العديدة والذي حدث هو أنه ابلغ الضباط البريطانيين الذين كان يتصل بهم بتصميمه على التخلي عن عمله (قبل التنفيذ بعدة أشهر).

٢ ـ ومن المحتمل أن أمره على وشك أن ينكشف فكان لا بد له من الفرار. وكان لا بد للمخابرات البريطانية من مساعدته وانقاذ حياته حتى لا ينتهي مثل الكولونيل أوليغ بنكوسكي رجل المخابرات السوفييتي الذي كان يتعامل مع الغرب إبان الحرب العالمية الثانية وانكشف أمره فحوكم وأعدم في الاتحاد السوفييتي.

ويبقى تقدير الخسارة التي أصيبت بها المخابرات السوفييتية من قبل الخبراء على مستويين:

الاول: على الصعيد العملي يحتاج الاتحاد السوفييتي الى ٥ أو ١٠ سنوات لاعادة تكوين الشبكة التي فككها غوديوفسكي ولكنه سيعيد تشكيلها.

ثانياً: الخسائر الافدح هي داخل جهاز الـ (كي جي بي) خصوصاً على معنويات العاملين معه والتشكيك بعدد كبير منهم مروراً بأصدقاء غوديوفسكي ورؤسائه وزملائه ومساعديه.

النتائج المباشرة لهروب غوديوفسكي للغرب:

بعد انتهاء الاستماع لاقوال غوديوفسكي في مبنى المخابرات البريطانية (أي التحقيق معه بشكل مؤدب وعلى الطريقة البريطانية) أعلنت الحكومة البريطانية عن

طلبها مغادرة ٢٥ مواطناً سوفييتياً (بينهم ٦ دبلوماسيين) للاراضي البريطانية خلال ثلاثة أسابيع بتهمة التجسس وتغطي النشاطات التي يقوم بها اسمياً الذين تناولتهم تهمة التجسس وتدابير المغادرة مجالات عدة تمتد من الدبلوماسيين الستة الى الصحافة وقيادة سيارات ومن الذين طلب منهم المغادرة:

١ - يوري يجوف - السكرتير الاول في السفارة السوفييتية في لندن.
٢ - فباتشسلاف كاليتي - السكرتير الاول العلمي.
٣ - بوريس كورغاجين - السكرتير الاول الثقافي.
٤ - السيدة فالبري توكار - السكرتير الثاني القنصلي.
٥ - أناتولي ميرتييكوف - السكرتير الثالث القنصلي.
٦ - ديمتري فاسيليف - الملحق التكنيكي المكلف بشؤون الصيانة والمواصلات.
٧ - فيكتور موسالينا - مراسل وكالة تاس.

● وبقية المعلن عن مغادرتهم بريطانيا بتهمة التجسس أحد مراسلي وكالة نوفوستي وواحداً من جريدة برافدا وواحداً من اذاعة موسكو وسائقاً واحداً وأحد رجال حرس السفارة وممثلين عن شركات تجارية هي: الكترونوريتكنيا. أفيا اكسبورت. زابشا ستكسبورت. شركة غاز. شركة معادن. مصرف ناردوني موسكو.

● رد الاتحاد السوفييتي بالطلب الى ٢٥ بريطانياً مقيمين في موسكو بينهم ١٨ موظفاً في السفارة وأرفعهم درجة هو الفيكونت ريموندا سكويث السكرتير الاول في السفارة المتخصص في شؤون الاقتصاد السوفييتي ومن بينهم الصحافيين المغادرين: نيتم سيباستيون مراسل تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية وألان فيليبس مراسل وكالة «رويتر» للانباء العالمية الذي عمل مراسلاً في موسكو في عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ وعاد اليها في نيسان (ابريل) ١٩٨٥ وسبق له أن عمل في بيروت وطهران وتونس وهو يتكلم اللغة العربية والروسية.

● رد البريطانيون بالايعاز لستة سوفييت آخرين بمغادرة بريطانيا.

● انتقم السوفييت لذلك وأبعدوا ستة انكليز آخريم من موسكو.

● وكان الحادث الابرز لانتقال ضباط من الـ كي جي بي الى الغرب هو الحادث الذي لم يهتم له الخبراء وهو هروب يورتشنكو المسؤول عن أمن السفارات السوفييتية في المخابرات السوفييتية الى الغرب (راجع قصته في هذا

الفصل) ولكننا لم نذكر في قصته أنه وصل الى روما في ٢٤ تموز (يونيو) ١٩٨٥ للتفتيش عن آثار العالم السوفييتي الكسنا ندوف مؤلف كتاب (الذيول المحتلة للحرب النووية) الذي اختفى في مدريد قبل اسابيع في حين أن مهمته الرسمية المعلنة (للتمويه) كانت دراسة أوضاع السفارة السوفييتية الكائنة في فيللا أباميليك القريبة من الفاتيكان في العاصمة الايطالية التي شهدت في الفترة الاخيرة حوادث غريبة كسرقة قطع نسيج مزدانة بالرسوم وبعض الاواني القديمة.

وتساءلت الشرطة الايطالية كيف يمكن لأي سارق أن يتسلل الى داخل السفارة السوفييتية رغم الحراسة الشديدة عليها وأن يعرض حياته للخطر لمجرد دخوله خلسة اليها من أجل سرقة أغراض ليست بتلك القيمة الثمينة. والاطرف من ذلك أن الاغراض المسروقة وجدت كلها فيما بعد في شاحنة صغيرة متوقفة على جانب الطريق.

● وبعد سرقة السفارة في روما كانت فضيحة المخابرات الالمانية التي تحتاج الى فصل كامل. ثم اكتشاف المخابرات الامريكية أن المخابرات السوفييتية كانت «ترش» بودرة معينة على موظفي السفارة الامريكية في موسكو لاكتشاف تحركاتهم ثم أعلنت المخابرات السوفييتية أنها اعتقلت مواطناً سوفييتياً متلبساً بجريمة التجسس ونقل اسرار عسكرية الى دبلوماسي امريكي هو بول ستومبرغ الضابط في المخابرات الامريكية الذي يعمل تحت غطاء سكرتير ثان في السفارة الامريكية في موسكو وقد أبعد من موسكو في شهر حزيران (يونيه) ١٩٨٥.

● في منتصف شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥ اعتقلت المخابرات اليونانية ضابط في البحرية ورجلي أعمال يونانيين يعملان في مجال الاجهزة الالكترونية بتهمة التجسس لحساب الاتحاد السوفييتي واكتشف أمر الثلاثة عقب هروب السكرتير الاول في السفارة السوفييتية في اثينا سيرغي بوكان الى الولايات المتحدة في شهر أيار (مايو) ١٩٨٥ الماضي وذكر في حينه أن بوكان كان رئيس مكتب المخابرات السوفييتية ومقره بطبيعة الحال في السفارة السوفييتية في اثينا. ويبقى سؤال عن مدى ترابط كل هذه الاحداث التي هزت صيف أوربا ومخابراتها واذا كان من الصعب والسابق لأوانه الجواب على هذا السؤال فإنه لا يسعنا سوى التوقف عند تزامنها فحين تتوالى أحداث بمثل هذه الأهمية في فترة زمنية محددة ولا تزيد على الشهرين فلا يبقى لنا كخبراء في الكتابة ومتابعة أعمال المخابرات في العالم سوى

أن ننتظر الزمان ليجيب على هذا السؤال. وإذا كان يصعب علينا كذلك أن نحلل ظاهـرة تجنيد المخـابـرات الغـربية وعلى رأسها المخابرات المركزية الامريكية للعملاء السوفييت وانتقالهم للغرب رغم الصعوبات التي تلاقيها المخابرات الغربية في الاتصال بهم في دولة كالاتحاد السوفييتي تملك مخابرات قوية وقديرة لذلك سنتـوقف عنـد رأي البـروفسـور كريستـوفر أندرو المدرس البريطاني في جامعة كامبريدج عن الجواسيس الذين يعملون في الغرب لصالح الاتحاد السوفييتي ومن المعلوم أن كريستـوفر من أكبر المؤرخين لشؤون المخابرات والتجسس والعمالة المزدوجة .الذي يرى أن المستوى انخفض للدرجة الدنيا من الخيانة. كريستوفر يعترف بتقليد الجامعة الذي يدرّس فيها في دنيا التجسس وتكفي لاثباتها الاشارة الى مجمـوعـة الثلاثينات التجسسية التي خرجت من هذه الجامعة ووصلت في العمالة المزدوجة والخيانة الى أعلى المستويات وهم فيلبي، بورجس، ماك لين، بلانت، وذلك للدلالة على أن تربة جامعة كامبريدج خصبة للجواسيس.

ومن المعـروف أن هذا الـربـاعي الشهير بدأ نشـاطـه التجسسي لحساب المخابرات السوفييتية عن اقتناع بأنه يشارك في حرب سرية ضد الفاشية التي كانت بدأت تهدد أوربا. . حرب من وراء ستار، لم تكن تقل أهمية عن حرب السلاح والتصاريح المدمرة التي كانت دائرة على الارض. فالاتحاد السوفييتي كان في ذلك الحين قد استهوى كمثال أعلى، الكثيرين من المثاليين والرومانطيقيين في الغرب.

- الجاسوس ماك لين كان سكيراً. مثل بلانت.
- الجاسوس بورجس كان لواطياً.
- **الجاسوس الاهم كم فيلبي كان أكثر الاربعة استخفافاً بالعرف والتقاليد ولكنه كان لذلك اكثر الاربعة ضعفاً أمام نداء المال. وحول الاسباب التي دفعته الى العمل في الـ كي جي بي لا بد من التوقف عند الجملة التي ختم بها مذكراته «لا يسع الانسان التردد أمام عرض بضمه الى مؤسسة نخبة» وتلك المؤسسة التي يعنيها فيلبي هي المخابرات السوفييتية بطبيعة الحال.**

وإذا عدنا بعد هذا العرض عن بعض حوادث الهروب والهروب المعاكس للجـواسيس الى هروب غوديوفسكي للغـرب فنجد في الطرف الآخر أن الرئيس غوربـاتشـوف أظهر غضباً شديداً لدى إعلامه بنبأ هروب غوديوفسكي وظهر هذا الغضب في ردة الفعل السوفييتية القاسية بالطلب للبريطانيين بالمغادرة بعدد يماثل

العـدد الـذي أبعد من لندن حتى ولو لم يكن للمغادرين أو بعضهم أي (نشاط تجسس) بدليل أن بريطانيا حين ابعدت ستة سوفييت آخرين من لندن قامت موسكو بابعـاد ستـة بريطانيين أيضاً مما يدل على أن عملية هروب غوديوفسكي للغرب أصابت العنفوان السوفييتي في الصميم أي أن موسكو التي مر عليها حوادث.هروب بعض عملائها حتى السوفييت منهم للغرب ولكن هروب غوديوفسكي كان أقساهم وقعاً مما لا يسع موسكو تحمله فلجأت الى عملية ابعاد الدبلوماسيين البريطانيين بالجملة كما ذكرنا.

معلومات جديدة عن عمل المخابرات السوفييتية ونشاطها:

كنا قد ذكرنا في الجزء الاول من هذه الموسوعة عن المخابرات العالمية ومنها المخابرات السوفييتية حيث ذكرنا بعض اعمالها ونشاطها ثم اضفنا المعلومات التي توفرت لنا بعد ذلك في الجزء الثاني ولكن عمل المخابرات طويل وشاق ومستمر ما استمرت الحياة ونحن في هذه الصفحات من هذا الفصل عن المخابرات السوفييتية الـ (كي جي بي) نقدم ما اطلعنا عليه من المعلومات الجديدة عن سير العمل في المخابرات السوفييتية.

● إن نشاط الـ (كي جي بي) يستوحي استراتيجية موضوعية منذ السبعينات منـذ عهـد فيكتور شبريكوف ويوري أندرويوف ومن أهم أهدافها الحصول على التكنولوجيا الغربية المتطورة والتعاون الوثيق مع الاجهزة الشقيقة الاكثر فعالية وثقة كمخابرات الدول الشرقية. وقد هبت العاصمة وتوترت الاجواء الدولية وأتى «عهد» العقـوبـات الاقتصـادية والخـطر على تصـدير التكنـولـوجيا الغربية الى الاتحاد السوفييتي فازدادت حرب الجواسيس عنفاً وتحت وطأة الحاجة الى تغطية العجز التقني الذي يفصله عن الغرب أمطرت المخابرات السوفييتية بلاد الغرب بالعملاء وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الى زيادة عدد «الحوادث» الدبلوماسية التي بلغت ذروتها في شهر نيسان (ابريل) ١٩٨٣ عندما تم ابعاد ٤٧ دبلوماسياً سوفييتياً دفعة واحدة من باريس بدون أن يؤدي ذلك الى أي تدبير انتقامي ضد الرئيس ميتران الاشتراكي وكانت تلك من السنوات السيئة بالنسبة للمخابرات السوفييتية لأنه تم

طرد ٥٣ دبلوماسياً سوفييتياً آخرين من عدد من الدول الاوربية الغربية بتهمة القيام بنشاط يتنافى مع مهامهم الدبلوماسية وفي نفس السنة ١٩٨٣ عمدت بعض الدول الاخرى الى اخراج عدد من الدبلوماسيين السوفييت فارتفع الغدد الاجمالي الى ١٤٨.

● **الجواسيس السوفييت**: دوائر المخابرات الغربية تقدر عدد العملاء السوفييت الذين يتجسسون في انحاء العالم كافة بنصف مليون رجل ٥٠٠ منهم في الولايات المتحدة زرعوا جميعاً سعياً وراء التسلل الى الادارات والاوساط الحكومية والحصول على وثائق سرية وتكنولوجية متقدمة وتسعى المخابرات السوفييتية دائماً الى «تجهيز» عملاء جدد بواسطة الاغراء والتهديد كما هو مذكور سابقاً في هذه الموسوعة.

● **نصيحة للمخابرات السوفييتية**: روى «أركادي شفتنشنكو» مستشار الرئيس غروميكو «سابقاً» في كتابه «وداعاً موسكو» أن نصف المساعدين المباشرين الذين كانوا يعملون معه عندما كان مساعداً للامن العام للامم المتحدة كانوا عملاء للـ (كي جي بي) وإن التعرف عليهم كان غاية في البساطة للأسباب الآتية:

١ - كانوا يرتدون أفخر الثياب الانيقة.

٢ - يرتادون الاماكن الغالية الكلفة.

٣ - يصرفون ببذخ ظاهر وبدون حساب.

٤ - يشتري أحدهم سيارة في الشهر الاول من وصوله الى مقر عمله. في حين أن راتب سنة كاملة لا يكفي أي موظف في وزارة الخارجية لشراء سيارة مستعملة.

لذلك ننصح بأن يوصى الجاسوس السوفييتي بأن يصبر الوقت الكافي بعد زرعه في الدول الغربية ليبدأ بالظهور بمظهر الميسور ويشتري سيارة متواضعة أولاً يتعود بها على جو وطرقات البلد الذي هو به ثم يستبدلها بعد حوالي سنة بسيارة جيدة وبعدها الاحسن بحيث لا يلفت النظر اليه. وليست الامكانات هي التي تنقص الـ (كي جي بي) فميزانيتها السنوية من ٦ الى ١٠ مليارات دولار لأن المخابرات السوفييتية بدلت طريقة عملها منذ السبعينات مع العملاء بالسخاء عوضاً عن التهديد ولا يوجد في العالم مؤسسة تشبه الـ (كي جي بي) فهي الذراع الايديولوجي وسيف الحزب الشيوعي وترسه والمخابرات السوفييتية موجودة في كل مكان من زوايا المجتمع السوفييتي كلها وتعمل ٢٤ ساعة وهي عند الضرورة غاية

في القسوة خاصة ضد جميع انواع المعارضة والانشقاق كافة وتعتمد في الداخل كما في الخارج على جيش عرمرم من العملاء والضباط والجنود يصل عددهم الى حوالي ١٥٠ ألف بينهم التقنيين والاختصاصيين المولجين بحماية عدد من السجون الخاصة ومعسكرات الاعتقال. ومنهم قسم حماية المسؤولين الكبار في الحزب والدولة في أماكن إقامتهم. كما تهتم المخابرات السوفييتية بعدم حدوث انحرافات من أي نوع داخل القوات المسلحة السوفييتية بالاضافة لدراسة «ملف» أي مواطن سوفييتي يود التوجه الى الخارج للعمل أو السياحة أو الدراسة فلا يمكن سفر أي مواطن سوفييتي بدون موافقة الـ (كي جي بي) ويرتبط حرس الحدود السوفييتية البالغ عدد /٢٥٠,٠٠٠ رجل / المجهزين بالدبابات والطائرات المروحية والمضخات ومختلف الاسلحة المتطورة بالمخابرات السوفييتية رأساً. مقر الـ (كي جي بي) في قصر لوبيانكا على بعد خطوات من الكرملين ومن هذا المقر تتم عملية مراقبة أشكال الحياة كلها في الاتحاد السوفييتي وعندما استلم الرئيس الراحل أندروبوف رئاسة المخابرات السوفييتية وخلال عشر سنوات أتم تحديثها بالعناصر والتنظيم واعتماد معلومات الانظمة الميكرو الكترونية وأقمار التجسس ومحطات الالتقاط المتطورة.

المخابرات السوفييتية تحصل على أسرار الصواريخ النووية الامريكية:

في أواخر عام ١٩٨٣ حصلت المخابرات السوفييتية على أسرار الصواريخ النووية الامريكية من خلال تعاون أحد العاملين في إحدى الشركات الامريكية مع عملاء المخابرات السوفييتية. وقد تم تصوير المستندات الخاصة بالصواريخ من قبل الهيئة التي اشترت الشركة الامريكية. وهي شركة مراقبة الانظمة الالكترونية وقد حاولت المخابرات الامريكية أن تعثر على هذا العميل.. وكانت البداية..؟. أما الشركة فقد ادعت أن هذه المعلومات والأسرار قد تمت سرقتها بواسطة المدعوة (روبي هاربر) وكانت تعمل ماسكة دفاتر وسكرتيرة تنفيذية وقد توفيت مؤخراً اثر مرض في الكبد. وان زوجها جيمس هاربر هو الذي بعث بالمستندات الى المخابرات السوفييتية عن طريق رجل الاعمال الامريكي (وليام بيل هجل) الذي

يعيش في لنــدن. وكـانت روبي قد اعتـرفت قبـل موتهـا بأنهـا تسلمت مبلغ /١٦٧,٠٠٠/ دولار من المخابرات السوفييتية وان زوجها استلم نفس المبلغ. .

غلاء الأسرار + غلاء العملاء:

ومن المعلوم في حينه أن الحكومة الامريكية كانت قد وقعت عقداً مع شركة مراقبـة الانـظمـة الالكتـرونية بقيمة ٢٠ عشرين مليون دولار لمواصلة الابحاث وتحسين العمـل في مجـال الدفاع عن القواعد النووية الامريكية لأن البنتاجون (وزارة الـدفـاع الامـريكية). أصـابه بعض القلق خشية أن تكون الضربة النووية السوفييتية الاولى ضد واشنطون لدى قيام الحرب العالمية الثالثة قوية بحيث تمنع البيت الابيض من اصدار الأوامر للرد بعمل انتقامي ضد السوفييت وذلك بعد تدمير وسـائـل الاتصـال الحيوية بين العـاصمـة الامريكية - مكتب الرئيس - والقواعد النووية. وكان عقد الشركة ينص على دراسة امكانية اقامة نظام جديد للاتصالات بحيث لا يمكن تدميره من قبل السوفييت أو اعاقته عن العمل. ولم تكن السهولة التي حصـل بهـا جيمس هاربـر على الوثائق فقط هي التي سببت ضيقاً شديداً للمخابرات المركزية الامريكية ولكن الطريقة التي سافر بها هاربر وهجل الى وارسو لمناقشة بيع هذه الاسرار الهامة وتقدير ثمنها. وطبقاً للشهادة التي ادلى بها هاربر فقد اعترف أنه بدأ تجسسه على نطاق ضيق عام ١٩٧٥ وفي هذه الاثناء حصل تقارب بينه وبين وليام هجل رجل الاعمال المشهور الذي كانت تسبقه شهرته دائماً فهو أحد الشخصيات المشهود لها بالخبرة في حقل التكنولوجيا وكان يساهم في اشتراك الهيئات المهتمة بالالكترونيات في الولايات المتحدة التي تقيم مشروعات مشتركة في اسكوتلندا هذا التقارب والتعاون الذي سبب للولايات المتحدة أضراراً خطيرة في حقل الأمن والدفاع القوميين.

ابتداء العمل مع الشريك هجل:

أول عمل تجسسي قام به الشريكان هاربر وهجل هو سفرهما الى جنيف

حيث تقابلا مع رجلين بولنديين يعملان للمخابرات السوفييتية واتفقا معهما على بيع بعض المعلومات الخاصة بالتكنولوجيا المتقدمة وبعض الآلات وذلك بالاتفاق مع رئاسة الـ (كي جي بي) في موسكو.

ومن المعروف أن وليام هجل صاحب شخصية غريبة فهو أحد الامريكيين الذين يشجعون التعاون وزيادة التجارة بين الشرق والغرب وقد عمل كثيرء على تمرير قانون من قبل الكونغرس لزيادة التجارة الخارجية مع الاتحاد السوفييتي ولكنه فر الى بريطانيا هارباً من تحقيق كانوا يزمعون القيام به معه بسبب تهربه من دفع الضرائب. وعاش في لندن لأكثر من خمس سنوات وهو يواصل أعماله التجارية مع الاتحاد السوفييتي ثم عاد الى امريكا عام ١٩٨٠ بعد أن هدأت الضجة حوله وفقدت السلطات الامريكيّة اهتمامها به وفي عام ١٩٨٢ سافر مع شريكه هاربر الى جنيف لمدة اسبوع تقابلا مع عميل سوفييتي معروف باسم (الوزير) واتفقوا على العملية الضخمة لتسليم المعلومات والأسرار لقاء الثمن بالدولار الامريكي وإن المبلغ سيوزع على الثلاثة جيمس هاربر وزوجته حصل كل منهما كما ذكرنا على مبلغ ١٦٧,٠٠٠ دولار وهجل وقد حصل على نفس المبلغ. وهذه العملية تظهر تبديل عمل المخابرات السوفييتية من الاغراء والتهديد الى الدفع بألوف الدولارات. واستلم الوزير الوثائق والآلات الدقيقة ونقلها لقمة سائغه الى المخابرات السوفييتية واكتشفت هذه العملية من قبل المخابرات المركزية الامريكية بعد التركيز على الاشخاص الذين كانت المعلومات المسروقة تحت تصرفهم ومنهم روبي هاربر زوجة جيمس هاربر وكانت قد توفت بمرض الكبد كما ذكرنا فألقي القبض على زوجها الذي اعترف بالتجسس للمخابرات السوفييتية بحضور المحامي باتريك ساندي الذي قدم عرضاً للمخابرات الامريكية باسم موكله بأن يقوم بتقديم معلومات خاطئة للمخابرات السوفييتية تحت اشرافهم وذلك لتحصينه ضد الحكم الذي سيصدر عليه ولكن المخابرات الامريكية رفضت العرض لأن المتهم نفذ جريمة الاتصال مع المخابرات السوفييتية عن سابق تصور وتصميم دون أن يقدر الضرر الذي سيلحقه بوطنه مما يستدعي تقديمه للمحكمة والحكم عليه بأقسى العقوبة وهذا ما حصل أما المتهم الثاني هجل فقد اختفى نهائياً بعد القبض على شريكه ونعتقد جازمين بأن الفرع المختص بالمخابرات السوفييتية قد هربه خارج الولايات المتحدة.

حلقة من الجاسوسية السوفييتية (الجاسوسة الحسناء):

● لم تختصر عادة توظيف الحسناوات في الأعمال الجاسوسية على المخابرات الغربية والاسرائيلية فقد برعت المخابرات السوفييتية أيضاً بتوظيف المرأة منذ عشرات السنين وحتى تاريخه وقد سلطت المخابرات السوفييتية السيدة فيوليتاسانيا المدربة تدريباً خاصاً على جميع أعمال المخابرات والتجسس للتجسس على السفارة الامريكية في موسكو من خلال رجال مشاة البحرية الامريكية المكلفين بحراسة السفارة الامريكية في موسكو فنجحت هذه المرأة في إقامة «علاقة عاطفية» مع عدد من هؤلاء الجنود الامريكيين لدرجة انها استطاعت «فتح» أبواب السفارة الامريكية لغيرها من العملاء والخبراء السوفييات ليدخلوا إلى مكاتب السفارة ويخرجوا منها كما يشاؤون.

وخلال حفل العيد القومي الامريكي في السفارة الامريكية عام ١٩٨١ أقامت مشاة البحرية الامريكية (المكلفين بحراسة السفارة) حفل راقص في صالون السفارة وكانت فيوليتا نجمة حلبة الرقص لما تتمع به من جمال باهر وأناقة وتحرك بارع جعلها محط أنظار الجميع ولقبت بـ «أفروديت السوفييتية» ويذكر أحد الدبلوماسيين الامريكيين الحاضرين لهذا الاحتفال هذه الحادثة فيقول: بينما كان الجميع مشغولين في الرقص على الحلبة الواسعة في الصالة الرئيسية في السفارة الامريكية دخلت فيوليتا إلى مكان الاحتفال ووقفت على حافة حلبة الرقص الكبرى فلفتت الأنظار وهي ترتدي زياً أنيقاً يلهب الأنظار لدرجة أنني أعتقدت في باديء الأمر انها جاءت خصيصاً لتقديم عرض في الأزياء ويضيف لقد انبهرت بهذه المرأة الجميلة كثيراً كما انبهر غيري من الحضور فرقصت وأبدعت كما راقصت الكثيرين حتى انتهاء الحفل فتبرع «العريف في مشاة البحرية الامريكية كلايتون. جي. لونتري» بايصالها إلى منزلها وكان من المبهورين بها وبجمالها ككل الحاضرين فهي من مواليد موسكو ١٩٦٠ زوسية جميلة جداً وأجمل ما فيها قوامها الرشيق وشعرها الأسود الطويل المنساب حتى منتصف ظهرها وعيناها السوداوان الواسعتان.

أمام منزلها وقف كلايتون يودعها حسب الطريقة الامريكية بالتقبيل ولكنها كانت «كريمة» معه وحسب الطريقة الامريكية دعته لشرب كأس وأفهمته أنها مطلقة

لمهنـدس مدني وتعيش لوحـدها فدخل كلايتون منزلها وبدأت العلاقة العاطفية بينهما وهي علاقة اعجاب وحب من طرف واحد هو العريف كلايتون بينما فيوليتا كانت تضحي وهذا هو عملها بتمثيل دور المرأة الروسية الفتية التي تبادل شخص امريكي عواطفه بعد ان نجحت من أول نظرة في اسقاط كلايتون في حبائلها وهو ابن زعيم إحدى القبائل الهندية وتدعى «نافاجو» وبين عشية وضحاها ومن دون ان يدري تحـوّل من ضابط صف امـريكي مكلف بحراسة السفارة إلى «جاسوس» لصـالـح المخابرات السوفييتية ولم يقتصر الحال عليه وحده فقط فقد استطاعت الجاسوسة الروسيّة أيضاً «إغواء» صديق كلايتون وزميله في العمل الجندي «أرنولد براسي» من مواليد ١٩٦١ الذي عرفته على صديقتها «زاشا» التي تعمل كطباخة في السفارة فأقام بدوره علاقة حب وعاطفة معها.

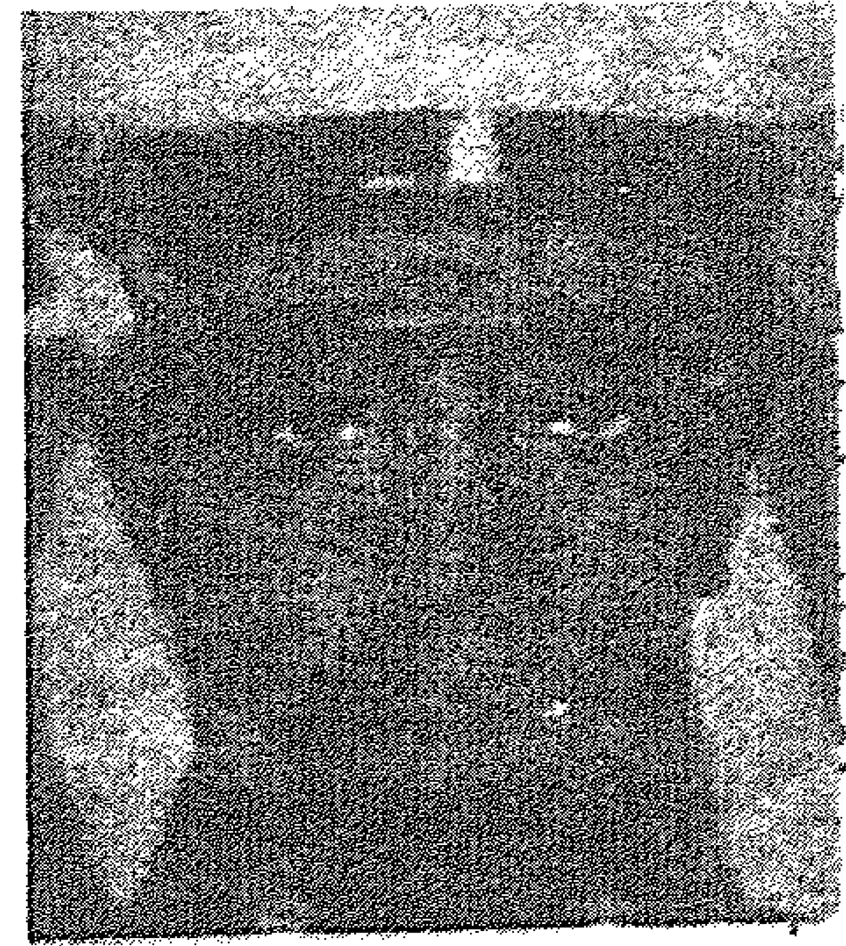
وبعـد فتـرة قصيرة من إقامة هذه العلاقة «المزدوجة» استطاعت فيوليتا ان تجعـل كلايتـون وأرنولد ان يقدما لها معلومات على جانب كبير من الأهمية ولم يقتصـر الأمـر على تقديم المعلومات السرّية بل ان الامريكيين «سمحا» لخبراء المخـابرات السوفييتية بالدخول إلى المرافق والمكاتب الأمنية في السفارة وذلك اثناء توليهما مهمة الحراسة الليلية في السفارة وبهذه الطريقة تمكنت فيوليتا وزميلتها زاشا من تصوير الوثائق السرية في السفارة ثم الحصول على الرمز السري «الشيفرة» التي يستطيع بواسطته المختصين في السفارة من فتح أية خزانة أو مكتب داخل السفـارة وهكذا سالت المعلومات المتوفرة في السفارة الامريكية إلى المخابرات السـوفييتية ثم ظهرت نتائجها أو نتائج الاطلاع عليها لدى المسؤولين في البيت الأبيض والبنتاغون «وزارة الدفاع الامريكية» ووزارة الخارجية واعتبرت هذه العملية «فضيحة» في سلسلة الفضائح التي سبق وتعرضت لها إدارة الرئيس ريغان في فترة رئـاسته الثانية «التي أوشكت على الانتهاء وما ان يصدر هذا الكتاب إلاّ ويكون ريغان قد أصبح من الرؤساء المتقاعدين».

بدأ خبـراء وواضعـو السياسـة الامـريكية يتسـاءلون: هل استطاع الروس الوصول إلى الخزائن السرية في السفارة؟ وهل حصلوا على كافة المعلومات الأمنية والسياسية السرية المخبأة في تلك الخزائن في الوقت الذي كان فيه وزير الخارجية الامريكية جورج شولتز يهيء نفسه للقيام بزيارة للاتحاد السوفييتي «تمت الزيارة في ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٨٧» كيف سيتناقش مع زعماء الكرملين وهو يعلم تماماً بأنهم

حصلوا على معلومات سرية عن بلاده لا يعلمها هو شخصياً؟ وتساءل شولتز: كيف استطيع ان اتفاوض مع السوفييت حول قضايا الرقابة على التسلح وازالة الصواريخ النووية متوسطة المدى من اوربا في الوقت الذي لا استطيع فيه الاتصال من موسكو مع البيت الأبيض والرئيس ريغان للتشاور معه حول المسائل التي قد نتوصل اليها والتي تحتاج لبحث مباشر مع واشنطون في الوقت الذي أعلم فيه جيداً أن تلك الاتصالات خاضعة للرقابة والعملياتالتجسسية. وتساءل شولتز أيضاً: أليست الحقيبة الدبلوماسية والسفارة هما المصدز الوحيد الذي أستطيع بواسطته الاتصال مع واشنطون؟ فكيف سيتم ذلك وافراد السفارة أنفسهم أصبحوا «جواسيس» للمخابرات السوفييتية. وفي غضون ذلك قررت الولايات المتحدة «استدعاء» جميع حراس السفارة من مشاة البحرية الامريكية وعددهم ثمانية وعشرين إلى واشنطون للتحقيق معهم وعلى رأسهم كلايتون وارنولد فطلبت من السفير إعادتهم فوراً للخضوع لعملية تحقيق كما طلبت الولايات المتحدة من جميع عملائها ودبلوماسييها العاملين في موسكو العودة إلى واشنطون لنفس الغاية ولكن بفارق زمني معقول لكيلا تكتشف المخابرات السوفييتية غيابهم.؟ وقررت استبدال الحرس بآخرين جدد كما حظرت وزارة الخارجية الامريكية على كافة موظفي السفارة من دبلوماسيين وسكرتارية استخدام الآلات الكاتبة الالكترونية وأجهزة الكمبيوتر الشخصية واجهزة النسخ حتى إشعار آخر «في حينه» وقال مسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية «ان العدو يسمع ويقرأ كل ما يتم داخل السفارة من خلال هذه الأجهزة ولذلك يجب على العاملين في السفارة الامتناع عن استخدامها إلى ان تنجلي الأمور نهائياً» وأما السفير أرثر هارتمان فقد قال بمرارة كبيرة: لقد سبق ان واجهنا مشاكل كثيرة في السابق مع المارينز «حراس السفارة» ولكن لم نواجه مثل هذه المشكلة، فهي لطمة قوية ومأساة كبيرة بالنسبة لنا... إنني لم أتخيّل في يوم من الأيام ان تتعرض سفارتنا هنا في موسكو إلى مثل هذا الموقف. واستطرد السفير هارتمان قائلاً: لقد اضطررنا في احد الأوقات إلى إعادة عدد من جنود «المارينز» إلى واشنطون بعد ان ضبطوا متلبسين ببيع دولارات في السوق السوداء في موسكو وأضاف إن أوامر مشددة كانت تصدر بين الحين والآخر تحظر على العاملين في السفارة من دبلوماسيين وحراس وموظفين التورط في «قصص حب غرامية» مع الروس. وقال هارتمان وهو يوجه أصابع الاتهام إلى وزارة الخارجية الامريكية في

واشنطون «لقد سبق ان طلبت من واشنطون تغيير طاقم حراس السفارة قبل وقت طويل ولكن هذا الطلب ذهب مع الريح ولم يتم تنفيذه، وكنت أشعر بمدى العذاب النفسي الـذي يتعـرض له هؤلاء الحـراس، خاصة وان غالبيتهم من المتزوجين والبعيدين عن زوجاتهم وأشار السفير إلى ان هؤلاء الجنود المحرومين من الاختلاط مع الأجانب كان من السهل التأثير عليهم من خلال النساء الروسيات الجميلات اللواتي كن يعملن كجواسيس للاتحاد السوفييتي وقال ان أفضل مثال على ذلك «نجاح الجاسوسة السوفييتية فيوليتا في اغواء ضابط الصف كلايتون والتأثير عليه عاطفياً وتحويله من مدافع عن بلاده إلى «جاسوس» عليها.

وطبقاً لما ذكرته بعض المصادر المؤكدة فإن فيوليتا التقت سبع مرات على الأقل مع كلايتون بعد الحفل الراقص الذي أقيم في السفارة الامريكية بالاضافة إلى عمليات الدخول إلى السفارة مع زميله أرنولد وصديقته الروسية زاشا التي تبين فيما بعد أنها موظفة رسمياً في (الكي . جي . بي) واسمها الحقيقي هو ماريا ألكسي جيفيموف. وهكذا أضيفت فضيحة التجسس هذه إلى قائمة الفضائح المخابراتية



الجندي : أرنولد براسي



الجاسوسة الحسناء : «فيوليتا سانيا»



ضابط الصف الامريكي : «كلايتون لونتري»

التي واجهتها الولايات المتحدة وقد أذاعت محطة لندن في ٨٧/٨/٢٥ انه صدر الحكم على كلايتون بالسجن ثلاثين عاماً عوضاً عن السجن المؤبد الذي طلبه له المدعي العام الامريكي.

ضابط مخابرات سوفييتي يهرب إلى واشنطون. ؟:

● حرب الجاسوسية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة لا تنتهي فلا يكاد يمر شهر من غير ان نسمع عن طرد لدبلوماسيين سوفييت لاتهامهم بالقيام بأنشطة تجسس والعكس صحيح فتطرد موسكو أيضاً دبلوماسيين غربيين بعد اتهامهم بالتجسس أيضاً ومن فترة لأخرى تعلن أيٍ من موسكو أو واشنطون عن الايقاع بواحد من جواسيس الدولتين وقد شهدت العاصمة اليابانية طوكيو واحدة من جولات الصراع بين القوتين العظميتين في هذا المجال:

● في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ كانت المخابرات والبولسي الحربي الياباني يفرضون حراسة مشددة على الطائرة (بان أمريكان) 725 المتجهة إلى لوس انجلوس بالولايات المتحدة. . في الطائرة كان كل شيء عادياً. . وفي الدرجة الأولى كان يجلس رجل سوفييتي عريض المنكبين بجوار امريكي رمادي الشعر حاد النظرات. أقلعت الطائرة وأصبحت فوق المحيط الباسفيكي بدأ الرجلان يحتفلان بمناسبة السفر معاً.

كان المسافر السوفييتي هو ستانسلاف لفتشنكو ومهنته (ضابط برتبة ـ مقدم ـ كولونيل) في المخابرات السوفييتية (كي. جي. بي) والذي كان يعمل في طوكيو تحت غطاء الصحافة السوفييتية. وقبل إقلاع الطائرة بساعات أصبح المقدم لفتشنكو واحداً من أشهر رجال المخابرات السوفييتية الذين يلجئون للولايات المتحدة أما مرافقه الأمريكي في الطائرة فلم يكن سوى أحد ضباط المخابرات الامريكية حسب الأصول لأن لفتشنكو قد أحضر معه «ثروة ضخمة» من المعلومات عن نشاطات الكي. جي. بي في اليابان. ولاحقاً لهذه العملية أعلن جون مكماهون معاون مدير المخابرات الامريكية ان المعلومات التي اعطاها لفتشنكو تفيد كثيراً في مواجهة النشاطات السوفييتية في اليابان وخارجه.

أصبح لفتشنكو من ضيوف المخابرات الامريكية بطبيعة الحال وأخذ يعيش بصفة سرية في الولايات المتحدة ولا يظهر في الأماكن العامة سوى مرات قليلة وأحياناً يستعين بأسماء مستعارة حتى سمحت المخابرات الامريكية له بالادلاء بحديثين مطولين إلى صحيفة الواشنطون بوست الامريكية فتحدث عن الأسباب التي حولته من ضابط مرموق في المخابرات السوفييتية إلى منشق هارب مختف تحت أسماء مستعارة ووصف نفسه بأنه «مقاتل» وأمين وعلى خلقٍ وقال أيضاً أن رسالته للعالم الحر ربما تشوّه أو تحرّف. . وأضاف بأنه منذ ان وصل إلى الولايات المتحدة يحاول ان يكون مجرد شخصية عادية ويأمل بالتدريس في الجامعات ثم اختفى عن الأنظار مرة ثانية.

عودة إلى الوراء ومن أول الطريق مع لفتشنكو:

في منتصف السبعينات أصبحت السفارة السوفييتية في طوكيو إحدى أهم خمسة مراكز متقدمة للمخابرات السوفييتية وهي سفارة الولايات المتحدة وسفارة سويسرا وفرنسا وبريطانيا واليابان. ذلك ان اليابان تعتبر ثاني دولة صناعية بالعالم وأصبحت تشكل «هدفاً» رئيسياً وكنزاً لا يفنى من الثروات والتكنولوجيا تستطيع المخابرات السوفييتية الاطلاع عليها بأساليب خفية وكذلك تستطيع هذه المخابرات جمع معظم المعلومات السرية عن الصين من داخل اليابان بالاضافة إلى تمكن المخابرات السوفييتية من الاطلاع على أسرار التكنولوجيا الامريكية المتقدمة أيضاً من اليابان. غير ان السوفييت وجدوا في طوكيو وبقية العواصم الغربية الكبرى الأخرى «مجالاً» لتحقيق أهداف اضافية تتعدى مجرد أسرار التكنولوجيا فالمخابرات السوفييتية تحاول قبل كل شيء ان تضاعف عدد أعوانها من ذوي النفوذ سواء كانوا سياسيين أم ممثلي حكومات أم كتّاب أم صحافيين أم فنانيين أم أساتذة جامعات أم رجال صناعة من الذين بامكانهم تنسيق جهودهم للتوصل إلى تقريب اليابان من الاتحاد السوفييتي على حساب علاقات اليابان بالولايات المتحدة كما ان المخابرات السوفييتية تحتاج إلى ضباط نموذجيون في طوكيو ليكون باستطاعتهم فهم واستيعاب أدق التفاصيل عن الثقافة اليابانية وتاريخ

اليابـان وتقاليدها ولغتها والاندماج بسهولة في المجتمع الياباني المعاصر بفضل علمهم وحساسيتهم ورقتهم ومن هنا كان اختيارها للفتشنكو.

من هو لفتشنكو:

● ولد لفتشنكو عام ١٩٤١ من أسرة عسكرية وعندما شبّ بدأ يتلقى كماً هائلاً من التعاليم الشيوعية وبعد ذلك درس لمدة ست سنوات في معهد اللغات الشرقية بجامعة موسكو وأجرى أبحاثاً حول السياسة اليابانية وقد ساعده ذلك على دراسـة أوضاع البلاد واتقان لغتها ثم عمل باللجنة السوفييتية للسلام ثم باللجنة الافـرو ـ آسيوية وتـدرب على إعـداد لقـاءات صحفية لراديو موسكـو ولاحـدى المجلات السوفييتية كما كان «يشارك» في صياغة واعداد خطب الرئيس الراحل بريجنيف السياسية. وأخيراً كان يتمتع بالمظهر الملائم المناسب لشخص مسؤول يقضي معظم أوقاته في تلبية دعوات السفارات أو في المطاعم الراقية الأنيقة أو في الممـرات البـرلمـانية حتى أصبح «لائقاً» سياسياً وصحفياً وعملياً لأي مهمة في الخارج. وفي أثناء ذلك قامت المخابرات السوفييتية بالتحري عنه «ثلاث مرات» أي بلغـة المخابرات والتحقيق أعطيت ثلاث نشرات استعلامات عنه إلى ثلاث مصادر أمنية سوفييتية ولم ينجح أحد بادانته بأي انحراف إيديولوجي بل على العكس ثبت لهم نزاهته وولاءه الشديدان للحزب والدولة لذا كان من المنطق والمعقول ان قامت المخـابـرات السوفييتية بارساله إلى اليابان كمراسل لمجلة «نوفوي فريما» السوفييتية (في نهاية عام ١٩٧٣) ولهذه المجلة اسم آخر (العصور الحديثة) التي أسسهـا الحـزب الشيوعي منذ عام ١٩٤٣ كنوع من التغطية لعمل بعض ضباط المخابرات السوفييتية في الخارج بصفة مراسلين لها وكان مدير تحرير هذه المجلة يشترط على أي عميل سيعمل باسمها ان يتمرن لمدة عام في موسكو على تحرير مقالات يمكن نشرها بصورة مباشرة في المجلة وتنطلي على مراقبة البلد الموجود به بحيث لا يشعـر المسؤولـون بعمله الأسـاسي للجـاسوسية والمخابرات. بدأ لفتشنكو عمله في مكاتب المجلة لغاية نهاية عام ١٩٧٤ وفي نهاية مدة تدريبه قدم له أحد قادته في المخابرات النصائح الآتية:

أولاً: كل ما تعلمته لن يفيدك شيئاً اعتمد على حكمك على الأمور وعلى ذكائك.

ثانياً: ابتعد ما استطعت عن المخابرات الامريكية.

ثالثاً: اذا كلفت بتجنيد بعض العناصر افعل ولكن كن حذراً فوسف يدعونك للعشاء في منزلهم لتشاهد نمط معيشة اسرة امريكية وسيحدثك البعض عن الاتحاد السوفييتي أحاديث تتميز بالتعقل واللطف وستقابل فتاة تجلس وحيدة وجميلة كممثلات هوليود وستحدثك باللغة الروسية وتشعرك بأنك رجل لا مثيل لـه ولو حالفك الحظ فستفقد وقتك وصحتك فقط أما ما يحدث عادة بعد ذلك لهو أسوأ بكثير.

أما في الواقع فإن لفتشنكو كان مكلفاً بمهمة أخرى. وكانت هناك نقطة هامة لم تتمكن المخابرات السوفييتية من اكتشافها والتي حرص لفتشنكو على اخفائها حتى عن زوجته وهي «تديّنه الشديد» التي احتفظ به لنفسه فقط وكان والده نزيهاً في كل تصرفاته وسلوكياته ويحب بلاده ويفتخر بكونه روسياً ولهذا السبب كان يحتفظ ببعض الكتب التاريخية المحظورة التي تم تأليفها قبل الثورة وكان الأب يشجع ابنه دائماً على دراسة التاريخ الروسي والثقافة الروسية وهكذا ورث (لفتشنكو) من والده الفخر ببلاده واحساسه بالوطنية ثم تزوج من طالبة تدعى هيلين أفراد اسرتها من المثقفين وكان جدها وهو في نفس الوقت عميد الأسرة ـ ارستقراطياً من البلاشفة الأوائل درس القانون ودافع عن الشيوعيين الذين اعتقلتهم شرطة القيصر في سجن لوبيانكا ثم اعتقل نفسه في هذا السجن لمدة عامين حيث شاهد التعذيب الذي تعرض له غيره من السجناء السياسيين في أقبية لوبيانكا إذ كان جلادو القيصر يغرزون الابر تحت أظافر السجناء أو في اجهزتهم التناسلية ويقومون بكيّهم أو يخلعون اسنانهم بكماشات أو يسجنونهم في اقفاص من الحديد تتحرك قضبانها بواسطة براغي حلزونية حتى تحطم عظامهم أو تطحن اجسادهم حتى الموت وكان جلادو لوبيانكا يفتخرون بمقدرتهم على انتزاع الاعترافات من السجناء وكان أحدهم يردد القول الآتي: من ليلة واحدة أستطيع اجبار أي رجل على الاعتراف بأنه «ملك بريطانيا». وكان بعض هؤلاء السجناء يبصقون في وجوه جلاديهم ويتحدوهم أما الباقين فكانوا يعترفون بتدبيرهم مؤامرات شنيعة حتى ينقذوا افراد اسرهم من تعذيب جلادي القيصر ومع ذلك يقوم الجلادون بنقلهم والتخلص من جثثهم ثم تنظيف الزنزانات وإعدادها لضحايا جدد.

كان قرار المخابرات السوفييتية استخدام لفتشنكو مفاجأة له بعد حصولها على معلومات مذهلة عن اليابان بعد ان دس خبراؤها أجهزة تنصت في كافة انحاء

السفارة اليابانية في موسكو وكذلك في شقق الدبلوماسيين اليابانيين وبهذه الطريقة تمكنوا من مراقبة نشاط جميع العاملين بالسفارة ومن دراسة أحوالهم وقد اكتشفوا من ذلك ان أحد مستشاري السفارة لا يصاحب النساء وليس متزوجاً على الاطلاق وبالتالي أدركوا انه «شاذ» فاستدعى الكولونيل عزيزوف من المخابرات السوفييتية بعض الشاذين وخيّرهم بين السجن أو خدمة الوطن باقامة علاقات مع هذا الشاذ وفعلاً حصلوا على معلومات جيدة بعد استدراجهم بهذه الطريقة.

أصبح لفتشنكو عضواً فعالاً في المخابرات السوفييتية وتابع تدريبه على مختلف ممارسات المهنة فتفوق كثيراً في هذا المجال حيث روى له مدرسوه كيف توصلت المخابرات السوفييتية إلى الحصول على مشروع «منهاتن» الامريكي المتعلق بصنع أول قنبلة ذرية امريكية وكانت الولايات المتحدة قد حرصت على اخفاء تفاصيل هذا المشروع عن المانيا واليابان ولكن المخابرات السوفييتية توصلت إلى هذا السر منذ ان قامت الولايات المتحدة بتفجير أول قنبلة ذرية لها حيث توصل الاتحاد السوفييتي إلى كل المعلومات العلمية وإلى كل الفنون الضرورية لتصنيع السلاح الذري دون أن يكون قد أقام بنفسه بتجارب ذرية وبالتالي أدى ذلك إلى توفير سنوات عديدة على السوفييت كانوا سيظلون خلالها تحت رحمة امريكا.

والقصة التي تركت آثار عميقة في نفس لفتشنكو فهي قصة ريتشارد سورج الذي أقام في طوكيو كمراسل لجريدة المانية وبالحقيقة قام بتأسيس شبكة جاسوسية ضخمة لصالح المخابرات السوفييتية مؤلفة من جواسيس مقربين جداً من الحكومة اليابانية وقد أصبح أحد المقربيں من السفير الالماني في طوكيو وموضع ثقة القادة اليابانيين الذين كانوا يعتبرونه مبعوثاً نازياً غير رسمي وخلال صيف عام ١٩٤١ أجرى سورج محادثات مع المسؤولين اليابانيين الذين وقفوا بين اتجاهين وهم حائرين:

- إما توسيع امبراطوريتهم بالهجوم على الروس في سيبريا.
- وإما شن حرب ضد الامريكيين والانجليز في المحيط الهادي.

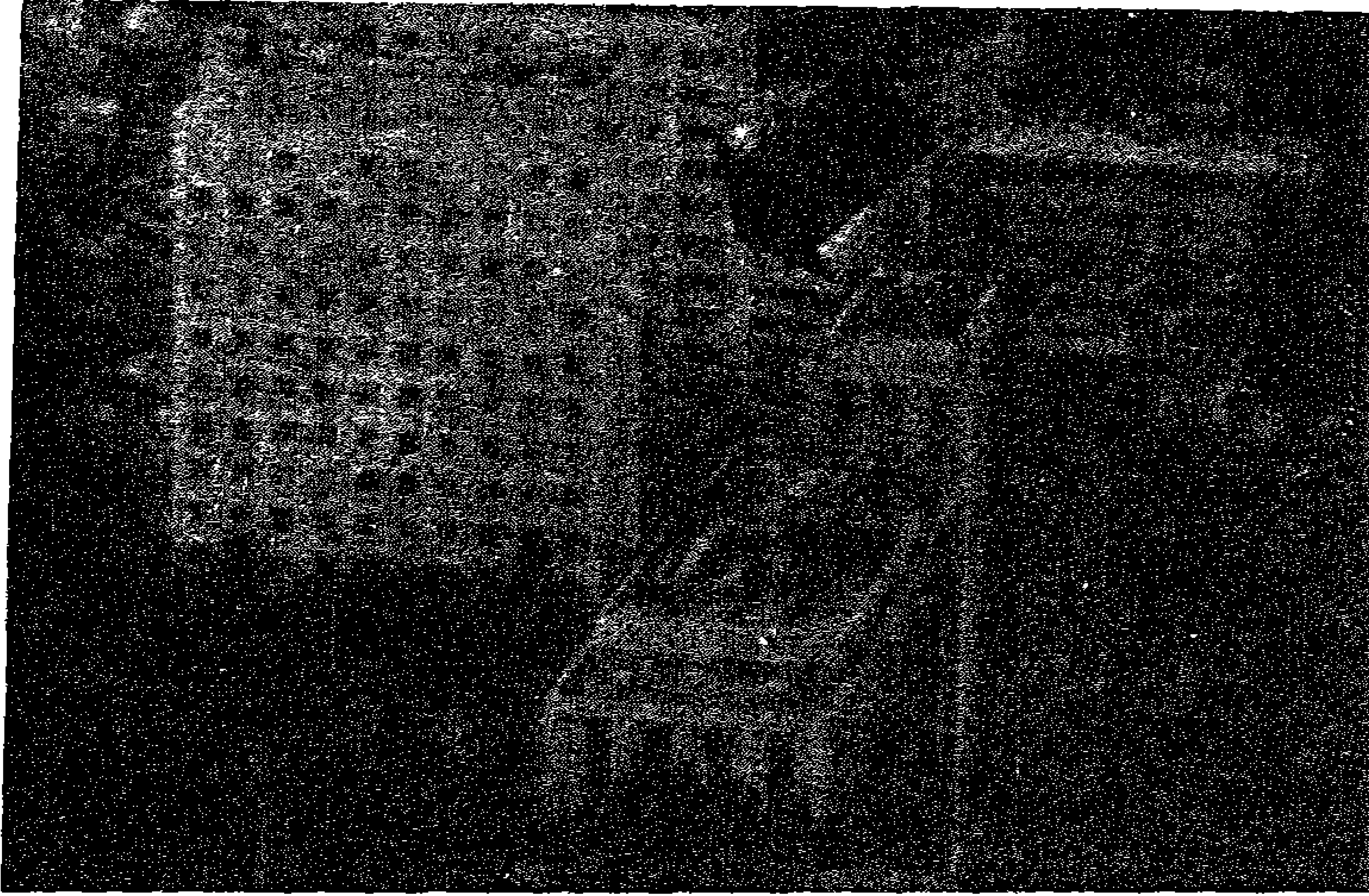
وأدرك سورج ورئيس أركان الحرب في القيادة السوفييتية وستالين نفسه ان مصير الاتحاد السوفييتي متوقف على اختيار اليابانيين لأن الاتحاد السوفيياتي لا يمكنه سحب قواته من الشرق الأقصى لكي يتصدى لتقدم القوات الالمانية نحوه

من الغرب، «إلاّ» إذا كان متأكداً من ان اليابان لا تعتزم مهاجمته وفي شهر آب (اغسطس) ١٩٤١ أرسل الجاسوس العالمي سورج رسالة بالشيفرة إلى المخابرات السوفييتية ـ موسكو ـ مفادها ان اليابان تنوي شن الحرب على الولايات المتحدة، وعلى الفور سحب الاتحاد السوفييتي قواته المكوّنة من (٥٠٠ ألف جندي) فتمكنت هذه القوات وفي آخر لحظة من التصدي لهجوم القوات الالمانية وهي على بعد بضعة كيلومترات فقط من موسكو وهكذا عمل الجاسوسية وهو نجاة موسكو من هجوم الماني ضخم بفضل جاسوس للمخابرات السوفييتية حكم عليه فيما بعد بالموت شنقاً في أحد السجون اليابانية ولم تستطع المخابرات السوفييتية حتى الاعتراف به (قصته الكاملة في الجزء الأول من هذه الموسوعة صفحة ٨٢).
وكما ذكر كانت أهم واجبات المخابرات السوفييتية هي اكتشاف وتجنيد عملاء جدد لها خاصة العملاء الذين يستطيعون التأثير على سلوكيات القادة أو على القرارات الوطنية التي يتخذونها وهم بالطبع عملاء أهمّ بكثير من غيرهم الذي يكتفون بسرقة الوثائق والأسرار الحربية والتكنولوجية. وكان (لفتشنكو) وقتئذٍ مقتنعاً تماماً بأن جميع أنواع الشر الموجود في العالم مصدره الأساسي الولايات المتحدة ومخابراتها وهو الشيء الذي يجعل من الحرب الدفاعية ضرورة بالنسبة للسوفييت وهكذا بدت له أنشطة المخابرات السوفييتية وكأنها معركة وطنية المقصود بها الدفاع عن الوطن.
وقبل تكليف لفتشنكو بمهمة المراسل الصحفي في طوكيو تم تكليفه بمهمة التغلغل في مناطق نفوذ المخابرات الامريكية لمحاولة شل تحركاتها وافشال خططها لذلك بدأ يتدرب في موسكو على عمليات التجسس وتتبع الأشخاص (المراقبة) والتهرب ممن يقتفون أثره وكيفية إبلاغ رسائل دون ان يلفت النظر إليه وفي نفس الوقت اكتشف ان المخابرات السوفييتية تستطيع إقصاء عملائها في أية لحظة لأي سبب أو حتى بدون سبب.

وأخيراً . . . سفر لفتشنكو إلى طوكيو:

شعر لفتشنكو وهو متجه إلى طوكيو انه متوجه إلى «حفرة للأفاعي» حيث توجب عليه ان يلتزم الحذر مع جميع الأفراد وان يزن كل كلمة قبل ان يتفوه بها.

وفي السفـارة الـروسية بطوكيو استقبله مدير قسم الأمن ومقـاومـة الجاسوسية في السفـارة الكـولونيل «برونيكوف» ثاني أهم شخصية من حيث التسلسل الوظيفي بالسفارة بعد السفير مباشرة والذي كان يتمتع بنفوذ خاص. ففي خلال عام واحد تمكن برونيكوف من تجنيد صحفي ياباني وكذلك الوزير الياباني السابق (هيروهيد إيشيد) وبعمله هذا لفت نظر الرؤساء بريجنيف وكوسيغين وأندروبوف خاصة وان الوزير هيرو كان وزير عمل وعضواً في البرلمان الياباني وحاصلاً على ثقة حزب



مقر السفارة السوفييتية في طوكيو. . .

الحكـومـة الحـاكم «الحـزب الليبـرالي الـديمقـراطي» ورئيس لجمعية الصداقة البـرلمـانية السوفييتية اليابانية. والأهم من ذلك في اختصاص برونيكوف هو انه مسؤول عن جمع المعلومات السياسية والاجراءات الفعالة في فرع مخابرات السفارة السـوفييتية في طوكيو وقد حاول الاقتصاد وجمع بعض ملايين الينات من ميزانية جمعية الصـداقة ومن المبالغ التي كان يدفعها من ميزانية مخابرات السفارة إلى الـوزير هيرو. وذلـك لشـراء سيارة ليموزين واهدائها باسم جمعية الصداقة إلى الرئيس بريجنيف بهدف التقرب منه.

أمـا بالنسبـة لبـرونيكـوف فقـد حصـل على جميع المعلومـات المتعلقـة بـ «لفتشنكو» بفضل مخبريه الخصوصيين. وقد لاحظ لفتشنكو بعد ابتداء دوامه في مكتبـه بالسفـارة ان هنـاك قسمـاً خاصـاً في السفـارة مهمتـه الحصول على كل

المعلومات الصناعية والعلمية التي تهدف إلى خدمة الشعب السوفييتي وكان عملاء هذا القسم من أشد العناصر كفاءة وفعالية فيما عدا نظراءهم بالسفارة السوفييتية في الولايات المتحدة أما القسم (K. R) الذي يرأسه برونيكوف فكان مكلفاً بالتغلغل داخل أجهزة الأمن اليابانية وكانت له شبكة من المخبرين يتحركون داخل السفارة وبين أعضائها ولهذا أصبح هذا القسم مكروهاً من طاقم السفارة وكان ضابط الأمن والمخابرات برونيكوف يقوم بادارة شبكة المخبرين والاجراءات المتخذة لحماية السفارة وكبار الشخصيات السوفييتية خلال زيارتها لليابان بالاضافة إلى ذلك يشرف على الجهـود المبذولة من أجل «استعادة» الفارين من السوفييت والاشراف على المحاضرات الاسبوعية التي تقام في المركز الثقافي السوفييتي لتوضيح المخاطر الامبريالية التي تهدد الأبرياء من السوفييت خارج نطاق السفارة.

وقـد كلفت السفـارة السـوفييتية في طوكيو مجمـوعة من أفرادها وجميعهم يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية بتقصي أخبار جميع الامريكيين المقيمين في اليابان سواء كانـوا دبلومـاسيين أم صحفيين أم رجـال أعمـال أو مدرسين وحتى الطلبة والعسكريين بصورة خاصة وأسرهم.

وقد ثبتت على جدار صالون السفارة الداخلي قائمة بأرقام السيارات التابعة لفرع مخابرات السفارة الامريكية في طوكيو وفي أسفل القائمة سجلت الملحوظة الآتية: «إذا لاحظتم إحدى هذه السيارات رجاء التبليغ عن المكان الذي شوهدت فيه».

وفي إحدى غرف السفارة عكف أحد الفنيين على مراقبة موجات إرسال راديو الشرطة اليابانية والتنصت على أجهزة مقاومة التجسس اليابانية ولهذا الفني مهمة حيوية أيضاً هي التأكد من أن أي عضو من أعضاء السفارة لم يكن خاضعاً لرقابة المخابرات اليابانية لدى مقابلته لأحد العملاء وإذا حدث ذلك فإن المراقب الفني يسرع بارسال اشارة متفق عليها على جهاز إنذار يحمله كل عضو في السفارة لتنبيهه إلى ضرورة التصرف وتأجيل موعده.

بالاضافة إلى ذلك كان الفني المهندس يقوم بادارة ومراقبة كاميرات تلفزيون السفارة التي تم اخفاؤها في الأماكن الآتية:

١ - كاميرا في مدخل السفارة.

٢ - كاميرا في غرفة حرس السفارة.

٣ - كاميرا في حديقة السفارة الأمامية رغم وجود السوس المرتفع والأسلاك الكهربائية.

٤ - كاميرا في الحديقة الخلفية للسفارة.

٥ - كاميرا خاصة بامكانها ملاحظة أي عنصر مخابرات ياباني أو أمريكي يقوم باقتفاء أثر أي من أعضاء السفارة وكان الفني يقوم بتصوير أي شخص من هذا النوع على الفور ولو كان على بعد مسافة ٥٠ متراً من محيط السفارة.

٦ - كاميرا وضعت فوق شبابيك الحمام التي يؤدي الدخول إليها من سقف السفارة بأي واسطة دخول «للمحترفين».

وأخيراً نذكر من الوسائل الأمنية المتخذة في السفارة السوفييتية كون جدرانها والأسقف والأرضيات مصممة بحيث تؤمن المبنى من مخاطر أجهزة تنصت ربما تكون مسلطة على السفارة وكانت السفارة مليئة بمعدات تم صنعها باليد في معامل المخابرات السوفييتية بهدف تحقيق مهمات خاصة كما زودت السفارة بـ «معمل كامل» لتحميض واظهار الصور مع وجود آلة حديثة لتصوير المستندات وقد خصص موظف خاص لتصوير التقارير التي يكتبها أعضاء السفارة نتيجة التقائهم بأحد العملاء وإرسال نسخة عنها إلى قيادة المخابرات في موسكو كما كان هذا الموظف يحتفظ بقائمة سجل عليها أماكن اللقاءات بين ضباط مخابرات السفارة مثل لفتشنكو وغيره وبين عملاء من اليابانيين.

الصندوق الحديدي السحري:

وقد حرص المسؤولون بالسفارة السوفييتية على عدم الاحتفاظ بسجلات لهم فكان كل ضابط أو مسؤول جديد بالسفارة يتسلم أجهزة سرية للغاية ودفاتر صفحاتها مرقمة ومسموح له ان يسجل بها أسماء حقيقية وأسماء رمزية وأرقام هواتف وأرقام سيارات وخططاً عاجلة وتفاصيل أخرى هامة وعندما كان يغادر مبنى السفارة كان يحتفظ بكل شيء في صندوق معدني ينقل بعد انتهاء الدوام إلى غرفة في الطابق الثامن مزوّدة بباب مصفح سمكه ١٥ سم ولا يفتح إلا من الداخل. وفي الغرفة حارس يتم تبديله بآخر حتى تتم حراسة الغرفة بصورة مستمرة. أما لفتشنكو فقد

زوده المسؤولون ببعض الجمل الرمزية التي علموه أن يستخدمها معهم في محادثاته التلفونية كما أرشدوه إلى ثلاثة مطاعم يمكنه تناول الطعام فيها وأكدوا عليه «عدم تناول الخمر» وأخيراً أفهموه أن عمل الجميع في السفارة دبلوماسيين ومخابرات وصحفيين هو العمل على الحاق الهزيمة بالامريكيين والصينيين وان السفارة في طوكيو «قلعة منيعة» وليس فيها سوى العمل ولا يمكن لضباط المُخابرات فيها ان يأملوا في الحصول على أية ترقية إلا إذا تفوقوا في تنفيذ مهامهم.

ابتداء لفتشنكو العمل التجسسي رسمياً:

في البداية حرص لفتشنكو على إيهام رئيس المخابرات السوفييتية في السفارة ولقبه كما ذكرنا (مدير قسم الأمن ومقاومة الجاسوسية) بأنه مجرد صحفي يحسن إداء عمله الصحفي ولذا فقد حرص على الاتصال بأهم الشخصيات السياسية والدبلوماسية والصحفية وتقدم حسب الأصول المتبعة بطلب إلى وزارة الاعلام اليابانية ـ قسم المراسلين الأجانب مع عدة صور شخصية له وقد أحيل طلبه هذا من وزارة الاعلام إلى البوليس السياسي الياباني ـ قسم الأعلام ـ وأعيد لهم مذيلاً بتوقيعهم تحت كلمتي (مع الموافقة) ومنح لفتشنكو بطاقة صحفي مراسل.
ثم اتجه نحو الجمعية الوطنية للصحافة فنجح في اكتساب صداقتها وبعد ذلك «بدأ» عمله التجسسي رسمياً فاتصل بما يقرب باثني عشر عميلاً كان زميله السابق قد بدأ يقيم اتصالات معهم وأولهم أحد قادة الحزب الاشتراكي الياباني وقد أطلقت عليه المخابرات السوفيياتية اسماً مستعاراً هو الملك (كنج) وبدأ يستعمل لفتشنكو الدوافع الأربعة التي درب عليها والتي يعتمد عليها أي ضابط مخابرات لدى تجنيد عملاء وأول هذه الدوافع:

- الاغراء بالمال.
- التمسك باديولوجية معينة يحبها العميل.
- توريط العميل بأي موضوع سياسي أو جنسي ثم تهديده لاخضاعه.
- اكتشاف أي نقطة ضعف قد تكون متمكنة منه مثل «حبّه للنساء» أو كونه «شاذ» أو ادمانه على الخمر ولعب القمار.

في بداية اتصالـه بـ «الكنـج» بدأ لفتشنكو يمتدح غروره وأوهمه أن قادة الكرملين يتحدثون عنه ويعتبرونه استاذاً حقيقياً في مادة السياسة ثم بدأ يقنعه بالحد من الاتصالات الهاتفية خوفاً من تجسس اجهزة مقاومة الجاسوسية السوفييتية في طوكيو (المخابرات اليابانية) واتفق معه على الاكتفاء بثلاث لقاءات في الاسبوع وقبل كنج وكانت هذه أول خطوة جذبته نحو الالتزام بالسرية في التصرفات ثم قدم له لفتشنكو مبلغ مليون «ين ياباني» كنوع من المساعدة لمشروع حدثه عنه كنج وهو يتعلق بتـأسيس «نشرة صحفية» مختصرة تتضمن تحليلات سياسية واضحة قادرة على توحيد صفوف الحزب الاشتراكي ثم أقنعه بالتوقيع على «إيصال» بالمبلغ حتى يبرهن لفتشنكو لرؤسائه بأنه «دفع» المليون ين للعميل ولم يقبضه لنفسه شخصياً وتكررت العملية وفي كل مرة يقوم الكنج بالتوقيع على إيصالات حتى أصبح ينفذ أوامر المخابرات السوفييتية حرفياً التي أصبحت تسيره حسب رغباتها فكانت تطلب منـه أحيانـاً التصـدي لتعيين أحد أعضاء الحزب الذي استمالته الصين لجانبها «بنفس الطريقة» كما عمل على نصرة ومساعدة مجموعة «مارس» المكلفة بفرض تفـوق المـاركسيون داخـل الحـزب الاشتراكي الياباني وقد كشفت معلوماته عن مختلف النـزاعات والاتجاهات والشخصيات القائمة داخل حزبه وكشف النقاب كذلك عن امكانيات تجنيد عناصر أخرى لخدمة المخابرات السوفييتية وقد أفادت معلومات كنج لدى مطابقتها حسب طريقة المخابرات البريطانية بمعلومات غيره من العملاء فتبيّن مدى دقتها وصحة معلومات الآخرين وهكذا كرّس كنج كعميل موثوق به يعمل لحساب المخابرات السوفييتية التي كانت تأمل في استمراره في منصبه السياسي فترة قد تبلغ العشرين عاماً حسب تقديرها يمكنه خلالها مساندة المصالح السوفييتية في البرلمان الياباني وداخل الحزب الاشتراكي الياباني طالما هو مستمر في خدمـة مصـالـح بلده اليابان وبالاضافة إلى ذلك كان نفوذه سيدعم من نفوذ «عمـلاء» ممـاثلين له في مواقف ممـاثلة وكـانت المخابرات السوفييتية تأمل في السيطرة على الحزب الاشتراكي الياباني من خلالهم فقد كان بامكان كنج تجنيد شبكة كاملة من العملاء الذين يتمتعون بمراكز ذات نفوذ حتى يمكنهم التأثير بصورة فعالة على هذا الحزب مهما كانت اتجاهات بقية الأعضاء، وفي فترة معينة من عمل لفتشنكو الكثيرة «تفوه» بأقوال تدل على كراهيته لـ «برونيكوف» الذي كان يرى فيه عنصراً يمثل خطورة على غيره من الزملاء وعلم برونيكوف بالأمر «ووصله الكلام»

فتوعد لفتشنكو. التحق بالسفارة السوفييتية خبير سوفييتي جديد متخصص في شؤون اليابان يدعى «رومان» فنشأت بينه وبين لفتشنكو صداقة أتاحت لـ «لفتشنكو» الفرصة لاكتشاف مدى احتقار «رومان» لوضعه كعضو في المخابرات السوفييتية وقد عرّف رومان لفتشنكو على المدعو توماس أبرز مراسلي جريدة «يوميوري» التي يباع منها ٧ ملايين نسخة وكان توماس كاتباً ناجحاً ومعلقاً سياسياً مرموقاً وصديقاً للعديد من الوزراء في اليابان وكان يعلم تماماً مَن مِن أعضاء الحكومة قابل للفساد والرشوة وقد أدرك لفتشنكو ان نفوذ توماس لا حدود له فقد كان بامكانه نشر المقالات التي يريدها بصحيفة يوميوري كما كان بامكانه منع نشر المقالات التي يرفضها كما كان بامكانه كشف النقاب عن الاتجاهات الحقيقية للقادة اليابانيين ومخاوفهم وطموحاتهم وبامكانه ايضاً التأثير على رئيس الوزراء أو وزير الخارجية أو أية شخصية ذات نفوذ وبالتالي التأثير على أي قرار وطني جوهري. وكان توماس ينتقد النظام السياسي الشيوعي والفلسفة الشيوعية وكان يقابل بعض الشخصيات السوفييتية بهدف البرهنة لهم على انه لا يخشاهم أما حياته الشخصية فلا غبار عليها. بدأ لفتشنكو بتذمر أمام توماس من الاضطهاد الذي يلاقيه المنشقون من المثقفين وشيئاً فشيئاً تمكن لفتشنكو من اكتشاف نقطة الضعف لدى توماس وهي «النقود» وغروره الشخصي فعرض لفتشنكو عليه كتابة مقالات تتعلق برأيه عن القادة اليابانيين في صحيفة «نوفوي فريميا» التي كانت «ستاراً» يختفي الرائد لفتشنكو وراءه ووافق توماس وبدأ يكتب مقالات لم تحظ بالاهتمام في البداية. ثم انغمس في اللعبة وبدأ يقوم بتوصيل معلومات قيّمة تتعلق باتفاقية قائمة بين اليابان والصين وأخذ توماس يتلقى ما يوازي (٥٠٠ دولار) شهرياً من أموال المخابرات السوفييتية وقد تمت دراسة عن توماس لديهم بأنه اذا «تعوّد» على انفاق هذا المبلغ فإنه لن يستطيع الاستغناء عنه لذلك أوهموه بأن المبلغ خفّض إلى (٣٠٠ دولار) وأخذوا يحتفظون له بالباقي لديهم. ثم امتحنه لفتشنكو حيث ترك أمامه بعض الوثائق فتأكد انه لم يفتحها ليعرف محتوياتها. وقد روى توماس لـ لفتشنكو تفاصيل فضيحة كانت على وشك الوقوع حيث كانت الحكومة الامريكية تعتزم كشف النقاب عن قيام شركة «لوكهيد» بدفع رشاوي لأعضاء في الحكومة اليابانية وأضاف قائلاً ان هذا التصرف من جانب اليابانيين أي قبضهم الرشاوي هو تصرف أحمق وان يهودي أمريكي يعمل في خدمة المخابرات اليابانية في واشنطون هو الذي توصل إلى هذه

المعلومات وكانت هذه فرصة ممتازة تتيح للسوفييت امكانية إحراز سبق حول كشف النقاب عن فساد الامبريالية الامريكية واليابانية. وبالفعل تحققت هذه الفضيحة بعد شهر واحد وترتب على ذلك ردود فعل خطيرة على الحزب الليبرالي الديمقراطي مما سميّ «فضيحة لوكهيد» التي طالت عدداً من المسؤولين والوزراء اليابانيين وعلى رأسهم رئيس الوزراء كيناوا في حينه. وفي هذه الأثناء وقعت حادثة خطيرة أخرى، ففي السادس من إيلول (سبتمبر) من عام ١٩٧٦ هرب الطيار الروسي «فكتور يلنكو» بطائرته الميغ (٢٥) إلى جزيرة هوكايدو اليابانية ونزل في مطار مدني وقدّم نفسه للسلطات اليابانية الواقعة حكماً تحت السلطة العسكرية الامريكية فاستنفرت السفارة السوفيياتية حالاً وأطلقت جميع منتسبيها للعمل فوراً وتقصي الأمور الآتية:

١ - ما هو سبب هروب الطيار الروسي.
٢ - ما هي المعلومات التي كشف النقاب عنها أمام السلطات اليابانية.
٣ - ما الذي اعتزمته السلطات اليابانية بخصوص الطائرة (الميغ ٢٥ السرية الجديدة).
٤ - معرفة هل أعدمَ الطيار الجهازين السريين الموجودين بالطائرة. فأحد هذين الجهازين مهمته التعرف على الصديق والعدو والثاني يحتوي على تدابير الكترونية عكسية.

وقد أبرقت السفارة على الفور إلى موسكو مؤكدة على وجود الجهازين سالمين في الطائرة (قام خبراء امريكيون فيما بعد بفحصها فحصاً دقيقاً). قامت المخابرات السوفييتية بنشر رسالة (مزورة) من زوجة الطيار الهارب تناشده فيها العودة إلى ضميره والتعبير عن ندمه والعودة إلى وطنه. دون فائدة لأن السلطات اليابانية الواقعة تحت تأثير الولايات المتحدة سمحت له بالسفر إلى الولايات المتحدة وتفاقمت الأمور بين المخابرات السوفييتية انطلاقاً من السفارة السوفييتية في طوكيو ووزارة الخارجية اليابانية من جانب والحكومتين السوفييتية والامريكية من جانب آخر وهنا تدخل الوزير هيروهيد إيشيدا «عميل موسكو» ورئيس لجنة الصداقة السوفييتية اليابانية «شخصياً» لدى رئيس الوزراء الياباني وبعض البرلمانيين مطالباً باعادة الطائرة السوفييتية دون فحص اجهزتها ولكن جناح الولايات المتحدة كسب التحدي ونتيجة لتفاقم الأمور فقد قررت السلطات اليابانية السماح للخبراء

الامريكيون بالانضمام إلى الخبراء اليابانيون في فحص الطائرة الميغ (٢٥). وقد أكدت الحكومة السوفييتية ان اليابان تبرهن على مدى ضعفها وخشيتها من غضب الولايات المتحدة. وقد صدرت الأوامر إلى أعضاء السفارة السوفييتية المندسين بين صفوف اليابانيين في طوكيو باللجوء إلى كل الوسائل الممكنة لافهام اليابانيين بان حكومتهم ترتكب خطأً فادحاً باثارتهم الفضيحة حول هذه الطائرة وهي جهاز دفاعي لدى الاتحاد السوفييتي وان اليابانيين يقرون بسماحهم للامريكيين بالاطلاع على تكنولوجيا الميغ (٢٥) المتقدمة إنما يقرون بضعفهم وخوفهم الشيء الذي سيؤدي إلى فقدانهم لصورتهم كدولة ذات نفوذ في العالم الآخر.

عودة إلى نشاط لفتشنكو:

بعد عدة أسابيع من حادث الطائرة قرر رئيس فرع مخابرات السفارة السوفييتية في طوكيو برونيكوف ان يتولى لفتشنكو «مهمة» عميل سابق يدعى أريس كان برونيكوف قد جنده قبل عشر سنوات وكان أريس قد أمد المخابرات السوفييتية في طوكيو بوثائق صادرة عن المخابرات اليابانية ـ جهاز مقاومة الجاسوسية ـ وهي وثائق خطيرة للغاية ونتيجة لظهور نتائج هذه الوثائق لدى المسؤولين اليابانيين تنبهوا إلى تسرب معلوماتهم من داخل المخابرات فقاموا بنقل ثلاثين شخصاً من الذين يعملون في جهاز مقاومة الجاسوسية ومنهم «أريس» عميل مخابرات السفارة السوفييتية الذي كان يتقاضى مبلغ ١٣٠٠ دولار شهرياً ولمدة عشر سنوات ومن المعروف ان أي وثيقة من الوثائق التي نقلها للسوفييت لو ضبطت مع أي سوفييتي لتم اعتقاله فوراً وأبعد لو كان دبلوماسياً وسجن وقضي على مستقبله نهائياً خاصة اذا كان مثل الرائد لفتشنكو الذي يعمل بصفة «صحفي» وبدون حماية دبلوماسية «الحصانة المعروفة».

وقد أعاد لفتشنكو الاتصال مع أريس من جديد وكان أريس رجلاً وسيماً أعزباً يهوى صحبة النساء المثقفات الراقيات اللواتي يتعرف عليهن بوزارة الخارجية أو بوزارة الدفاع. فبدأ لفتشنكو يمتدحه وأعاد له الراتب السابق ثم طلب منه إعداد «تقرير» نهائي يتعلق برد فعل الحكومة اليابانية حول مسألة الطائرة السوفييتية ميغ

(٢٥) وأمهله عشرة أيام وقد حصل لفتشنكو على تقرير مؤلف من ست صفحات تحوي جميع ما جرى حول قضية الطائرة فأعطاه ألف دولار بصفة خاصة ومن أموال المخابرات السوفيياتية طبعاً فكان لهذا المبلغ أطيب الأثر لدى أريس لذلك قام بعد ثلاثـة أسـابيع بتسليم لفتشنكو ما يقرب من ٣٠ وثيقة تبيّن ان إحداها لها أهمية قصوى أذهلت المخابرات السوفييتية لأنها كانت تحتوي بدقة على تحركات أحد أهم عملاء المخابرات السوفييتية في طوكيو خلال اسبوع ومعنى هذا ان المخابرات اليابانية أيضاً تقوم بعملها الروتيني في مراقبة العملاء في طوكيو وغيرها. أما على صعيد المخابرات السوفييتية في السفارة فقد امكن إنقاذ شبكة تجسس سوفيياتية مقامة في طوكيو في آخر لحظة. وبالاضافة إلى هذه الوثيقة اكتشفت وثيقة ثانية لا تقل أهمية عن الأولى وتتضمن تقريراً احصائياً عن عدد وجنسية وعنوان الأجانب المقيمين باليابان. وبعد شهر-آخر سلم أريس إلى لفتشنكو وثيقة عبارة عن قائمة جديدة بأسمـاء ضبـاط مقر السفارة السوفييتية الذين «تعرفت» عليهم المخابرات اليابـانية «جهـاز مكـافحـة التجسس الياباني» كأعضاء عاملين بفرع المخابرات السوفييتي بالسفارة وخلال الأشهر التالية سلم أريس للمخابرات السوفييتية آلاف صفحـات الـوثائق وبالمقابل كان يحصل على آلاف الدولارات شهرياً وبأوقات متفاوتة وقد سأل لفتشنكو أريس ذات مرة عن مصدر وثائقه الغزير فأجابه انه شخصية تتمتـع بنفوذ خاص وان مصدره مرشح للترقي إلى مناصب رفيعة في المخابرات اليابانية وان بامكانه تقديم خدمات جليلة للمخابرات السوفييتية ولم يبح له باسمه غير ان لفتشنكو اراد التأكد من عدم ازدواجية الخدمات التي يقدمها أريس له والتأكد أيضاً من ان اليابانيّين لم يستخدموا أريس بالمقابل (أي ان يجعلوه عميل مزدوج) ويقدموا له وثائق تدل على مصداقية مصادرها حتى يتمكنوا في حال نشوء أزمة بين البلدين من تقديم وثيقة مزوّرة للمخابرات السوفييتية وبالتالي تقود هذه الوثيقة إلى كارثة بالاضافة إلى ذلك أدرك لفتشنكو مدى تعرض أريس للخطر إذا استمر في رفضه لكشف النقاب عن مصدره وهذا الخطر ليس من قبل اليابانيين بل من قبلهم حيث سيجـزمون بان مصادره مشبوهة أو سيتهم بكونه عميل مزدوج ولديهم الف طريقة لتصفيته عند ذلك خضع أريس وكشف اسم مصدره للمعلومات والوثائق وهو الكولونيل ياما هوكا من المخابرات اليابانية وهو في الاربعينات من العمر ويحتل منصباً مرموقاً في المخابرات اليابانية وهو مواطن ياباني مخلص وغير مجند للشيوعية

ولا توجـد لديه اهتمـامات سياسية وغير منحاز للحزب الديمقراطي الليبرالي ولا للحزب الاشتراكي وكانت (نقطة ضعفه) الوحيدة التي أوصلته إلى العمالة وخيانة وطنـه هي حبـه وشغفه بالنساء اللواتي أصبحن يحمّن حواليه لالتقاط الدولارات الامريكية من المخابرات السوفييتية وكان يصرخ لأريس كلما سلمه كمية من الوثائق بأنه سعيد للمبالغ التي يغدقها عليه وان صداقته له هي التي تدعوه لتلبية طلباته.
وامعاناً في التأكد من نوعية الوثائق التي بامكان أريس جعل الكولونيل يجلبها له طلب لفتشنكو منه ان يجلب له وثائق لا يمكنه منطقياً التوصل اليها واستحالة توصل مصدره إلى الحصول على هذه الوثائق وهكذا رفض أريس لأول مرّة طلباً للمخابرات السـوفييتية بينمـا تأكد لفتشنكو ومن وراءه مخابرات السفارة ككل ان المخابرات اليابـانية لا تستخدم مصدر أريس للايقاع بهم عن طريق امداده بوثائق لا يمكنه الحصـول عليهـا إلا عن طريق نفس المخـابرات اليابانية وتبقى المخابرات في أعمالها وروتينها كما هي في جميع أصقاع العالم لجهة إيقاع العملاء وصيدهم فقد

كشف عميل سوفييتي عمل لصالح المخابرات الالمانية الغربية

● حكمت محكمة سوفييتية على المواطن السوفييتي إيليا سوسلوف بالسجن ١٥ عامـاً مع مصادرة جميع أملاكه وذلك لثبوت تجسسه لصالح المخـابـرات الالمـانية الغـربية والمخـابـرات الاسرائيلية حيث ان عميل المخابرات الالمانية الغربية كان يعمل في موسكو مراسلاً تمكن من تجنيد سوسلوف من عام ١٩٨٣ وأيضاً فقدت أشرطة سينمائية هامة تتعلق بأسرار الدولة صورت فيها عمليات اطلاق سفن فضائية سوفييتة من القسم الذي كان يعمل به وتبين بعدئذٍ ان هذا الفقدان تزامن مع هجرة أحد أقرباءه إلى اسرائيل وان الأشرطة وصلت للمخابرات الاسرائيلية وقد سرح سوسلوف من التلفزيون وعمل في وكالة نوفوستي للأنباء قسم العلوم والتكنيك وعاد إلى تزويد عميل المخـابرات الالمانية الغربية المدعو باول أرسينيه بمعلومات سرية عن المواصفات التكنيكية لسفن الفضاء السوفييتية ومواعيد إطلاقها وغير ذلك من المعلومات الهامة التي تعتبر من أسرار الدولة السوفييتية.

تمكن لفتشنكو من تصوير الكولونيل ياماهوكا الذي كان يمدّ أريس بالوثائق خلال مقابلة له مع أريس في إحدى الحانات أثناء تسليمه الوثائق واستلامه النقود وهكذا نجحت المخابرات السوفييتية في «تصوير» أحد أهم عملائها في اليابان دون ان يدري هو نفسه بالأمر. ومن ضمن الوثائق التي قدمها أريس إلى الكولونيل «تفاصيل» اجتماع سري للغاية لرؤساء المخابرات اليابانية نوقشت خلاله مجموعة من أهم العمليات المعادية للكتلة السوفييتية وقد تم تسجيل هذه العمليات في عشرة تقارير منفصلة.

أول علاقات سوء التفاهم مع لفتشنكو:

بعد هذا السيل من الوثائق والمعلومات الهامة التي وصلت إلى فرع مخابرات السفارة السوفييتية في طوكيو بواسطة الرائد (الصحفي) لفتشنكو وبدلاً من ان يكافأ عن نشاطه وجهوده التي بذلها مع أريس نقلت مسؤولية متابعة الاتصال مع المذكور ومتابعة العملية إلى إدارة مخابرات السفارة ومرة أخرى «شعر» لفتشنكو بالمرارة والظلم وعدم تقدير رؤسائه للجهود المخلصة التي بذلها في خدمة المخابرات السوفييتية.

تابع لفتشنكو عمله العادي بالظاهر صحفي والحقيقي ضابط مخابرات وكان عمله بدون الاتصال بأريس بل بغيره من العملاء ومن العملاء الذين نجح لفتشنكو في تجنيدهم المدعو «تاكوجي ياماني» واسمه الحركي لديهم «كانت» الذي كان يعمل محرراً في الصحيفة اليابانية المحافظة (سانكاي) ومستشاراً شخصياً لرئيس تحريرها ثم تم تعيينه رئيساً لتحرير الصحيفة وكان يخفي اتجاهاته الماركسية وميله للاتحاد السوفييتي وراء قناع من الحماس الوطني المعادي للاتحاد السوفييتي وللصين ومع ذلك فإن المخابرات اليابانية ما لبثت ان فاجأته يوماً وهو يلتقي بمراسل صحيفة سوفييتية وهو ضابط مخابرات سوفييتي ايضاً «مثل» لفتشنكو ولكنه أجابهم انه يجهل كل شيء عن المراسل كما اعتذر عن التعاون معهم وانه ليس لديه أية امكانية لمساهمته في عمليات تجسس لكونه رئيس تحرير صحيفة كبرى. ثم بدأ لفتشنكو يتقرب من كانت ويقدم له المال ليدعم مركزه الجديد كرئيس تحرير ثم كلفه بأول مهمة فقد طالبه بكل المعلومات المتوفرة حول المواقف التي سيتبناها

المسؤولـون اليابـانيون خلال المنـاقشـات التي كانت على وشك ان تجري في واشنطون بين الرئيس جيمي كارتر ورئيس الوزراء الياباني «فوكودا». وقد قابل كانت لفتشنكو بعد أيام وسلمه المخطط السري لمواقف رئيس الوزراء فوكودا في محادثاته المقبلة مع كارتر وقام بتسليمها لرئيسه في السفارة لارسالها على عجل ولكنه فوجيء بأن نفس هذه الوثيقة قد وصلت إلى أيدي المسؤولين في السفارة وانهم أرسلوها إلى موسكو وذلك عن طريق عميل آخر وبالطبع فإن مخابرات السفارة قامت بمكافأة هذا العميل أما لفتشنكو فلم يكافأ بشيء «سوى» حصوله لـ كانت على (١٥٠ ألف ين يابـاني) وبالطبع كان برونيكوف «عدو» لفتشنكو هو السبب في ضياع مكافأة لفتشنكو وعندما كان الرئيس بريجنيف يلقي خطاباً في الكرملين يتضمن تلميحاً عن محـادثـات كارتر فوكودا كان رؤساء لفتشنكو يطالبونه باعداد تقرير عن ردود فعل الصحفيين اليابانيين على هذا الخطاب وقام بالفعل باعداد تقرير بسيط امتدح فيه بريجنيف وتم إرساله للكرملين ليثبت مسؤولو المخابرات في السفارة أن بريجنيف هو الأفضـل وان المخـابـرات السـوفييتية تقـوم بواجبها. ومن جهة ثانية أهملت المخـابـرات السـوفييتية أيضاً كل المعلومات التي توصل اليها من مصادر يابانية والمتعلقة بالارهاب الدولي وقد ظهر له ان غالبية المخابرات في السفارة في طوكيو لا يؤمنون بالخير والشر ولا يحركهم سوى سلامتهم الشخصية وحماية مصالحهم الخاصة وقد زار أحد المسؤولين في وزارة الخارجية السوفييتية السفارة في طوكيو والقى كلمة في جميع العاملين بها من دبلوماسيين ومخابرات مفادها ان الاتحاد السـوفييتي قد أحرز اكبر انتصاراته منذ الحرب العالمية الثانية باتمامه لاتفاقيات هلسنكي التي وقعت عليها الدول الأعضاء في حلف الأطلسي بما فيها الولايات المتحدة وقد اعتقدت الدول الغربية بذلك ان بامكانها ممارسة حرية تبادل الوسائل الاعلامية بينها وبين الاتحاد السوفييتي بما في ذلك السفر وحرية الحركة والهجرة وممارسة حقوق الانسان غير ان ما كانت تجهله هذه الدول هو ان الكتب والمجلات والصحف الغربية لا تباع إلا في الفنادق المخصصة للأجانب بالاتحاد السوفييتي هذا في الوقت الذي تقوم فيه المنظمات السوفييتية باجتذاب عطف الرأي العام الغـربي عليها وباثارة سخطه تجاه الولايات المتحدة بعد شرح أعمال مخابراتها التخريبية وهكذا تكون اتفاقية هلسنكي قد وفرت للاتحاد السوفييتي فرصاً لا تعوض لاضعـاف أعـدائـه الغـربيين وكـان لفتشنكـو بين الحـاضـرين المستمعين لهذه

.المحـاضـرة وهو متعجباً من صراحة المحاضر وكانت حالته المعنوية قد ازدادت انهياراً وانعكست شيئاً فشيئاً على مزاجه في شكل خلافات بدأت تزداد عمقاً إلى درجـة تفـاقم الأمور وهو يعرف تماماً ان المخابرات السوفييتية تستطيع وبمنتهى السهولة وبدون سابق انذار إبعاد أي عضو من أعضائها العاملين أو تحجيمهم أو نقلهم إلى منصب مغمـور وحتى تحـديد اقـامتهم في البلد كما كان بامكان أي مسؤول جديد استبدال عناصر مكتبه بآخرين يدينون «له» بالولاء دون ان يستطيع احد محاسبته على ذلك وكان آخر ما يخشاه لفتشنكو هو المؤامرات التي يحيكها ضده عدوه برونيكوف. وقد وجد ان راتب أي ضابط بالمخابرات السوفييتية يعمل في الخارج يزيد ١٠٪ لدى كل ترقية تصبح ١٥٪ بعد خمس سنوات و٢٠٪ بعد عشر سنوات و٤٠٪ اذا كان الضابط يتقن لغتين اجنبيتين أو لغة شرقية. وبالاضافة إلى كل ذلك فان كل ضابط ينقل للعمل في المخابرات السوفييتية يتسلم ٥٠٪ من مرتبه إضافة إلى الراتب عندما يعمل في الخارج أما الضباط الذين يمارسون عمل الصحـافـة كتغـطية لنشـاطاتهم في الخارج فانهم يتسلمون اجوراً اضافية مغرية بالعملة السوفييتية على كل مقالة يقومون بكتابتها. واذا عدنا إلى الرائد لفتشنكو موضوع هذا الفصل عن المخابرات السوفييتية فبالرغم من الميزات المادية العديدة التي كان يتمتع بها فقد نشأت في ذهنه فكرة الانشقاق عن المخابرات التي تعتبر رمز الدولة السوفييتية غير انه كان رافضاً لمبدأ خيانة بلده ورفقائه من الضباط ولكنه يعود إلى خوفه من أي مؤامرة تحاك ضده ويبدأ يتعرض لأزمات قلبية وصمم في قرارة نفسه على الفرار غير انه حرص على التقيد بسلوك الضابط المتحمس والمتفاني في إداء وظيفته خاصة تكليفه بمهمة سرية هي اتصاله بأحد موظفي وزارة الخارجية اليابانية ويدعى «نازار» وهذا الموظف كان من السهل عليه التوصل إلى قسم معيّن بوزارة الخارجية ويمكنه تصوير عشرات بل مئات من الرسائل الواردة من السفارات اليابانية بكافة انحاء العالم اسبوعياً والتي تنقل الاحاديث المتبادلة بين المسؤولين في هذه السفـارات والمسؤولين في طوكيو وبـالاضـافـة إلى ذلك تنقل تحركات اليابانيين المقيمين في موسكو والشيفرة التي يستخدمها اليابانيون وقد اطلع بحكم عمله على الطريقة والاسلوب الذي تلجأ اليه المخابرات السوفييتية عادة لاجتذاب اليابانيين وهذا مثال على ذلك: هاسلوف أحد عملاء المخابرات السوفييتية وكان متخصصاً في التاريخ الصيني والحضارة الصينية وكان بنفس الوقت يعادي الشيوعية

بسبب جهودها كما يقول في محاولة القضاء على التاريخ والحضارة الصينية ومع هذا كان يمدّ المخابرات السوفييتية بمعلومات تساعدهم على الحاق الضرر بنظام الحكم الصيني وقد أصبح هاسلوف فيما بعد أحد المحللين بمكتب البحوث الملحق بمجلس الوزراء الياباني وبالتالي كان بامكانه التوصل إلى معلومات في غاية الأهمية وإلى وثائق سياسية خطيرة تكشف النقاب عن المواقف الحقيقية للمفاوضات اليابانية تجاه غيرها من الدول خاصة الاتحاد السوفييتي.

وإذا عدنا إلى تاريخ التاسع من شباط (فبراير) عام ١٩٧١ نجد ان جرس الهاتف يرن في منزل لفتشنكو وقد دعي للحضور إلى السفارة فوراً وهناك وجد أحد عملائه ويدعى كاموسي بانتظاره وقد سلمه بالذات وثيقة سرية تحتوي على معلومات تمت سرقتها من كوريا الجنوبية وتكشف النقاب عن اعتزام الجيوش الصينية مهاجمة فيتنام في منتصف شهر شباط (فبراير) ١٩٧٩ على ثلاث جبهات وقد جاء في هذه الوثيقة شرح مفصل لأهمية القوات الصينية وأهدافها التكتيكية. طلب لفتشنكو من كاموسي انتظاره في صالون السفارة الخاص وعقد اجتماعاً مع رئيسه والسفير السوفييتي استقر رأيهم على إرسال هذه الوثيقة إلى موسكو فوراً مع ملاحظة: عدم تأكدهم من صحة هذه المعلومات رغم ان المعلومات كانت صحيحة ١٠٠٪ حيث هجمت القوات الصينية على فيتنام في السابع عشر من شباط (فبراير) وقد تمت ترقية لفتشنكو إلى رتبة «مقدم» قبل أوانه وذلك مكافأة له على جهوده بهذا الصدد.

(مهمة جديدة):

طلبت المخابرات السوفييتية في السفارة من لفتشنكو إعادة الاتصال مع الصحفي الياباني «أكيرا ياماذا» واسمه الحركي «فاسين» الذي وصف بأنه شيوعي قديم وأرثوذكسي ويقوم باصدار نشرة صحفية خاصة تتناول مواضيع السياسة الخارجية وكان يتمتع باتصالات ممتازة في وزارة الخارجية اليابانية ومن ضمن الصحفيين الامريكيين والصينيين ورجال الاعمال اليابانيين الذين يقيمون علاقات تجارية وثقافية مع الصين وبالاضافة إلى ذلك كان فاسين بحكم كونه عضواً سابقاً

في الحزب الشيوعي ذا خبرة بالتحركات السياسية وكان يخفي اسمه الحقيقي على معظم من يعرفونه مستخدماً اسمه الصحفي «أكيرا يامادا» بعد عدة لقاءات امتدحه لفتشنكو قائلاً: «أنت متخصص بارع في أمور السياسة الخارجية وما أشد اعجابي بك.» ثم طالبه بكتابة تحليلات دورية تتعلق بمختلف جوانب السياسة اليابانية ليقوم بنشرها في جريدته السوفييتية وقد وعده فاسين بأن يوضح له تطور الحزب الليبرالي الديمقراطي وعلاقات اليابان بالصين والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبالرغم من حرص فاسين على عدم الافصاح عن مصادره فقد أدرك لفتشنكو إنها مصادر شيوعية سرية نجحت في التغلغل إلى أعلى المناصب بالحكومة وقدم له طلبه بعد أيام فعاد ليفتشنكو وطلب منه تقريراً عن خطط تدعيم قوات الدفاع الذاتية اليابانية وبعد اسبوعين سلمه فاسين شريط كاسيت يحتوي على المعلومات المطلوبة وأيضاً طلب لفتشنكو من عميله قائمة سرية للغاية تحتوي على أرقام هواتف وزارة الخارجية وقد حصل عليها بعد أسبوع واحد. الشيء الذي أكد للفتشنكو ان فاسين يستعين بمصدر من وزارة الخارجية اليابانية وخلال ربيع عام ١٩٧٩ تزايدت المعلومات التي قدمها فاسين لـ لفتشنكو من حيث الكمية والجودة وهكذا اكتشفت المخابرات السوفييتية بان قسماً من اتحاد المنظمات الاقتصادية اليابانية كان قد أوصى الحكومة اليابانية بالبدء في تصنيع وبيع ذخيرة وأسلحة خفيفة إلى دول آسيا في أواخر الثمانينات ثم الاتجاه بالصناعة اليابانية نحو إعادة التسليح وإن هذا الانتاج من الأسلحة الخفيفة سيعقبه انتاج آخر من الأسلحة الثقيلة في التسعينات وقد تسلم لفتشنكو شريطاً آخر يفيد بأن الولايات المتحدة قد حشدت نخبة من قواتها الهجومية في أوكيناوا وكذلك حشدت فرق قتال فوق سفن كانت تتحرك في المحيط الهادي ثم تسلم لفتشنكو شريط كاسيت آخر جاء فيه ان الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا وفرنسا تحاول إقامة حكومة كمبودية جديدة يتزعمها الأمير نوردوم سيهانوك وكان الامريكيون يعتبرون ان مثل هذه الحكومة هو البديل الوحيد لسيطرة الخمير الحمر بقيادة بول برت أو بقيادة نظام حكم الفيتناميين. وبالرغم من قيام الصين بحماية سيهانوك منذ لجوؤه إلى بكين لدى الاطاحة بحكمه عام ١٩٧٠ إلا انها كانت ترفض الاشتراك في مثل هذه المغامرة لاعتقادها بانها أقوى قوة تتصدى للفيتناميين الذين كانوا يعتبرونهم أصدقاء للروس وكان سيهانوك الذي وهب نفسه وشعبيته للخمير الحمر قبل استيلائهم على الحكم

قد قرر تسليم مصيره إلى أيدي المسؤولين الامريكيين على أمل انقاذ ما تبقى من شعبه: الشعب الكمبودي بعد المذبحة الطويلة التي تعرض لها. ثم طلب لفتشنكو من فاسين معلومات تخص الصين فسلمه هذا الأخير وثيقة من مائة صفحة تذكر بدقـة التقسيم العام لقوات الجيش الصيني من حيث أهمية هذه القوات وترتيب الوحدات الرئيسية والأسلحة المتوفرة لديها وتقييم صريح لمدى كفاءة هذه القوات ولضباطها في معاركهم ضد الفيتناميين.

وإذا عدنا لمتابعة البحث عن المقدم لفتشنكو لوجدناه قد بدأ العد العكسي لعملية هروبه من عمله أولاً كضابط مخابرات وثانياً لجهة ترتيب هروبه إلى الغرب بعـد ان تصـاعد نجاحه في عمله كان .هناك تصاعد متواز في تحرره من العقيدة الشيوعية وخوفه وتحفظه من الـ كي. جي. بي وكان عليه ان يعود إلى موسكو بعد هذه السنوات التي قضاها في اليابان وهنا بدأ التفكير هل ان رؤساءه يعلموا ما في ضميره وهل ان رئيسه برونيكوف قد كتب لهم عن سوء التفاهم الذي حصل معه ومعني ذلـك انـه اذا سافـر إلى موسكـو فإنـه سيذهب للتحقيق حيث لا يتصور المسؤولـون السـوفييت ان يكـره ضابط من المخابرات السوفييتية عمله في هذه المخابرات وهكذا فان قراره اللجوء إلى الولايات المتحدة وكان القرار ليس هيناً سهلاً إذ كان عليه ان يتأكد بالفعل من مشاعر الكره وفي نفس الوقت إدراك تعرضه لانتقام المخابرات السوفييتية بمختلف الطرق. فيما بعد قال لفتشنكو انه عندما صمم على الهروب إلى الولايات المتحدة لم يكن يعرف أي امريكي في طوكيو بصورة كافية كما انه لم يكن يريد الذهاب إلى السفارة الامريكية في طوكيو لأنها تخضع لحراسة مشـددة من البـوليس السياسي الياباني ولذلك قرر الاتصال بأي من العسكريين الامريكيين في اليابان.

وبالفعل توجه إلى أحد البارات التي يتردد عليها الضباط الامريكيون واتصل بأحد ضباط البحرية الامريكية شارحاً رغبته مع بطاقة هويته كدليل على «صدق نيتـه» وتوجه الضابط الامريكي بسرعة إلى السفارة الامريكية وبعد أربع ساعات اجتمع مع لفتشنكو وأبلغه موافقته وترحيب حكومة الولايات المتحدة بقبوله لاجئاً سياسياً لديهـا فوراً وفي الحـال توجـه مع الضـابط الامـريكي إلى مبنى السفارة الامريكية في طوكيو ومعه فقط «شنطة يد دبلوماسية» فيها الكثير من الوثائق الثمينة وقد استقبله السفير الامريكي هيرمان بالذات وأمر بالبحث عن رحلة متوفرة على أي

طائرة تكون متوجهة إلى الولايات المتحدة ووجدت الطائرة التابعة للخطوط الجوية الامريكية «بان امريكان» المتجهة إلى لوس انجلوس في الرحلة رقم (725) فتقرر ان يسافر على هذه الطائرة مصحوباً بحرس خاص وهو ضابط يماثله بالرتبة من المخابرات الامريكية.

نتيجة الهروب من المخابرات السوفييتية:

ما ان تأكدت المخابرات السوفييتية في السفارة السوفييتية في طوكيو من هروب المقدم لفتشنكو حتى تم الاتصال مع موسكو فوراً وأعلمت قيادة المخابرات السوفييتية بالشيفرة ثم أرسل الملف الكامل عن أعماله خلال مدة إقامته في طوكيو بالبريد الدبلوماسي فقامت المخابرات السوفييتية فوراً بالقاء القبض على زوجته ومعها ابنه وصادرت محتويات منزله من الكتب والمطبوعات والمراسلات وجميع أوراقه ثم جرى التحقيق مع زوجته فتبين انه لا علم لها بأعمال زوجها في الجاسوسية والعمالة فأطلق سراحها وأعيدت إلى منزلها مع ابنها دون ان تأخذها المخابرات السوفييتية بخيانة زوجها بل وصرفت لها معاشاً جيداً تتمكن فيه من متابعة تربية ولدها ولكن جرى التنبيه عليها ان جميع هذه التساهلات بما ذلك الراتب ستمنع عنها وستعامل معاملة الشريك لزوجها في «الخيانة» إذا اتصل بها زوجها بأي طريقة ولم تبلغهم بذلك وبالمقابل صرح زوجها الهارب لفتشنكو بأنه لم يعط المخابرات المركزية الامريكية كل ما يعرفه من معلومات عن نشاط المخابرات السوفييتية في اليابان على أمل ان تسمح السلطات السوفييتية لزوجته وولده بالالتحاق به لكن العرف السائد في مثل هذه الحالات ان السلطات السوفييتية وغير السوفييتية لا تسمح لعائلات الهاربين وخاصة إذا كانوا من منتسبي المخابرات بالالتحاق بهم مهما كانت الظروف وذلك كعقاب لهم وان بعض الذين يفرون من دولهم في مثل هذه الحالات يقومون بتأمين سحب أو نقل عائلاتهم إلى الطرف الآخر تأميناً لهم.

النهاية. بتاريخ العاشر من شهر آب (اغسطس) من عام **١٩٨١** اجتمعت المحكمة العسكرية العليا في موسكو وأدانت المقدم ستانسلاف لفتشنكو بارتكابه

«الخيانة العظمى» بحق وطنه وحكمت عليه بالاعدام رمياً بالرصاص.

وهكذا انتهت قصة الضابط لفتشنكو من المخابرات السوفييتية كي. جي. بي الذي حكم عليه بالاعدام نتيجة هروبه إلى الغرب وكان فيها الكثير من العبر لرجال المخابرات والأمن في جميع دول العالم.

شبكة تجسس سوفييتية في قبرص:

إذا كان الموضوع عن شبكة تجسس سوفييتية أو مركز تجسس سوفييتي في قبرص فإن البداية هي عن استمرار المخابرات البريطانية منذ اكثر من أربعماية عام بالتجسس على أغلب دول العالم وخاصة دول العالم العربي وذلك نظراً لوجود القواعد البريطانية في قبرص وفيها قسم التنصت والتجسس المقام فيها وهذا القسم مختص برصد الاتصالات والتحركات في الوطن العربي.

وفي لندن قدم سبعة من البريطانيين العاملين في القوات البريطانية في قبرص إلى المحاكمة وهؤلاء البريطانيون «عملوا» في قسم التنصت والتجسس البريطاني المقام في قبرص منذ سنوات وقدموا لمحكمة الجنايات التي لها صلاحية الحكم بقضايا التجسس بجرم التجسس الذي ارتكبوه اثناء عملهم على مدار عامين من شباط (فبراير) ١٩٨٢ إلى شباط (فبراير) ١٩٨٤ ففي شباط (فبراير) ١٩٨٢ دعي البريطاني تومبسون وارد لحضور حفلاً خاصاً سقي فيه مخدرات جردّته من إرادته حيث تم تصويره من قبل عميل مخابرات أجنبي في حالة بغاء وشذوذ جنسي وبعد ذلك جرى تهديده بكشف أمره إذا لم يقدم بانتظام معلومات «سرية» من موقعه في العمل فقام بتسليم العميل الكثير من الوثائق تحت التهديد أولاً وتحت الاغراء ثانياً حيث كان العميل يدفع له عن كل وثيقة بريطانية رسمية يحضرها له مبلغ خمسين جنيهاً استرلينياً ثم طلب من تومبسون استقطاب رفاقه البريطانيين المنغمسين معه في عمليات الشذوذ ففعل ما طلب واستقطب المزيد من رفاقه الذين تم تصويرهم أيضاً وابتزازهم وارغامهم على التجسس. وبلغ عدد الوثائق المئات منها السرية ومنها السرية جداً وتسلم الجواسيس بدل هذه الخدمة النقود والمخدرات والمزيد من حفلات الشذوذ بدون سبب ايديولوجي أو سياسي.

واعترف المتهمون السبعة بان العملاء الأجانب الذين ورطوهم بالتجسس كانوا ثلاثة تم وصفهم كالتالي:

- الأول عربي واسمه «يونس».
- الثاني روسي ضابط في المخابرات السوفييتية واسمه اليكسي.
- الثالث قبرصي واسمه «بابا أرتينا».

كما اعترف تومبسون بأنه حضر إلى قبرص في عام ١٩٧٩ منقولاً إلى قسم التنصت والتجسس في القاعدة البريطانية وانه التقى في شباط (فبراير) ١٩٨٢ بشخص عربي يعمل تاجر خضروات وفواكه يدعى يونس في ناد ليلي بلارنكا وبعد الشرب سَوياً سكر تومبسون للثمالة وعلى الطريقة البريطانية فذهب مع يونس إلى منزله حيث اعطي مخدرات وكحوليات ذهبت بالبقية الباقية من عقله ولم يشعر إلا وقد تمت العملية معه كما يتم الأمر بينه وبين صديقه «كريستوفر» الذي يقيم معه علاقات شاذة وبطبيعة الحال جرى تصويره بمختلف أنواع التصوير. فيديو، سينما ١٦ مم، تصوير ملون، عادي وفي اليوم التالي أخبر يونس تومبسون بأن لديه اثباتاً لما حصل تصويراً وشهوداً وان عليه احضار تفاصيل عن عمله وإلا فانه سيطلع المسؤولين عنه على تفاصيل ما حصل؟ وخاف تومبسون ان يطرد من الخدمة في القوات البريطانية وبدأ يسرّب المعلومات السرية إلى يونس في منزله أو في النادي الليلي في لارنكا. عمل تومبسون شهرين لوحده حتى طلب منه يونس إحضار زملائه واحداً بعد الأخر لجرّهم «مثلما جرى معه» إلى حفلات شاذة ثم تصويرهم وابتزازهم وتوريطهم للعمل في التجسس حتى وصل «عدد» البريطانيين الذين قبلوا بالممارسات الشاذة ثم قبول التجسس والخيانة إلى سبعة وان أحدهم متزوج وكان يسمح لزوجته بالمشاركة في الحفلات الشاذة المتكرر مع المجموعة والتي كانت تقام في منزل أحدهم وهو سكن للجنود غير المتزوجين داخل القاعدة البريطانية ثم تحولت هذه الحفلات الشاذة إلى منزل الجندي المتزوج وفي منطقة سكن الجنود المتزوجين في القاعدة وبناء على اقتراح الزوجة الشاذة نفسها «بالطبع هذه الحفلات كانت تقام ضمن القاعدة دون مشاركة أجانب» والحفلات التي يقصد منها تسهيل عملية التجسس أو اصطياد عميل جديد كانت تقام في منزل يونس. واستمرت الحفلات حتى خريف عام ١٩٨٣ حيث تعرف تومبسون العميل الشاذ على أرتيست فلبينية تدعى «جوبي» كانت السبب فيما بعد بكشف الجميع.

استمرت عملية التجسس لمدة سنتين فأليكسي السوفييتي هو زعيم الشبكة التي تحصل على المعلومات وأصبح تومبسون رئيساً للمجموعة البريطانية وقناة التوصيل وقبض النقود واستلام المخدرات وهو المسؤول عن توزيعها على المجموعة فهو الذي أسسها أصلاً. عندما تعرف تومبسون على الفتاة الفلبينية خافت المجموعة بأن يؤدي هذا التعرف لكشف سر أفرادها؟ فعقدوا اجتماعات عديدة لمناقشة ماذا يفعلون إذا فضح الأمر. نصحوه ان يتركها وهو الذي ليس بحاجة إلى الجنس فرفض لأنه متعلق بها وحين ذلك «انتهت» مدة خدمته في قبرص واستلم بطاقة الطائرة للعودة إلى لندن ولكنه لم «يغادر» قبرص لأنه أراد قضاء أطول مدة ممكنة مع جوبي لدرجة عرضه الزواج عليها بدون ان يعلمها بتورطه بالتجسس لصالح الـ كي. جي. بي.

المخابرات البريطانية تكشف حلقة التجسس:

أطال تومبسون بقاءه في قبرص مما لفت نظر المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) في مقر عمله السابق الكائن قرب ايوس نيكولاوس بقبرص لأن دورياتهم كانت تعرفه جيداً واستمرت هذه الدوريات تراه في المرابع الليلية مع صديقته الفلبينية فراقبوه وعرفوا علاقته مع الفتاة الأجنبية وهذه العلاقة محرمة على موظف المخابرات أو العاملين في أجهزة الأمن إلا إذا كانت بعلم رؤسائه أي ان تكون العلاقة للمصلحة العامة وخاصة المخابرات البريطانية التي تحظّر على العاملين في حقل التجسس البريطاني الاتصال بالفتيات الغربيات حتى لا يقعوا في حبائل العملاء الأجانب أما الاختلاط «الشاذ» فلم يكن يثير انتباه المخابرات البريطانية ويبدو انه ممارسة عادية بين رجال القوات البريطانية.

استمرت المخابرات البريطانية في مراقبة تومبسون مراقبة هادئة دون ان تعلم تورطه بالتجسس شيئاً وأخيراً استدعي إلى مقر المخابرات وبعد مواجهته بالأمر «علاقته بجوبي فقط» تطوّر التحقيق بعد ان وجدوا معه وثائق سرية فانهار وبدأ يعترف على بقية الحلقة التجسسية فتم ضبط الجميع وصودرت منهم العديد من وثائق التجسس فاعترفوا بما أقدموا عليه وجرى نقلهم إلى لندن حيث قدموا إلى

المحكمة كما شرحنا في أول القصة وأثناء المحاكمة قال المدعي العام البريطاني ان هذه القضية تتداخل فيها كل عناصر الفضيحة والاثارة وانها على غاية من الأهمية بالنسبة للدفاع عن بريطانيا. ويتابع المدعي العام حين يقول ان الابتزاز هو السبب الرئيسي لوقوع المجموعة في فخ العملاء الأجانب وان أسباب الابتزاز هي حضور المجموعة حفلات الشذوذ الجماعية التي وصفها المدعي العام بأنهم كانوا يلبسون ملابس النساء ويتبادلون الفحشاء وقد وصفت الصحافة البريطانية هذه الحفلات بتفصيل مثير نقلاً عن الشهادات في المحكمة وقال المدعي العام موجهاً كلامه لرئيس المحكمة:

سيدي الرئيس ان رجالاً مثل هؤلاء عملهم في القوات المسلحة يفرض عليهم السرية والكتمان يقيمون هذه الحفلات فيتركون انفسهم عرضة للابتزاز وهذه الحفلات محرمة عليهم خاصة وانهم يعملون في مجالات حساسة. ونفس الشيء ينطبق على تناول المخدرات. . لقد عملت هذه المجموعة في قلب أهم المواقع العسكرية حساسيةً واستمر عملها دون انقطاع لعامين قدموا خلالها معلومات سرية جداً لعملاء أجانب مما أحدث خسائر عظيمة للأمن العام لبريطانيا(١).

وأضاف المدعي العام إن المجموعة كانت تعمل في قسم الاتصالات والتنصت حيث يتم التعامل مع وثائق خطيرة وان ستة من السبعة كانوا قادرين على الوصول لأدق المعلومات في مجال عملهم وانه لو لم تكن الثقة فيهم مطلقة لما وصلوا لمركزهم هذا أبداً وأعرض لكم (أي لرئيس المحكمة) ان الحقيقة الثابتة الكبيرة انه حتى شباط (فبراير) ١٩٨٤ قدم أفراد المجموعة الأسرار بحجم كبير وليس بشكل اقتصادي ولكن في أكياس مليئة. ثم ذكر المحامي العام هيئة المحلفين بأن هذه المعلومات مستقاة من المتهمين فقط ويجب عدم أخذها وكأنها الحقيقة كاملة خاصة المعلومات المتعلقة بالدولة الأجنبية المستفيدة من هذا التجسس. إذ يعتقد انهم لم يقولوا الحقيقة. وربما اتفقوا على أقوالهم قبل كشف أمرهم وان الشيء الوحيد الواضح ان أقوال المتهمين بالتجسس نصف حقائق والنصف الآخر أكاذيب صارخة وان ذلك كان جزء من خطة محكمة معدة لتضليل

---

(١) هذه القصة نقلها الزميل خليل التقي من قبرص حيث كان في ضيافة السيد الرئيس كبريانو رئيس جمهورية قبرص.

المحققين وحماية العملاء الأجانب من الكشف وان ذلك «عقد» التحقيق وأخره. وفي النهاية طلب المحامي العام لهم أقسى العقوبات التي تسمح بها القوانين البريطانية ليكون ذلك رادعاً لهم ولغيرهم وقد وجدهم المحلفين مذنبون فجرى ◁

الكولونيل طيار فلاديمير اسماعيلوف يبعد من واشنطون

● أفادت مصادر المخابرات الامريكية ان الكولونيل طيار فلاديمير اسماعيلوف من مواليد ١٩٤٢ قد أوقف في غابة في منطقة ميديلاند قرب واشنطون فيما كان يحاول العثور على الوثائق السرية التي طمرها له ضابط في سلاح الجو الامريكي تبيّن انه كان يعمل للمخابرات الامريكية ثم حقق معه بايجاز واطلق سراحه باعتباره يتمتع بالحصانة الدبلوماسية واستدعي السيد فيكتور ايساكوف الوزير المفوض في السفارة السوفييتية إلى وزارة الخارجية الامريكية وأبلغ ان على الملحق الجوي اسماعيلوف مغادرة الأراضي الامريكية. وأكد الناطق باسم المخابرات الامريكية ان اسماعيلوف سعى إلى الحصول على وثائق سرية ذات علاقة بـ «حرب النجوم» و «صاروخ كروز» و «تكنولوجيا الرادارات الامريكية» وقال ان اسماعيلوف قاوم رجال المخابرات الامريكية وادعى انه يبحث عن مكان لصيد السمك فضل طريقه وأكد ان اسماعيلوف دفع ٤١ ألف دولار للضابط الامريكي مقابل حصوله على الوثائق السرية وان الضابط الامريكي تعاون مع المخابرات الامريكية للايقاع بالملحق الجوي السوفييتي الذي غادر واشنطون بعد أيام . . .



اسماعيلوف

الحكم على كل من الرجال الستة بالسجن عشر سنوات لكل منهم والحكم على السابع بالسجن خمس سنوات نتيجة تجسسهم وعدم إبلاغهم رؤسائهم لدى تورّطهم إذ لو أنه قام كل منهم بالابلاغ عما تعرّض له حتى لجهة الشذوذ فإن المخابرات البريطانية تعلم ان الكثير من البريطانيين يمارسونه ويبقى موضوع الابتزاز فتخلصه منه بنقله أو اتخاذ أي اجراء يجعل العميل المهدد يشعر بأن لا قيمة لتهديده. ولكن انها المخابرات.



المخابرات السوفيتية في كل مكان

جاسوس موسكو الغامض في باريس:

● جميع موظفي المخابرات أو الضباط السوفييت الذين شرحنا عمليات هروبهم إلى الغرب لم نجد لهم عذراً حقيقياً أو ضغطاً يستوجب الفرار إلى الغرب سوى العقد التي ورثوها عن آبائهم ومحيطهم وهذا الكلام ليس انحيازاً لصالح المخابرات السوفييتية أبداً فإني ككاتب وباحث في أعمال المخابرات في العالم أضع النقاط على الحروف وأسجل الحقائق للتاريخ ولو ان هؤلاء لا يشكلون ١٪ من أعضاء الكي. جي. بي والضباط العاملين في السفارات السوفييتية في العالم والبعثات والهيئات العلمية والرياضية ورجلنا في هذه القصة القصيرة هو «نيقولاي بوليانسكي» نائب القنصل السوفييتي في السفارة السوفييتية في باريس عام ١٩٨٢ وهو من مواليد ١٩٣٩ موسكو وشيوعي جيد لم يسمع عنه شيء يخل بالنظام خلال عمله السابق كنائب للقنصل في السفارات السوفييتية في كل من زغرب وبرن وقصة هروبه إلى الغرب «بوليانسكي اختار الهروب إلى المانيا الغربية» ليس فيها شيء من الغرابة وليس لديه أيضاً حسب مقدمة هذه القصة أسباب جوهرية للهرب والخيانة لوطنه ولم يكن مضغوطاً عليه أو ملاحق أو مكروه ومع ذلك خرج من السفارة السوفييتية في باريس للتجول يوم الأحد في ٢ تموز (يونيو) عام ١٩٨٢ وتوجه بالقطار إلى المانيا الغربية وسلم نفسه للمخابرات الالمانية الغربية واعتبر بعد ذلك من ضيوف هذه المخابرات «أي لاجئاً سياسياً». ولكننا نورد قصته الموجزة للاطلاع في هذه الموسوعة على طريقة عمل المخابرات السوفييتية والسفارة السوفييتية في باريس. فمبنى السفارة السوفييتية في باريس يشبه قلعة حديثة ويقع في حي من أرقى أحياء باريس حيث تسكن الممثلة الفرنسية الشهيرة «بريجيت باردو» ورجل صناعة الطيران مارسيل داسو الذي تنتج مصانعه طائرات الميراج هناك يعيش ممثلو الكرملين في بناء السفارة الضخم الذي بلغت تكاليف إنشائه مائتي مليون دولار ولا يكاد يوجد هنالك أحد من السياسيين الغربيين من تجاوز قاعة الاستقبال المرمرية

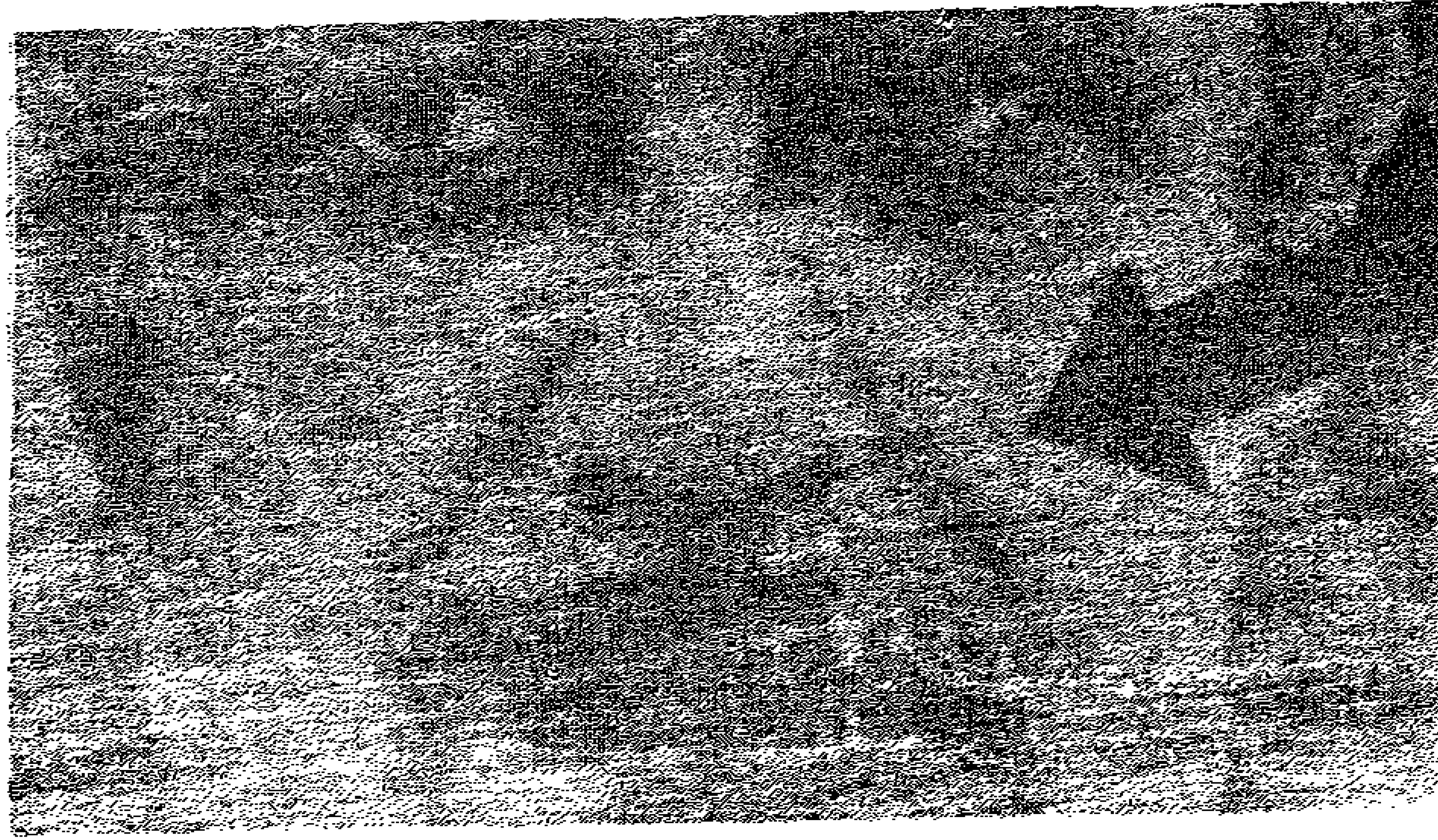
الفخمة أو مكتب السفير إلى ممرات ودهاليز المبنى الكثيرة التعاريج والأرضيات المزدوجة وممرات التهوية السرية التي تحتوي على أجهزة مخابرات خفية للتنصت والتصوير التجسسي لكل زائر للسفارة، كما توجد خلف جدران من الاسمنت المسلح طرق ملتوية تؤدي إلى أقسام السفارة المختلفة ويتكون مجمع السفارة السوفييتية في قلب العاصمة الفرنسية من سبع طوابق فوق سطح الأرض وخمس طوابق تحت الأرض منها بالطابق الأول موقف سيارات السفارة والطوابق الأربعة مصانة بالآف أطنان المواد العازلة حيث أصبح «ملجأ قادر على مقاومة القنابل الذرية» ولا تكاد السفارات السوفييتية في عواصم البلدان الأخرى في أوربا تختلف عن السفارةالسوفييتية في باريس. ويعيش الدبلوماسيين السوفييت وكأنهم في دير وان لم يعيشوا حياة الرهبان فالحياة في الخارج محجوبة عنهم وهم محجوبون عنها إذ يراد للمواطنين السوفييت الدبلوماسيين ان يبقوا على أقل قدر من الاتصال بخارج السفارة حيث اعداء الطبقة العاملة. وتوجد في السفارة سوق مركزي ومخبز ودكان جزارة «لحام أو قصاب» ودكان لتصليح الأحذية أيضاً. ومصبغة ومطعم يتناول به العزاب من موظفي السفارة طعامهم لكي لا يقعوا ضحية مغريات الغرب وخاصة مطاعم ساحة بيكال كما ان أطفال جميع العاملين في السفارة يذهبون إلى مدرسة داخل جدران السفارة «تضم المدارس في الاتحاد السوفييتي عشرة صفوف» ولا توجد مدارس متقدمة جداً كهذه إلا في سفارات نيويورك، جينيف، فيينا، لندن. وأخيراً يوجد داخل أسوار مبنى السفارة وخلف الجدران السميكة دار سينما لها مسرح لعرض بعض أعمال موظفي السفارة المسرحية. وحوض سباحة وقاعة رياضة بأنواعها ومكتبة وعيادة طبية. والسفير بالذات هو المسؤول عن جميع هذه المنشأت. فهو أولاً «ممثل» لسياسة الكرملين والإتجاه الذي يقره الحزب ولذا يعتبر السفير أيضاً ممثل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي. وثانياً السفير هو المسؤول عن جميع المنشآت إدارياً ومالياً وهو كذلك يتلقى راتباً كبيراً بالنسبة للأوضاع السائدة في الوظائف في الاتحاد السوفييتي حيث يحصل على ثلاثة آلاف دولار ومثله السفير فيجنيف ويتقاضى مستشار السفارة تسعين بالمائة من هذا الراتب بينما يتلقى السكرتير الأول بالسفارة خمس وثمانين منه أما السكن في السفارة للسفير وجميع المظفين فـ «مجانا» لأن البناء هو ملك الدولة السوفييتية مثل بناء السفارة الفرنسية العريق في موسكو فهو ملك للدولة الفرنسية أما معيشة السفير فهي

إلى حد ما على حساب ميزانية السفارة ويكون لديه طباخ خاص وسائق وخادمة وبستاني لحديقة منزله وسكرتير خاص أما الملابس فيفضل السفراء شراؤها من الخارج وقد يخصص له لذلك مبالغ لابأس بها، وفي داخل السفارة يعتبر مجرد أمتلاك عملة أجنبية كالدولار امتيازاً لايقدر. كما أن الروبل يصرف للدبلوماسيين بسعر خاص فمقابل ثلاثمائة روبل يحصل الموظف الدبلوماسي على مائة دولار والعكس صحيح مقابل المائة دولار يحصل على ثلاثماية روبل واكثر وعلى من يود الالتحاق بالسلك الدبلوماسي خارج الاتحاد السوفييتي أن يلتحق بمدرسة الدبلوماسيين في موسكو وأن يجتاز امتحاناتها الصعبة ومدرسة الدبلوماسيين في مبنيين يقع أحدهما في شارع كسلوفسكي على مقربة من ميدان ليرمونتوف بينما يقع الأخر في شارع لابوتاشيفكسي في الجنوب الغربي من مؤسكو وينتسب الدارس الى هذه المدرسة بعد حصوله على شهادة جامعية ويفضل المتخصصون بالعلوم السياسية أو اللغات ويتلقى الدارسون دروساً في كيفية التصرف كممثلين للحزب والدولة في الخارج ويضم البرنامج الدراسي تاريخ العلاقات الدولية وتاريخ الدبلوماسية والاقتصاد والمال والقانون الدولي وبطبيعة الحال «العلوم الماركسية اللينينية» ولا يجري تدريب الدبلوماسيين على أي نوع من أنواع علوم التجسس على خلاف ما يروى في هذا الصدد.

ويقضي الدارسين في الدرجة المتوسطة عامين في مدرسة وزارة الخارجية هذه أما الدبلوماسيين من ذوي الدرجة الرفيعة والذين يختارون من أعضاء الحزب العاملين فيقضون سنة إضافية. لاحتمال تعيينهم سفراء معتمدين للاتحاد السوفييتي بعد تخرجهم ولكي لا تنسى المبادىء الأساسية للدبلوماسية والديالكتيكية فان السكرتير الأول والثاني ومستشار السفارة والقنصل يدعون لدورات تنشيطية مرة كل عامين أو أربعة أعوام. ومن أهم واجبات الدبلوماسي الاخلاص المطلق لخط الحزب والتمسك به دون محاولة تفسيره حسب المفهوم الشخصي كما فعل مستشار السفارة السوفييتية في بلغراد «سيمونوف» فقد سافر مع الملحق العسكري في السفارة إلى سلوفينيا للاشتراك في احتفال سوفييتي يوغسلافي مشترك وكان عليه ان يلقي كلمة في هذا الحفل قام السفير «روديونوف» بمراجعتها مسبقاً حسب الأصول ولكن المستشار لم ينطق من الكلمة المكتوبة سوى «أيها الرفاق» ثم انطلق يتحدث عن الاعجاب الشديد بالشعب اليوغسلافي الشقيق وعن الزعيم

الاشتراكي العظيم «تيتو» وقد خرج سيمونوف عن فحوى الكلمة المعدّة له تماماً ثم جرى تصفيق حاد له وتم شرب الأنخاب باسم الرفيق تيتو وفي طريق العودة أقدم الملحق العسكري على توبيخه على ما ذكره في الحفل وتطور الأمر بينهما إلى عراك في السفارة حتى تدخل السفير روديونوف الذي يقدر سيمونوف شخصياً لكن الملحق العسكري كان من عناصر المخابرات السوفييتية الـ كي. جي. بي في السفارة حيث لم يمضي اسبوع حتى استدعي المستشار إلى موسكو ليقضي سنتين في المدرسة الدبلوماسية وهذه المدة لا تحسب له في القدم الوظيفي فيكون بذلك وكأنه قد خفضت رتبته ثم عين بعد ذلك سكرتيراً أول في السفارة السوفييتية في الجزائر. إذا لا يجوز لأحد مطلقاً ان يعارض السياسة السوفييتية خاصة إذا كان من الـدبلومـاسيين والأهم ان لا تكـون المعـارضـة بعلم أو أمام عناصر المخابرات السوفييتية المتواجدة بكثرة في السفارات والقنصليات السوفييتية في الخارج ومن المعلوم وبتقدير الخبراء الغربيين ان نسبة ٤٠٪ من أعضاء السفارة السوفييتية في باريس الذين يبلغ عددهم حوالي المائة هم من المخابرات السوفييتية كما توجد هناك نسبة أقل من أعضاء المخابرات بين الثمانمائة مواطن سوفييتي الذين يعيشون في فرنسا وكنا قد ذكرنا ان السفير هو المسؤول الأول في السفارة إلا ان «رئيس فرع مخـابرات السفارة» هو صاحب الكلمة الفصل في السفارة فلا يحدث شيء إلا برضـاه وموافقته لدرجة ان مستشار السفارة اذا أراد تناول الطعام مع شخص غير سوفييتي وخارج السفارة يجب ان يعلم رئيس فرع المخابرات بذلك. لأن المستشار وغيره ملزمين بتسجيل أسمـاءهم لدى حارس السفارة ولدى عودتهم يقوم البواب بتبليغ ذلـك لهم أيضاً. وتقوم المخابرات بالاتصال بالمراكز الرئيسية في موسكو بوسـائلهـا الخـاصـة. ولا يطلع السفير على ما يقـوم أعضـاء مخـابرات السفارة المتعمدون بواسطته إلا نادراً وهو يحاول الابتعاد عن طريقهم ولكن إذا حدث ودعوه للمساعدة فإنه يكون ملزماً بتقديمها ومن مهام رئيس فرع مخابرات السفارة معرفة كل شيء عن السفير وحياته الخاصة وعاداته وسلوكه وتصرفاته أثناء العمل وخارجه ولا يستدل من هذا العرض ان حياة الدبلوماسيين السوفييت جد في جد.. أي عمل متواصل أبداً فهناك بعض الحفلات الراقصة تقام في شقق العزاب الذين يعيشون دون اسرهم ويوجد حفلات زواج تقام في مسرح أو سينما السفارة وذلك بين موظف في السفارة وموظفة أيضاً فيها لأن هذا هو المخرج الطبيعي في الغالب من حياة

العـزوية داخل السفارة. أما فيما يتعلق بالاتصالات بالاجانب وخاصة العاملين بالسفـارات الأخـرى فيتم ذلك بتوجس وريبة بالنسبة لموظفي السفارات الغربية والامريكيون هم «اعداء» دائماً ولا يستطيع أحد ان يتصل بالامريكيين دون السفير أو بمعرفة واطلاع المخابرات. ويجتمع سفراء الاتحاد السوفييتي في بلدان الكتلة الشرقية بصورة منتظمة ولكن الريبة ليست مستثناة بينهم فالسفير اليوغوسلافي لا يحضر معظم الاجتماعات كما لا يحضر السفير الروماني سوى بعض الاجتماعات



انتقال موظف سوفييتي إلى الغرب

● كشفت مصادر المخابرات الامريكية ان موظفاً سوفييتياً مهماً كان يعمل في شمال افريقيا انتقل إلى الولايات المتحدة وهو أوليغ اغرانيانتس مسؤول المخابرات السوفيتية في السفارة السوفييتية في تونس الذي كان يعمل تحت غطاء السكرتير الثالث في السفارة قد دخل السفارة الامريكية وطلب حق اللجـوء السياسي فنقـل إلى الـولايات المتحـدة حيث زوّد الامـريكيين باسماء عملاء الـ كي. جي. بي في كل من تونس والجزائر والمغـرب وليبيا وانـه كان على اتصـال بمجمـوعات فلسطينية كما زوّدهم بمعلومات عن نشاط المخابرات السوفييتية في البلدان العربية بصورة عامة.

والسفير الالباني لا يحضر مطلقاً. ولا تقل العادات طرافة عن ذلك حتى في عواصم البلدان الاشتراكية فالعمل في السفارات السوفييتية في تلك البلدان غير مرغوب فيه لأن المرتبات فيها أقل من الغرب بمقدار «الثلث» ولذا فان العمل في أوربا الغربية كباريس ولندن وبون وجنيف هو حلم الدبلوماسيين السوفييت ونسائهم ولا يتذمر أحد من الدبلوماسيين من العمل في الجزائر وسوريا والمغرب ومورشيوس واكثرهم لا يجدون رغبة في العمل في جنوب شرق آسيا ومن المؤكد ان كل دبلوماسي سوفييتي أو ضابط مخابرات ذاق طعم الحياة خارج نطاق المجتمع السوفييتي يود الاستمرار في الحياة في الخارج خاصة في البلدان الرأسمالية. وعلى كل حال فالدبلوماسيين السوفييت ليسوا سوى بشر كغيرهم من الناس. وان رغبة بعضهم في العمل الدبلوماسي لا تقل عن رغبة غيرهم من الدبلوماسيين الغربيين وغيرهم في العمل الدبلوماسي في هذه البلدان.

أغرب قصة

عن

الحب الشاذ والجاسوسية

بين

الصين الشعبية وفرنسا

يكشف النقاب عنها في هذا الكتاب

السلسلة الجاسوسية

أغرب قصة عن الحب الشاذ والجاسوسية

جاسوس صيني ينقل المعلومات وينجب الأطفال:

● في عام ١٩٦٤ تمكن الفرنسي برنار بورسيكو وهو من مواليد ١٩٤٣ من الالتحاق موظفاً في وزارة الخارجية الفرنسية بدون اجراء مسابقة (أي بالواسطة) لأنه كان يحمل الشهادة الثانوية الفرنسية فقط (البكالوريا) مع تجربة وظيفية سابقة وقصيرة المدة في الجزائر حيث عمل كمستخدم مؤقت لدى وزارة قدامي المجاهدين وهكذا استطاع برنار الذي كان أبوه محاسباً وأمه خياطة من ان يستلم خبرة المحاسبة من أبيه فعيّن محاسباً في السفارة الفرنسية في بكين من أواخر عام ١٩٦٤ إلى آخر عام ١٩٦٥ وأثناء ذلك شاهد ولعدة مرات العروض المسرحية التي تعرض في أوبرا بكين ورغم صعوبة العلاقات بين الصينيين والاجانب فقد استطاع إقامة علاقة غريبة النوع مع فنان صيني اسمه «باي بوش» من مواليد بكين ١٩٤٢ وهذا الفنان اختصاصه الغناء وكتابة الأغاني والرقص في أوبرا بكين حيث بدأت علاقته مع برنار بالاعجاب المتبادل ثم المودة وأخيراً «الحب» الممزوج بالشذوذ وأخذ الحب يتبلور بين الرجلين عندما اقنع الصيني باي بوش حبيبه برنار بأنه كان في إمكانه أن يكون في الواقع «امرأة» كاملة الأنوثة. وبعد مدة من إقامة العلاقات الجنسية بينهما أعلم المطرب الراقص صاحبه برنار بأنه «حامل» منه وبعد أشهر الحمل أعلمه انه أنجب له ولداً اسماه «دودوش» وصدق برنار ما ذهب اليه صديقه الصيني واقتنع شديد الاقتناع بأن «الطفل» دو دوش هو ابنه وان باي بوش هو «أمه».

بعد أشهر قليلة اضطر برنار مكرهاً للرحيل (الانتقال) إلى سفارة بلاده في جدة بالمملكة العربية السعودية حيث عين مرة أخرى محاسباً هناك فانقطعت أخباره عن «الرجلـــه» الصينية أم ولده حتى عام ١٩٦٩ حيث نجح برنار باقتلاع قرار تعيينه من جديد محاسباً في نفس السفارة الصينية في بكين وكانت العودة السعيدة إلى أحضان «الزوجة الصينية» المخلصة؟؟ لكن الوضع كان قد تغير في الصين فصعوبة اتصال الصينيين بالأجانب أيام ماوتسي تونغ تحولت إلى استحالة وذلك بقرار من

السلطات الصينية الحريصة على حماية الثورة الثقافية التي بدأت في عام ١٩٦٨.
وقد استدعي «الأم» باي بوش إلى مركز المخابرات الصينية وجرى «توبيخه» على علاقته مع موظف السفارة الفرنسية وهدد بالاعتقال إذا عاد للاتصال مع «زوجه» لكن بعد ذلك «غيّرت» المخابرات الصينية رأيها وتساهلت مع مواطنها باي بوش متيحة له ملاقاة «زوجه» الدبلوماسي الفرنسي لكن مقابل؟ ان يزرع باي بوش في دماغ حبيبه برنار تعاليم ماوتسي تونغ هكذا أبلغه ضابط المخابرات الصينية. قبل باي بوش بمبدأ اللعبة وقبل زوجه بها ولكن المخابرات الصينية التي اطلعت على علاقة الاثنين الشاذة وموضوع «الطفل» من باي بوش قررت ابتزاز برنار لأكثر من حفظه تعاليم ماو حيث عادت واشترطت عليه مقابل ملاقاة زوجه برنار ان يعطيه الأخير وثائق من السفارة الفرنسية تخص الاتحاد السوفييتي ومنذ ذلك الوقت بدأ برنار في تسريب وثائق وتقارير ومعلومات إلى باي بوش الذي يسلمها بدوره إلى المخابرات الصينية.

نقل برنار من السفارة الفرنسية في بكين إلى «أولان بانور» عاصمة منغوليا الشعبية موظف في مقر هذه السفارة التي كثيراً ما تغلق أبوابها لبضعة أشهر في السنة بسبب نشاطها القليل ولم ينقل برنار إلى هذه السفارة محاسباً فقط بل محاسباً وسائقاً وضارب آلة كاتبة وعامل برقيات وأيضاً كلف بارسال الحقيبة الدبلوماسية إلى بكين وهذه المهمة الأخيرة أتاحت له ان يسافر دورياً إلى بكين وبذلك لم تنقطع صلته بباي بوش الذي كان يتلقى من «زوجه» أثناء كل زيارة له ما تيسر من نسخ عن وثائق السفارة الفرنسية في منغوليا وبدوره يسلمها كالعادة إلى المخابرات الصينية وحتى عام ١٩٧٩ عاد برنار إلى باريس نهائياً وانقطعت صلته المباشرة بالفنان الصيني «والدة» ابنه وبقيت قصتهما «الغريبة والشاذة» طي الكتمان لمدة أربع سنوات من عودة برنار إلى باريس.

بتاريخ الأول من حزيران (يونيو) ١٩٨٣ حضر إلى باريس باي بوش نفسه وبدعوة من الجمعية الثقافية الفرنسية وقد أحضر معه ابنه دودوش لزيارة ابيه وبطبيعة الحال استقبل برنار في منزله زوجته وولده بترحاب كبير لاسيما وهو مازال يعيش في خيال وأوهام ذكرياته وحبه لزوجته وأم ولده (حسب اعتقاده) في عقله الباطن.

المخابرات الفرنسية مثل أي مخابرات في العالم أوعزت بمراقبة باي بوش حسب الأصول باعتباره صينياً.. الخ فاكتشفت انه يقيم مع ولده في منزل

الـدبلومـاسي السابق برنار بورسيكو ولما علمت المخابرات الفرنسية بهوية برنار ومهنته السابقة استدعته من منزله الكائن في شارع سافاي منطقة ١٤ من باريس إلى مركـز المخـابـرات وألقـوا عليه بعض الاسئلة فروى لهم «تلقائياً» قصته الصينية الطويلة بكل ما فيها من حب، وتجسس، وانجاب.

المخابرات الفرنسية تكشف حقيقة الزوجة الرجل:

أول شيء قامت به المخابرات الفرنسية بعد ان ألقت القبض على الزوجين «غير السعيدين» هو إعادة الشاب الصيني دودوش إلى بلاده باعتبار ان ليس له ذنباً في العلاقة بين والديه ثم عمدت إلى فحصهما فحصاً طبياً وجسدياً ونفسياً وكشف هذا الفحص ان باي بوش «ليس انثى» قادرة على انجاب الأطفال كما يدعي وإنما هو ذكر يقال له بالعامية «مخنث» لأن حركاته وهيئته توحي بالأنوثة بحكم اختصاصه بالـرقص لا غير. وكشف الفحص النفسي لبـرنار بأنه غير ناضج وساذج ومفتون بمـواطن الخيال (اشتهر بين زملائه في وزارة الخارجية سابقاً بأنه حساس وذكي وطيب وروائـع المعشـر) ولمـا أكد له علماء النفس «ذكورية» زوجته قال لهم انه «مذهول» بخطئه وأضاف قائلاً: لقد صعقت عندما سمعت بأن زوجتي باي بوش رجلاً، غير ان اقتناعي بقي ثابتاً وبالنسبة لي كان باي بوش في ذلك العهد هوامرأة حقيقية كانت هي حبي الـوحيد، ثم جاء هذا الـطفل دودوش الذي عندما رأيته «وجدته يشبهني». واكد الدكتور النفساني برنار ديفير الذي فحص برنار الزوج «بأن هذا الأخير سوف يتعذب كثيراً من شدة الحزن على ما كان بالنسبة إليه قصة حب حقيقية.» وقد حولت المخابرات الفرنسية هذه القضية إلى النيابة العامة الفرنسية التي أمـرت باحـالتهـا إلى المحكمـة الجنائية المختصة وفي المحكمة تساءلت الأوساط القضائية «من استغل من؟» في هذه القضية المعقدة أما رئيس محكمة الجنايات القاضي فاريزني فقد ألقى سؤالاً على برنار باستغراب: كيف خدعت بهذا الشكل؟ فأثار بورسيكو بعضاً من جوانب شخصية «زوجته» المزيفة التي كانت سبباً في خداعه ومنها مثلاً خجل باي بوش وتمنعه عن الكشف عن نفسه أي عن جميع جسمه أثناء اللقاءات «الحميمة» وأيضاً عوارض التعب التي كان يبديها بوش

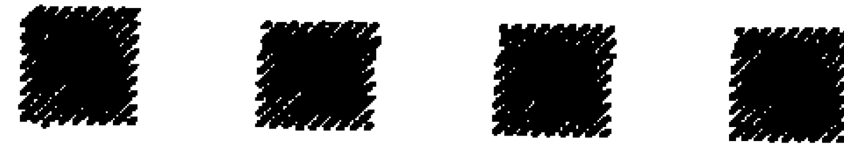
كل شهر عارضاً في كل مرة على برنار البعض من ثيابه الداخلية وهي ملطخة بالدم على انهـا عوارض الحيض. وهـذا منتهى الخـداع والتشبه بالنسـاء. وتسـاءل القاضي: اذا فصاحبك محتال.؟ وهنا أقرّ برنار قائلاً: هذا صحيح.. ويمكنني اليوم ان أقول بأنني لم أفقه للأمر.

أما باي بوش الصيني (الزوجة» فقد أكد أمام المحكمة على انوثته وبقي على غموض هذه الانوثة مشيراً إلى ان طبيباً صينياً عجوزاً في بلده أعلمه بأنه كان في طفـولتـه «بنتاً» لكن دون اكتمال الجهاز التناسلي. وأضاف قائلاً: «لكن الناس استمروا في اعتباري «ذكراً» لأن الرجال في الصين معتبرون أكثر من النساء» وأكد للمحكمة أيضاً بأن دودوش هو بالفعل ابنه وأنه هو «أمه» طالما يعرف ان برنار هو والده حقيقة وأنه استطاع الحصول من برنار على «نطفة منوية» بمعرفة طبيب صيني نسـائي قام بادخـال هذه الحيوانـات المنوية في رحم امرأة حقيقية حملت فعلاً وانجبت بعد ذلك ولده وسلمته له «لقاء» مبلغ ألف وخمسماية دولار تقاسمتها مع الطبيب. وكان هذا الادعاء سبباً في إعادة فحص دم برنار وتحليله مخبرياً وكانت النتيجة الدامغة هي انه من المستحيل ان يكون أباً لدودوش هذا إذا كان المحللون «الدمويون» لا ينتمون إلى اليمين الفرنسي المتطرف والعنصري. انتقلت المحكمة إلى موضوع «التجسس» فبالنسبة للخدمات التجسيسة التي قدمها برنار للصينيين أقرّ المحاسب الدبلوماسي بأنه قدمها لزوجته بدافع الحب فقط إلا أنه أضاف أيضاً بأنه فعل ذلك تحت هاجس أنه كان لا يعطيهم كل ما بحوزته وبتعبير المخابرات وهو الأوضح أي أنه لم يكن يسلم للصينيين سوى تقارير عن أحداث عادية جداً ومقـالات صحافية وإن ذلك كان من الممكن ان يحصل عليه الصينيون بطريقة أخرى ودون مساعدة منه. وقد اعتبر القضاة ان المرحلة «البكينية» الممتدة من عام ١٩٦٤ لغاية عام ١٩٧٧ هي مرحلة منقضية ولا تخضع لقانون العقوبات على اعتبار انها قديمة في الزمن ولم تأخذ المحكمة في الاعتبار سوى المرحلة «المنغولية» الممتدة من عام ١٩٧٧ حتى عام ١٩٧٩ وحول هذه المرحلة قال برنار بأنه تابع مهمتـه في تسليم وثـائق لكنهـا لم تكن سوى نقلاً عن مقالات صحفية غير ان المحكمة لاحظت بأنه مع ذلك كانت هناك تقارير سرية تخص العلاقات المنغولية الامريكية وأيضاً عن زيارة وزير الدفاع السوفييتي إلى منغوليا وأيضاً علم الصينيون ان السفارة الفرنسية اشترت طبقاً لوضع الجبنة عليه وكذلك سطل صغير لوضع قطع

الثلج . ؟ وهنا ابتسم برنار وقال دون مواربة لا أريد أن أهين أحداً إذا كان هذا نموذج عن قيامي بالتجسس فنعم التجسس ولكن سفارتنا في أولان بانور لم تكن سفارة بالمعنى الصحيح فهي عبارة عن مجرد دور من ادوار فندق من فنادق البلد وعندما كنا نغلقها نترك المفتاح مع البواب.

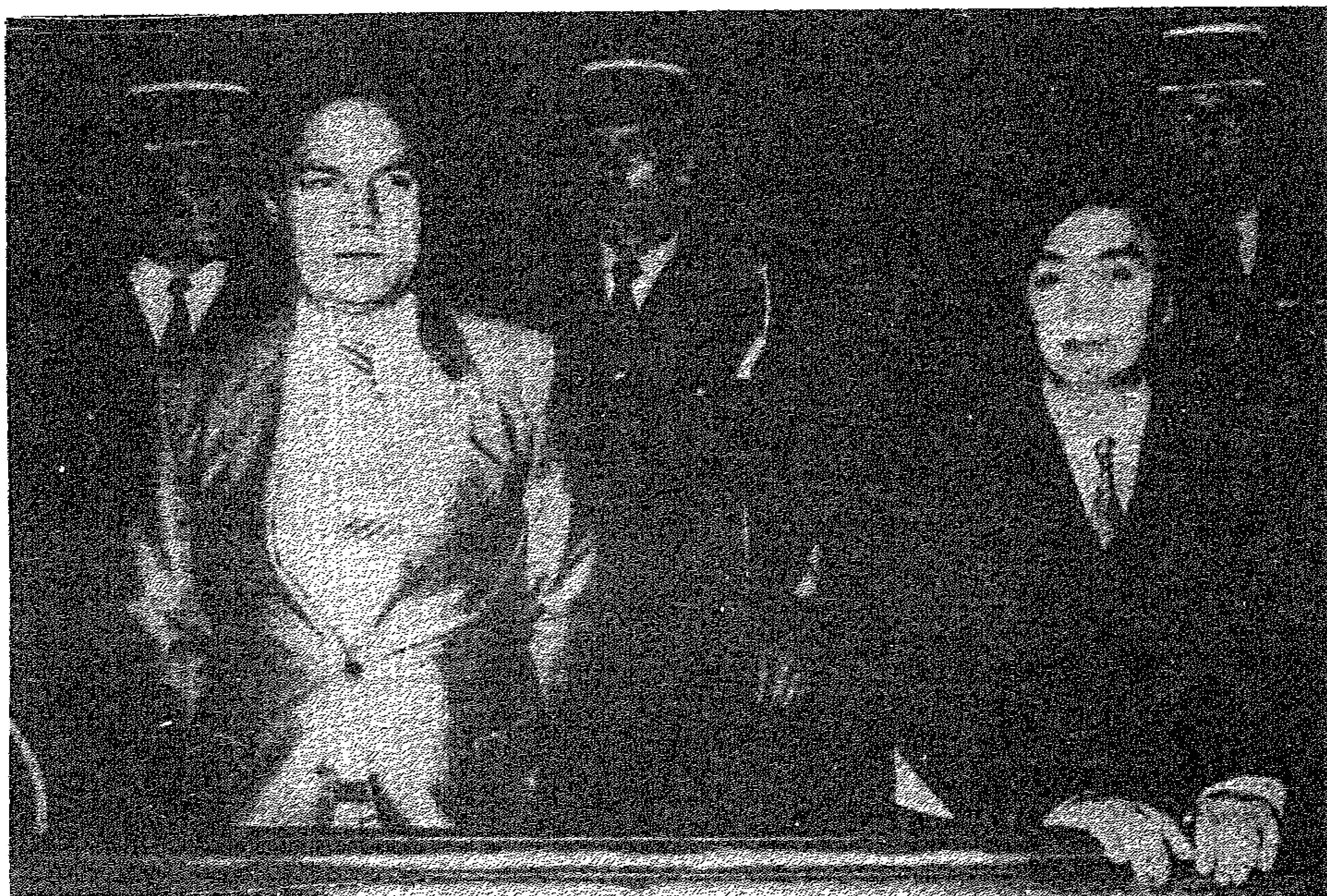
بالنسبة للأمن العام الفرنسي والمخابرات الفرنسية فإن المسألة عبارة عن عملية تجسس دبرتها المخابرات الصينية. وحسب تصريح العقيد ريمون مار من المخابرات الفرنسية للصحافة: لا يوجد أمامكم سوى شخصيتين ثانويتين أما المصالح الصينية المعنية بهذه العملية فإنها لم تعد موجودة الآن. لكن ما هو مؤكد هو ان باي بوش لم يستطع التردد على السفارة الفرنسية دون ان يتلقى أمراً بذلك (يقصد المخابرات الصينية) أضاف العقيد ريمون ان برنار كان دون شك شخصية هشة وكان لزاماً ألا يتم تعيينه في وظيفة مثل هذه فقد ترك نفسه ينخدع لكن خدع من ناحية أخرى أناساً آخرين وبعد هذا وذاك فقد كان بامكانه ان ينهي الموضوع عندما ترك بكين غير انه استمر عندما وجد نفسه في منغوليا وفوق كل هذا يجب ان نعلم انه بالنسبة لأي جهاز مخابرات في العالم ليس هناك أبداً معلومات عديمة الأهمية. وقد تولت المحامية السيدة موريت فانسان الدفاع عن الصيني باي بوش فدحضت استنتاج العقيد ريمون مار قائلة بأن موكلها الصيني لم يكن يمثل على برنار وفق تعليمات المخابرات الصينية وانما كان الاثنان يتجهان إلى حلم واحد وان ما يهم اليوم ليس نتائج التحليل الطبي التي لم تعد ذات قيمة وإنما اعتقاد الاثنين فيما مضى بأنهما كانا حقيقة ما كانان. أما محامي برنار فقد ذهب في نفس الاتجاه قائلاً: استطيع ان أقول لكم بأننا ضحكنا كثيراً وعليه فبامكاننا ان نتوقف عن الضحك وليكن في العلم أني أدافع عن إنسان وعن كرامة إنسان واعتبر المحامي ان الاطباء ورجال المخابرات وقاضي التحقيق قد اقتنعوا كلهم بأن برنار انقاد إلى تسليم وثائق سفارته بدافع حبه الشديد لرجل كان يعتقد بأنه امرأة إلى حد ان اعتقد أيضاً انه أب لطفل انجبه باي بوش وبالاضافة إلى هذا التأكيد من قبل الدفاع عن ان جناية التجسس كانت بدافع العاطفة وهو سبب يساعد على تخفيف الحكم كما ذهب المحامي إلى التشكيك في ان من كان وسيطاً بين باي بوش وبرنار لم يكن من المخابرات الصينية لأنه لم يقدم ما يدل على تكليفه من طرف النظام الصيني الذي كان يعيش في تلك الفترة مخاضاً وصراعات سياسية ولأن التهمة الموجهة

لباي بوش وبرنار بورسيكو من قبل محكمة الجنايات الفرنسية هي «النيل من مصالح فرنسا الدبلوماسية» وعقابها ليس أقل من عشر سنوات سجناً في حالة السلم فحرص المحامي على استبعاد هذه التهمة عن موكله وذلك باستشهاده ببعض الوثائق الدبلوماسية التي قيل انها تسربت والتي كانت عبارة عن طلبات كتابية للحصول على حاجات مادية للسفارة. أو تقارير عن جولة السفير الفرنسي في منغوليا تضمنت جملاً مثل: اعترضتنا قطعان كبيرة من ثيران التيبت أو ملاحظة: الحصان بالنسبة للمنغولي هو كالسيارة بالنسبة للامريكي. ؟ هذه الوثائق التي قدمها المحامي ليؤكد على عدم مساسها بالمصالح الدبلوماسية لفرنسا (؟) أغرقت قاعة المحكمة بالضحك لتفاهتها، لكنها لم تضحك القضاة السبعة الذين أوقفوا الضحك عندما أعلنوا عن الحكم القاضي بسجن برنار بورسيكو وباي بوش لمدة ست سنوات مع التنفيذ لكل منهما. وهكذا انتهت أغرب قضية تجسس وحب شاذ في هذا القرن عاشتها العلاقات الفرنسية الصينية مع وجود رأي خارج محكمة الجنايات لبعض الرومانسيين يقول بأنه كان من الأولى إعادة باي إلى بلاده ليقوم برنار الخيالي بنحت تمثال لبطل الأوبرا الصينية ووضعه في متحف «اللوفر» كدليل على الحب الغريب ثم نفي برنار إلى الصين. . نعم يقول الرومانسيون بنفيه إلى الصين إما لاتمام حياته مع باي هناك وإما للضياع في متاهات الصين العجيبة وسورها العظيم.





باي بوش في أوبرا بكين عام ١٩٦٢



«باي بوش» و«برنار بورسيكو» الزوجين أمام محكمة الجنايات

فصل خاص

عن التجسس في ألمانيا الغربية

- برلين مركز الصفقات المشبوهة .
- فرار رئيس قسم مكافحة التجسس إلى برلين الشرقية .
- المخابرات الألمانية الغربية آخر من يعلم .
- آلاف الجواسيس العالميين يعيشون في برلين .

هروب رئيس قسم مكافحة الجاسوسية في ألمانيا الغربية للشرق:

● منذ عام ١٩٤٩ وهو تاريخ انشاء ألمانيا الغربية مقسمة بين الدول الكبرى روسيا وامريكا وبريطانيا وفرنسا وهي الدول الحليفة التي انتصرت على ألمانيا النازية بقيادة هتلر. وهي تكاد تكون الدولة الأكثر احتواءاً للجواسيس في العالم بينما تقوم مخابرات ألمانيا الشرقية بالمقابل بمراقبة نشاط هؤلاء الجواسيس عبر الحدود ويرأس المخابرات الألمانية الشرقية منذ ٢٧ عاماً الكولونيل (عقيد) ماركوس ولف أو شبح الذئب كما يسمونه وهو في الواقع الرجل الذي استطاع تسجيل سلسلة متلاحقة من الانتصارات على الغرب (أي المخابرات الامريكية والغربية راجع صحفة ٢٥٧ من الجزء الأول من هذه الموسوعة عن المخابرات) طيلة المدة التي قضاها حتى الآن في رئاسة المخابرات الألمانية الشرقية أما الضربة الأهم التي استطاع توجيهها مؤخراً فقد كانت «انتقال» أو هروب رئيس فرع مكافحة الجاسوسية في ألمانيا الغربية إلى ألمانيا الشرقية وقبوله لاجئاً سياسياً وهو «هانز يواشيم تيدجي» هذا الهروب الذي سيبقى وربما لسنوات مقبلة اللغز المثير للقلق والخوف في حياة الألمان الغربيين والأطلسيين بشكل عام لأنه ليس من المعلوم متى بدأ تيدجي العمل والتجسس لصالح ألمانيا الشرقية لكن المعروف ان حياته «العابقة» بالمشاكل قد تكون سبباً رئيسياً وراء ارتداده من الصف الغربي إلى الصف الشرقي فتيدجي.. المواطن البرليني من مواليد ١٩٣٧ حصل على اجازة في القانون من

جامعة برلين ثم تقدم إلى مكتب حماية الدستور أي (المخابرات الألمانية ـ مكافحة التجسس) في عام ١٩٦٦ هذا المكتب الكائن في شارع موستراخ في كولونيا ومهمته الرئيسية احباط محاولات التجسس على ألمانيا الغربية فقبل للعمل فيه وكان موظفاً نشيطاً ومجتهداً فتسلق تدريجياً سلم المهنة المخابراتية إلى ان أصبح «رئيس» وحدة مكافحة التجسس المعروفة باسم «الشعبة الرابعة» في عام ١٩٨١ وبعد ذلك أخذت حياته العامة تتغير وبسرعة ففي تموز (يوليو) ١٩٨٢ سقطت زوجته أوتي في حمام المنزل وقضت نحبها نتيجة الجروح البليغة التي أصابتها في الرأس. بعد وفاة زوجته بهذا الشكل المفجع اضطر الموظف النشيط ان يقوم بوظيفة جديدة وهي خدمة بناته الثلاثة اللواتي تقل اعمارهن في حينه عن عشرين سنة لكن الروتين المنزلي أرهقه فاتجه إلى بار «شتراسبيرغرهوف» القريب من منزله حاملاً إليه كل همومه ومتاعبه.

أقوال وأحاديث عن تيدجي قبل الهروب:

١ ـ قالت إحدى العاملات في البار عن تيدجي الذي أصبحت تعرفه تمام المعرفة بعد ان اعتادت رؤيته يومياً في البار «انه رجل ذو مشاكل كبيرة».

٢ ـ كان جيرانه يتحدثون عن تلك المناقشات الحادة التي كانت تدور بين الأب وأبنائه وعن ذلك الصوت الغاضب الذي كان يخترق سكون الليل الهادىء في شارع كولفيتنرفيغ الهادىء في مدينة كولونيا حيث كان يعيش تيدجي.

٣ ـ صاحب منزل يسكن بالقرب من منزل تيدجي صرح بقوله «ان المسؤول عن مكافحة التجسس كثيراً ما كان يرمي زجاجات الخمر الفارغة ووثائق خاصة بعمله في جوار منزله».

٤ ـ هيلموت غلوبيخ صاحب البار قال ان تيدجي لم يكن متفاهماً مع عائلته وان مشاكل كثيرة كانت لديه.

هذه المشاكل اقلقت رجل مخابرات «متقاعد» اسمه هانز ترافسر حول سلوك تيدجي فتوجه في عام (١٩٨٢) إلى المسؤولين الكبار في مكتب حماية الدستور (المخابرات) وأبلغهم بما رأى ولاحظ عن تيدجي وتصرفاته ولكن هؤلاء المسؤولين لم يتخذوا أي اجراء أو تحقيق بحق تيدجي لأنه لا يزال منهم وفيهم أي من أهل البيت ويعرفون مدى تأثره بعد وفاة زوجته. لكن حالة تيدجي استمرت بالتراجع والانحدار فقام هانز بابلاغ المخابرات الألمانية مرة ثانية فكان جوابهم له واحداً وهو

انهم متنبهون للمشكلة وان تيدجي بحاجة للمساعدة.

بالرغم من مشاكله وادمانه على الخمر فإنه كان يقوم بمهماته في المكتب كاملة بل ويلاحق المواضيع التجسسية بنفسه مما جعل المسؤولون بشكل مباشر عنه في حيرة من أمرهم؟ هل يتحملونه اكثر مما هو فيه أم يحيلونه إلى وظيفة أخرى أقل مستوى وبذلك يرمونه في حضيض المعاناة وربما في حضن الألمان الشرقيين.

(وكان قرار المخابرات بقاء تيدجي في منصبه وبقي فيه حتى لحظة اختفائه).

وهذا الأمر أثار انتقادات شديدة بعد هروبه خصوصاً من قبل المسؤول الأسبق عن مكتب مكافحة التجسس ريتشارد مثير الذي قال انه كان ينبغي على المخابرات إحالة تيدجي إلى عمل آخر بمجرد ظهور عوارض الحالة التي كان يعاني منها. وصحيفة دي فيلت قالت في افتتاحية لها «إذا كانت النتيجة قد وصلت إلى ما وصلت اليه فذلك يعني ان الخيار الآخر الذي هو ابعاد تيدجي عن عمله الهام كان هو الصحيح». وأول من دفع ثمن هذا الاهمال هو «هربرت هيلينبرويخ» رئيس شعبة مكافحة التجسس السابق (أي قبل تيدجي) ورئيس المخابرات الألمانية في حينه. كذلك كانت هنالك مطالبة باستقالة «فريدريش زيمرمان» وزير الداخلية الذي يتحمل المسؤولية الكبرى في القضية. أما في الجهة الثانية أي في المانيا الشرقية فقد تجلت الحقيقة أو بعضها على الأقل حين أعلنت وكالة أنباء جمهورية ألمانيا الديمقراطية أن «أحد كبار مسؤولي جهاز مكافحة التجسس السيد هانز يواشيم تيدجي عبر إلى القسم الالماني الشرقي طالباً اللجوء هذا الاعلان وان كان قد أوضح مصير تيدجي إلا انه أثار بلبلة في الأوساط الغربية دارت حول نقطة واحدة هي «هل ان صياد الجواسيس المسؤول عن نصب الشراك للعملاء الشرقيين وقع نفسه في الفخ وهل هو حقاً جاسوس أم أنه مرتد».

وقد علم ان تيدجي منذ وصوله إلى ألمانيا الشرقية خضع لاستجواب دقيق وطويل على يد رئيس مخابرات ألمانيا الشرقية الجنرال ماركوس ميشاولف ومن المحتمل انه قد باح باسماء جميع العملاء الغربيين العاملين في شرقيّ حائط برلين اضافة إلى استطاعته افشاء كل أسرار طرق عمل مكتب المحافظة على الدستور الألماني الغربي (المخابرات) الذي كان ركناً من أركانه. وانه قدم سيلاً من المعلومات على طبق من ذهب. وفي الحال نبهت بون حلفاءها إلى اختفاء تيدجي

وفي الحال أيضاً بدأت المخابرات الامريكية والمخابرات البريطانية والمخابرات الفرنسية بتحديد الأضرار التي قد يحدثها هذا الاختفاء لرجل مثل تيدجي على المهمات الموكولة إلى فروع مخابراتها في بون. ومع ان المخابرات الثلاثة الامريكية والبريطانية والفرنسية لم توضح نسبة هذه الاضرار أو أي شيء عنها فان المسؤولين في المخابرات الألمانية الغربية أصروا على ان تيدجي كان مطلعاً فقط على المعلومات التي تتجمع عن عمليات مكافحة التجسس أما النشاطات التجسسية في ألمانيا الشرقية وغيرها من البلدان فهي من اختصاص رئاسة المخابرات الألمانية الغربية وعلى أي حال فان صداقات تيدجي كافية لتعطيه «مخزوناً» من المعلومات حول عمل المخابرات الألمانية الغربية أو تلك التابعة «للحلفاء».

وقبل إعلان سلطات المانيا الشرقية نبأ لجوء تيدجي إليها بعدة أيام ذكرت هذه السلطات أنها ألقت القبض على ١٦٨ جاسوساً غربياً خلال الثمانية عشر الماضية (منذ ١/٣/١٩٨٤) وفي سياق تعميم نبأ اعتقال الجواسيس الغربيين قالت المانيا الشرقية انه بسبب سياسة برلين الحكيمة (أي سياستههم) لم تؤد قضية تيدجي إلى تشنج خطير في العلاقات بين الشرق والغرب وعلى الفور ردت أصوات في بون بالقول ان الألمان الشرقيين انفسهم يخشون مخاطر فضائح التجسس على هذه العلاقات ولكنها أضافت أنه ربما كان السوفييت وراء هذه الفضائح لكي يقوضوا الانفراج البسيط الحاصل بين الألمانيتين. ومثل هذا الرد هو طبعاً تقليدي جداً.

هروب السكرتيرات بالجملة قبل تيدجي:

عملية هروب تيدجي إلى ألمانيا الشرقية سبقتها عمليات هروب سكرتيرات بالجملة ويبدو انهن كن يعملن تحت امرته في التجسس:

١ - سونيا لينبرغ - مواليد ١٩٢٤ وكانت تعمل في مكتب وزير الاقتصاد مارتن بانغيمان والتي خرجت ولم تعد حين تركت وظيفتها لقضاء عطلة نهاية الاسبوع.

٢ ـ الثانية هي أرسولا ديختر ـ مواليد ١٩٣٣ وكانت سكرتيرة في مكتب منظمة الألمــان المـطرودين «المبعـدين» من بولنـدا وتشيكـوسلوفـاكيا والاتحـاد السـوفييتي. وهـذه بدورها ودعت زميلاتها في العمل مدعية انها ستقضي اسبوعين اجازة في هامبورغ لكن الاسبوعين صارا ثلاثة وأربعة وأخيراً اختفت أرسولا تماماً عن الانظار.

٣ ـ لورينز بتيزينغ ـ المرأة العجوز التي خدمت مديرية الدفاع الفيدرالية.

● وفي وقت لاحق وعنـدمـا بحثت المخـابـرات في شقتي سونيا وأرسولا اكتشفت بعض المعـدات الخاصة بالتجسس ومنها كاميرا خاصة بتصوير الوثائق ومحفظة لها جيوب سرية وبعد تدقيق اكثر في القضيتين وقفت المخابرات مذهولة أمـام ما توصل اليه التحقيق من حقائق وهي وجود خلفية (فلاش باك) وان سونيا وأرسـولا همـا في الـواقع شخصيتان مزيفتان لجاسوستين تعملان «منذ زرعهما» لحساب مخابرات ألمانيا الشرقية. فقضية سونيا لينبرغ بدأت في عام ١٩٦٦ عندما تقدمت مزينة شعر اسمها سونيا لينبرغ بطلب إلى السلطات المختصة تطلب فيه منحها تأشيرة سفر إلى منطقة كولمار الفرنسية وفي كولمار وبعد بعض الوقت أبلغت سونيا السلطات بانها تريد العودة إلى موطنها المانيا وعادت بالفعل ولكن «التي» عادت لم تكن أبداً نفسها مزينة الشعر التي ذهبت (وهذه طريقة جديدة تكشف عن أعمال المخابرات وطريقة زرع العملاء) والمخابرات بعد التحقيق أكدت بشيء من الشعور بالفشل ان هناك تشابهاً بين الاثنين سونيا الحلاقة وسونيا الجاسوسة لكنهما مختلفتـان والقضية بمجملها هي انتحال شخصية بتدريب وذكاء وقوة قلب حتى استطاعت ان تصبح سكرتيرة وزير الاقتصاد بانيغمان وتنال ثقته على مدى ١٢ سنة وهي لم تعمل سكرتيرة مزيفة فقط بل كانت تعدّ أيضاً مقرّبةً من عائلته وتحسب كواحـدة منهـا. ولكن هنـاك سؤال في القضية؟ لماذا تركت سونيا وراءها أدوات التجسس وكان بامكانها أخذها معها أو اتلافها؟ هل لأنها أرادت ان يعلم الجميع بقضية تجسسهـا على رئيسهـا والمحسن اليها؟ ربما. . وتذكر أن آخر ما علمته المخابرات في التحقيق عنها انها لم تكن تتجسس فقط على الأوضاع الاقتصادية باعتبار ان رئيسها هو وزير الاقتصاد بانغيمان الذي حصل على حقيبة الاقتصاد في حكومة المستشار كول عام ١٩٨٤ بعد ان كان لسنوات زعيم الحزب الديمقراطي الحر وهكذا أصبح ممثل الحزب الدائم للحزب في الحكومات الألمانية المتعاقبة

منذ عام ١٩٦٩ وفي ضوء ذلك فإن سونيا كانت مطلعة أيضاً على شؤون ومسائل حزبية غاية في الأهمية.

● أما الجاسوسة الهاربة الأخرى أرسولا ريختر فقد تقمصت شخصية امرأة سافرت من مدينة فرايبورغ الألمانية الغربية في العام ١٩٦٤ إلى ألمانيا الشرقية ومن هناك سافرت إلى كندا قبل ان تعود ثانية إلى ألمانيا الغربية. وهذا الخط من الانتقال غير المباشر عبر الحدود تفضله مخابرات ألمانيا الشرقية في عمليات زرعها للجواسيس. والسكرتيرة الهاربة أرسولا ريختر كانت مصابة بالسكري كما ان إحدى ساقيها مبتورة وتمشي على العكاز الذي استعملته ١٢ سنة في خدمة منظمة الألمان المبعدين الذين كانت تجمع المعلومات عنهم وتنقلها إلى المخابرات في ألمانيا الشرقية واكدت المخابرات الألمانية الغربية ان مهمتها كانت تتعدى ذلك بحيث ان عملها الأساسي كان بمثابة الخيط الذي يربط بين أنشطة الجواسيس الألمان الشرقيين العاملين في غرب ألمانيا وقد أثارت تحركات أرسولا منذ آذار (مارس) ١٩٨٥ شكوك المخابرات الألمانية الغربية التي بدأت تلاحقها وتحصي عليها تحركاتها وقد علم تيدجي عن تلك الملاحقة «أي وضعها تحت المراقبة» فسرب لها امراً بالفرار إلى ألمانيا الشرقية قبل افتضاح أمرها ففعلت ثم أوعز إلى سونيا ولورينز باللحاق بها ومن ثم التحق هو بسفر «الخزوج» خوفاً من انكشاف الحقيقة.

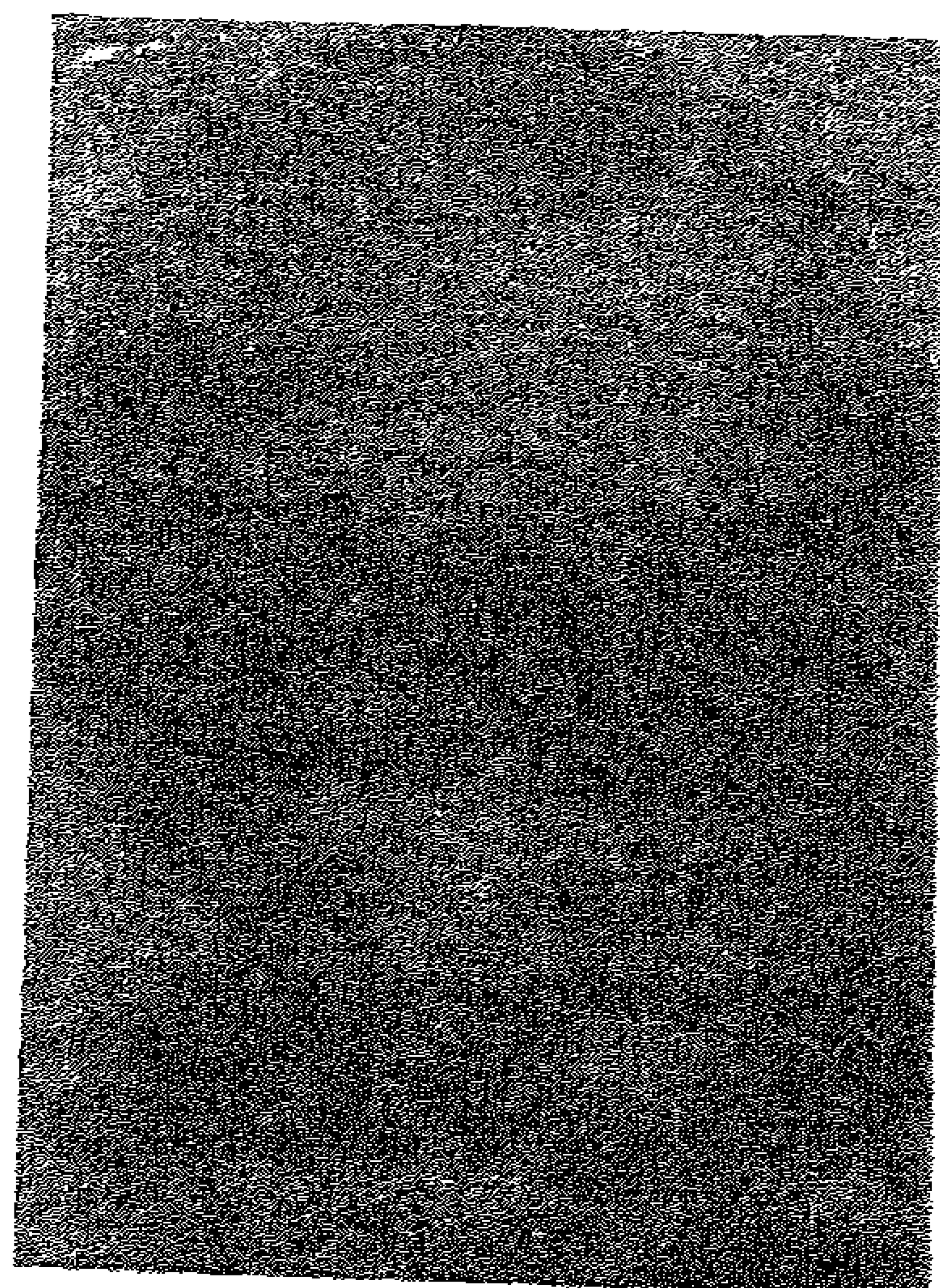
وحول هذه المواضيع المتلاحقة للجاسوسية الشرقية قالت وسائل اعلامية في الغرب ان زرع جواسيس في مكاتب صانعي القرار في ألمانيا الغربية لا يدل على نيات حسنة بقدر ما يثبت سوء نية الشرق الشيوعي خصوصاً بعد هروب السكرتيرات وتيدجي الذين زرعوا سابقاً بتنسيق فاعل لاصطياد الطرائد الثمينة التي تلاحقها المخابرات السوفييتية وحتى الوزراء الألمان الذين يؤثرون الرجال على السيدات في أعمال السكرتاريا باعتبارهم أقل تعرضاً للمغريات والانجذاب العاطفي لم تسلم نشاطاتهم وتحركاتهم من العيون الكاشفة للأسرار وهنا تبرز فضيحة غونتر غيوم الشهيرة التي تتلخص في زرع ضابط من جيش ألمانيا الشرقية في وظيفة مرموقة حتى أصبح الساعد الأيمن لرئيس الدولة في حينه ويلي برانت مما تسبب بسقوطه واصابة العلاقات بين البلدين بجفاء لمدة غير قصيرة من الزمن والحزب الديمقراطي الاشتراكي المعارض كان في الحكم إبان قضية غيوم وما زال واقعاً تحت تأثير تلك الفضيحة لذلك وبدلاً من توجيه الانتقادات في قضية هروب



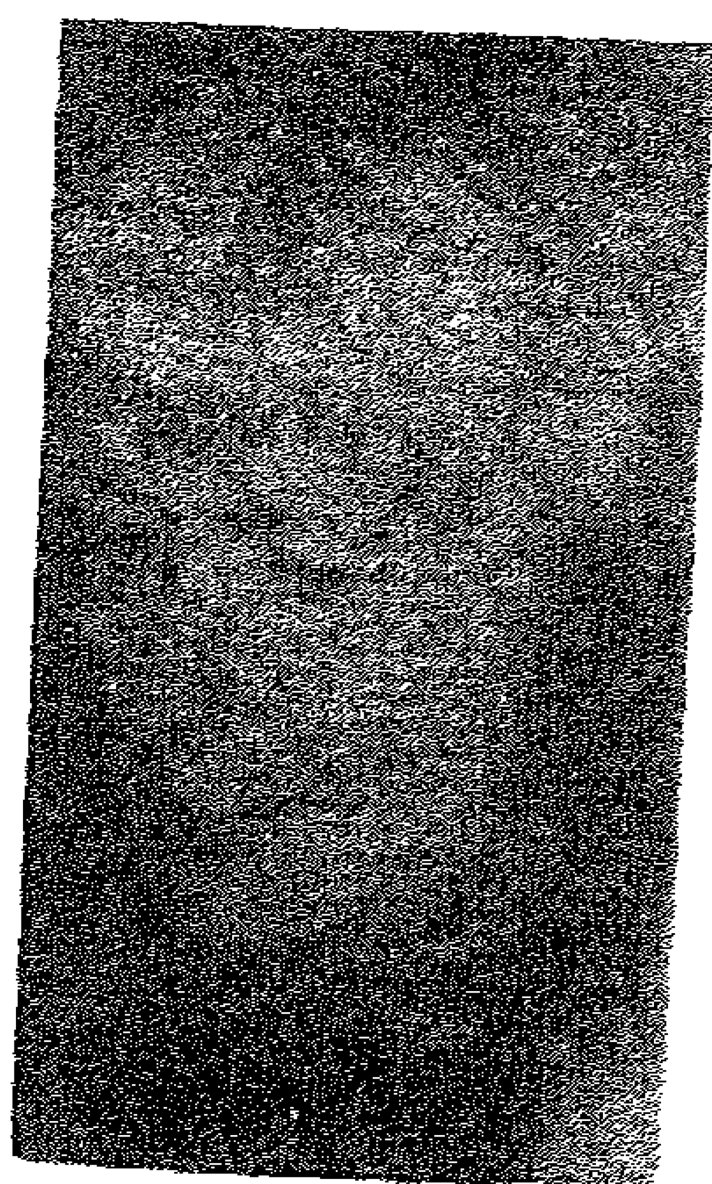
بعض الصحف الألمانية والغربية التي نشرت قصة هروب تيدجي



العقيد ماركوس وولف
رئيس مخابرات المانيا الشرقية



«هانز تيدجي» الهارب . . ؟



«سونيا لينبرغ» سبقت تيدجي بالهروب

تيدجي والسكرتيرات دعا مسؤول الحزب إلى مواجهة التهديد التجسسي الشرقي الـذي يطال «الجميع» لكن فرانتسي جوزف شتـراوس البـافـاري رئيس الحزب المسيحي الاشتـراكي الحليف لكـول كان اكثـر انتقـاداً للبسـاطة التي يمرر بها الشرقيون أعمالهم التجسسية أما المستشار الالماني هيلموت كول نفسه فيبدو انه مصمم على تجـاوز الأزمـة رغم اعتراف حكومته بوجود ثلاثة آلاف عميل شرقي يعملون على الأراضي الألمانية الغربية وأقصى ردة فعل صدرت عنه هي قوله: إن مثـل هذه الأعمـال تسيء إلى العلاقات بين البلدين بل وتلغي أي ثقة مستقبلية بروابط حسن الجوار. وبعد ذلك لم تتوافر كل المعلومات والتفسيرات «لفرار» هذه المجمـوعـة من الجـواسيس ولو جاز الافتراض ان تيدجي هو رئيسهم وانه فعلاً حذرهم من مغبة خطر داهم فلماذا لم يختفوا فجأة. وتيدجي نفسه لماذا انتظر كل هذا الوقت شارداً بين حانات الليل يحتسي الويسكي؟ هل لأن هؤلاء الأربعة كانوا الجـواسيس الشـرقيين الـوحيدين في بون؟ وهـل كان هناك سبب مازال مجهولاً لاحراج حكومة ألمانيا الغربية في وقت لا تلوح فيه امكانات اجراء انتخابات أو يبدو فيه ان فضائح التجسس هذه ستتبخر كسابقاتها؟ هذه المسائل القليلة بدت واضحة من هذه الناحية ومن هنا كان على بون ان تنقذ ما تستطيع من عملائها في أوربا الشرقية قبل ان تطالهم مطرقة تيدجي الهارب كما ان على ألمانيا الغربية تغيير طرقها لمكافحة الجاسوسية وهي الطرق التي يعلمها تيدجي بأدق تفاصيلها والأصعب من هذا كله هو ان تتوصل حكومة بون إلى اقناع حلفائها بأن جهاز مخابراتها مازال جديراً بالثقة ويجب متابعة التنسيق معه وإلى ذلك قامت السلطات الألمانية الغربية باعـادة نظر شاملة وعميقـة في هيكلية مخـابراتها التي اعتادت الافتخار بها أمام مسؤولي حلف الاطلسي. ومن المعلوم ان عالم المخابرات يشكل إحدى أقوى دعائم الأمن في دول الغرب بشكل عام وفي ألمانيا الغربية بشكل خاص وعندما يبـدأ الرأي العام بتوجيه الانتقادات إلى الجهاز الذي يدير هذه المخابرات فهذا يعني ان سلامة الدولة المعنية «في خطر» وان بعض الألمان يميلون إلى الاعتقاد بأن مخابراتهم بعيدة عن اللياقة كل البعد في أعمالها. ويتصرف البعض الآخر على أسـاس إن هذه الأجهـزة هي غير ديمقـراطية وقـد وجهت بعض الشكاوي حول التدخلات التي تقوم بها في حياة بعض الناس.

والـواقع ان مخابرات ألمانيا الغربية في نظرتها العامة للأمور تشتم وجوداً

شرقياً تحت كل سرير وقد طرحت معادلة بين رجال هذه المخابرات تقول ان من بين كل عشرة مواطنين ألمان يوجدو واحد له اذن شرقية وفي أيام المستشار السابق هيلموت شميت زادت أسهم اليسار لأنه شن حملة ضد وزير الداخلية «فيرنر مايهوفر» لسماحه بزرع آلات للتنصت في مجال قضية ارهابية مشتبه بها ضد انشاءآت نووية ولم يشفع بالوزير مايهوفر كونه من مهندسي الائتلاف الحاكم في ذلك الحين وقد استجيب نداء الذين طالبوا برأسه وأقصي عن حقيبة الداخلية وان دلت هذه القضية وغيرها من القضايا المماثلة على شيء فانما تدل على «العداء» الذي يكنه الرأي العام الألماني للأعمال السرية المشبوهة. وللعلم فان قانون حماية حق المواطن بالسرية ميداناً واسعاً للتجاذب السياسي في ألمانيا الغربية ففي حماسهم من أجل الحرية يدافع بعض الألمان عن أعمال يمكن ان تؤول إلى حماية الارهابيين والجواسيس. والسؤال المطروح هو: لماذا تتجسس دولتهم على الاتحاد السوفييتي اذا كان يتبع كما تدعي وسائل اعلام معينة سياسة سلام تجاههم. واذا صدف ان كشفت المخابرات الألمانية الغربية ان السوفييت يقومون بأعمال من شأنها الاضرار بالسلامة العامة فإن هذه الوسائل تكون قد عرضت نفسها لهجوم عنيف يتهمها بالحاق الأذى لأسباب عقائدية معينة بسياسة الانفراج بين الشرق والغرب. وللحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني أسباب وجيهة تدفعه إلى «كره» المخابرات الألمانية فعندما كان ويلي برانت يحضر برنامج «الأوست بوليتيك» قبل ان ينتخب مستشاراً أرسل ايفون بار موفداً عنه للاجتماع بالشيوعيين الايطاليين فقامت المخابرات المذكورة في حينه برفع تقريراً مفصلاً عن جميع رحلات بار ومحادثاته إلى رئاسة الدولة وكان هذا التقرير السبب المباشر في دحرجة بعض الرؤوس عندما وصل الحزب إلى الحكم عام ١٩٦٩. ومن هنا بدأت المخابرات الألمانية تفقد الثقة بها وحتى فقدان سمعتها وأصبح من الصعب انتقاء موظفين ذوي كفائة للعمل بها وهذا شيء خطير ذلك ان الأسلوب المعروف عن ألمانيا الغربية أنها تحرص على تزويد أجهزتها الأمنية بخبرة الرجال من دون الاكتفاء فقط بأناس «جيدين» والشعب الذي يدفع الضرائب يعرف ذلك ولكن الشيء المؤكد هو ان غالبية رجال السياسة والصحافة لا يريدون إدراكه وهذا ما يفسر - ربما - لماذا تخبيء الحياة في ألمانيا الغربية هذا العدد الكبير من المفاجآت سنوياً.

ألمانيا الغربية مستودع كبير للجواسيس:

ومما يجعل للمفاجآت سمة بارزة في الحياة الألمانية ان ألمانيا الغربية بالذات هي أكبر مستودع بشري للجواسيس في العالم وقد اكتسبت هذه السمعة منذ العهد النازي وبعده باعتبار ان النظام الذي يظلل برلين الغربية من حيث التمتع باكبر قسط من الحريات ومن حيث حضور «جماعات» الدول الكبرى الأربع المنتصرة في الحرب والمسيطرة على برلين يتيح الحصول على اكبر قدر من المعلومات عن كل شيء بدءاً بالخطط العسكرية ومروراً بأسرار التكنولوجيا وانتهاء بالتفاصيل الصغيرة وحتى التابعة للعلاقات الشخصية العاطفية بين رجل وامرأة أو حتى بين رجل ورجل أو بين امرأة وأخرى لأن في عالم التجسس لا يستغرب شيء فالجاسوسية تستغل الشرف في أعلى مراتبه والشذوذ في أدنى وأحط مداركه ولأن التفاصيل عن الأمور التافهة كثيراً ما تلعب رغم تفاهتها دوراً أساسياً ومنالاً في نهاية الأمر أي في الحصول على الأشياء الكبيرة ولعلم القارىء فقد صدرت حتى الآن في سائر الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة وكذلك في دول الشرق أكثر من ستماية كتاب وكتبت آلاف المقالات وانتجت عشرات الافلام والمسلسلات

ونحن نقدم للقارىء ولأول مرة «هذا الفصل الذي يحوي أدق المعلومات عن أعمال الجاسوسية في ألمانيا الغربية» نظراً لخطورتها وتشعبها إلى جميع دول العالم بما في ذلك طبعاً الشرق الأوسط بينما كنا قد اكتفينا في الجزء الأول من هذه الموسوعة الجاسوسية وفي الصفحة ٣٧٧ بتقديم موضوع خاص عن الجاسوس الدولي غونتر غيوم فقط.

التلفزيونية وكل هذه المعلومات تتحدث عن الدور الذي لعبته وما تزال تتولاه برلين الغربية في عمليات الأخذ والعطاء بين مختلف مخابرات العالم. ففيها بدأت ومنها توزعت صفقات التجسس الكبرى الشهيرة التي شملت الكثير من قضايا العصر ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ الاعداد لخطف أدولف ايخمان «حارق اليهود» كما يسمونه من قبل المخابرات الاسرائيلية من الارجنتين إلى اسرائيل ومحاكمته واعدامه (صفحة ٤١٥ الجزء الأول).

٢ ـ ملاحقة جنرال نازي آخر يدعي بيربي وملقب بـ (جزار ليون).

٣ ـ كشف عملية استخراج اليورانيوم في تشيكوسلوفاكيا.
٤ ـ إعداد العمليات لانتشال الغواصة النووية السوفييتية التي تحطمت في المحيط الهادي بعيداً عن عيون أقمار التجسس.
٥ ـ إرسال عملاء لاثارة البلبة في بولونيا.

وغيرها من القضايا التي مابتزال موضع صراع خفي وحتى عملية الاستغناء عن الشاه محمد رضا بدأت في هذه المدينة حيث علم ان سقوطه يرجع إلى مخطط سوفييتي موجّه لتدمير النظام الأمني الامريكي في جنوب غرب آسيا وشق طريقه إلى الخليج وقد ظهر فيما بعد ان دور السوفييت كان متواضعاً وقد انحصر في الحصول على أي مكاسب لضمان الاستقرار على حدودهم.

كما ظهر في الوقت نفسه ان المخابرات الامريكية لعبت الدور الرئيسي بالاتفاق مع المخابرات الاسرائيلية للابقاء على الشاه وحكمه لصالحهم وذلك لأن الشاه كان الأداة لتحطيم صيغة التعايش مع الاتحاد السوفييتي أولاً وثانياً كان الشاه يعتبر في نظر الامريكيين القوة القادرة على السيطرة على المتعصبين من المسلمين حيث كان المرشد الديني والامام آية الله الخميني يعد العدة للثورة الاسلامية التي انتصرت على حكم الشاه فأسقط في يد المخابرات الامريكية والمخابرات الاسرائيلية أما المخابرات الامريكية التي روعت باحتلال الطلبة السائرون على نهج الأمام الخميني للسفارة الامريكية في طهران فقامت بمحاولة فاشلة لانقاذ الرهائن المحتجزين في السفارة أما المخابرات الاسرائيلية فقد حاولت التقرب من الثورة الاسلامية ولكنها صدت وفشلت حيث ادعت انها طلبت من حكومة الثورة الاسلامية وفي عرض وقح ضرب المفاعل الذري العراقي ولما رفضت الثورة قامت الطائرات الاسرائيلية بضرب هذا المفاعل بنفسها.

ومن أبرز العمليات ذات الطابع التجسسي التي تم وضع مسودتها في برلين ايضاً وأثارة الأزمة الاردنية مع المنظمات الفدائية عام ١٩٧٠ حيث تعهدت الولايات المتحدة «لاسرائيل» بأن تتدخل عسكرياً معها اذا تدخلت مصر والاتحاد السوفييتي لمساعدة سوريا في حال وقوع اشتباك مع الدبابات السورية. وجاء في وثيقة سرية عن هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكية الأسبق انه برع في إشعال هذه الأزمة بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية لتتمكن اسرائيل في حينه من الاستيلاء على قطعة استراتيجية من الأرض الاردنية هي مرتفعات أربد المطلة على كل ما حولها

وكان كيسنجر وهو الصهيوني يسعى لاسرائيل بالحصول عليها بالاعتداء واستغلال أزمة ١٩٧٠ وقد خاب فأله ولا تزال هذه الأرض تحت الراية الاردنية الخفاقة.

كما توجد الصفقات السرية التي يبدأ عقدها في هذه المدينة الألمانية وتتوزع تفاصيلها على سائر عواصم العالم المعنية بها وتعد بالعشرات وتشمل العديد من البلدان في أفريقيا وامريكا اللاتينية وشرقي آسيا فضلاً عن اوربا بقسميها الغربي والشرقي وتتناول كل شيء من تكنولوجيا الصناعة بجميع انواعها وخصوصاً تكنولوجيا السلاح إلى الاتفاقيات التجارية والانشائية والخطط العسكرية والارهابية ولاسرائيل علاقة بأغلب ما يجري كما للمخابرات الامريكية دور فيها لمصلحة اسرائيل عبر مخابراتها الموساد وهي المخابرات التي تعتمدها الادارة الامريكية في تقويماتها للأوضاع في الشرق الأوسط اعتماداً كاملاً وحيث يجري الحديث عن صفقة استخبارية ضخمة تتجه الأنظار إلى المخابرات الامريكية والموساد لتطرح احتمالاً من اثنين لا ثالث لهما:

الأول: ان الموساد إنما هي فرع من فروع المخابرات الأمريكية سي. آي. إي وبالتالي فإن اسرائيل هي بالفعل الولاية الواحدة والخمسون في الفدرالية الامريكية ولو إن لها علم خاص ومقعد في الأمم المتحدة وإن أرضها بالأصل مغتصبة في خريطة العالم.

الثاني: إن نفوذ الجالية اليهودية في الولايات المتحدة قد استشرى حتى يمكن القول ان الولايات المتحدة كلها ليست سوى «الولاية الثانية» في فدرالية اسرائيل.

وللموساد أيضاً دور في عمليات المخابرات السوفييتية ذاتها ذلك ان الموساد ورط عملاء من اليهود في التجسس لحساب الاتحاد السوفييتي لقاء صفقة جزئية تقضي باخراج دفعة من اليهود السوفييت ثم أوقعوا بهؤلاء العملاء وكشفوهم مما جعل موسكو تتراجع عن وعدها.

وإذا عدنا إلى فضائح التجسس الأربعة التي هزت ألمانيا والعالم الغربي أخيراً ظهر مؤشر إلى اصابع الموساد أيضاً في إيصالها إلى ما وصلت اليه من الاثارة ذلك ان تيدجي أودى بحياة ثلاثة من عملاء الموساد في برلين الشرقية كان يعلم طريقة زرعهم عندما مرّوا بـ بون وهؤلاء العملاء.كانوا مكلفين باجهاض الخطط التي يعدها فلسطينيون مقيمون في برلين الشرقية ضد اسرائيل.

والمخابرات الاسرائيلية لا تتحرك إلا لما يخدم اسرائيل وحدها ولو على حساب العالم كله وأوله امريكا ولية نعمتها وحياتها ومع ذلك تجسست عليها (على عينك ياتاجر) بواسطة بولارد وقصته في مكانها مع فصل المخابرات الاسرائيلية في هذه الموسوعة وغيرها سابقاً ولاحقاً وهذا الموضوع قديم قدم التاريخ نفسه الذي يؤكد على ان اليهود هم أول من اخترع مهنة التجسس وهم الذين اخترعوا أيضاً مهنة «الدعارة» التي تلتقي مع التجسس في اكثر الأحيان.

والجواسيس معروفون منذ أقدم عصورالتاريخ وعلى وجه التحديد منذ عرفت الحروب وفي سجلات التاريخ كما في كتبنا المتواضعة الجزء الأول والجزء الثاني تعليقات وتفصيلات لها مغزاها عن الجاسوسية من مصر إلى الصين إلى بريطانيا وفرنسا وحتى في أيام قبائل الرعاة الرحّل أصبح التجسس عملية معترف بها. ويذكر التاريخ ان يوسف اتهم اخوته بأنهم جاؤا إلى مصر لكي يتجسسوا ويتعرفوا على حالة بلاده التي كانت تمر في السبع سنوات العجاف.

معلومات وتعليقات جديدة حول خلفية هروب تيدجي للشرق:

وإذا عدنا إلى شرح آخر المعلومات المتوفرة والمترجمة عن هروب تيدجي إلى الشرق فيجب ان نعود إلى شرح خلفية هروبه لأنه كان قبل هروبه وكما شرحنا يقوم بعمله خير قيام رغم تعاطيه المشروبات الكحولية لدرجة «فقدان الوعي» وهذا أول ما تمنعه أي مخابرات في العالم لكي لا يفلت أو يشي اللسان أثناء السكر بما يختزنه العقل الباطن وحتى قبل إدمانه «المصطنع» على المشروبات الكحولية كما سيظهر فقد كان تيدجي رجلاً متوازناً للغاية لكنه كان يدعي «حالة السكر» لاخفاء علاقته السرية فالرجل الذي كان مفترضاً فيه أن يكافح الجاسوسية السوفييتية قام بالعكس بانشاء شبكة قوية للقيام بكل عمليات التجسس التي تعود بالفائدة على الاتحاد السوفييتي وإذ كان يتمتع بشخصية رشيقة تبدو ضبابية أحياناً فقد تمكن من السيطرة النفسية على رؤسائه ومرؤسيه معاً وكان بالظاهر «يبدو» اكثر الناس كراهية للاتحاد السوفييتي لدرجة انه لم يتردد في القول ذات مرة وأمام مسؤول فنلندي «إن الرئيس هاري ترومان كان يفترض به ان يأمر بالقاء القنبلة الذرية الأولى على موسكو» لأنها سبب في اندلاع الحرب العالمية الثانية.

الاعداد لاغتيال الرئيس الامريكي ريغان:

بحكم عمالته للشرق أعد تيدجي بالتعاون مع المخابرات السوفييتية خطة لاغتيال الرئيس ريغان أثناء زيارته لألمانيا الغربية وكان الاغتيال سيتم بواسطة رجلين من القتلة المحترفين الذين يعرفهم تيدجي يقفان في مكانين متقابلين يحملان بنادق قناصة اشتريت خصيصاً للاغتيال من أعلى وحسب الطريقة التي اغتيل بها كندي «قنصاً» وقد أعدّ تيدجي الرجلين لاحتمال اخفاق أحدهما لأي سبب طارىء فيقوم الآخر بالاغتيال للرئيس ريغان وهو يقوم بزيارة المقبرة العسكرية التي تضم عدداً كبيراً من العسكريين النازيين وقد دبر كل شيء باتفاق تام وفجأة جاءت الأوامر من موسكو بوقف التنفيذ. وللمصادفات الغريبة في عالم الجاسوسية ان تيدجي نفسه كان على علاقة طيبة ووثيقة بحكم مركزه بالمخابرات الامريكية التي كان سيطعنها من الخلف باغتيال رئيسها الأول الرئيس ريغان رغم كل الحراسات والاحتياطات المتخذة وإذا كانت ألمانيا الغربية هي بوابة العبور باتجاه الشرق فقد كان تيدجي يعرف «تقريباً» كل عميل غربي يتوجه إلى الاتحاد السوفييتي أو إلى أي دولة أوربية شرقية أخرى. كان بحكم عمله يحصل على كل التفاصيل ثم يرسلها عبر قناته الخاصة إلى الـ كي. جي. بي في موسكو. وفي المدة الأخيرة أي قبل هروبه كانت رئاسة المخابرات الألمانية الغربية تعرف جميع نشاطاته لكنها كانت تظهر جهلها الكامل بالأمر لا بل إنها كانت تغدق عليه المديح بسبب حصوله دائماً على المعلومات الدقيقة والهامة وعلى أساس معرفة رئاسته بنشاطه المعاكس يفترض انهم قد زودوه في المدة الأخيرة بمعلومات مغلوطة للخداع حتى إذا ما لاحظت المخابرات السوفييتية ذلك طلبت إليه الفرار على الفور ولكن هذا الادعاء الأخير غير دقيق للغاية فلو كانت المخابرات الألمانية الغربية تعرف حقيقته فعلاً لما تمكن من الفرار اطلاقاً ولكانت كل تحركاته أخضعت للرقابة الشديدة ولكن هناك من أراد وفي أكثر من عاصمة أوربية القول بأن تيدجي استطاع ان يخدع الجميع وان يحصل على معلومات يفترض انها وصلت إلى المخابرات السوفييتية ولذلك يجب إعادة النظر وبصورة كاملة بالخطط الاستراتيجية الغربية أما إذا كان صحيحاً أنه بات مكشوفاً قبل فراره وهذا احتمال ضئيل للغاية فلا شك ان ثمة أيدي ألمانية

«ولعلها أيد مسؤولة» هي التي ساعدته على الهرب حتى لا يكشف أمورا يؤدي افتضاحها إلى زعزعة الثقة العامة بألمانيا الغربية وربما بالدول الغربية برمتها. وفي الفترة الأخيرة من عمله أصبح تيدجي يدعى بالحارس الكبير ولكن هذا الحارس سقط وسقطعت معه ألمانيا في كأس من النبيذ الذي كان يشربه في حانة الأسرار حتى ان أحد أعضاء «البندستاغ» وهو مجلس النواب الألماني قال عن الموضوع: «أجل لقد تحطمت أسرارنا وتحطم رجالنا أيضاً لكن الأهم هو ان ثقة الآخرين بنا هي التي تحطمت» وكان هذا العضو من الحزب الاشتراكي يشير في حديثه إلى أنه خلال القمة الأخيرة للدول السبعة المصنعة بدا واضحاً ان واشنطون وبون أعلنتا نوعاً من التفاهم سوية على بعض الأمور التكنولوجية بعد ان أيدت الدول الغربية الأخرى وعلى رأسها فرنسا تحفظات عميقة على المشاركة في «مبادرة الدفاع الاستراتيجي» التي تعرف دولياً بـ «حرب النجوم»..وفي حينه أصبح من المعروف ان كل الأسرار الامريكية كانت بين يدي الألمان وبعد هروب تيدجي فكل الأسرار الامريكية أصبحت بين أيدي السوفييت الذين طالما قال الامريكيون انهم يعيشون في عصور الجليد لكن الجليد هذا أصبح يحرق أصابع الغربيين كما يبدو وثمة تفاعلات لقضية تيدجي قد لا تقتصر على المستشار كول وحده فالمعروف ان المخابرات الامريكية تقيم نوعاً من المظلة الأمنية السرية فوق المانيا الغربية لكن المخابرات السوفييتية تمكنت من إحداث «ثقوب» واسعة في هذه المظلة والدليل ان تيدجي الحارس الكبير انتقل من برلين الشرقية إلى موسكو على الأرجح ليتطاير رجال الغرب في الشرق ولم يكن من الضروري ان يلقي السوفييت القبض على الجواسيس الهاربين في القطارات بشكل خاص والذين يبدون كركاب من الدرجة الثانية أو الثالثة لأنهم جميعاً أصبحوا تحت المراقبة مادام تيدجي «المخمور» هناك.

والامريكيون قاموا بالدفاع عن الاحتمالات قائلين ان العديد من الألمان لم يتخلصوا من العقد ولم يتجاوبوا بالتالي مع مبدأ العيش المشترك مع الأمم التي دحرتهم في منتصف الأربعينات وبالطبع فان هؤلاء هم الذين يتسللون كالثعابين إلى المراكز الحساسة مستعدون لفعل أي شيء ينشر التوتر في العالم ويجعل احتمالات الصدام اكثر حدة فالألمان يجب ان يكونوا في حالة حرب مستمرة مع الجميع إلى ان تتوحد ألمانيا وهذا هو حلم جميع الألمان ولهذا السبب يدعى

الامريكيون بأنهم لم يضعوا أمام حلفائهم الألمان سوى الأسرار عديمة الجدوى ومنذ ان ألقي القبض على مستشار المستشار الألماني السابق ويلي برانت. المقدم بالجيش الشعبي والمخابرات الألمانية الشرقية غونتر غيوم في شهر أيار (مايو) ١٩٧٤. لكن الكولونيل «دوغلاس لوفين» من المخابرات الامريكية قال إن أجهزة المخابرات الغربية وخاصة الامريكية قائمة على الأخطاء التي قد لا يكون سببها الأساس هو الضياع فثمة سبب آخر هو الانبهار الايديولوجي. فالكثيرون من الرجال الذين يعملون في المخابرات الامريكية يشعرون بأن العقول الالكترونية تحل محلهم في العديد من الأمور أما دورهم فبات يقتصر على الشؤون الهامشية أو على المراقبة وربما على تنفيذ العمليات الاجرامية كالاغتيال والانفجارات إذا اقتضت الضرورة لذلك وأضاف لوفين إن المخابرات في أي دولة من الدول لابد ان تكون انعكاس للوضع المجتمعي أما في الولايات المتحدة حيث يعاني الجميع من التفتت العميق فلا مجال للحديث عن التماسك في أي قطاع حتى ولو كان هذا القطاع قطاع المخابرات حيث يفترض ان يقوم «توازن» في عبقرية الملائكة وعبقرية الشياطين لكن لوفين يعتقد ان السوفييت ليسوا بحاجة إلى التجول داخل البيت الأبيض وقد يكونون هناك فعلاً كي يطلعوا على الأسرار الاستراتيجية والرئاسية الامريكية «لكن» يكفيهم ان يتجولوا في أمكنة أقل أهمية كي يعثروا على تلك الأسرار وهي مبعثرة على الأرض كما كانت الحال في منزل تيدجي قبل هروبه وقد بدا هذا المنزل بعد تفتيشه من قبل المخابرات الألمانية كما لو أنه مقهى سوفييتي من الدرجة الرابعة ويمكننا ان ننقل للقراء أحدث نكتة عن عمل المخابرات للمستحيل في هذا العصر قالها كاتب سياسي امريكي وهي ان المخابرات السوفييتية كي. جي. بي تمكنت بواسطة عميل لها ان تزرع جهاز بث الكتروني في بطن الرئيس ريغان لدى اجراء العملية الجراحية له في قسم من أمعائه المصابة بالسرطان. ونعود إلى حديث الكولونيل لوفين عن المخابرات وتبعاً لما يقوله فإنه من غير المعقول التنسيق المطلق بين المخابرات الأطلسية صحيح ان هناك إدارة مركزية لهذه المخابرات في بروكسل لكنها تصطدم في حالات كثيرة خصوصاً عندما يكتشف أحد اجهزة المخابرات ان مخابرات حليفة تتجسس عليه بعبارة اخرى ان أزمة الثقة هي التي تحكم العلاقات بين هذه الدول وقد تم بحث هذا الموضوع اكثر من مرة في الاجتماعات السرية لقيادة الحلف وكانت تتخذ

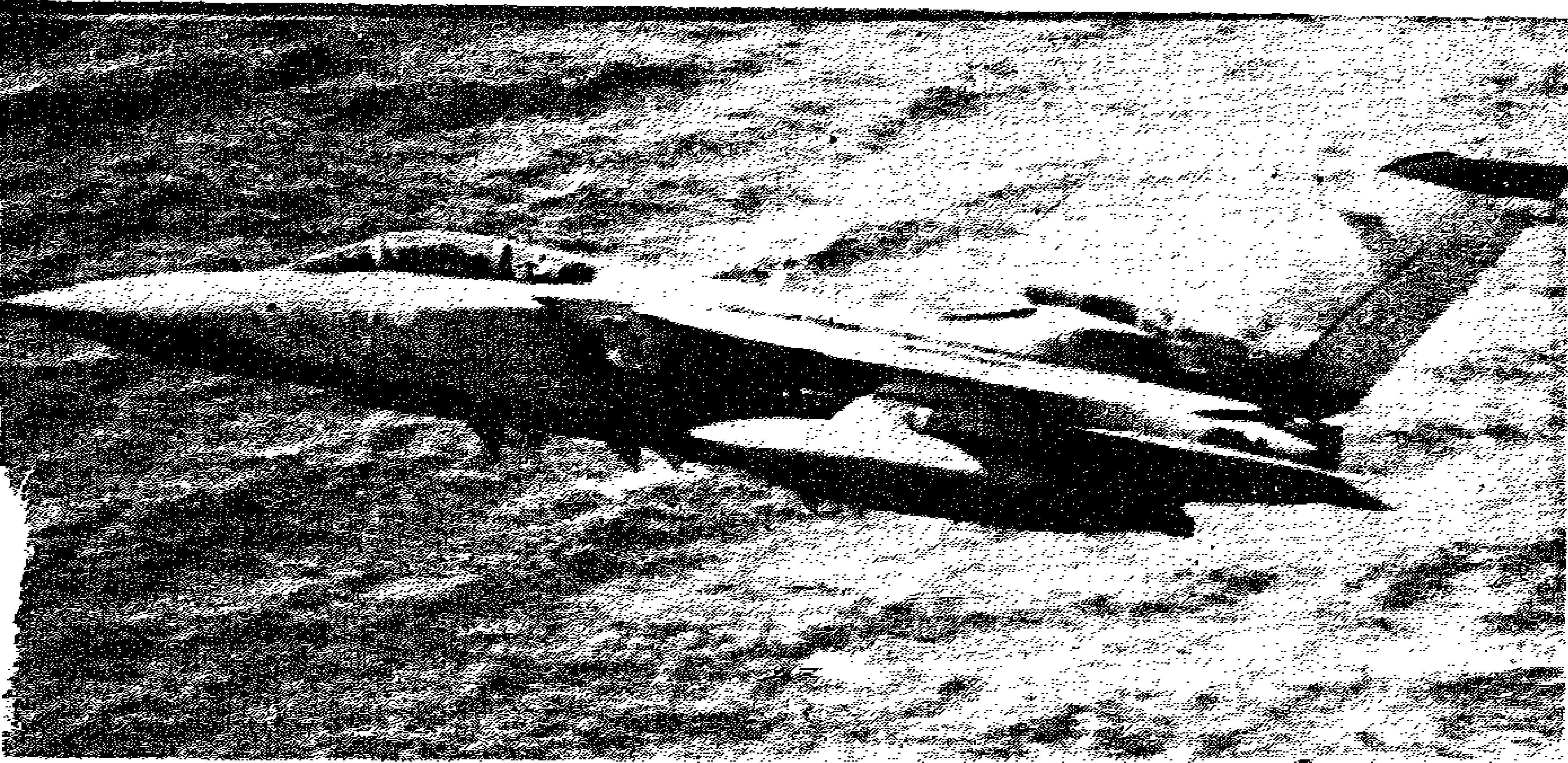
التوصيات التي كانت تزيد الأمور تعقيداً وهنا يقول لوفين[1]: ان السوفييت موجودون في كل مكان (يقصد الـ كي . جي . بي) لقد خدمت في باريس وروما وبروكسل وأعرف تماماً أن قرارات حلف شمال الأطلسي كانت تصل إلى موسكو قبل ان تصل إلى واشنطون.

وعودة للواقع عن العمل التجسسي في ألمانيا الغربية فإن المانيا تمثل الآن العمق الحقيقي لحلف شمال الأطلسي ودوله كافة فالفرنسيون انسحبوا من الجناح العسكري للحلف في آذار (مارس) ١٩٦٦ بقرار من الرئيس الراحل ديغول كما ان البريطانيين يعانون من الترهل فيما تتراقص إيطاليا بين الأحزاب المتصارعة فتبقى الظروف الألمانية هي الأفضل بحيث ان الجنرال «الكسندر هيغ» وقد شغل لفترة طويلة منصب القائد العام لقوات الحلف وصف بون ذات مرة بأنها عاصمة الأطلسي مع انها لا تطل على المحيط بل تغتسل بمياه بحر الشمال. ولكن الألمان يشعرون وكأن عليهم ان يتصرفوا كما العمالقة الذين فرض عليهم المكوث في القاع وهذا الكلام على لسانهم أيضاً «إننا نتنفس نصف الهواء ونرى نصف السماء ونعمل لنصف المستقبل». اذاً ينبغي ان تنقسم الكرة الأرضية إلى قسمين أو بالأحرى يجب ان تنفجر وعندما أثيرت قصة تيدجي طلعت إحدى الصحف الفرنسية المتطرفة بتعليق خلصت القول فيه إلى ان «كل ألماني جاسوس حتى يثبت العكس» مضيفة بأن الألمان جعلوا الاتحاد السوفييتي العضو الرئيسي في حلف شمال الأطلسي. أجل انه يوجد بين دول الحلف وينبغي ان نفتش رؤوس الجنرالات الألمان بدقة قبل ان يدخلوا اجتماعات الحلف فهناك توجد الأبالسة.

وكان دوتش بالم رئيس قسم التخطيط في شركة ميسر سميت قد اعتقل في ايلول (سبتمبر) ١٩٨٤ بعد اتهامه بالعمل لصالح المخابرات السوفييتية وتسليمها معلومات تتعلق بمشاريع أطلسية بالغة الحيوية من بينها مشروع الطائرة المقاتلة «أس. ف» الذي بدأته خمس دول أوروبية عام ١٩٨٣ وتسليم تصاميم الطائرة المقاتلة «تورنادو» التي تنتجها بريطانيا وايطاليا وألمانيا الغربية ومشروع «ستيلث»

---

(١) هو الكولونيل دوغلاس لوفين (عقيد سابق في المخابرات الامريكية) استقال منها في مطلع الثمانينات ويعيش الآن في مزرعة صغيرة اشتراها في كاليفورنيا ويقوم بنفسه بزراعتها والمشاركة في تعليب الانتاج.



المقاتلة متعددة المهام «تورنادو» أسرارها في موسكو
المقاتلة متعددة المهام «تورنادو» أسرارها في موسكو

ذو الحيوية التكنولوجية الخاصة والذي يهدف إلى جعل الطائرات والصواريخ غير مرئية على شاشات الرادار. هذا الرجل الجاسوس وكما ورد في قرار الاتهام عمل لحساب الـ كي . جي . بي طوال ثلاثين عاماً «أغلب جواسيس الـ كي . جي . بي من المعمرين في التجسس» والمثير في قضيته انه لدى العودة إلى ملفه الشخصي لدى إدارة المخابرات الألمانية التي أخضعته للمراقبة ولمدة طويلة كما هي الحال المتبعة بالنسبة لجميع الذين يشغلون مراكز حساسة في المخابرات أو غيرها لم تأخذ عليه أي مأخذ بل على العكس اشارت التحقيقات إلى انضباطه المطلق واخلاصه لوظيفته؟ ولكن في أغلب الأحيان يلقى القبض على الجاسوس بسبب خطأ بسيط وهذا ما حصل مع روتش وبعد ثلاثين سنة خدمة جاسوسية مخلصة للاتحاد السوفييتي «نسي» حقيبة يده الصغيرة في بار ليلي وكان بطريقه للمنزل ويحمل بها بعض المستندات التي صورها حديثاً ومن قبيل الأمانة ذهبت الحقيبة للشرطة لاعادتها لصاحبها وبعد تفتيشها «لمعرفة العنوان» فوجئت الشرطة بالمستندات فسلمت الحقيبة وما فيها للمخابرات الألمانية وكانت النتيجة الحكم عليه بالسجن عشرين عاماً. والبعض يصفون الجواسيس بالجراثيم الثمينة لكن ضابطاً فرنسياً قديماً هو لوران بيترلي لا يتورع عن الدعوة إلى تقسيم ألمانيا إلى أربع دول على الأقل لأن تقسيمها الحالي لا يحل المشكلة بل انه يتيح المجال أمام الألمان كي يزرعوا الالغام في القاع حيث هم الآن ويتابع الضابط لوران قوله: ان الألمان اشعلوا الحرب العالمية الثانية وهُزموا لكنهم يخططون الآن لقيام الحرب

العالمية الثالثة ليَهزموا ما تبقى من العالم. والواقع ان موجة هائلة من الخوف سادت الأوساط العسكرية في الغرب نتيجة الهروب الجماعي والافرادي للجواسيس إلى الشرق وطالبت هذه الأوساط بضرورة تحديد أسس جديدة لتداول الأسرار وإلى حد الدعوة إلى «تحييد» ألمانيا الغربية عسكرياً بحيث لا تبقى عبارة عن صندوق بريد تنتقل عبره كل الأسرار الاستراتيجية الغربية إلى الاتحاد السوفييتي.

لكن المستشار هيلموت كول أراد ان يعالج الأمر سريعاً دون ان يفعل ما فعل ويلي برانت عندما استقال بمجرد توجيه الاتهام إلى مستشاره غونتر غيوم لأنه اقتنع ان الاتحاد السوفييتي قد لا يكون هدفه جمع المعلومات «فقط» بل قد يكون هدفه زعزعة البنية النفسية في ألمانيا الغربية وذلك من خلال هذا النوع من «الانقلابات الجاسوسية الباردة» ولعلم القارىء ان الملكة اليزابيث الثانية لم تفكر بالتنحي عن العرش البريطاني عندما اكتشفت المخابرات البريطانية ان مستشارها الفني انطوني بلانت كان يعمل لحساب الـ كي. جي. بي لأن من الطبيعي ان يكون هناك جواسيس في المجتمعات الديمقراطية حيث لا حدود لحرية المعتقد ومع ذلك فان الاوربيين يعتقدون ان الألمان هم اكثر قابلية لـ «السقوط» ليس لأنهم لا يستطيعون الصمود أمام الاغراءات وانما لأن لهم اهدافهم البعيدة المدى وعلى رأسها احداث بلبلة كارثية في الغرب ودفع بيان التسلح إلى النقطة التي لا يعود فيها من مناص الحرب. مثل هذه التحليلات العرقية بدأ يظهر في الغرب حتى ان بعض المحللين بدأ يطرح أسئلة صريحة وحادة مثل: هل سيقاتل معنا الألمان الغربيون إذا خضنا الحرب؟ أم انهم سيطعوننا في الظهر. ؟ ولماذا لم تصل عدوى التجسس إلى اليابان هل لأن اليابانيين يعملون ضدنا في الخفاء؟ هذه الأسئلة تطرح أزمة. واكتفى كول بدحرجة بعض الرؤوس التي لم ولن تكون الأخيرة نتيجة هروب تيدجي والسكرتيرات إلى الشرق لكن الواقع ان قضية تيدجي «اكبر» من ان تعالج باطاحة رئيس المخابرات (الذي كان رئيساً لتيدجي) فالتقارير كانت تصل إليه حول سلوك مرؤوسه تيدجي الذي سبق ان «قتل» زوجته قبل ثلاث سنوات وكنا قد ذكرنا في مستهل قصته هذه ان زوجته قد سقطت في الحمام فارتطم رأسها بالمغسلة وحدث النزيف الذي أودى بحياتها وهي على طاولة العمليات قسم الاسعاف وأيد ذلك الطبيب الشرعي تأييداً لادعاء تيدجي الذي كان ذو نفوذ قوي بالمخابرات وتبع ذلك قرار النيابة العامة الألمانية بحفظ القضية باعتبارها قضاء وقدر كما يقال في القضاء

العربي. لكن بعد هروب زوجها تيدجي إلى المخابرات الألمانية الشرقية وربما إلى موسكو أعيد فتح الملف وظهرت الحقيقة المرة وهي:

١ - انه ارتكب جناية قتل زوجته عن سابق تصور وتصميم. بعد جدال حاد معها في حمام المنزل حول اتهامها بالخيانة.

٢ - تمثيله «الادمان على تناول المشروبات الكحولية» بشكل رائع وجيد لدرجة انه خدع الجميع.

ولكن فتح الملف بعد ان أصبح تيدجي في مأمن تام لا يفيد السلطات الألمانية بشيء لأن المخابرات الألمانية الشرقية مثلها في الوفاء لعملائها مثل المخابرات السوفييتية وقد أصبح تيدجي من ضيوفها وسوف يقضي «شيخوخة ذهبية» لديهم مثل فيلبي وبيرجس وغيرهم من عملاء المخابرات السوفييتية. والمثير في هذا الموضوع ان بعض الأصوات في اوربا تدعو إلى اعتبار الجاسوسية في ألمانيا الغربية أمراً مشروعاً عند ذلك يمتنع حلف شمال الأطلسي عن وضع حياة وأسرار شعوبه بين أيدي السكرتيرات والمخمورين والقتلة. فيما يدعو البعض الآخر إلى وقف الخطأ الامريكي بعسكرة ألمانيا لكن الاوربيين لا يفهمون ألمانيا أبداً وأيضاً لا يفهمون الألمان الذين يتنفسون نصف الهواء ويرون نصف السماء ويعملون لنصف المستقبل ويقولون أي الألمان: «إننا نرتدي تاريخاً ممزقاً ونعيش موتاً ممزقاً» ويقول ألماني آخر هو كورت لينغر كلام خطير جداً يعني ان الألمان لم ينسوا جراحهم القديمة بمجرد ان قامت المباني الجديدة وعليهم ان يدمروا العالم مرة أخرى اذا تمكنوا؟ هؤلاء الذين يتذكرون ساعات برلين الأخيرة التي اغتصبت كنساء الأرصفة كما يقول النازي الجديد هربرت براكل يملكون كل الكراهية التي تجعل منهم جواسيس من الدرجة الأولى والمهم في هذا الموضوع ان الأطلسيين يستعيدون المعلومات التي كانت بين يدي وفي رأس تيدجي ولكنهم لا يستطيعون تحطيم رأسه. اذاً فليعملوا على تحطيم المعلومات قبل ان يلتهمها تيدجي آخر. وفي مكان آخر؟ يشربون نخب هانز يواكيم تيدجي المتقاعد الجديد...

أبعاد سياسية دولية لهروب تيدجي إلى الشرق:

(اعتقال جاسوسة في القصر الجمهوري الألماني)

● ذكرنا هذه التفصيلات المستفيضة عن خلفية هروب تيدجي إلى ألمانيا الشرقية ومع ذلك استمر الشك والتفتيش عن أبعاد هذه الفضيحة الجاسوسية والجميع مذهولين وكأن على رأسهم الطير ولم تمض عدة أيام على وصول تيدجي إلى برلين الشرقية كما ذكرنا حتى أعلنت المخابرات الألمانية الغربية عن اعتقال سكرتيرة تعمل في مقر رئاسة الجمهورية وبالطبع وباعتبار ان فضيحة تيدجي لا تزال ماثلة للأذهان قيل ان مركز هذه السكرتيرة في القصر الجمهوري غير خطير. واثناء التحقيق عاد المسؤولون ليقرروا بأنها كانت تطلع على برقيات سفراء ألمانيا المرسلة إلى رئيس الجمهورية وتقارير المجلس الوطني الألماني المؤلف من رئيس الجمهورية والمستشار ووزراء الدفاع والخارجية والاقتصاد، أي المجلس الذي يقر ويطلع على التقارير العسكرية الخطيرة للغاية وبعد اتمام التحقيق تبين للمخابرات ان السكرتيرة تسللت إلى ألمانيا عن طريق سويسرا وبريطانيا منتحلة اسم ألمانية أخرى.

وبعد أيام أخرى أعلنت بريطانيا والنمسا وسويسرا عن اعتقال جواسيس لألمانيا الشرقية، أما القائم بأعمال السفارة الألمانية الشرقية في بونيس آيرس والذي لجأ إلى الولايات المتحدة فإن خبراء المخابرات يعتبرونه «سمكة صغيرة» لا قيمة لها لأن دوافعه سياسية بحتة. ويحق لنا العودة للسؤال هل كان يتدجي يتحمل مسؤولية التخطيط والتنظيم وكشف وملاحقة الجواسيس الألمانيين الشرقيين داخل ألمانيا الغربية ثم إرسال الجواسيس إلى ألمانيا الشرقية للتجسس هناك فإذا كانت هذه المهام الخطيرة من اختصاصه فإنه كان باستطاعته الاطلاع على كل شاردة وواردة في عالم التجسس والتجسس المضاد وقد شبهه زملاءه بأن له ذاكرة تشبه الدماغ الألكتروني وقدرة على ضبط الأمور وتنظيم أخطر عمليات التجسس بهدوء السمك في المياه، ولديه قدرة خارقة على التذكر والتنظيم، وقال أحد رجال المخابرات الأمريكية في بون وهو يضغط على أسنانه غيظاً وغضباً «لاشك انه يجب علينا الاعتراف بأنه نجاح رائع لمخابرات ألمانيا الشرقية» أما مدير المخابرات

الامـريكية في واشنطون فقد أعلن غضبه علناً حيث قال: «المخابرات الألمانية الغـربية مثـل الدلو الذي يحمل ثقوباً عديدة مهما ملأته بالماء فإنه يتسرب إلى الخـارج وهـذه المخابرات كالمصفاة كلها ثقوب». وحسب تقارير الدبلوماسيين الألمان في واشنطون فإن الرئيس ريغان غضب كثيراً واصفر لونه عندما سمع بوجود مؤامرة «سابقة» لاغتياله أثناء زيارته لألمانيا الغربية فأصدر أمره بوقف التعامل وتبادل المعلومات مع ألمانيا الغربية وخاصة حول برامج «حرب النجوم» خوفاً من تسربها إلى الاتحاد السوفييتي والمانيا الشرقية. وقد شبه المختصون بالمخابرات عملية انتقال تيدجي إلى الشرق كعملية كوماندوس أو غارة جوية مفاجئة لألمانيا الشرقية على مركز مخابرات ألمانيا الغربية حيث تم نقل أمكنة جميع المستندات والأوراق والصـور والمـراجـع والعنـاوين وأسمـاء عملاء ألمانيا الغربية الذين يعملون مع المخابرات الصديقة مثل مخابرات أمريكا وبريطانيا وفرنسا واسرائيل لأنه كان لا يحدث شيء في ألمانيا الغربية مهما كان صغيراً أو كبيراً إلا وتيدجي كان يعرفه وكما هو معـروف فإن «عين ألمانيا الغربية» ونافذة الرؤيا على أحداث الشرق الأوسط كانت تتم بواسطة المخابرات الاسرائيلية مقابل تزويد ألمانيا الغربية لاسرائيل بكل المعلومات عن النشاط «العربي ـ عربي والعربي ـ فلسطيني» خاصة في ألمانيا.

المخابرات الاسرائيلية تتفقد الضرر الذي لحقها:

● في صبـاح يوم السبت (عـطلة اليهود يوم السبت) ٢٤ آب (أغسطس) ١٩٨٥ حطت طائرة اسرائيلية خاصة في مطار بون العسكري كانت تحمل أحد كبار مسؤولي المخابرات الاسرائيلية وبعض ضباط هذه المخابرات حضروا للاطلاع على مدى الضرر الذي نتج عن لجوء تيدجي إلى برلين الشرقية لأنه أيضاً كان يعرف عن ظهـر قلب اسم وعنـوان كل عميل وجـاسوس ومُخبر اسرائيلي أو غيره ممن يتعـاونـون مع المخـابـرات الاسـرائيلية والألمـانية الغـربية. وخوف المخابرات الاســرائيلية كان في محله فقــد «بـاح» تيدجي بمعلومـات مهمـة انتقلت هذه المعلومات إلى أصدقاء ألمانيا الشرقية في منطقة الشرق الأوسط أي إلى العرب إلى جانب كشف ثلاثة عملاء اسرائيليين في نفس برلين الشرقية (ذكرنا ذلك) وكشف

أساليب المخابرات الاسرائيلية ضد العرب.

بقيت الحكومة الألمانية مدة طويلة تخمن وترجم بالغيب لماذا هرب تيدجي. هل كان يحمل العقيدة الشيوعية بالخفاء؟ أم هل هرب نتيجة خوفه من اكتشاف جريمة قتل زوجته التي ادعى انها «سقطت» في الحمام وأصيبت بجروح ونزيف قاتل؟ أم هرب بناء على طلب رؤسائه الشرقيين ليتقاعد من عناء العمل سنوات عديدة وهذا الطلب لا يحدث إلا عندما تؤمن المخابرات الشرقية «بديلاً» عنه أي أنها تكون قد زرعت تيدجي «جديد» في ألمانيا الغربية. فكما هو معروف ان تيدجي كان يشغل مركز حساس وخطير وهروبه للأعداء يعني شل المخابرات الألمانية الغربية لمدة سنتين على الأقل لاعادة بناء هيكل المخابرات مجدداً وقد تطلب نفض كل الجهاز والبدء من الصفر لأن تيدجي لم يبدأ عمله في التجسس كغيره من رجال ألمانيا الشرقية أي باللجوء من الشرق إلى الغرب. لقد درس المحاماة وتخرج من جامعة بون وبدأ عمله في المخابرات منذ ١٩ سنة وفي السنوات التسع الأخيرة أشرف مباشرة على أخطر جهاز في المخابرات وهو فرع مكافحة التجسس وكما يقول المثل العامي أصبح «حاميها حراميها» وشك الكثيرون بأن الأسباب العائلية هي التي دفعته للهروب إلى ألمانيا الشرقية رغم انه كان يتظاهر بالادمان على الشرب بعد مقتل زوجته كما شرحنا وانه وزنه زاد عن ١٥٠ كيلو غراماً وكان يعاني من مرض السكري ومن ارتفاع الضغط الدموي ومع ذلك كان يأكل كالحصان ويشرب كالتمساح وبعد وفاة زوجته فقد توازنه النفسي وبناته ١٨ سنة و١٦ سنة و١٤ سنة أهملهن كلياً حيث التحقن بدور الشباب وأصبحن مدمنات على المخدرات بينما تولت المخابرات تأمين اشتراك لهن في مطعم خاص وكان راتبه لا يكفيه لتسديد قسط المنزل الذي اشتراه. وبالرغم من هذا الوضع الشاذ والمأساوي فقد «حافظ» رئيسه وصديقه وبالتالي رئيس المخابرات هالن برويخ عليه بل وحماه من كل نقد أو طرد من جهاز المخابرات مبرراً ذلك بأنه قد يدفعه للانتقال والفرار بمعلوماته وخبرته إلى برلين الشرقية. ولكن حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر. وعندما ثار المستشار كول غاضباً وسائلاً رئيس مخابراته وبالتالي صديقه الخاص: كنت تعرف تيدجي انه سكير ومديون وواقع تحت المشاكل؟ فلماذا لم تطرده؟ أجاب رئيس المخابرات برويخ المستشار قائلاً: «إذا أردنا ان نطبق هذا المعيار فعلينا ان نطرد ٣٠٪ من الوزراء والمسؤولين وحتى الضباط» وبالطبع فإن

المستشار كول لم يقتنع بهذا الجواب فطرد صديقه من رئاسة المخابرات الألمانية أما على الصعيد الداخلي فإن الفضيحة أخذت أبعاداً أكبر فكما هو معروف إن وزارات الخارجية والداخلية والاقتصاد والعدل كانت دائماً من نصيب الحزب الليبرالي المؤتلف وعندما تولى كول المستشارية فرض عليه غريمه السياسي وفي نفس الوقت حليفه شتراوس انتزاع وزارة الداخلية من الليبراليين لاعطائها لوزير من حزب شتراوس ذلك لأن المخابرات لديهم عكس أغلب دول العالم تتبع وزارة الداخلية وفي نظر شتراوس الليبراليون لا يستحقون وزارة الداخلية وبالتالي تحمل مسؤولية المخابرات لأنهم مائعون متخاذلون حسب قول شتراوس. ولدى انكشاف فضيحة تيدجي سربت بعض الصحف المقربة من الحزب الليبرالي ان الليبراليين سيطالبون برأس وزير الداخلية «أي استقالته» وتحميله المسؤولية السياسية لهذه الفضيحة وفوراً صرح شتراوس لأصدقائه وللصحف مؤكداً بقوله: وزيري سيبقى في منصب وزير الداخلية واذا أصر المستشار على اجباره على الاستقالة فأسحب جميع وزرائي من الحكومة «مما يعرض الحكومة للسقوط» فسارع المستشار كول إلى لقاء شتراوس وطمأنه بأن وزارة الداخلية (وزيره) سيبقى في منصبه ولا لزوم لاستقالته. والسبب واضح ففي ذلك الوقت كانت ستبدأ محاكمة وزير الاقتصاد السابق الكونت لامسدروف وهو من الحزب الليبرالي والمتهم بقبول الرشوة وهذا يعني ان المواطن الألماني سيقرأ كل يوم ويشاهد آخر فضائح الرشوة والتهرب من دفع الضرائب على مستوى وزاري وهذا يعني المزيد من المصاعب والمشاكل لحكومة كول وهذا ما لا يريده المستشار خاصة وكانت الانتخابات الاقليمية على الأبواب ولا يريد كول ان يخسرها.

رسالة من تيدجي يعترف بتجسسه وهروبه:

● شرحنا الكثير في الصفحات السابقة عن خلفية وأبعاد هروب هانز تيدجي رئيس قسم الجاسوسية في ألمانيا الغربية إلى ألمانيا الشرقية وفي تاريخ ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٨٥ يوم الاثنين مساءاً وصلت إلى المخابرات الألمانية الغربية رسالة موجهة إلى «الحكومة الألمانية الغربية» من هانز تيدجي بالذات يقول فيها حرفياً

وبخط يده: «أنا الموقع أدناه هاينز تيدجي المولود في ١٩٣٧/٦/٢٤ في برلين وكنت أشغل سابقاً وظيفة مستشار دولة في المخابرات الألمانية أعلن رسمياً عن انتقالي إلى برلين الشرقية برغبتي واختياري ومن دون أية ضغوط أو اكراه وذلك بسبب الوضع المزري الخاص الذي كنت أعيشه في ألمانيا الغربية ولا أريد رؤية أو مقابلة أي مسؤول أو صحفي من ألمانيا الغربية».

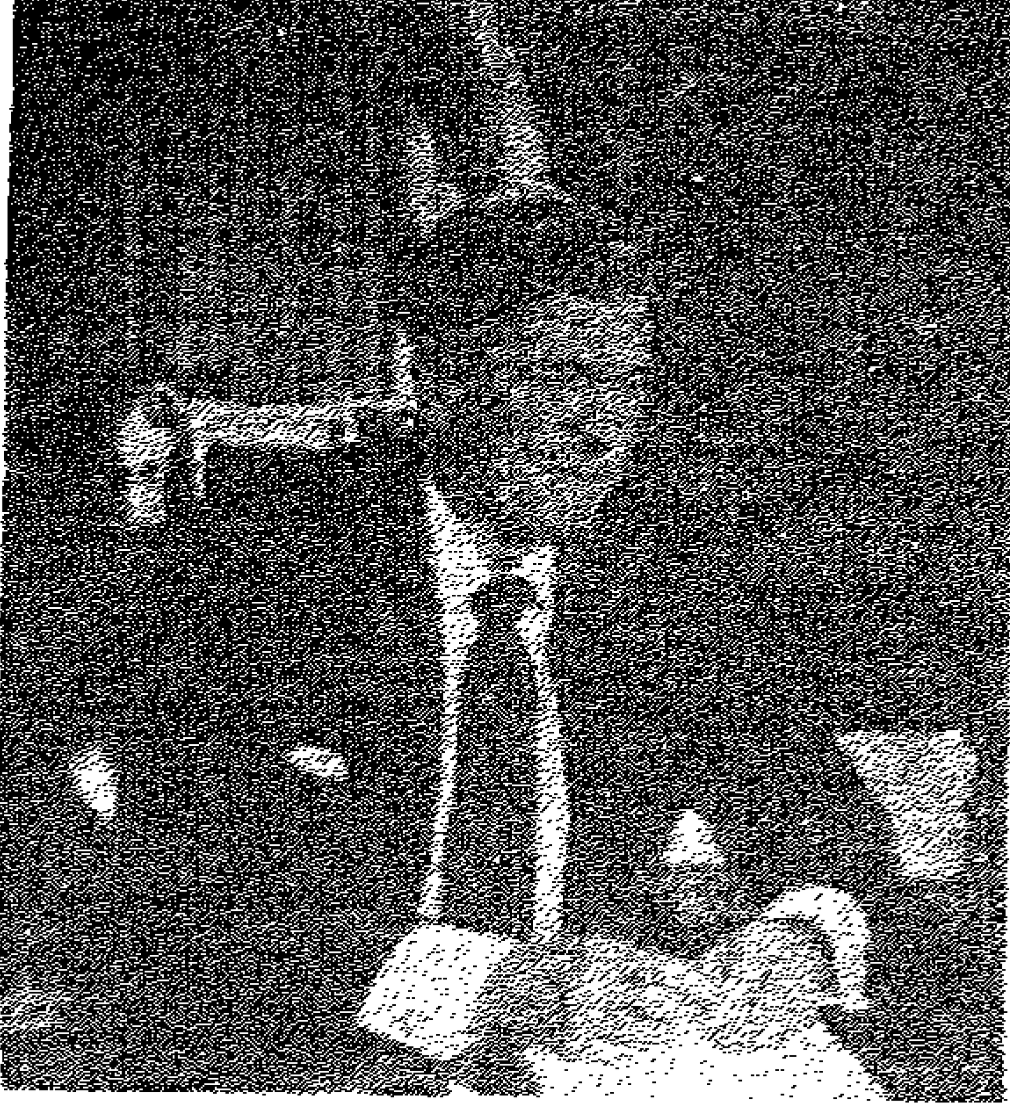
التوقيع والاسم

هانز يواكيم تيدجي

وبعد وصول هذه الرسالة المقتضبة صرح وزير الداخلية الألماني تسيمرمان بقوله: ان تيدجي يتمم بهذه الرسالة الجريئة خيانته العظمى في تاريخ ألمانيا.

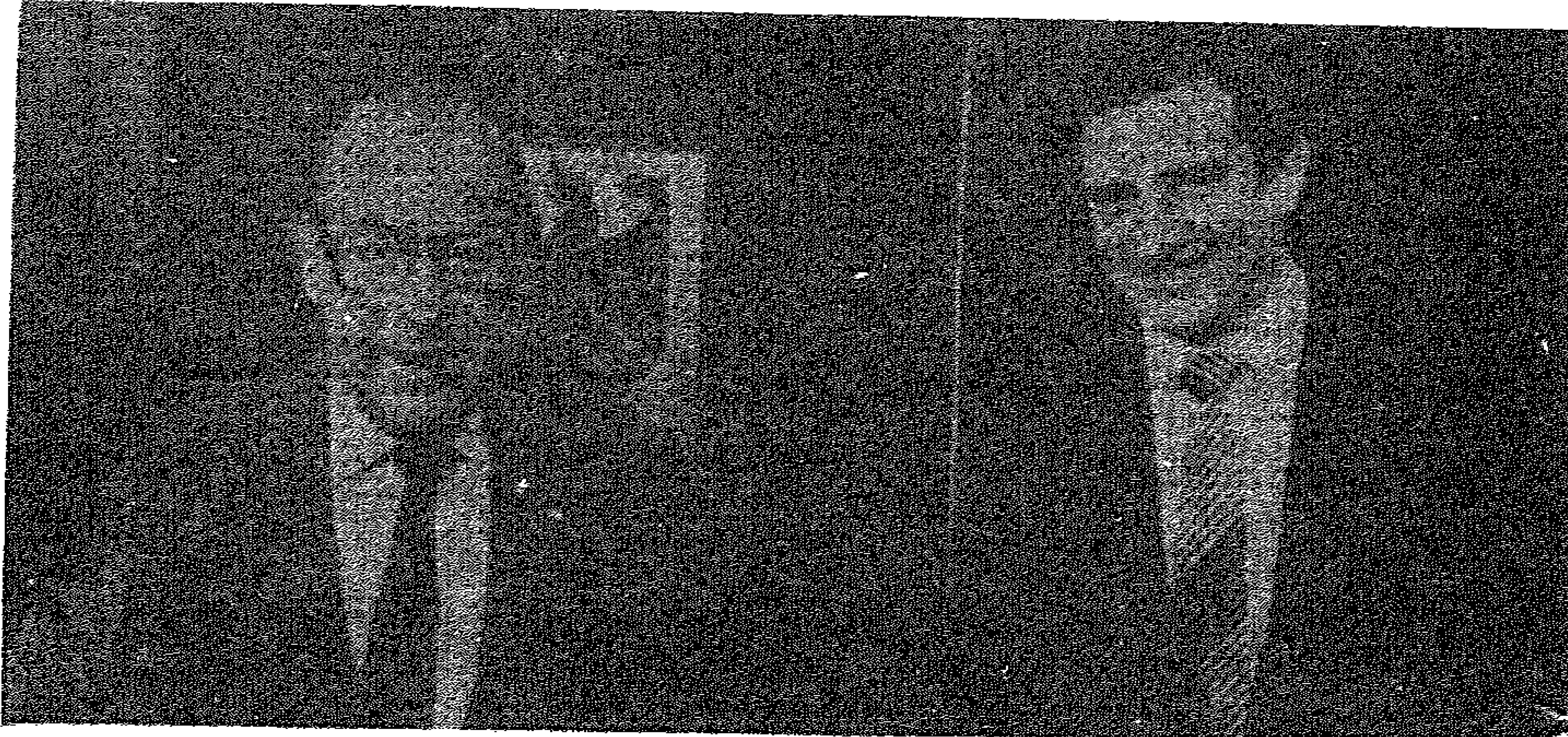
أما سياسياً فقد شكل هروب تيدجي استمراراً لتدهور سمعة المستشار كول وهيبته ولكن دون الوصول إلى درجة من الحساسية تجعله يقدم استقالته لأنه لم يقدمها منذ حوالي سنة أيضاً عندما حققت المخابرات الألمانية في فضيحة أخلاقية مازال الكثيرون حتى الآن يتذكرونها ويتندرون بها وهي ان ضابط كبير في الجيش الألماني الغربي ملحق بقيادة حلف شمال الاطلسي «اتهم بالشذوذ الجنسي» مما دفع وزير الدفاع إلى تكليف المخابرات العسكرية بالتحقيق وجاء تقرير المخابرات العسكرية يؤكد صحة الاتهام وعلى الفور أصدر وزير الدفاع قراراً بطرد الضابط من الخدمة العسكرية ولكن الضابط وجد ان شرفه العسكري قد مرغ في الوحل فرفض قرار الطرد وأقام الدعوى على وزير الدفاع وأعيد التحقيق بالموضوع وأعطت المخابرات تقريراً مغايراً للتقرير الأول حيث كلف ضابط اكثر خبرة وقدماً من الضابط الذي حقق في المرة الأولى فأعطى تقريره الأخير لوزير الدفاع على مبدأ الاعتراف بالخطأ فضيلة فتراجع الوزير عن قراره بالطرد وأعاد له اعتباره وشرفه العسكري بل وزاد على ذلك منحه وسام التقدير. ثم حدثت فضيحة الرشاوي لوزير الاقتصاد السابق لامسدروف ثم فضيحة انغماس وزير البريد والبرق في مشروعات خاصة بزوجته وأيضاً بقي كول صامداً أما شتراوس فانه لم يترك مناسبة إلا ويوجه فيها اللوم إلى غريمه ومنافسه السياسي هانس ديتريش غينشر وزير الخارجية الألمانية ولكي يثبت شتراوس ان وزير الخارجية الألماني فاشل في سياسته


الرئيس حافظ الأسد يتبع سياسة وطنية وقومية


الرئيس ريغان غضب عندما علم بمحاولة اغتياله


المستشار فيلي برانت استقال بسبب الجاسوس غونتر غيوم


المستشار هيلموت كول صمد أمام فضائح التجسس


زيرمان وزير الداخلية وهيلين برويخ رئيس المخابرات الألمانية الغربية والضحك ليس من القلب . ؟

الخارجية فهو لا يتردد في القيام بزيارات خارجية ممارساً بذلك سياسة مخالفة بل معاكسة لسياسة حكومة بون فعندما رضخت الحكومة الألمانية لضغط الولايات المتحدة بعد فشلها في لبنان وبعد الادعاء بأن لسوريا يداً في التحضير لتفجير طائرة العال الاسرائيلية في مطار هيثرو في لندن فأوقفت المساعدات الاقتصادية لسوريا فسافر شتراوس إلى دمشق واجتمع إلى السيد الرئيس حافظ الأسد وصرح بعد مقابلته للسيد الرئيس بان سوريا وعلى رأسها الرئيس حافظ الأسد هي دولة اقليمية ومهمة للسلام والرئيس حافظ الأسد يمارس سياسة وطنية وقومية لا غبار عليها. وما أعلنه شتراوس عندما زار دمشق قام به وزير الخارجية الألمانية غينشر عندما زار دمشق وأضاف لتصريحه الودي عن سوريا إعلان عودة المساعدات الألمانية الغربية لسوريا.

وعندما ترددت حكومة كول تحت ضغط وزير خارجيتها في بيع السعودية الأسلحة «سافر» شتراوس إلى اسرائيل ليعلن من هناك: علينا نحن الألمان ان نبيع الأسلحة للسعودية لأن البريطانيين والفرنسيين والايطاليين والامريكيين يدوسون على أرجل بعضهم لأنهم يتزاحمون على بيع الأسلحة للسعودية فلماذا لا نبيعها الأسلحة المتوفرة نحن أيضاً. وأيضاً زار شتراوس ألمانيا الشرقية في ١٩٨٥/٩/١ يوم الأحد بحجة زيارة معرض لايبزغ الدولي فاجتمع برئيس دولة ألمانيا الشرقية «هونيكر» وصرح بعد زيارة الرئيس هونيكر: «يجب ان تكون علاقاتنا السياسية هادئة كما هي علاقاتنا التجارية؟» أما المستشار كول فما ان هدد بالانعكاسات السيئة على علاقة الألمانيتين نتيجة فضيحة تجسس تيدجي حتى كان غريمه السياسي شتراوس يمازحه قائلاً: حضرة المستشار كول قبل ان تدخل إلى جلسة مجلس الوزراء أود ان أسألك هل تأكدت من ان كل السكرتيرات موجودات؟ أم ان احداهن اختفت؟

قصص وفصول عن فضائح التجسس في ألمانيا الغربية:

● بعد كل ما ذكرنا في هذا الفصل عن الأعمال الجاسوسية في ألمانيا الغربية حديثاً إذا عدنا إلى السنين الماضية فنجد انه منذ قيام الألمانيتين وفضائح

التجسس لا تنتهي في ألمانيا الغربية ففي ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٥٤ وكان قد مرّ على قيام ألمانيا الغربية خمس سنوات حدثت أول فضيحة تجسس أطلق عليها اسم «الخلد» وهو حيوان يشبه الجرذ ويعرف عنه مقدرته على الاختفاء تحت الأرض حيث يحفر بطريقة عجيبة نفقاً لمروره ويخترق الأرض دون ان يسمعه أو يراه أحد حيث يستمر في حفره المتواصل حتى يصل إلى جذور الشجرة التي يقصدها ثم يبدأ عملية القضم المنتظم حتى تنهار الشجرة فجأة بدون ان يظهر أي شيء خارجياً يوحي بان الشجرة مريضة ومهددة بالسقوط. وقصة الخلد هذه تتلخص بأن قائد المخابرات الألمانية الغربية «في حينه» أوتويون ذهب برفقة صديقه الطبيب المشهور في ذلك الوقت «فولفغانغ فولجاموت» إلى برلين الشرقية الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفييتي المباشرة (سابقاً) وعاصمة ألمانيا الشرقية لاحقاً. وبعد ثلاثة ايام من اختفائه في برلين الشرقية يعلن من مخبئه مهاجمة سياسة حكومة ألمانيا الغربية تحت زعامة المستشار كونراد آيزنهاور وبتاريخ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٥ أي بعد مرور اكثر من سنة على هروبه إلى ألمانيا الشرقية عاد ليظهر فجأة في ألمانيا الغربية ليعلن انه لم يذهب إلى برلين الشرقية بملء إرادته بل إن صديقه الدكتور فولفغانغ (الذي بقي في ألمانيا الشرقية حتى الآن) وضع المخدرات في شرابه المفضل الكونياك الفرنسي فخدّره وقام بنقله إلى مقر المخابرات الألمانية الشرقية بمساعدة بعض عناصرها. وبالطبع فإن بلاده لم تصدقه وحوكم وحكم عليه بالسجن أربع سنوات من قبل المحكمة العليا لانتقاله إلى الجهة المعادية أي بتهمة الخيانة العظمى وبقيت حقائق هذه القصة منذ عام ١٩٥٥ حتى الآن غامضة تماماً ويعيش الجاسوس يون حالياً في قرية نمساوية جميلة وهو مازال مصراً رغم بلوغه الثمانين بأنه خطف إلى ألمانيا الشرقية. ولكن أحداً لم يصدقه.

● في تموز (يوليو) ١٩٦٢ حكمت المحكمة العليا في بون على مستشار إداري «وهو لقب لكبار موظفي الدولة» في قيادة المخابرات الألمانية الغربية اسمه (هاينز فالفا) بالسجن لمدة ١٤ سنة وهذا الخبير والمستشار بشؤون المخابرات كان يعمل سابقاً ضابطاً في المخابرات النازية أيام هتلر المسماة (الاس. أس) تحت قيادة قائد المخابرات النازية المعروف هانيريش هملر الذي كان هتلر نفسه يخشاه حيث استعانت المخابرات الألمانية الغربية به بعد قيام ألمانيا الغربية لتأسيس

وتنظيم جهاز المخابرات الألمانية الغربية مثلما استعانوا بالجنرال راينهارت[1] غلين في تأسيس مؤسسة غلين للاستخبارات رغم عمله السابق مع هملر وهذه المؤسسة تحولت إلى المخابرات الألمانية الغربية التي أصبح لها اسم حضاري (مكتب حماية الدستور) حتى الآن.

وقد عمل هاينز على تأسيس في المخابرات الألمانية الغربية فرعاً لمكافحة التجسس كما كان يعمل أيام هتلر. كما يبدو فإن الروس عند احتلالهم برلين العاصمة الألمانية للرايخ أثناء نهاية الحرب العالمية الثانية استولوا على مستندات بالأطنان عن ألوف الأشخاص الذين كانوا يتعاونون مع الأس. أس. وغيرها من المؤسسات النازية. وفي عملية تبادل المعلومات واغراءً استطاعت المخابرات السوفييتية «تجنيد» هاينز فالفا للعمل لصالحها حيث باشر نشاطه لصالحهم منذ عام ١٩٥١ حتى افتضاح أمره في الستينات والحكم عليه بالسجن.

وكانت طريقة عمل المخابرات السوفييتية كلاسيكية ومضمونة اذ كان موظفيها يزودون هاينز بتقارير ومعلومات حقيقية عما يحدث في القيادة السياسية في الكرملين وقيادة الحزب الشيوعي في ألمانيا الشرقية والغرض من هذا التكتيك كان واضحاً فهاينز كان يقدم هذه المعلومات الصحيحة لمرؤوسيه ليحظى بثقتهم على المدى البعيد ونجح تكتيك المخابرات السوفييتية وبدأ رئيس المخابرات الألمانية الغربية يتقرب منه ويطلعه على أمور سرية ما كان بمقدوره الاطلاع عليها عادة وكان «جالين» رئيس المخابرات الألمانية الغربية في ذلك الوقت يضع هذه التقارير الدقيقة والمعلومات الوافية عن الكرملين والحزب الشيوعي أمام مستشاره ايدنهاور حيث كانت تأخذه الدهشة فيقول له: كيف حصلت على هذه المعلومات الباهرة؟ وكان رئيس المخابرات الألمانية الغربية يرد متباهياً: «لديّ ياسيدي المستشار خلد يجلس تحت طاولة الحكام في الكرملين يرى ويسمع كل شيء» ولكن هذا «الخلد» استطاع ان يعطي بالعكس المخابرات السوفييتية خلال عشر سنوات من عمله كمستشار لدى المخابرات الألمانية الغربية اكثر من / ٣٠٠ فيلم/ واكثر من

(١) بامكان القارىء اذا رغب بالاطلاع على تفصيلات انضمام الجنرال النازي واينهارت غلين إلى الحلفاء ثم تأسيسه المخابرات الألمانية الغربية مراجعة الجزء الأول من هذه الموسوعة من الصفحة (٣٦٨) إلى الصفحة (٣٧١)...

عشرين شريطاً مسجلاً وعدداً لا يحصى من الرسائل التي نقلها بالشيفرة أو بواسطة الراديو السري حول خطط واستراتيجية المخابرات الألمانية الغربية المنافسة للمخابرات السوفييتية ومنها تقارير سرية كانت ترفعها المخابرات الألمانية إلى المستشار ادينهاور نفسه وتقارير شهرية لمكافحة التجسس واستراتيجية التجسس المضاد. . . الخ.

وزيادة في التمويه على دوره كعميل للمخابرات السوفييتية كان هاينز يعلق على حائط مكتبه الفسيح رسماً هيكلياً لقيادة المخابرات السوفييتية في ألمانيا الشرقية وكان الرسم التصويري دقيقاً إلى حد ان المشاهد كان يستطيع ان يعرف اسم رئيس فرع المخابرات لمدينة برلين الشرقية ودورة المياه التي يستعملها وحده وكان يضيف عليها مع الوقت تخطيط كل غرفة وزاوية تخبره عنها المخابرات السوفييتية مما جعل قائد المخابرات الألمانية الغربية فخوراً به وبهذا الرسم حيث كان يصطحب زواره المهمين من ضباط ومسؤولين لمشاهدته ليظهر لهم مدى براعة ومهارة مخابراته ضد المخابرات السوفييتية. انكشف المستشار هاينز فالفا بسبب خطأ ارتكبه وهذا الخطأ من الأخطاء التي تطلب جميع المخابرات في العالم من منتسبيها عدم الوقوع بها وبقائهم في الفنادق أو بيوت الايجار فقد اشترى هاينز في عام ١٩٥٨ وفجأة منزلاً قروياً مؤلفاً من عشر غرف بمبلغ ١٠٠ مائة ألف مارك ومن هنا بدأ الشك يدور حوله من قبل رؤسائه الذين يعرفون كل شيء عنه ويعرفون ان راتبه الشهري ١٧٠٠ ألف وسبعماية مارك يضاف إليهم ١٠٠٠ ألف مارك مخصصات مخابرات يصبح دخله الشهري ٢٧٠٠ ألفان وسبعماية مارك تضرب في مائة وعشرين شهراً هي مدة العشر سنوات التي قضاها مستشاراً في المخابرات يصبح مجموع المبلغ ٣٢,٤٠٠ اثنان وثلاثون الف وأربعماية مارك بدون ان يأكل أو يشرب أو يصرف اجور سكن وتنقلات فمن أين جاء بمبلغ الـ ١٠٠ مائة ألف مارك ثمن المنزل وطبق عليه مبدأ من أين لك هذا؟ وضيق عليه الخناق فأقر بعمالته للمخابرات السوفييتية وبعد المحاكمة حكمت عليه المحكمة العليا كما أسلفنا بالسجن ١٤ سنة أمضى منها ٦ سنوات ثم جرى تبادله مع جاسوس محكوم عليه لدى الاتحاد السوفييتي وايضاً ذهب هاينز ليقضي بقية حياته في ضيافة المخابرات السوفييتية.

وليست المخابرات السوفييتية هي الوحيدة التي اخترقت جهاز المخابرات

الألمانية الغربية أبداً؟ فإن هذا الفصل أغلبه كان لسرد أعمال عملاء المخابرات الألمانية الشرقية في ألمانيا الغربية ومن ثم فرار أغلبهم حاملين الأسرار الثمينة معهم فحصلت هذه المخابرات على نتائج باهرة وخارقة بسبب اتباعها استراتيجية العميل المكشوف أو العميل المنظور وتبعاً لذلك انتشر المئات من ضباط المخابرات الألمانية الشرقية في ألمانيا الغربية لتجنيد واقناع الكثير من العملاء «خاصة السكرتيرات الجميلات وغير الجميلات» للتجسس لصالح ألمانيا الشرقية والاسلوب بسيط جداً:

كل سكرتيرة تعمل ضاربة آلة كاتبة تكون بحاجة لزيادة دخلها وبذلك تقبل أي عمل اضافي خارج أوقات الدوام وبعد مراقبة ضابط المخابرات الألمانية الشرقية لأي سكرتيرة سواء تعمل في مكتب حزب من الاحزاب أو دائرة رسمية كالاقتصاد والثقافة أو تكون تعمل في مكتب نقابة أو الاتحاد فيتعرف عليها عارضاً العمل الاضافي بأجر مرتفع ويطلب منها إعطاءه تقارير بسيطة ليس المهم ان تكون سرية أو تكون مهمة سياسياً ويحدد لها الراتب الاضافي ليقطع عليها خط التراجع خمسمائة مارك شهرياً ٦٠٠ ستماية مارك وهذا العرض مغر بالطبع فهناك راتب اضافي فاحسن سكرتيرة تطبع بالعشر أصابع وتقدم خدمات أخرى؟ لا تقبض شهرياً أكثر من ٨٠٠ مارك أو ألف مارك والمطلوب ليس إفشاء اعمال سرية خطيرة بل تقارير بسيطة وبعد ذلك تتبدل الطلبات بعد الانغماس والتوقيع على إيصالات القبض والتقاط الصور مع هؤلاء الضباط المتنكرون وبعد ذلك تبدأ عملية زرع السكرتيرات في الوزارات ومختلف دوائر الدولة حتى أعلى المستويات. فمثلاً في عام ١٩٧٠ ألقت المخابرات الألمانية الغربية القبض على السكرتيرة إيرينا شولتز التي كانت تعمل في البادىء في ديوان وزارة البحث العلمي واستطاعت ان تتابع في مدرسة خاصة دروساً في الكتابة والاختزال السريع «بالطبع على نفقة المخابرات الألمانية الشرقية» وبعد تحسين وضعها العملي وحصولها على شهادة ضاربة آلة كاتبة وبعلامات جيدة ومصدقة من الاتحاد العام للعمال وبناء على «طلب» المخابرات الألمانية الشرقية قدمت طلباً لتكون كاتبة وعاملة اختزال في مكتب وزير البحث العلمي ونجحت في الحصول على هذه الوظيفة نظراً لحملها الشهادة وتمتعها بالامكانات البارزة وتابعت من هناك عملها التجسسي لصالح مخابرات ألمانيا الشرقية واستطاعت ان تصل إلى درجة «سكرتيرة الوزير نفسه»

وقد تعاقب وزراء عديدون على كرسي الوزارة بينما بقيت هي في مركزها سكرتيرة لأي وزير يدخل أي وزارة وذلك بسبب نشاطها واجتهادها وعملها المتقن واستمرت بالاطلاع لمدة أربع سنوات متتالية على كل التقارير السرية حول المشروعات العملية لحكومة ألمانيا الغربية في شؤون التسلح والصناعة وغيرها وليس هذا فقط بل كانت تطلع على بروتوكولات جلسات مجلس الوزراء وعلى تقارير المخابرات الألمانية الغربية السرية والتي يطلع فقط رئيس الجمهورية والمستشارويعض الوزراء وانكشف أمرها أيضاً كجاسوسة نتيجة «خطأ» مهني حيث اعطت ضابط المخابرات الألمانية الشرقية الذي تتصل معه تقريراً سرياً معيناً عن وضع الجيش الألماني وتسليحه ليطلع عليه ويعيده لها وهنا الخطأ لأن المتعارف عليه في مهنة المخابرات هو ان يقوم العميل أو العميلة بتصوير هذا التقرير وإعادته إلى مكانه ومن ثم يسلم الصورة إلى المخابرات التي يتعامل معها ولكن خطأ السكرتيرة ايرينا شولتز هو باعطاء التقرير الأصلي إلى المخابرات الألمانية الشرقية لتقوم بتصويره وإعادته لها لكن الوزير طلب التقرير «فجأة» وكان الضابط قد «تأخر» في إعادة التقرير وهكذا لم تستطع السكرتيرة ان تقدم التقرير المطلوب لوزيرها عندما طلب إليها ذلك فانكشف أمرها وحجزت في مكتب الوزير حتى حضرت مفرزة من المخابرات الألمانية الغربية واعتقلتها وعند التحقيق معها كشفت عن خمس سكرتيرات يعملن كعميلات لألمانيا الشرقية وكان بينهن سكرتيرة من رعايا ألمانيا الشرقية وضابطة مخابرات شرقية استطاعت الدخول باسم ألمانية غربية عن طريق سويسرا.

● هناك طريقة أخرى تستعملها مخابرات ألمانيا الشرقية مع السكرتيرات في ألمانيا الغربية. ألماني شرقي يدعى شروتر مايم لجأ في عام ١٩٥٧ إلى برلين الغربية هرباً «كما ادعى» من الظلم والكبت في ألمانيا الشرقية وتعرف في عام ١٩٦٣ على امرأة ألمانية غربية تدعى غيردا من مواليد ١٩٤٤ ولم يمض وقت قصير حتى أصبحت هذه الفتاة عشيقة «اللاجيء» واستطاع اقناعها بان تتعلم مهنة السكرتارية فتعلمتها ودخلت كموظفة في وزارة الخارجية الألمانية الغربية في بون ولم تبقى العلاقة بينها وبين «اللاجيء شروتر» عاطفية وعشق بل تزوجها بناء على طلب المخابرات الألمانية الشرقية واستطاعت بعد فترة ان تدخل إلى قسم المخابرات والشيفرة في وزارة الخارجية ومن هناك بدأت تعطي زوجها نسخ عن جميع البرقيات الدبلوماسية المرسلة من سفارات ألمانيا الغربية من جميع انحاء

العالم لوزراة الخارجية ليس هذا فقط بل سلمته تقارير سرية عن حلف الأطلسي وتقارير من وزارة الدفاع الألمانية وعندما شعرت وزارة الخارجية بان هناك «ثقباً» تتسرب منه المعلومات فقامت بنقل بعض السكرتيرات من أماكن عملهن ومنهم السكرتيرة الجاسوسة غيردا التي نقلت إلى السفارة الألمانية الغربية في واشنطون ثم إلى سفارة فرصوفيا في بولونيا واستمرت في عملها بالتجسس على قدر ما تحصل عليه من عملها الجديد بينما أصبح زوجها اللاجيء يعمل كمدير لقسم التكنيك في مصانع غروب الشهيرة. وفي شهر أيار (مايو) سنة ١٩٧٣ كشفت غيردا بنفسها عن دورَها كعميلة لمخابرات ألمانيا الشرقية فأخطرت زوجها سبقاً وهرب الأثنان إلى برلين الشرقية قبل إلقاء القبض عليهما ومن هناك كشفت عن عملها السري في التجسس لصالح المخابرات الألمانية الشرقية. الطريف في الأمر ان غيردا كانت تعمل في وزارة الخارجية وفي غرفة مجاورة لها تماماً كانت سكرتيرة أخرى اسمها ليونـور زوتـرلينـغ تعمل لصالح المخابرات الألمانيا الشرقية أيضاً دون ان تعرف الاثنتان بعضهما.

● والسكرتيرة الجاسوسة ليونرو زوترلينغ جندت للعمل لصالح المخابرات الألمـانية الشرقية بالطريقة نفسها التي جندت بها غيردا شروتر حيث تعرف اليها «اللاجيء» الألماني الشرقي زوترلينغ وتزوجها بناء على طلب المخابرات لتباشر نشاطها لصالحهم وانكشف أمرها عندما هرب ضابط المخابرات السوفييتي رونجا ولجأ إلى المخابرات الامريكية حيث اعطى اسماء عملاء وعميلات المخابرات السوفييتية والألمانية الشرقية في ألمانيا الغربية حيث كان هذا الضابط هو المسؤول المباشر عن الكثير من السكرتيرات الألمانيات.

● وحسب تقدير خبراء بون في مهنة المخابرات فان مخابرات ألمانيا الشرقية والمخابرات السوفييتية تعمل كل واحدة منهما على حدة وليس تحت قيادة موحدة ولكنهما تتعاونان وتتبادلان النتائج والمعلومات التي تحصلان عليها ولكن ليس هناك خطط وعمليات مشتـركـة بين موسكـو وبـرلين الشـرقية في حقـل المخابـرات والمخابرات المضادة وتبلغ نسبة عمليات المخابرت لأوربا الشرقية التي كشفت كالتالي:

- ٥٪ للمخابرات السوفييتية (K. G. B).
- ٨٧٪ لمخابرات ألمانيا الشرقية.

ـ ٨٪ لمخابرات بولونيا وتشيكوسلوفاكيا.

وتعتبر فضيحة التجسس على المستشار السابق فيلي برانت من قبل سكرتيره ومستشاره الخاص غونتر غيوم ذروة النجاح لمخابرات ألمانيا الشرقية ولا يضاهي هذا النجاح سوى النجاح الباهر الأخير المار ذكره في هذا الفصل بلجوء هاينز تيدجي مدير عمليات التجسس ومكافحة التجسس في المخابرات الألمانية الغربية أما الجاسوس السابق من حيث الأهمية فهو غونتر غيوم الجاسوس غير العادي أي «سوير سبيون» كما أطلق عليه الألمان حتى في الرواية الانكليزية للكاتب جان لوكاريه وهي بعنوان «الجاسوس القادم من الصقيع» وقام بتمثيل دور الجاسوس الممثل الفنان «ريتشارد بورتون» وقد وقف مندهشاً وعاجزاً عن التفكير بابعاد فضيحة الجاسوس المستشار غونتر غيوم.

أضواء ومعلومات جديدة تنشر لأول مرة عن غونتر غيوم:

نؤكد فيما يلي المعلومات والأضواء الجديدة التي اطلعنا عليها نتيجة ترجمة بعض الصحف الغربية عن قضية زرع غونتر غيوم وذلك إضافة إلى ما ذكرناه عنه في الجزء الأول من هذه الموسوعة في الصفحات ٣٧٧ إلى ٣٨٢ وهذه المعلومات الجديدة تذكر ان غونتر ظل حتى يوم اعتقاله في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ متربعاً في منصبه كسكرتير خاص ومستشار للمستشار الألماني السابق فيلي برانت لشؤون الحزب مع النقابات والعمال ورابطة الكنائس. مكتبه كان مجاوراً لمكتب المستشار في الطابق الثاني من قصر شومبورغ مقر المستشارية والحكومة الألمانية في بون وحتى يوم القاء القبض عليه كانت مهمته: استقصاء أخبار الحزب الحاكم وسياسة الدولة والتجسس على فيلي برانت شخصياً والاستقصاء عن وضع الحكومة وقراراتها وقد قام بواجبه بشكل دقيق وعناية فائقة لا يقوم بها سوى الضباط الذين عرف عنهم انضباطهم والتفاني في الخدمة وهو منهم وكان غونتر يسمع ويرى كل شيء يحدث على الصعيد الحكومي في بون كان دائماً موجوداً حيث من المفروض ان يكون موجوداً. ألمانيا الشرقية كانت تحصل بواسطته على كل ما يجول في رأس وخاطر المستشار برانت في الحكومة وفي الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم وفي

ذلك الوقت كانت ألمانيا الشرقية تعلم بأمور وقرارات الدولة ككل قبل ان يعلم بها وزراء وسياسيو الحكومة الألمانية الغربية وبمعنى أصح كان غيوم يعلم كل شاردة وواردة مهما تكن أهميتها إنه كان صندوق وخزانة المستشار برانت ونؤكد انه في كل تاريخ ألمانيا الاتحادية لم تستطع أي مخابرات ان تحصل على النجاح الذي حصلت عليه مخابرات ألمانيا الشرقية في زرع جاسوس قرب رأس الحكم في بون وقد قال أحد خبراء المخابرات عنه «غونتر غيوم هو ثمرة كبيرة انه مع الأسف عمل ر ائع للمخابرات الألمانية الشرقية.وعمل باهر لا شك» وحتى وزير الخارجية غينشر وكان وقت فضيحة غيوم «وزيراً للداخلية» قال: «لابد من الاقرار. لقد نجحوا هذا النجاح الباهر وسيكون لنا مصاصة دائمة» أي ان ألمانيا الغربية مازالت طفلاً رضيعاً في مجال المخابرات.

وعندما اقتحم عشرة من رجال المخابرات الألمانية الغربية شقة غونتر الجاسوس الألماني الشرقي صباح ٢٥ نيسان (ابريل) في تمام الساعة السادسة و(٢٥ دقيقة) صباحاً وقف أمامهم بملابس النوم «البيجاما» وقفة عسكرية كالجندي المتأهب وبادرهم بالقول: بعد ان اتيتم وعرفتم الحقيقة أعلمكم بأني «مقدم» أي ضابط في الجيش الشعبي الألماني الشرقي أرجو منكم احترام رتبتي وشرفي العسكري ومعاملتي «كضابط». وفعلاً قامت عناصر المخابرات بمعاملته بكل احترام حتى تسليمه إلى مكتب النائب العام الألماني الغربي وعندما وقف أمام النائب العام ليجري معه التحقيق أصر على إعادة قوله انه ضابط في الجيش الألماني الشرقي وعليهم احترام شرفه العسكري ولم يزد على ذلك كلمة واحدة بالرغم من آلاف الاسئلة التي انهالت عليه في عملية الاستجواب وظل يردد هذه العبارة «وكأنها اسطوانة» خلال عملية الاستجواب والتحقيق معه وبذلك أراد معاملته كأسير حرب وليس كجاسوس.

والطريف بالأمر ان كشف تجسسه الراقي والقاء القبض عليه لا يعودان إلى مهارة المخابرات الغربية بل إلى تقارير واشارات من المخابرات الفرنسية التي كانت تشير إلى وجود عميل تتسرب منه المعلومات على أعلى المستويات في ألمانيا الغربية ويقول أحد تقارير المخابرات الفرنسية مثلاً: «لدى حكومة ألمانيا الشرقية معلومات عن ألمانيا الغربية لا أحد يستطيع معرفتها سوى المسؤولين الكبار في الدولة، خاصة المستشار نفسه». وقارنت المخابرات الألمانية الغربية هذه

المعلومات الفرنسية بمعلومات كانت أرسلت بواسطة شيفرة سرية عن طريق راديو سري إلى ألمانيا الشرقية التقطت ألمانيا الغربية اشارته ووجدت ان تقرير المخابرات الفرنسية «صحيح» لأن البرقية التي التقطتها ألمانيا الغربية هي تقرير سري خاص بالمستشار برانت نفسه والطريف ان نفس المخابرات الفرنسية أرسلت تقريراً إلى المخابرات الألمانية الغربية تعلمها فيه من قبل تبادل المعلومات[1] بأن موظفاً كبيراً من المصرف المركزي في برلين الشرقية لجأ إلى فرنسا ولدى التحقيق معه حسب الأصول أعطى لائحة بأسماء العشرات الذين «تحوّل» إليهم أموال من ألمانيا الشرقية وبين الأسماء اسم يحوّل له شهرياً مبلغ ألفي دولار تحت رمز حرفي «غ . غ» أي الأحرف الأولى من اسم غونتر غيوم ولكن المخابرات الألمانية الغربية لم تعر انتباهاً لهذين الحرفين فاستمر غونتر غيوم سنوات يتجسس على هواه . . ؟

وقصة الجاسوس غونتر غيوم قصة جاسوسية كلاسيكية نعيدها من الأول مع التفصيلات التي وصلتنا والتي يهمنا ان يطلع قارىء موسوعة المخابرات والعالم هذه عليها . ففي سنة ١٩٥٦ «لجأ» غيوم مع العشرات . بل المئات من الألمان الشرقيين إلى ألمانيا الغربية وكما هو معروف فإن الحرب الباردة بين موسكو وواشنطون كانت في ذلك الوقت في أوجها . وبرلين الغربية فتحت أبوابها ولا تزال لكل لاجيء من أوربا الشرقية وخاصة من ألمانيا الشرقية وذلك ضمن استراتيجية افراغ ألمانيا الشرقية من أهلها وخاصة من خبرائها لتواجه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وكما صرح ايدنهاور في ذلك الوقت فإن «برلين الغربية ستكون النافذة المفتوحة دائماً في جنب النظام الشيوعي وألمانيا الشرقية» . ولكن كما ظهر واضحاً فإن ألمانيا الشرقية ومخابراتها استغلت موجة اللجوء السياسي هذه إلى ألمانيا الغربية واستطاعت حسب تقرير خبراء المخابرات «تسريب» حوالي ثمانية آلاف عميل وخبير سري بين متنقلين ومقيمين في ألمانيا الغربية عن طريق برلين ليقوموا بالتجسس على كل شاردة وواردة من نشاط اقتصادي وثقافي ونقابي واداري وسياسي وحزبي وشخصي حتى ان دليل الهاتف لكل قرية أو مدينة في ألمانيا

---

(١) وهذه الطريقة في تبادل المعلومات الاستخبارية نتمنى على المخابرات العربية تبنيها واتباعها فيما بينها لتبادل المنفعة في معرفة العملاء الذين ينتقلون من بلد عربي إلى بلد آخر بمختلف الصفات . . .

الغربية أرسل إلى المخابرات الألمانية الشرقية. ونعود إلى جاسوس المستشار كما سمي غونتر غيوم حيث بدأ حياته كأي لاجيء سياسي أي من الصفر فعمل كمصور عادي في مدينة فرانكفورت وفي ١٢ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٧ دخل الحزب الديمقراطي الاشتراكي «حزب المستشار فيلي برانت» كعضو مبتديء واستطاع ان يكسب مودة الكثير من رفاقه في الحزب خلال مدة قصيرة جداً. وفي سنة ١٩٦٤ تم انتخابه سكرتيراً للحزب في مدينة فرانكفورت وأشاد به الكثيرون من أعضاء الحزب لانضباطه وتفانيه في خدمة الحزب وكان يكتب تقارير الحزب وينقحها بشكل واضح لا يحتاج إلى تصحيح بل إلى الطبع مباشرة ومن دون مراجعة. وزيادة في التمويه فقد كان «يعارض» في الحزب موضوع اعتراف ألمانيا الغربية رسمياً بالمانيا الشرقية كدولة مستقلة فعندما كان يتم طرح هذا الموضوع في الحزب كان يقف منتفضاً وكأن عقرباً لسعه معارضاً بقوة وعنف الاعتراف بالدولة «المسخ» كما كان يسميها أي دولته ألمانيا الشرقية. وباجتهاده وانضباطه كسب ثقة الكثيرين حيث انتخب في عام ١٩٦٨ مديراً عاماً لشؤون الحزب في مدينة فرانكفورت وطبعاً فإن زوجته التي لحقت به وشاركته صعوده الحزبي استطاعت ان تحصل على منصب اداري في شؤون الحزب ايضاً إلى جانب زوجها والطريف في الأمر انه عندما كانت تناقش الأمور الحزبية والسياسية في الحزب كانت زوجته المعارضة الوحيدة ضد ١٤ عضواً في الحزب وبذلك كانوا يطلقون عليها لقب «اليمينية» لأنها كانت «تظهر» كرهها للاشتراكية والماركسية كما قال أحد زملائها في الحزب وبالطبع كان ذلك تكتيكاً وأسلوباً مدروساً أعدتها لها المخابرات الألمانية الشرقية.

وعندما فاز فيلي برانت بانتخابات المستشارية نصحه أصدقاءه وأغلب الرفاق في الحزب بتعيين غونتر غيوم سكرتيراً خاصاً له يتسلم شؤون الحزب والعلاقات مع رابطة الكنائس والنقابات فوافق برانت ولذلك انتقل غيوم من فرانكفورت إلى بون مع زوجته ليتسلم مهمته الجديدة الحساسة. حيث وصفه برانت لاحقاً «بأنه كان يعمل كالحصان دون ملل أو تعب أو امتعاض». ولم تمضي فترة قصيرة على عمله في قصر الحكومة حتى أصبح واحداً من ثلاثة أشخاص يحملون أسرار المستشار برانت وهم سكرتير الداخلية وسكرتير الخارجية وهو ومهمته سكرتير النقابات والحزب وبالطبع فإن هؤلاء كانوا يشيدون بغونتر غيوم قائلين: انه المثل الرائع في العمل الحزبي والاداري والانضباط والاخلاص والتفاني في عمله للحزب

والمستشار وعندما كان المستشار برانت يجلس مع أعضاء الحزب في مقر رئاسة الحزب ليتشاور معهم أي مع المسؤولين الكبار في هرم الحزب كان غونتر يجلس إلى جانبه يسمع ويرى كل شيء حتى قبل ان يبدأ المستشار عمله الرسمي في مجلس الوزراء كان يجتمع مع غيوم لتبادل الآراء حول جدول اعمال الجلسة وبذلك كان غيوم يعرف مسبقاً قرارات ونوايا المستشار قبل ان يعرفها الوزراء وعندما كان يرغب في الاطلاع على تقارير خاصة من الداخل أو الخارج وتمنع عنه لأسباب غير معروفة كان يتصل بباقي أعضاء الحزب من المسؤولين الكبار ويسألهم عن كذا وكذا. فيحصل على ما كان محجوباً عنه بطريقة غير مباشرة. اما حياته الخاصة فكانت متواضعة جداً كان يقيم في شقة صغيرة مؤلفة من ثلاث غرف مع زوجته ايجارها الشهري.(٣٤٠ مارك) وعندما كان برانت يطلب منه الانتقال إلى شقة أفخم كان يرفض ويقول: «الاشتراكية الديمقراطية هي ممارسة وليست ترفاً». وثيابه كانت عادية جداً ورخيصة. اذا حضر أحد الزوار إلى منزله كانت زوجته تتكلم في السياسة وتناقش بينما كان هو يصمت ويعطي الانطباع بان زوجته هي المسيطرة والحاكمة في المنزل وعندما ألقي القبض عليه صرخ أحد الجيران وكان من أصدقائه ورفاقه في الحزب متعجباً: من غير المعقول اذا كان هذا صحيحاً فهذا يعني ان غونتر غيوم أعظم «ممثل» في العالم أو أخطر جاسوس في التاريخ.

وعندما عاد برانت من زيارة في الشرق الأوسط صباح يوم الأربعاء (يوم إلقاء القبض على غيوم) سارع وزير الداخلية في ذلك الوقت (وزير الخارجية حالياً غينشر) ليقول له في المطار: «ألقينا القبض على سكرتيرك الخاص غونتر غيوم بتهمة التجسس لألمانيا الشرقية». فامتقع وجه المستشار برانت وقال وهو غير مصدق «هذه خرافة». وغونتر لم يكن قبل القاء القبض عليه سكرتير برانت فقط بل كان أيضاً صديق العائلة. ابنه كان يلعب مع ابن برانت عندما كان برانت يقضي عطلته المفضلة في النروج مع زوجته وأولاده كان غيوم يقيم في فيللا «مجاورة» يقوم بعمليات السكرتارية اليومية من تسلم برقيات سرية وعاجلة ومكالمات هاتفية وتقارير سرية عاجلة لابد من اطلاع المستشار عليها حتى وهو في اجازته ثم يقوم بارسال برقيات عاجلة وقرارات المستشار وتوجيهاته وأوامره لوزرائه وكبار معاونيه ومستشاريه وسفرائه وبصورة عامة كانت جميع مواعيد ولقاءات المستشار تمر مسبقاً على طاولة غونتر غيوم وكانت المخابرات الألمانية الشرقية تبعاً لذلك تعلم كل

شاردة وواردة وكانت تعرف قرارات المستشار الألماني قبل ان يعرفها وزراؤه وكبار مستشـاريه في الحزب والدولة والحكومة ككل. وغالباً ما كان يتناول غيوم طعام فطوره مع المستشـار برانت يوم الأحد في بيته الرسمي يتحدثان عن امور الدولة والقـرارات التي سيتخـذهـا المستشار في الأيام القادمة. قبل إلقاء القبض عليه باسبوع طلب غونتر إجازة لقضاء عطلة عيد الفصح في منتجع (الكوت دازور) وهو منتجـع على الشـاطىء الـلازوردي في جنوب فرنسا وهو المكان المفضل للقاء الجواسيس والعملاء من جميع أنحاء العالم وخاصة جواسيس ألمانيا الشرقية الذين يعملون في أوربا الغربية واستأجر غرفة عادية بسيطة جداً في فندق متواضع اسمه «رزيدانس دوفرانس» في قرية لوتوريل السياحية حيث أمض أيام عيد الفصح وفي هذا الـوقت بالذات كانت المخابرات الألمانية الغربية بدأت تراقبه منذ مطابقتها للمعلومات الملتقطة والصادرة من مكتب المستشار وقد انتقل وراءه حوال المائة عنصـر ما بين ضابط وضابط صف ومستخدمين مدنيين من المخابرات الألمانية الغربية منذ غادر منزله إلى حين نزوله في الفندق الفرنسي وذلك بالتعاون والتنسيق مع المخابرات الفرنسية التي اشتركت في مطاردته مع الألمان دقيقة دقيقة والفرقة الألمانية التي حضرت لمطاردته شبهت بالغزو الثاني لفرنسا على لسان عينشر وزير الداخلية في حينه ولكن ما كان متوقعاً حدوثه على الشاطىء اللازوردي لم يحصل مطلقاً ولذلك اكتفت المخابرات الألمانية الفرنسية مشتركة بالمراقبة فقط ولذلك قضى غيوم عطلته ممضياً عيد الفصح في قراءة الصحف والنوم دون ان يلتقي أحد مطلقاً وكانت المخابرات الألمانية الغربية تعتقد انه يحضر للفرار من هذا المنتجع إلى ألمـانيا الشـرقية وكـانت مهمـة المخابرات منعه من اجتياز الحدود الفرنسية بالاتفاق مع المخابرات والسلطة الفرنسية ولكنه عاد إلى منزله وزوجته في ألمانيا الغـربية ولكن المخابرات الألمانية الغربية بدأ يساورها الشك حول شعور غونتر بالمراقبة لأنه من أهل البيت ويعرف طرق المراقبة وقد اتخذوا قراراً بعد قناعتهم بأنه سيفر إلى برلين الشرقية آجلاً أو عاجلاً.

النهاية:

في تمام الساعة السادسة و٣٢ دقيقة (ذكرنا ذلك في مكان آخر للضرورة)

دخل عشرة رجال من المخابرات الألمانية الغربية مزوّدين بتصريح من النائب العام وألقوا القبض على غونتر غيوم وزوجته وصادروا من منزلهم بعض التقارير المعدّة للتصدير منهين بذلك أغرب وأوقح قضية تجسس في تاريخ ألمانيا الغربية.

وفاء المخابرات:

أمضى غيوم عدة سنوات في السجن ولكن المخابرات وسلطات ألمانيا الشرقية أصرت على مبادلته مع بعض الجواسيس المعتقلين لديها والذين طالبت بهم سلطات بلادهم وهكذا تمت مبادلة غيوم بثلاثة جواسيس كبار في عملية تبادل جواسيس جرت بين بون وبرلين الشرقية حيث استقبل في برلين الشرقية استقبال الأبطال العائدين من الجبهة وقلد أرفع الأوسمة ومنح فيللا من رئيس الدولة أقام فيها كأي وزير في ألمانيا الشرقية تكريماً له ولتضحيته وبذلك يصبح غونتر تلقائياً من ضيوف المخابرات الشرقية ويعتبر كضابط متقاعد لكن راتبه التقاعدي يحسب مضاعفاً وبصورة استثنائية نظراً لوضعه الخاص. إنها المخابرات في كل زمان ومكان.

* * *

فصل خاص
عن المخابرات الإسرائيلية
وكل جديد
عن ....
أعمالها ومؤامراتها
ضد العالم العربي والإسلامي

تجسس المخابرات الاسرائيلية أهم مواد موسوعاتنا الجاسوسية:

ونحن في البلاد العربية ابتلينا بتجسس المخابرات الاسرائيلية علينا منذ احتلالها الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨ وحتى الآن وان هذه المخابرات مثلما شرحنا عنها بالوقائع في الجزئين الأول والثاني من المخابرات والعالم لم تترك وسيلة من الوسائل الدنيوية إلا واتبعتها في تنفيذ التجسس على الدول العربية والصديقة حتى ان الولايات المتحدة تمثلها المخابرات المركزية الامريكية وهي التي أوجدت وربّت المخابرات الإسرائيلية (لم تسلم من لدغتها) فلم تكتف بالحصول على المعلومات (من وراء ظهر المخابرات الامريكية) من كل من مساعد وزير الدفاع الامريكي (ريتشارد بيرل) وهو عميل للمخابرات الاسرائيلية ونائب مساعد وزير الدفاع الامريكي (ستيفن براين) وهو عميل أيضاً للمخابرات الاسرائيلية وأخيراً لا آخراً اكتشاف الجاسوس الامريكي (جوناثان بولارد) من قبل المخابرات الامريكية وهو يتجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية منذ سنين ما قبل ١٩٨٥ . . . بل تابعت تجسسها على (الوالدة) بمختلف السبل حتى هذه اللحظات والسبب الرئيسي لتجسس اسرائيل ومخابراتها هو ان (التجسس) يجري في دماء الصهيونية منذ أيام هرتزل والمؤتمرات الصهيونية وللتقليل من شعور اسرائيل بعقدة الذنب تجاه تجسس مخابراتها على أحسن وأقوى أصدقائها وسبب وجودها وهي الولايات المتحدة فان الاسرائيليين يذرفون الدمع بحرارة أمام حائط المبكى ومن أعماقهم

وهم يتحـدثـون عن (خـطيئة اسرائيل) التي لابد لهم من بعد بكائهم ان يجدوا الوسائل بانتظار الوقت للتخلص منها أما هذه الخطيئة التي يكون للتخلص منها اسبـوعياً عنـد حائط المبكى فهي ليست خطيئـة دينية أو أخـلاقية كما هو مشاع اعلامياً. . بل خطيئة اسرائيل التي وقعت بها والتي لابد منها ولابد من انتظار الوقت لايجاد الوسائل بواسطة الحاخامات الاسرائيليين للتخلص منها. .؟ ما هي هذه الخطيئة التي شغلت الاسرائيليين على أعلى مستوياتهم. . . إنها الخطيئة التي رسمتها واعترفت بها العقلية الصهيونية منذ انبلاج قرارات المؤتمر الصهيوني في نهـاية القرن التاسع عشر وهي (ضرورة الاعتماد على القوى الكبرى في العالم لتحقيق مخـططات الصهيونية ومن بعدها اسرائيل. . وهذه الخطيئة يجب البكاء عليها بحرارة لأنها ضرورية . . والبكاء لابد ان يستمر أكثر إلى حين ان يتم التخلص منها نهائياً وتصبح اسرائيل (مستقلة) عن أي قوة أخرى غيرها وهذا لا يتحقق إلا اذا اصبحت اسرائيل (قوة كبرى) ووحيدة تهيمن وحدها على الشرق الأوسط كله. . وهكذا بعد كل بكاء وأثناءه يتساءل الاسرائيلي الباكي مع زملائه الباكين بحرارة:

● ألم يحن الوقت بعد للتخلص من اعتماد اسرائيل على غيرها. . .؟ ويحا ويحا.؟

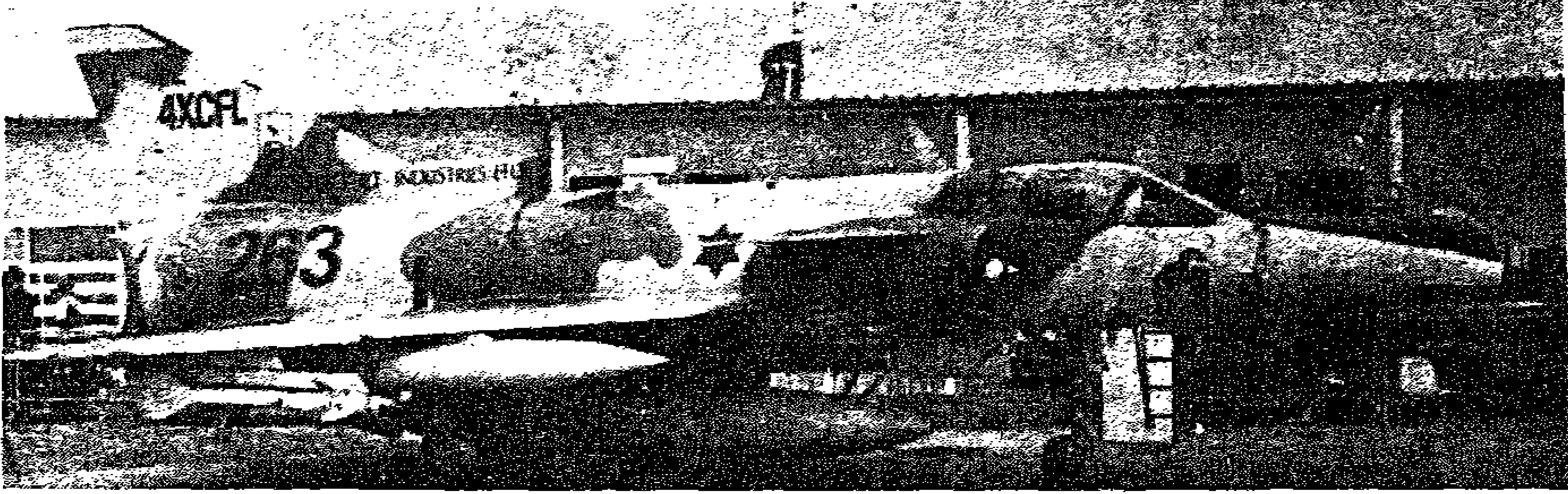
ويستمر بكاء الاسرائيليين علامة ان الوقت لم يحن بعد فأمل اسرائيل هو الوصول إلى درجة من عدم الاعتماد على غيرها (حتى ولو كان ذلك اعتمادها على امـريكا) ولا يتم لها ذلك إلا بالوصول أو الحصول على أقوى واحدث (الأسرار العسكـرية) في العالم. هذا الكلام قاله (موشي دايان) وزير دفاعهم بنفسه من قبـل. . وقضية التجسس الاسرائيلية على امريكا باستمرار تجسد اطماع العقلية الصهيونية واذا سألنا القارىء الذي يشكل الرأي العام. .؟ لماذا لجأت اسرائيل إلى التجسس على امريكا صاحبة الفضل في وجودها وحياتها كلياً ورغم العلاقة الحميمة التي تربطهما معاً. . وللجواب علينا ان نعود بذاكرتنا إلى عام ١٩٥٦ اثناء حرب العـدوان الثلاثي على مصر هذه الحرب الغادرة التي شاركت بها بريطانيا وفرنسا واسرائيل حيث قال موشي دايان وزير دفاعهم في حينه:

● كانت اسـرائيل في هذه الحـرب مثل راكب دراجة يمسك بسيارة كبيرة مسرعة متعلقاً بها.

وهـذا يعني ان اسـرائيل اعتمـدت في هجـومها على مصر في حينه على بريطانيا وفرنسا. أي ان اسرائيل لم تكن قادرة وحدها على الهجوم وهو شيء ذو حدين تريده اسرائيل ولا تريده في نفس الوقت.. أي بمعنى انها تخطط لنفسها لتكون قادرة على الاستقلال الذاتي للحرب وهو أمر غير ممكن في اسرائيل (حتى الآن ١٩٨٧). لقـد كانت بريطانيا وفـرنسا إبان الاعتداء على مصر عام ١٩٥٦ تمثـلان القـوى الاستعمـارية الضاغطة في المنطقة فلما طلبت امريكا في عهد الجنرال ايزنهاور من بريطانيا وفرنسا واسرائيل (الانسحاب) اتجهت اسرائيل إلى امريكا بكل قوتها عوضاً عن بريطانيا وفرنسا ومن حينه خططت اسرائيل لكي يكون اعتمـادهـا كلياً على امـريكا بدلاً من بريطانيا وفرنسا الدولتين الاوربيتين اللتين ساعدتاها في العدوان الثلاثي. وبعد حرب رمضان ١٩٧٣ (اكتوبر) عندما استطاع الجندي العربي في سوريا ومصر تحقيق نصر عسكري على اسرائيل أسرع هنري كينسجر ليتدخل لحماية اسرائيل عسكرياً وسياسياً قائلاً: ان هناك علاقة خاصة تربط امريكا باسرائيل (ومعروف ان هذه العلاقة الخاصة هي دور الشرطي الذي تحاول اسرائيل ان تلعبه في المنطقة) بعد ذلك سارعت اسرائيل إلى امريكا وابرمت معهـا الاتفـاقية الاستـراتيجية العسكرية التي زودت امريكا فيها اسرائيل بمئات ملايين الدولارات واحدث الأسلحة الامريكية والدعم السياسي في مجلس الأمن والأمم المتحدة بدون حدود حيث وضع الفيتو الامريكي (تحت تصرف) المندوب الاسرائيلي ومع كل ذلك يتصور القاريء الكريم ان اسرائيل تتجسس على امريكا لأن التجسس على امريكا من قبل اسرائيل يكشف (جلد) اسرائيل الحقيقي لأن من المعـروف ان اسـرائيل كالحيّة السامة تغيّر جلدها بين حين وآخر فقد غيّرت جلدها عقب العدوان الثلاثي ١٩٥٦ باتجاهها إلى امريكا. ومع ذلك فالرأي العام الامريكي يريد ان يعرف لماذا لجأت اسرائيل إلى التجسس عليه بالرغم من الصورة التي رسمها الاعلام الامريكي الرسمي (امريكا هي اسرائيل واسرائيل هي امريكا) ورغم العلاقة الخاصة التي تربطهما ببعضهما فإن الشعب الامريكي المغلوب على امـره من رؤسـائـه وآخرهم ريغان ـ الآن ١٩٨٨. يريد ان يسمع الجواب (لماذا تتجسس اسرائيل على الولايات المتحدة ـ على عينك ياتاجر) والجواب ليس ميسراً كما قد يظن البعض. ذلك ان العقلية الصهيونية لها تفكيرها الخاص حينما أعلنت عن هذا التفكير في اكثر من مناسبة وملخصه ان اسرائيل هي (أو يجب ان تكون)

البديل الأوحد لجميع أشكال الاستعمار القديم والحديث في منطقة الشرق الأوسط وتذهب هذه العقلية إلى أبعد من ذلك فتدعي ان ليس هذا فحسب بل يجب ان تكون اسرائيل مستقلة عن أي دولة كبرى كانت تعتمد عليها في تنفيذ مخططاتها من قبل بما في ذلك. . امريكا ومن مخططاتها ايضاً افتراض مخططي السياسة الاسرائيلية ان الاتحاد السوفييتي استطاع ان يقفز إلى مكانة امريكا ليصبح القوة العالمية الأولى فإن اسرائيل عليها ان «تغيّر» جلدها كالعادة. . وتتجه إلى الاتحاد السوفييتي بدلاً من امريكا وغايتها من كل ذلك استغلال الأوضاع الدولية لكي تستقل بذاتها وتصبح هي وحدها (اسرائيل) المسيطرة على المنطقة بأكملها كقوة كبيرة تفرض بعد ذلك على الدول العربية الطاعة والاستسلام بالقوة. . ومع هذا نعود لنحاول اعطاء الرأي العام بعض الجواب عن سؤال لماذا تتجسس اسرائيل على ولية نعمتها امريكا فالاجابة كانت تتغير لو ان امريكا نفسها وهي القوية اتخذت موقفاً واحداً (معادياً) لاسرائيل أو انها امتنعت ولو مرة واحدة في الأمم المتحدة عن التصويت لصالح اسرائيل أو انها وفرت الفيتو الامريكي مرة واحدة عن مساندة اسرائيل في اعتداءاتها. لكن العكس هو الذي حصل ولا يزال يحصل فأمريكا كانت ولا تزال تقف مع اسرائيل قلباً وقالباً. اذن فالاجابة الصحيحة عن تجسس اسرائيل على امريكا يمكن ان نجدها في العقلية الصهيونية التي انشأت اسرائيل وهي ترى ان هذا الكيان يجب ان يتحرك بكل طاقاته لكي يصبح في يوم من الأيام مستقلاً كقوة كبرى في المنطقة وهذه القوة لا يمكن ان تصبح قوة مستقلة إلا بالوصول إلى الأسرار العسكرية التي تملكها الدول العظمى ومنها امريكا بالذات وللوصول إلى هذه الأسرار من الجهة العلمية البحتة غير ممكن بالنسبة لاسرائيل وذلك نظراً إلى ان الولايات المتحدة تشرف عسكرياً وتلقائياً على اسرائيل وتكتفي بأن تمدها بالأسلحة المتطورة جداً بدون ان تزودها باسرار صنعها. كذلك فإن المجتمع الاسرائيلي غير مهيأ علمياً للوصول بنفسه إلى صناعة الأسلحة المتطورة والحديثة جداً كتلك التي تمدها بها امريكا فهو مجتمع يعيش (عالة) على الولايات المتحدة واقتصاد اسرائيل لا يسمح بالوقوف مستقلاً عن المعونات الامريكية من هنا فإن اسرائيل لا تستطيع الوصول تدريجياً إلى التصنيع الحربي المماثل للتصنيع الحربي الامريكي حتى ولو باعت اسرائيل ١٢ طائرة كفير من

صناعتها إلى البحرية الامريكية للتدريب لأن من المعروف ان صناعة طائرة كفير الاسرائيلية كلفت اسرائيل اكثر من تكلفة طائرة تورنادو العالمية كل ذلك من الأموال الامريكية.



(طائرة كفير الاسرائيلية كلفت أغلى من طائرة التورنادو)

واسرائيل من ناحية اخرى لا تملك عنصر الزمن في صالحها فامريكا تحرص في المقام الأول وهي تعرف حقيقة اسرائيل التي تتعامل معها على امداد اسرائيل بالأسلحة الجاهزة دون امدادها بأسرارها العلمية التي تؤهلها للاستقلال بالصناعة الحربية. ولذلك اخترع حائط المبكى ـ الديني في الكيان الصهيوني لغرض سياسي واحد ألا وهو البكاء على اسرائيل ذاتها مادامت على هذه الحال وهو اعتمادها على قوة خارجية.

وبالطبع فإن هذا الحائط له أكثر من واجهة أخرى.. لكنها كلها واجهات مصطنعة تختلف تماماً عما يضمر الصهيوني الاسرائيلي في داخله. فهو يعتقد من أعماق قلبه ان اسرائيل وشعبها هم (شعب الله المختار) وانهم أسمى وأعلى من أي جنس آخر وان الاعتماد على امريكا هو اعتماد (مؤقت) ولكن إلى ان يزول هذا الاعتماد على امريكا يجب ذرف الدموع على حائط المبكى لأن اسرائيل في نظرهم لم تتحقق حتى الآن بالصورة الكاملة التي تم رسمها من قبل مؤتمر بازل في القرن الماضي.

أسباب تجسس اسرائيل على امريكا:

إذن لم يبقى أمام اسرائيل بعد كل ذلك إلا الحصول على الأسرار العسكرية

الامريكية وسرقتها بمختلف السبل طالما ان كيانها اجتماعياً واقتصادياً وعلمياً لا يؤهلها للوصول إلى هذه الأسرار عن طريق التدرج العلمي العصري لذلك لجأت إلى عملية التجسس على الدولة الكبرى التي تقف بجانبها وتؤازرها وتنحاز لها في كل كبيرة وصغيرة. فإذا كانت امريكا ترخي الحبل لاسرائيل في كل شيء. حتى ان اسرائيل إلى الآن هي الدولة الوحيدة في العالم كله التي لم تعلن عن حدودها وذلك على مبدأ (شعارهم) المكتوب على مدخل الكنيسة الغربي (البرلمان) من الفرات إلى النيل حدودك يااسرائيل... وبذلك فانها تكتفي عوضاً عن الاعلان عن حدودها باعلان الحدود الآمنة على آذان الرأي العام العالمي تمويهاً منها وهروباً ضريحاً من الجواب على السؤال الأول قبل الثاني وهو:

قبل الحديث عن الحدود الآمنة. أليس من المنطق ان نعرف ما هي هذه الحدود أولاً..؟ كان من الواجب ان يوجه الرأي العام العالمي هذا السؤال (لماذا لم تعلن اسرائيل حتى الآن عن حدودها كأي دولة..؟ بل لماذا ترفض الاعلان عنها إن لم يكن هناك ما هو أعمق حبثاً من مجرد الاعلان عن حدود آمنة. فإذا كانت امريكا كما قلنا قد أرخت لاسرائيل الحبل في كل شيء فان امريكا نفسها لا تسمح بالطبع لأي دولة بما في ذلك (ربيبتها) اسرائيل ان تتجسس على أسرارها العسكرية حتى وان بدت امريكا انها قبلت (اعتذار) اسرائيل الرسمي على عملية التجسس التي نتكلم في صددها والتي بطلها جوناثان بولارد.

ولا نزال نذكر قول موشي دايان بعد نكسة حزيران (سبتمبر) عام ١٩٦٧:

● ان هذا الجيل [يعني جيل اسرائيل في عام ١٩٧٧] قد حقق ما هو مطلوب منه اما عن كثرة اعداد الجيوش العربية فسنواجهها بالعلم وعلى الأجيال القادمة ان تحصل على هذا العلم (يعني الأسرار العسكرية) بكل السبل. فإذا خرجنا من نطاق الوقائع التي كشفتها هذه القضية إلى نطاق أوسع فإننا كأمة عربية لنا دور يختلف تماماً عن الاكتفاء بدور المتفرج وهذا الحديث ليس موجهاً إلى الأمة العربية وحدها بل هو موجه إلى الرأي العام الامريكي ايضاً فالمجتمع الامريكي يريد ان يعرف الاجابة الحقيقية عن أسباب هذا التجسس البشع ودولته لم تبخل على اسرائيل بالغالي لأن العقلية الصهيونية لن تتغير وهي ستبقى تحلم بتحقيق حلمها الأكبر لكي تصل إلى كيان أقوى استقلالاً من الاعتماد على امريكا وقضية التجسس هذه تطالبنا بالكثير لكي نتحرك ونعلم الشعب الامريكي بكافة الوسائل الاعلامية

بنوايا الصهيونية ونوايا حكام اسرائيل التي يحققونها رغم إدارة امريكا وعلى مبدأ المثل العربي:

● فرعون مين فرعنك (أي اطلقك). . ؟

● يقول فرعون: ولا أحد يوقفني. . ؟

وهذا التحرك يكون على مبدأ عمل الواجب استناداً للحديث من رأى منكم منكراً وهذا ما هو مطلوب منا ان ننبه الرأي العام الامريكي له:

١ - توجه وفد اعلامي عربي إلى الرأي العام الامريكي ليوضح له الكثير من خبايا العقلية الصهيونية التي تظهر بألف وجه سواء في اعتمادها على امريكا واستنزاف مقدرات الشعب الامريكي.

٢ - كشف حقيقة (حائط المبكى) حيث يهمس الاسرائيلي في نفسه همسات خبيثة دموية للوصول إلى الحكم الأكبر لتحقيق أفكار العقلية الصهيونية.

٣ - السعي وبكافة الوسائل والسبل لجعل اسرائيل مستقلة كقوة وحيدة مسيطرة على الشرق الأوسط كله تقف بالندّ أمام أي قوة أخرى حتى ولو كانت امريكا بالذات.

طوي موضوع تجسس العصر:

رغم ضخامة عملية التجسس الاسرائيلية على الولايات المتحدة من قبل الجاسوس الامريكي اليهودي جوناثان بولارد فقد سجل (عام ١٩٨٥) الرقم القياسي في عدد قضايا التجسس ضد الامريكيين فقد أصدر الرئيس الامريكي ريغان القرار الرئاسي رقم ١١٧ الذي يقضي بالتوسع في استخدام أجهزة الكشف عن الكذب (البوليغراف) لاختبار كبار موظفي الدولة والشركات التي يتاح لها بحكم التعامل مع الدولة الاطلاع على أسرارها العسكرية والسياسية والتكنولوجية. . بعد اعتذار اسرائيل الرسمي عن تجسس جوناثان واغلاق ملف القضية بعد عودة المحققين الامريكيين (أصلهم من اليهود أيضاً) من اسرائيل بعد ان شاهدوا وصوروا الوثائق التي سلمها جوناثان تجسساً لاسرائيل. وما ان أغلق ملف تجسس جوناثان حتى فتح ملف الصراع داخل الحكومة الامريكية بين قبول ورفض

الخضوع لجهاز الكشف عن الكذب بموجب القرار الرئاسي ١١٧ . والعلاقة ليست كما يتبادر إلى ذهن القاريء للوهلة الأولى مجرد صدور هذين التطورين عن مصدر واحد وهو الحكومة الامريكية في بحثها عن تفشي التجسس الاسرائيلي في الولايات المتحدة إلى حد لم يسبق له مثيل في التاريخ الامريكي كله . . وقد وجدنا ببساطة ان فتح ملف الصراع حول قرار الرئيس ريغان الخاص بتعميم استخدام اجهزة الكشف عن الكذب هذا القرار هو (جزء) من عملية إغلاق ملف قضية الجاسوس جوناثان وهناك فريق يريد ألا يكون فتح ملف الصراع حول اختبارات الكذب وقفل ملف قضية جوناثان بمثابة انهاء لفرص استمرار التجسس الامريكي لحساب اسرائيل بأشكاله المختلفة . . عفواً لا نريد ان تبدو المسألة معقدة للقاريء فسوف نبسطها كما يلي :

● لم تكن هذه المرة الأولى التي يحاول ريغان اللجوء إلى طريقة اختبارات اجهزة الكذب لفحص مصداقية الامريكيين والتقليل من احتمال تسرب الخطرين على (الأمن القومي) إلى مراكز حساسة فقد حاول ريغان قبل ذلك مرتين منذ عام ١٩٨١ العام الأول من رئاسته ولكنه قوبل باعتراضات من داخل إدارة الحكومة وحتى من داخل الكونغرس ومن المنظمات المدافعة عن الحقوق المدنية وطبعاً من جانب الاعلام الامريكي الذي يعتبر انه يعيش على ما يسرّبه إليه بعض شاغلي المراكز الحساسة من معلومات وقد صرح جميع المعارضين ان اجهزة كشف الكذب ليست وسيلة مؤكدة يعتمد عليها فكثيراً ما أخفقت في كشف كذب مجرمين في قضايا جنائية عندما لجأت النيابة العامة لهذه الأجهزة وكثيراً ما حدث العكس اذ أعطت الأجهزة اشاراتها بأن متهماً أو شاهداً يكذب واكدت الملابسات الحقيقية بعد ذلك بأن اجهزة كشف الكذب هي التي كانت تكذب. غير ان السبب الذي حدا بالرئيس ريغان إلى العودة إلى اصدار تعليماته بالتوسع في استخدام هذه الأجهزة يختلف هذه المرة عما كان عليه في المرتين السابقتين فالمسألة هذه المرة تتعلق (بالأمن القومي) بمواجهة مشكلة تفشي التجسس ولمن . . . ؟ لاسرائيل التي أعطتها الحكومات الامريكية المتلاحقة كل شيء ولأسباب مالية بحتة وليست عقائدية أو سياسية من قبل موظفين امريكيين بعضهم من أصل يهودي مثل جوناثان والقريبين من الأسرار العسكرية إلى أقصى حد أما في المرتين السابقتين فقد كان الدافع هو الحد من تسرب المعلومات عن المناقشات السرية داخل الادارة

الامريكية (إلى الصحف) وكانت هذه الظاهرة قد تفشت في عام ١٩٨١ إلى حد أغضب ريغان كثيراً خصوصاً عندما علم ان وراء تسرب أسرار إدارته بالذات وصراعاتها الداخلية أعضاء هذه الادارة انفسهم بما فيهم الوزراء وكبار مساعديه في البيت الأبيض. أما هذه المرة فقد بدا للرئيس ريغان ان المناخ موآت لأن من المستحيل ان يرفض أحد من الموظفين مهما علت رتبهم الخضوع لاختبارات جهاز الكشف عن الكذب طالما ان الأمر يتعلق (بالأمن القومي) حيث وصلت الاستعدادات في الادارة الامريكية حداً اعتقد الجميع بأن الرئيس ريغان ربما سيكون المسؤول الوحيد الذي يعفى من الجلوس على جهاز كشف الكذب وان الآخرين سيطلب منهم جميعاً الخضوع لهذا الاختبار بما فيهم أعضاء الوزارة وأعضاء مجلس الأمن القومي الذي يرأسه اليهودي (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الامريكية السابق. وحتى أركان البيت الأبيض وكبار الجنرالات في المؤسسة العسكرية الامريكية.

من وافق على العرض على جهاز كشف الكذب:

بعد ان أخذ الجميع علماً بالأمر الرئاسي رقم ١١٧ الصادر عن الرئيس ريغان بعرض كبار موظفي الادارة الامريكية على جهاز الكشف عن الكذب وافق الجميع بهدوء وعلى رأسهم:

١ - كاسبر واينبرغر. . وزير الدفاع.
٢ - وليام كيسي. . مدير المخابرات المركزية الامريكية.
٣ - أدوين ميز. . وزير العدل.
٤ - وليام سميث. . مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي.
٥ - روبرت مكفارلين. . مستشار الرئيس ريغان لشؤون الأمن القومي.
٦ - الأدميرال جون بويندكستر. . خليفة روبرت مكفارلين رقم (٥).
٧ - الجنرال فيرنون والترز. . رئيس الوفد الامريكي لدى الأمم المتحدة.

شخص واحد فقط من مستوى هؤلاء السبعة اعترض أو رفض الموافقة على

العرض على جهاز الكشف عن الكذب هو (جورج شولتز) وزير الخارجية الامريكية.



(جورج شولتز الوحيد الرافض لقرار ريغان . .)

في البداية كان اعتراض جورج شولتز مجرد اشاعة تسربت من أوساط الادارة الامريكية وانتشرت هذه الاشعاة في الأوساط الرسمية وفي الصحف فاكتسبت مصداقية واضحة إلى ان تحوّلت إلى عاصفة بكل معنى الكلمة وبدا ان جورج شولتز يتناول القضية على انها مسألة الطعن في (كرامته الشخصية) بصرف النظر عن موافقة الآخرين من أعضاء الادارة الامريكية البارزين وصرف النظر ايضاً عن مدى وثوق العلاقة الشخصية بينه وبين الرئيس ريغان. وبدا أيضاً ان المسألة أخذت في التحول إلى موضوع خلاف حاد داخل إدارة ريغان وان شولتز مستعد للذهاب إلى أقصى مدى في لوي «ذراع ريغان» وذلك عن طريق طرح القضية للمناقشة ـ الانفعالية ـ خارج الاجتماعات الرسمية والتهديد بالاستقالة في وقت يمكن ان تؤدي استقالة أي عضو في حكومة ريغان (فضلاً عن ان يكون وزير الخارجية بالذات) إلى اظهار هذه الحكومة في حالة من التفكك والاختلال.

وقد رتب جورج شولتز لنفسه يوم ١٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥ ان يعقد مؤتمراً صحفياً بحجة الاعلان عن تشكيل لجنة استشارية حول سياسة الحكومة الامريكية وعلاقاتها مع جنوب افريقيا ـ ليفجّر الأزمة بقوة وبترتيب متعمد ومسبق حيث وجه له الصحفي وليم بروكلي المرتبط بعلاقة شخصية وثيقة مع برنارد كالب

مساعد الوزير لشؤون العلاقات العامة والمتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية سؤال حول موقفه إذا طلب منه الخضوع لجهاز الكشف عن الكذب وبدلاً من ان يقول شولتز ان هذا السؤال ليس موضوع المؤتمر الصحفي قال عبارته التي رددها من بعده جهاز الاعلام الامريكي بكامله ولمئات المرات «ان اللحظة التي يتم فيها ابلاغي في هذه الحكومة بأنني غير أهل للثقة ستشهد نفس الوقت الذي استقيل فيه».وكان شولتز يعطي اشارة البدء بحملة اعلامية واسعة لترشيحه للرئاسة مثلاً إذ لم يلبث الاعلام الامريكي ان رفع شولتز بسبب التصريح إلى مرتبة (الأبطال). والذين سبق ان انتقدوه اعتذروا منه لأنهم لم يدركو عظمة الرجل. والذين قادوا حملة تمجيد مواقف شولتز في الصحافة الامريكية وليس هناك مجال لافتراض المصادفة هم أنفسهم الذين قادوا حملة الدفاع عن العلاقات الامريكية - الاسرائيلية بعد فضيحة الجاسوس جوناثان والذين دافعوا باستماتة عن حق اسرائيل في التجسس والذين ابتدعوا جميع الحجج والتبريرات لممارسات اسرائيل في التجسس والسرقة ومنها:

١ - السرقات النووية من امريكا وهي اخطر السرقات..

٢ - السرقات التكنولوجية المختلفة..

٣ - تهريب اليورانيوم من وراء ظهر السلطات الامريكية..

٤ - سرقة أسرار امريكا عن حلفائها العرب بواسطة جوناثان..

نتائج الحملة الاعلامية التي قادها شولتز برفضه العلني:

نتيجة الحملة الاعلامية الضخمة التي أطلقها شولتز في جعل نفسه أعلى من الرئيس ريغان لجهة المعنويات ورفضه حتى مبدأ الحديث في عرضه على جهاز الكشف عن الكذب فقد تراجع البيت الأبيض بسرعة مذهلة عن موقفه من ضرورة عرض كبار الموظفين لاختبارات جهاز كشف الكذب من أجل صيانة الأمن القومي الامريكي الا ان حملة الرفض ضد هذه الاختبارات تصاعدت (بعد موقف شولتز) واتسعت قاعدتها إذ لم يعد شولتز هو المعترض الوحيد ولم يعد مستوى المعترضين هو وحده مستوى الوزراء وكبار المسؤولين فقد بدأت عملية تمرد واسعة على قرار

الرئيس ريغان بعد موقف شولتز. تكلم الذين لم يسبق لهم ان تكلموا عن الحريات العامة للأمريكيين حينما انتهكت من جانب حكومة ريغان بالذات التي توسعت اكثر مما توسعت (أي حكومة سابقة) منذ عهد مكارفي في استخدام أساليب المراقبة الاليكترونية وسمحت للقطاع الخاص بان يستخدم هذه الأساليب في مراقبة العاملين فيه إلى مدى لم تستطع السلطات الرسمية الاتحادية نفسها ان تحصره. وعقب انطلاق اشارة الرفض من شولتز كان أول من تبعه في فتح باب الرفض على مصراعيه ضد اختبارات اجهزة كشف الكذب (الرابطة الامريكية لموظفي السلك الدبلوماسي) أي جميع مرؤوسي وزير الخارجية شولتز فقد أصدرت الرابطة بياناً أعربت فيه عن تحفظات خطيرة بشأن التوجيه الرئاسي الذي صدر مؤخراً والذي يوجب استخدام أجهزة كشف الكذب على الموظفين الكبار لمنع كشف المعلومات السرية أو للمعاقبة على كشفها. واكدت الرابطة في بيانها اعتقادها بان لهذا التوجيه آثاراً محتملة مدمرة للحقوق الدستورية للعاملين وأشارت إلى ان خبراء كثيرين دللوا على وجود ظلال كثيفة من الشك على كفاية اجهزة كشف الكذب. وطالبت الرابطة الكونغرس بان يتصدى لهذا التوجيه بصلابة كما فعل عام ١٩٨٣. وبطبيعة الحال فإن الرابطة الامريكية لموظفي السلك الدبلوماسي الامريكي لم تشر من قريب أو بعيد إلى الاعتداءات الكثيرة التي تتعرض لها الحقوق الدستورية للامريكيين بسبب المراقبة الاليكترونية لنشاطاتهم اليومية بما في ذلك مكالماتهم الهاتفية واتصالاتهم الشخصية وحتى مصروفاتهم وايراداتهم وكذلك رسائلهم واشتراكاتهم في الصحف والمجلات لكشف اتجاهاتهم السياسية.

عودة إلى عملية تجسس جوناثان:

تقرر بالاتفاق مع الحكومة الامريكية قفل موضوع تجسس جوناثان على الولايات المتحدة لصالح اسرائيل بتاريخ ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥ بدون ان يلفت نظر أحد إلى هذا التاريخ والذي حدث في ذلك اليوم انه خلال مدة لم تتجاوز (٢٣ دقيقة) أي فيما بين الساعة الثالثة إلا خمس دقائق والثالثة و١٨ دقيقة من بعد الظهر قالت وزارة الخارجية الامريكية ان مؤتمراً صحفياً سيعقد في تمام

الساعة الثالثة بعد الظهر في مقر الوزارة (بشأن مهمة وفد التحقيق الامريكي في قضية الجاسوس بولارد في اسرائيل) وكان أقصر مؤتمر صحفي حيث انتهى خلال (١١ دقيقة) باعلان تشاركنز ردمان المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية ما يلي:

● ان الوفد الامريكي قد أنهى بالتعاون الكامل مع حكومة اسرائيل مهمته المتعلقة بنشاطات (معينة) أدت إلى حصول مسؤولين في حكومة اسرائيل (أي المخابرات الاسرائيلية) على وثائق سرية خاصة بحكومة الولايات المتحدة (بطريقة غير مشروعة). . لقد أكدت حكومة اسرائيل انها أعادت للولايات المتحدة كل تلك الوثائق التي في حوزتها أو تحت سيطرتها ومن خلال التعاون من جانب الحكومة الاسرائيلية تمكن الوفد الامريكي من تحقيق اتصال كامل مع «الأشخاص ذوي المعرفة بالحقائق المتصلة بهذه المهمة».

وقال البيان الامريكي «لقد أبلغت حكومة اسرائيل حكومة الولايات المتحدة بأنها اتخذت جميع الاجراءات الضرورية لحل الوحدة المتورطة (وهي الفرع الداخلي من مخابرات الجيش الاسرائيلي وادعاء البيان غير صحيح لأن هذا الفرع مستمر في عمله ولا يمكن حله بل يقتضي الأمر بأن ينقل واحد أو اثنين من الضباط المتورطين في العملية. ،) وأكدت حكومة اسرائيل مجدداً للفريق الامريكي بيانها الذي قال ان الأشخاص المعنيين في عملية التجسس على الولايات المتحدة قد تصرفوا بغير سلطة الحكومة وضد سياستها وأنها فيما اتخذته من خطوات مناسبة في هذا الشأن تصرفت لمنع تكرار مثل هذه النشاطات. وأضاف البيان ان حكومة الولايات المتحدة تعتبر ان هذه الاجراءات تشكل التعاون المأمول من الحكومتين وفي سياق تعاونها وبعد المناقشات بينهما فإن الفريقين الامريكي والاسرائيلي قد اتفقا على النظر فيما قد يعدّ ضرورياً من اجراءات ملموسة اذا تطلب الأمر ذلك في المستقبل ومع ذلك فقد أعلن المتحدث الرسمي باسم وزارة العدل ان هذه الوزارة مستمرة في نظر القضايا المتصلة بهذه المسألة ولهذا فانه من غير المناسب اصدار أي تعليقات. ولن يصدر أي بيان آخر في هذا الموضوع إلا اذا حدثت مناسبة ملائمة وبناء على الأساس الصلب للصداقة العميقة والود الوثيق والثقة المتبادلة فإن الحكومتين تؤكدان مجدداً عزمهما على مواصلة التعاون الوثيق في كافة المجالات».

وفي هذا المؤتمر الصحفي المستعجل نفسه، ورداً على الأسئلة اكدّ ردمان الناطق الرسمي باسم الخارجية: انه لا توجد قضايا تجسس اسرائيلية أخرى غير قضية بولارد وزوجته و(كرر) هذا التأكيد عدة مرات جواباً على اسئلة صحفية له الأمر الذي يتناقض تماماً مع ما صرحت به مصادر مسؤولة في وزارة الخارجية قبل اسبوعين (أي بتاريخ ٥ و٦/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥) من ان قضية بولارد ليست سوى (الجزء الظاهر من جبل الجليد). بل ولم يخف على الحاضرين في المؤتمر الصحفي ان العبارة الأخيرة من البيان الذي قرأه المتحدث الرسمي:

● إن الحكومتين تؤكدان مجدداً عزمهما على مواصلة التعاون الوثيق في كافة المجالات

وهذه العبارة تقصد بالتحديد ان قضية تجسس بولارد لن تعرقل التعاون في مجال المخابرات بين الولايات المتحدة واسرائيل. ولم يخف على أحد ان المؤتمر الصحفي عقد ليس بهدف (اقفال) ملف الجاسوس بولارد فقط، بل لقفل ملف الجاسوسية الاسرائيلية في امريكا بأكمله.. فالولايات المتحدة أصدرت بيانها تأكيداً بأنه لا قضايا أخرى وأيضاً لا أثر لهذه القضية اذاً فالمسألة منتهية تماماً حيث داست امريكا وعظمتها على كرامتها إرضاء للصهيونية مؤسسة اسرائيل حيث عاد الفريق الذي انتدب للتحقيق في اسرائيل من اسرائيل بعد انتهاء التحقيق ولفلفة الموضوع وصدور البيان الصحفي عن وزارة الخارجية الامريكية وعادت العلاقات الامريكية الاسرائيلية (سمن على عسل). ويادار ما دخلك شر...

اسرائيل الأقوى:

لم يبقى من قضية الجاسوس الاسرائيلي الامريكي جوناثان بولارد بعد طي الموضوع على أعلى المستويات سوى مصيره الشخصي.. وقد صدرت الأوامر لغير مكتوبة طبعاً بحل الموضوع وفقاً لتصريح مسؤول امريكي (كما حلت في السابق مسائل مماثلة تتعلق بالمصير الشخصي لجواسيس سوفييت عملوا في

امريكا او جواسيس امريكيين عملوا في الاتحاد السوفييتي) اما في حالة بولارد فإن فرصته أفضل كثيراً بحكم طبيعة العلاقات واطمئنان بولارد بأن أحد لن يمس منه شعرة نتيجة تجسسه لصالح اسرائيل مع استحالة التبادل هنا كما يحدث بين الامريكيين والسوفييت في معظم الأحيان الا ان بولارد انتهى بطلب العفو له من الرئيس ريغان الذي وافق شخصياً على طي الموضوع وبعد مدة مدروسة يخرج من السجن بالعفو الرئاسي ويتوجه مع زوجته إلى اسرائيل معززاً مكرماً ليمنح الجنسية



ـ الجاسوس جوناثان بولارد وزوجته آن. تجسس على عينك يا تاجر. .

الاسرائيلية (رسمياً) وينضم إلى كادر المخابرات الاسرائيلية وأيضاً في فرع التجسس على امريكا بالذات. فعلاً المسألة منتهية. . . ولكن حكومة ريغان وفي زحمة قضايا التجسس الكثيرة التي كشفت هنا وهناك أصدرت هذا التوجيه الرئاسي بانفعال ظاهر في حينه لتعميم استخدام الكشف عن الكذب وقد اكتشف انصار اسرائيل في شتى الوكالات والوزارات والادارات والشركات الامريكية ان هذا الاجراء يمكن ان يشكل عقبة خطيرة في وجه ممارسة المهمة العادية التي طالما مارسوها من قبل دون التعرض لاختبار (الكذب) ألا وهي مهمة نقل المعلومات والأسرار إلى اسرائيل. اذاً المسألة منتهية رسمياً ولكن الذيول الخطيرة كثيرة وثمة اشارات عديدة إلى ان كل يهودي امريكي يشغل وظيفة حكومية في الولايات

المتحدة سواء قريبة من الأسرار والمعلومات أم غير ذلك فإنه يشعر اليوم وبعد قضية بولارد بأنه «مشكوك فيه» على أقل تقدير وثمة اشارات اخرى إلى ان مكتب التحقيقات الفيدرالي (المباحث العامة) ينظر بعين الشك إلى بيانات وزارة الخارجية حول القضية. فبالنسبة إلى هذا المكتب «تعتبر قضية بولارد تطوراً يستدعي للذاكرة تاريخاً من الصراع وانعدام التعاون يمكن قراءته في ملفات المكتب حول الاتهامات بالتجسس الاسرائيلي على الولايات المتحدة على مدى عشرين سنة».

وهناك أخطر من هذا وذاك: إن قضية بولارد جعلت بالامكان لأول مرة ان يكتب في صحافة المؤسسة الحاكمة أي الصحافة الامريكية المسماة (الصحف القومية) كلام ونقد لو قاله (اعداء اسرائيل العرب) أو لو كتبه (اعداء امريكا) لاعتبر كذباً من النوع الفاضح أو الأخرق فمن كان يتصور ان تكتب صحيفة «نيويورك تايمز» التي تعد أوثق صحف امريكا صلة باسرائيل والمنظمات اليهودية يوم الأحد في عدد/ ٢٢ كانون الاول - ديسمبر/ ١٩٨٥ قالت: ان العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة اصبحت حميمة إلى حد ان كثيرين من المسؤولين الامريكيين مقتنعون بمقدرة اسرائيل على ان تحصل وبشكل روتيني على المعلومات الحساسة عن الاسلحة الامريكية السرية وتكنولوجياتها المتقدمة ومداولاتها السياسية الداخلية في واشنطون ويقول المسؤولون الامريكيون ان الدبلوماسيين والزعماء الاسرائيليين يستجيبون أحياناً لتقارير المخابرات وللتحولات السياسية حتى قبل ان تكون هذه التقارير والتحولات قد اكتملت ووفقاً لما قاله مسؤول في مركز مهم فإن ضباط المشتريات الاسرائيليين الذين يحضرون إلى الولايات المتحدة ضمن وفود وزارة الدفاع الاسرائيلية هؤلاء الضباط الاسرائيليون يعرفون مسبقاً ومن مخابراتهم:

١ - مواصفات الأسلحة قبل ان تعرض عليهم وغالباً ما تكون هذه الأسلحة جديدة ومتقدمة. ولم تستعمل في الجيش الامريكي نفسه.
٢ - أرقام وكمية المخزون من هذ الأسلحة في امريكا.
٣ - نتائج ومفعول هذه الأسلحة بالدقة النهائية.

وقد أوردت صحيفة نيويورك تايمز نفسها هذه القصة الحقيقية عن التجسس الاسرائيلي على امريكا والذي روى هذه القصة للصحيفة هو عضو سابق في مجلس الأمن القومي الامريكي وهذه القصة لا تحتاج إلى أي تدخل لاظهار

دلالاتها وواقعيتها:

● عقب حرب ١٩٧٣ جرى تكليف مجموعة خبراء من كل من المخابرات المركزية الامريكية ومن وكالة الأمن القومي ووكالة المخابرات الدفاعية وإدارة المخابرات والبحوث في وزارة الخارجية باعداد دراسة تقديرية لميزان القوة العسكرية في الشرق الأوسط وبينما كان يجري إعداد مسودات تقرير المجموعة اتصل مسؤولون اسرائيليون بمسؤولين امريكيين في المخابرات الامريكية بالذات ومسؤولي وزارة الخارجية وحتى مسؤولي (البنتاغون) وزارة الدفاع الامريكية واشتكوا (أي الاسرائيليين) من جمل وفقرات معينة وتعداد أسلحة أدرجت في التقرير وهي تغاير الواقع في اسرائيل. وقد ثبت فيما بعد ان مسودات التقرير كان يصل منها نسخ كوبي إلى المخابرات الاسرائيلية من وراء ظهر جميع أجهزة الأمن الامريكية وعلى رأسها المخابرات المركزية. وقد ذكر هذا المسؤول انه اتجه بالشك إلى أحد أعضاء اللجنة.. لكنه لم يستطع ان يفعل شيئاً (..؟) وهكذا حصل في قضية بولارد وسيحصل بعدها وفي أي زمان ومكان في امريكا.. يتجه الشك ثم الواقع ثم لا يتخذ أي اجراء.. وعلى الرغم مما اعلنته حكومة ريغان من ان القضية اصبحت في حكم المنتهية لهذا فإن حملة (رفض) اختبارات الكذب التي بدأها شولتز ترمي إلى التقليل من خطر تحول كل العناصر الكثيرة التي تعمل لحساب جمع المعلومات لاسرائيل إلى عناصر مكشوفة. ولقد ثبت دائماً ان اسرائيل لا تثق في انها تحصل بالطرق المكشوفة ـ أي الشرعية ـ على كل ما تريد الحصول عليه من المعلومات عن امريكا. ولهذا أيضاً فإن الحملة ضد اختبارات الكذب تواكبها حملة أخرى لاثارة مخاوف المسؤولين الامريكيين من ان (اغضاب اسرائيل) أو حتى الضرر التلقائي الحاصل من نتيجة قضية بولارد يمكن ان يضر بعلاقات المخابرات الامريكية والاسرائيلية ويضر بالتالي «بخط انابيب المعلومات الرئيسي بالنسبة للمخابرات الامريكية عن المخابرات السوفييتية وعن الفدائيين العرب» هذا الخط الذي تؤمنه المخابرات الاسرائيلية للمخابرات الامريكية (الأم). وفي الوقت نفسه وفي الاتجاه نفسه بدأت المنظمات الصهيونية الامريكية تلتقط أنفاسها وتستعيد قدرتها على الهجوم بعدما اختبأت عدة أسابيع بانتظار انحسار الأثر النفساني لقضية الجاسوس بولارد وأول جملة قالتها هذه المنظمات للمسؤولين الامريكيين: «احذروا الشعور الزائف بأن الموسم هو موسم التهجم

على اسرائيل» وثاني جملة تقول: اننا نعرف ان ثمة عناصر شريرة آثمة تختبيء وراء تحركات معادية لاسرائيل في بعض الأجهزة الرسمية الامريكية. وعلى الرغم من التاريخ الطويل من السكوت والملفات الضخمة لقضايا التجسس (لمصلحة اسرائيل) التي لم تفتح في أي وقت من جانب السلطات الامريكية فان المنظمات الصهيونية كشرت عن أنيابها في غضب حاد ضد مكتب التحقيقات الفيدرالي ورئيسه (وليم سميث) وتريد هذه المنظمات ان تجعل منه (عبرة) لرؤساء الأجهزة الامريكية كافة لأنه المسؤول عن كشف نشاط الجاسوس بولارد ومن المؤكد انهم اعدوا له (عقاباً) ما ومن الممكن ان يكون هذا العقاب قد أخذ طريقه للتنفيذ أو نفذ بأي طريقة أثناء مراحل طبع هذا الكتاب وان المخابرات الامريكية التي تسيّر الرئيس والشعب الامريكي أوعزت إلى الرئيس الامريكي (الممثل) ريغان بتبرئة بولارد على أعلى المستويات كرد اعتبار لاسرائيل العنصرية فقام هذا الرئيس الذي فعل ما لم يفعله غيره من الرؤساء السابقين للولايات المتحدة بضرب الجماهيرية الليبية بحجة الارهاب وهو نفسه يقود أكبر عملية ارهاب للشعوب هذا الرئيس وقف في مؤتمره الصحفي الذي عقده في البيت الأبيض مساء الاربعاء ١١ حزيران (يونيو) ١٩٨٦ وأذيع عنه في النشرة العبرية للتلفزيون الاردني في الساعة السابعة والنصف من مساء الخميس ١٩٨٦/٦/١٢ وأعلن للعالم بأنه لم يحدث أي تجسس ضار من قبل بولارد وإن القضية تعتبر منتهية لأنه حتى تاريخه لم يقدم أحد الينا «أي إلى ريغان» ما يثبت قيام تجسس علينا من قبل اسرائيل وهكذا طلب اغلاق ملف بولارد بهذه السهولة رغم معرفة المخابرات الامريكية ان ربيبتها المخابرات الاسرائيلية سوف تعود للتجسس عليها وعضّها...

أضواء على قضية بولارد وخلفياتها:

نحن كخبراء في الكتابة والبحث في الأعمال الجاسوسية العالمية نقول بأن قضية «بولارد» ليست الأولى ولن تكون الأخيرة. فهي تدخل في إطار مجموعة من الأعمال والعمليات والمحالاوت التي تقوم بها اسرائيل منذ مطلع الخمسينات والتي أدت إلى تواجد «عيون» اسرائيلية في الادارة الامريكية وقد صدر كتاب سياسي

لعضو مجلس الشيوخ الامريكي بول فيندلي بعنوان (من يجرؤ على الكلام) The YDARETO SPEAK وفي فصول هذا الكتاب يصف المؤلف بدقة متناهية كل مراحل التسرب الجاسوسي الاسرائيلي إلى قلب الادارة الامريكية ويعطي هذا الحادث من هذا الكتاب فكرة ملية وواضحة عن مدى رسوخ الجاسوسية الاسرائيلية في اجهزة الحكومة «الامريكية» وهذه الحادثة نوردها بعنوان: نحن ندلكم على مكان الذخائر..؟

ففي أثناء حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ التي أنقذت فيها الولايات المتحدة حليفتها اسرائيل كعادتها من الاحتلال العسكري من قبل الجيشين العربيين السوري والمصري وذلك بمدها بجسر جوي لا ينقطع من الأسلحة والذخائر وحتى المعلومات عن الأهداف الحساسة العربية كانت الأقمار التجسسية الامريكية قد التقطتها أرسلت إلى اسرائيل ضمن الجسر الجوي لتستغلها وكانت اسرائيل تطلب ما ينقصها من العتاد الحربي خلال إقامة الجسر الجوي الامريكي إليها بكل وقاحة وقد طلبت وزارة الدفاع الاسرائيلية عن طريق مجلس الوزراء من وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) مساعدة عاجلة من الدبابات والذخيرة وقد طلبت اسرائيل بصورة خاصة مدها بنوع جديد من المصفحات التي تحمل مدافع من عيار ١٠٥ م. م وانصاعت إدارة الرئيس نيكسون وكيسنجر للطلب وأرسلت الدبابات والمصفحات غير ان المصفحات زودت بمدافع عيار ٩٠ م. م لافتقارها إلى عدد كاف من مدافع عيار ١٠٥م. م ولاحظ الاسرائيليون عندئذٍ انه تنقصهم الذخيرة الكافية لتلقين مدافع الـ ٩٠ م. م فطلبوا من الامريكيين تزويدهم بكمية من هذه الذخيرة وسعت وزارة الدفاع الامريكية إلى ايجاد الذخيرة المطلوبة ولكن بكمية قليلة فأرسلت برقية اعتذار إلى وزارة الدفاع الاسرائيلية عن تلبية الطلب وبعد أيام تلقت وزارة الدفاع الامريكية البرقية التالية من وزارة الدفاع الاسرائيلية «الذخيرة المطلوبة من فئة ٩٠ م. م بموجب برقيتنا رقم ٣٥ موجودة في مخزن الوحدات البحرية الامريكية في قاعدة هاواي وهناك كمية ١٥ ألف قطعة من النوع المطلوب». ولما فوجئت وزارة الدفاع الامريكية بهذه البرقية الوقحة رفعتها للسيد وزير الدفاع الامريكي الذي أمر باجراء تحقيق عن صحة هذه البرقية فثبت ان القطع موجودة فعلاً وان البرقية الاسرائيلية كانت مصيبة في معلوماتها. هذا نموذج عن اطلاع وتجسس المخابرات الاسرائيلية على الأسرار العسكرية الامريكية

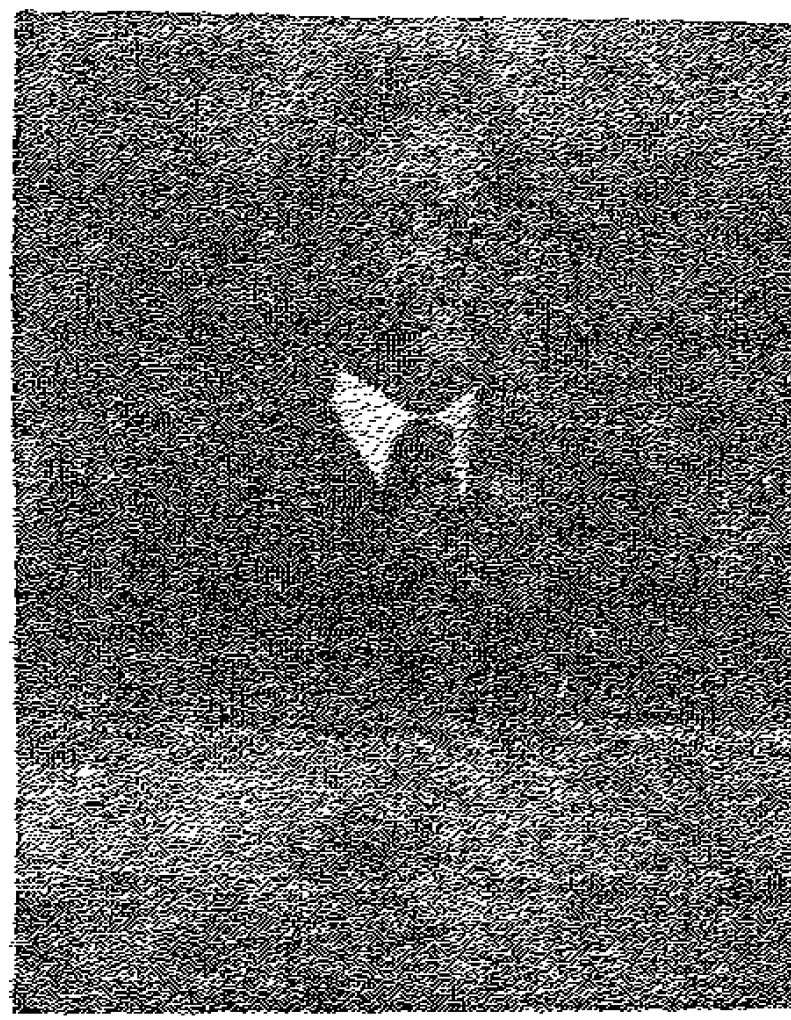


(مناحيم بيغن أو أي رئيس وزراء اسرائيلي ولسان حال الرئيس)
ريغان أو غيره يقول: أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني.؟

بصـورة دائمـة وحتى كتـابـة هذه السـطور وما بعد ذلك فنحن نؤكد وجود اكثر من بولارد لاسرائيل في كل دائرة حكومية امريكية. والفضيحة الشاذة كما سمتها الصحافة الامريكية نظراً لتعدد الجهات التي ادعى بولارد انه يعمل لها ففي البداية أعلنت المخابرات الامريكية بعد اعتقالها بولارد انه يعمل لجهة اجنبية ثم قالت انه يعمل لصالح اسرائيل وباكستان وألمانيا الشرقية ثم اختفى بعد يومين اسم ألمانيا الشرقية من التصـريحـات والبيانـات الـرسمية ولم تعد تصريحات المسؤولين تذكر اسم باكستان ليستقر الأمر في النهاية على ان الدولة الوحيدة التي عمل لصالحها بولارد هي «اسرائيل» فقط. هذا التعـداد في اسمـاء الدول أثار تساؤلات عما إذا كان يتجسس لهذه الدول فعلاً أم ان طرح اسمائها هو محاولة للتمويه وتوسيع الدائرة حول أعماله وبالتالي تشعب القضية. ؟ المسؤولون الامريكيون قالوا انهم يتفهموا أسباب إيراد اسماء دول غير اسرائيل في القضية وبعض الخبراء في قضايا التجسس قالوا: ان ايراد اسم باكستان ليس إلا عملية جرّ لأطراف أخرى بهدف التمويه عن تجسسه الأصلي لاسرائيل. ونحن نقول حسب خبرتنا عن «نوايا» اسرائيل وخداعها ان ربط اسم باكستان في الموضوع ليس بطريق الصدفة أو للتمويه كما يدعون. ابداً فلدينا معلومات بان اسرائيل تراقب وتستقصي المعلومات عن التقدم النووي في باكستان منذ ان كشف اثنان من كبار الموظفين الباكستانيين في عهد الرئيس علي بوتـو الـذي أعـدمه ضياء الحق رئيس الباكستان فيما بعد وليس لنا تفصيل الأسباب لأن كتابنا عن أعمال المخابرات المعادية والجاسوسية وليس عن السياسة والعواطف فقد كشفا بأن الرئيس الليبي معمر القذافي قد قدم ما يزيد عن مائة مليون دولار إلى باكستان لانتاج قنبلة ذرية وقد استعملت هذه الأموال لبناء مفاعل نووي بالتعاون مع الشركات الفرنسية وتم انجازه أي بناؤه في مدينة شارنا حيث أكدت صحيفة «يبراسيون» الفرنسية على التعاون السري الباكستاني الفرنسي في ميدان الطاقة النووية للأغراض السلمية وقد ادعت السلطات الفرنسية في حينه انها أوقفت بناء المفاعل الباكستاني وتصدير البلوتونيوم النقي إلى باكستان ومنذ ذلك الحين وعين المخابرات الاسرائيلية لا تغفل عن باكستان وقد أدعت اسرائيل اكثر من مرة بان باكستان قد صنعت «القنبلة الذرية الاسلامية» رغم انها أي اسرائيل حريصة على ان تعـرف كل شيء عن جهود دول المنطقة لصنع مثل هذه القنبلة لخوفها الدائم من تدميرها فجأة بأي قنبلة من هذا النوع الهيروشيمي وهذا ما دعاها إلى

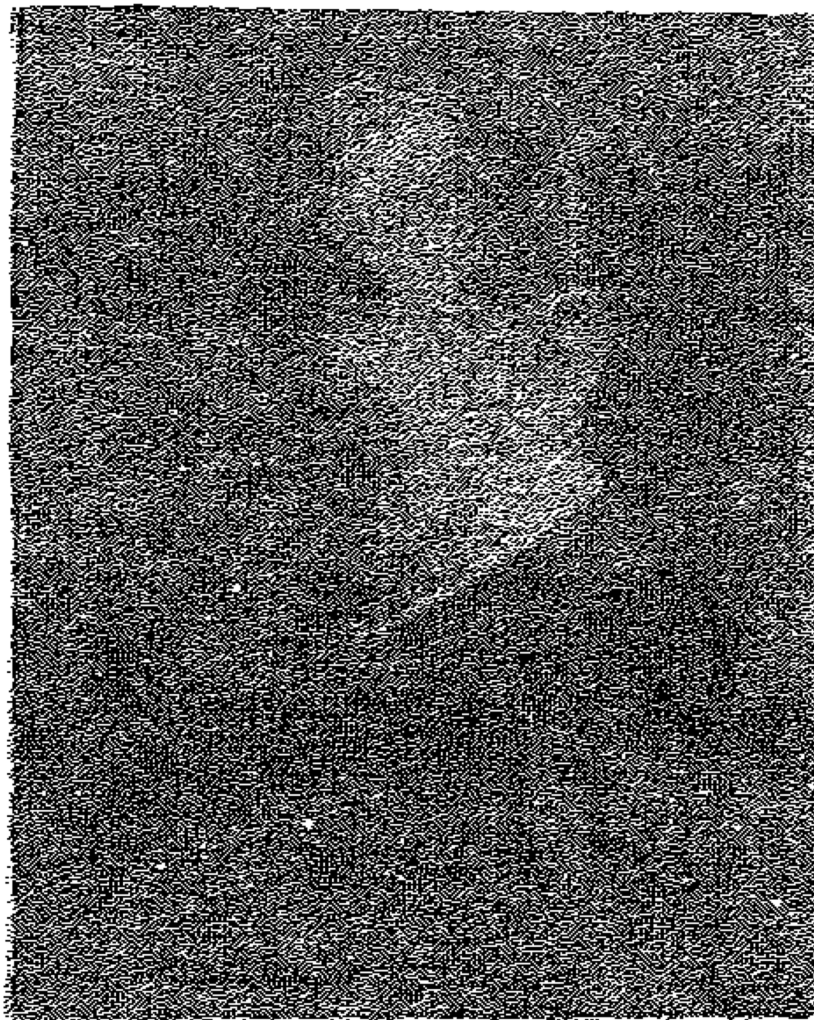
الاسراع وتخطي الأعراف الدولية والحدود وضربها للمفاعل النووي العراقي قرب بغـداد. ونحن نعتقـد وننصـح الدولة الباكستانية من على صفحات هذا الكتاب المتواضع وقد تأكدنا من ان المنشآت النووية في باكستان هي للأغراض السلمية ومع ذلك ننصحهم باليقظة والحذر والانتباه لغدر اسرائيل وحكومتها العنصرية التي بنت أعمـالهـا وخـططهـا على «الغـدر» وعمـل الـلامعقول بحجة حماية الدولة الصهيونية. ولا يستبعد ان تخوفها من القنبلة الذرية الاسلامية الوهمية التي ستجعلها قميص عثمان لأي عملية غادرة لاسمح الله ضد الباكستان . . . اللهم أني قد بلغت فاشهد . .

ونعود إلى الأضواء الجديدة عن قضية بولارد ونذكر من قبيل العلم للقاريء ان بولارد «ثبت» انه كان يعمل لاسرائيل فقط كما ذكرنا ولكن المخابرات الاسرائيلية هي التي كلفته بجمع معلومات. عن المفاعل الذري الباكستاني ومن موقع عمله في المخـابـرات البحرية الامريكية لكن ملابسات القضية وتشابكها أوقع بولارد بالخطأ وبالتالي أوقعه في قبضة المخابرات الامريكية وشذوذ هذه الفضيحة هو ان اسرائيل تتجسس على أقرب الحلفاء والأصدقاء وأصحاب الفضل عليها باعتبارها تعتمد على المساعدات الامريكية لها والتي تبلغ سنوياً «٤ بلايين» دولار ما بين مساعدات اقتصادية وعسكرية ومالية وأهم من ذلك هو ان الولايات المتحدة بواسطة مخابراتها تقدم لاسرائيل المعلومات والأسرار المهمة سواء في الميدان العسكري أو الأمني التي تجمعها أجهزتها ووسائلها سواء عن منطقة الشرق الأوسط أو غيرها



العقيد معمر القذافي

تبرع في عهد بوتو لشراء مفاعل ذري للباكستان



ضياء الحق

رئيس الباكستان مطلوب منه اليقظة

«إلا ما ندر» ولكن اسرائيل تريد ان تعرف كل صغيرة وكبيرة سواء عن امريكا أو عن طريق امريكا. وقد فسر بعض الخبراء التجسس الاسرائيلي بأن اسرائيل قامت بما قامت به ليس من أجل سرقة أسرار ومعلومات. بل لتتأكد من المعلومات التي لديها وتبقى معلوماتها الاستخبارية اكثر من معلومات المخابرات الامريكية نفسها.

والمهم في فضيحة بولارد انها أثبتت عدم مناعة الأجهزة الأمنية والعسكرية والمخابراتية الامريكية وان اخطر ما فيها ان اختراقها يأتي من الداخل وممن يعملون فيها مقابل الحصول على الدولار[1] مما يجعل من المستحيل على كل الاجراءات الأمنية والوقائية المبتكرة ان تحول دون تكرار هذه العمليات مما يستوجب «كما يتندر البعض» ان تقوم المخابرات المركزية الامريكية بانشاء مخابرات امريكية ثانية لمراقبة موظفي المخابرات الأولى وحماية المعلومات السرية من التسرب. وقد أعرب كبار المسؤولين في الادارة الامريكية عن استيائهم من عدم قدرة الأجهزة الأمنية على المحافظة على سرية السياسات الامريكية التي يمكن ان تؤثر على علاقة الولايات المتحدة مع الدول الأخرى في الشرق الأوسط. وقد عبّر عن هذا الاستياء (روبرت تيومان) أول سفر لادارة ريغان لدى المملكة العربية السعودية حيث قال: ان معظم البرقيات الحساسة التي كان يوجهها إلى واشنطون كانت تصل إلى اسرائيل قبل ان تصل إلى وزارة الخارجية. وأضاف تيومان: ان الحكومة الامريكية تضم الكثيرين من الامريكيين الذين يسربون هذه الأسرار إلى المخابرات الاسرائيلية التي تغريهم بالدولار اكثر من بلدهم بالذات ومن جهة أخرى يمكن القول انه ما من مسؤول امريكي يتعاطف مع اسرائيل حتى بدون الدولار فهو «جاسوس» غير مأجور وذكر ستانفيلد تيرنر مدير المخابرات الامريكية في عهد الرئيس السابق كارتر في تصريح نشرته له إحدى المجلات الاسرائيلية في عام ١٩٨٦: «ان تسعين في المائة من البيانات التي صدرت حول المساهمة الاسرائيلية المفترضة في المحافظة على الأمن القومي للولايات المتحدة لا تعدو

---

(١) بلغ مجموع ما قبضه الجاسوس جوناثان بولارد موضوع هذا الفصل من المخابرات الاسرائيلية مبلغ خمسون الف دولار أي ان تجسسه مع زوجته كان بسبب اغراء الدولار لأنه يهودي الجنس امريكي الصفة واليهودي جبل على التجسس كما ان الخمسون ألف دولار هي بالأصل من اموال دافعي الضرائب من الشعب الامريكي المغلوب على أمره...

إلا ان تكون تعبيراً عن العلاقات الوطيدة القائمة بين الجانبين». وأشار ستانفيلد إلى فشل المخابرات الاسرائيلية في معرفة واكتشاف أي شيء عن الهجوم العربي على اسرائيل عام ١٩٧٣ نتيجة تخطيط وكتمان القيادة العربية وبراعة المخابرات العربية في التمويه على اسرائيل ومخابراتها التي تعتد بها ومن هذه البراعة لمخابرات سوريا ومصر «قبل كامب ديفيد»:

١ - عدم اشراك عدد اكثر من أصابع اليد في الاشتراك باجتماعات التحضير والتخطيط للمعركة.

٢ - جعل ساعة الصفر يوم سبت وهو اليوم المقدس اسبوعياً لدى اليهود ولا يخطر على بالهم إن يكون يوم هجوم مفاجيء.

٣ - موافقة الجيشين السوري والمصري على «منح» عشرات العسكريين اجازات للحج إلى بيت الله الحرام وهذا ما أظهر حالة الجيشين بأنها حالة استرخاء وتدريب عادي.

والصعوبات التي واجهتها اسرائيل أثناء غزوها إلى لبنان عام ١٩٨٢ لعدم وجود معلومات مسبقة لديها عن مراكز الفدائيين والمنظمات اللبنانية رغم وجود العديد من «العملاء» للمخابرات الاسرائيلية في الأراضي اللبنانية ولولا المساعدات الامريكية السريعة والكبيرة المتضمنة معلومات مفصلة وأجهزة تجسس وتنصت ورصد امريكية لكانت اسرائيل قد منيت بهزائم عسكرية لا قدرة لها على تحملها. وأضاف ستانفيلد ان تسرب المعلومات والاسرار الامريكية لاسرائيل استمر سنوات طوال وسيعود بعد هذه الزوبعة لما كان عليه وصحيح ان قضية بولارد هذه تدعو للقلق وان كل مسؤول امريكي كان يدرك ذلك ولكن احداً منهم لم يتخذ أي اجراء للحيلولة دون تسرب الأسرار الامريكية إلى اسرائيل. . لأن بعضهم يعتبر ذلك «جزء» من السياسة الامريكية العليا. إذا كان مثل هذا الكلام الحقيقي الصريح يصدر لأول مرة على لسان رئيس مخابرات امريكية سابق كان في عهده ملء السمع والبصر فكيف هو لسان حال المواطن الامريكي دافع الضرائب والمغلوب على أمره.

أصل البلاء ومبدأ التجسس:

والجاسوس بولارد الذي خصصنا له هذا الفصل (من الجديد) عن أعمال المخابرات الاسرائيلية له أهمية كبرى لاسرائيل ومخابراتها لأنه أوشك ان يصبح رئيساً لقسم شؤون الشرق الأوسط في جهاز المخابرات البحرية الامريكية وبالتالي كان قادراً على توفير كل المعلومات التي «تنقص» المخابرات الاسرائيلية بشدة ومن الجدير بالذكر ان بولارد كان من أشد المعجبين باسرائيل وكان قد سافر إليها عدة مرات كما درس لمدة عام في معهد وايزمن للعلوم الكائن قرب تل ابيب وقد أشارت كل الدلائل إلى ان بولارد هو الذي تبرع بعرض خدماته على المخابرات الاسرائيلية. ؟ لكن ترى من يكون المسؤول الذي تجرأ على قبول هذه الخدمات محطماً بذلك كل القواعد الصارمة للعبة التجسس بين الحليفتين. شمعون بيريز واسحاق شامير أقسما على انهما لم يكونا على علم بنشاطات بولارد كما أكدا على انه قد تم تجنيده لهذه المهمة قبل وصولهما إلى الحكم. والحقيقة ان بولارد اعترف للمحققين الامريكيين ان «رافاييل ايتان» وهو مسؤول سابق في المخابرات الاسرائيلية ويرأس إبان حكم بيغن جهاز سري اسرائيلي لمكافحة الارهاب يدعى «لوكيم» أو «مكتب الاتصال العلمي» وكان رافاييل يلقب «هاماسرياه» أي الحقير أو النتن ليميزوه عن رئيس الأركان الاسرائيلي السابق الذي يحمل نفس الأسم رافاييل إيتان وقد ظل إيتان الحقير هذا يعمل في مكتب رئيس حكومة بيغن بناء على الحاح من تجمع «الليكود» ويتصرف على مزاجه في الموافقة على الحاق الأذى بالجميع ليثبت احقيته في حمل لقبه الذي نخجل من اعادة ذكره لاسيما وكان يستمد قوته من العلاقة الوثيقة التي تربطه بنظيره في الأخلاق والأذى «أرييل شارون» الذي عينه في عمله منذ عام ١٩٨١ وكان إيتان هذا قد ساهم في عملية خطف حارق اليهود في ألمانيا النازية أدولف آيخمان من الأرجنتين[1] وهو الذي جنّده لهذه المهمة التي استمرت حتى عرف بولارد انه «سقط» وان أيام حريته أصبحت معدودة فجاء إلى

---

(١) إلى القراء محبي الاطلاع وربط الأمور مع بعضها ولمعرفة قصة خطف ايخمان حارق اليهود من الأرجنتين بتفاصيلها المذهلة عليهم مراجعة الصفحات من (٤١٥) إلى (٤٢٢) في الجزء الأول من هذه الموسوعة...

مبنى السفارة الاسرائيلية في واشنطون معتقدا ان اسرائيل أو مخابراتها أو سفاراتها نقدم الأمان والضمان لمن خدعوا بها وخدموها حتى بخيانة أوطانهم. وكان مسؤولوا السفارة الاسرائيلية قد فوجئوا بوصول بولارد[٢] مسرعاً إلى مبنى السفارة ووراءه ظهر على شاشة التلفزيون المسلطة كاميرته إلى خارج السفارة للاطلاع عدد من رجال المخابرات الامريكية الذين كانوا يتبعونه ولما انزلق من بينهم ودخل إلى السفارة الاسرائيلية وقفوا خارج مبنى السفارة «احتراماً» للحصانة الدبلوماسية التي تتمتع بها أولاً وبسبب العلاقات القائمة بين البلدين ثانياً.

هذا ما جنت يدا بولارد وهذه نتيجته:

ما إن أعلن جوناثان بولارد المعروف جيداً لدى السفارة الاسرائيلية عن رغبته وطلبه بالحاح منحه حق اللجوء السياسي حتى انتفض السفير الاسرائيلي كمن لسعه عقرب خاصة عندما أعلمه حرس السفارة من المارينز الاسرائيلي بأن عناصر المخابرات الامريكية كانت تلاحقه وانها ما تزال تقف بالقرب من السفارة. رفض السفير الاسرائيلي طلبه اللجوء السياسي فوراً وطلب من الحراس «طرده» خارج السفارة فقام الحراس بمرافقته إلى الشارع العام خارج حدود الحصانة الدبلوماسية للسفارة حيث ألقت عناصر المخابرات الامريكية القبض عليه.

اعترف بولارد أثناء التحقيق معه بانه قبض مبلغ خمسين الف دولار امريكي من المخابرات الاسرائيلية نظير تجسسه مع زوجته «آن» خلال مدة ١٨ شهراً التي قضاها يرسل المعلومات الهامة إلى المخابرات الاسرائيلية أي بمعدل /٢,٢٠٠ ألفين ومائتي دولار شهرياً/ الأمر الذي يستحق عقوبة السجن مدى الحياة لأن ولاية واشنطون لا يوجد في قضائها «حكم بالاعدام». وبولارد المحلل المدني في جهاز مكافحة التجسس في المخابرات البحرية الامريكية من مواليد ١٩٥٤ كان زملائه يصفوه بأنه متهور وتنقصه البراعة. عصبي لا يشعر بأمان وكان يفاخر في حفلات العشاء أمام هؤلاء الأصدقاء ومنهم الجواسيس مثله بأنع عميل «مزدوج» لجهازي المخابرات الامريكي والاسرائيلي لكن قيل في حينه ان هذه الصفات التي ألصقت

(٢) ثبت ان الكولونيل (أفيم سيلا) هو المسؤول مع إيتان عن تجنيد بولارد للتجسس..

به هي للتمـويه وللتخفيف من وقع الفضيحة لأنه كان مسموحاً له بالاطلاع على الوثائق البالغة السرية في مكان عمله وقد لفت نظر العاملين معه في نفس القسم عندما طالب بالاطلاع على وثائق لم يكن مصرحاً له بمعرفة مضمونها كما لفتت الأنظار إليه كمية الملفات التي كان ينقلها إلى منزله يومياً. وأهم ما أعطى بولارد إلى المخابرات الاسرائيلية تقارير المخابرات الامريكية عنها. أما زوجته فكانت تخبيء الملفات والوثائق في خزائن الثياب كما أنها أودعت حقيبة مليئة بالوثائق في منزل جيرانها وقد سلمت هذه الحقيبة إلى المخابرات الامريكية لدى حضورها إلى منزل بولارد فوجدت تحوي ١٦٠ وثيقة هامة تتعلق باسرار عسكرية عن دول عربية وتتضمن صوراً عن تحركات الجيوش العربية وقد أطلق بولارد اسم «شجرة الصبير» على هذه الحقيبة وقد سمح له اثناء التحقيق بالاتصال مع زوجته مرتين وكان هذا الاتصـال مسجـلاً من قبـل المخابرات حيث طلب منها «نزع شجرة الصبير من مكـانهـا». بعـد اعتقـال بولارد نتجت عن هذه الفضيحة تشنجات على العلاقة الامـريكية الاسرائيلية فعقد مجلس الوزراء الاسرائيلي جلسة طارئة وبعد انتهاء الجلسة أصدرت الحكومة الاسرائيلية «اعتذاراً» علنياً للحكومة الامريكية ووعدت الحكـومـة الاسـرائيلية بحـل الوحدة المتورطة بالتجسس ضد الولايات المتحدة ومعاقبة المسؤولين فيها «اذا ثبتت التهمة» والجملة الأخيرة تبيّن حقد المخابرات والحكـومـة الاسـرائيلية لأن المخـابـرات الامريكية كشفت هذه القضية فذيلت اعتذارها بهذه الجملة الاشتراطية وكأنها تحلم ببراءة جاسوسها.

وزير الخارجية الامريكي جورج شولتز رحب بالاعتذار الاسرائيلي وقبله وكان الرئيس ريغان قد تحدث مساء الأحد قبل إعلان الاعتذار الاسرائيلي في رسالته الاسبوعية عن التجسس الذي يكلف الولايات المتحدة الملايين وقد ذكر الاتحاد السوفييتي ٢٧ مرة في خطابه ولم يذكر اسرائيل مرة واحدة ويدها الطويلة لا تزال في جيبه؟ وقال أيضاً انه لن يرحم الجواسيس ولا فرق بين من يتجسس لدولة صديقة أو لدولـة عدوة ووعـد الـرئيس ريغان باقتلاع الجواسيس من امريكا بتحدثه عن استفحال ظاهرة الجاسوسية في امريكا وهي ظاهرة الامريكيين الذين يبيعون اسرار امريكا للدول الاجنبية. وقد استغرق الاتفاق على صيغة الخطاب ساعات طويلة من المناقشات في البيت الأبيض اشترك فيها مساعده الأكبر دونالد ريغان ومستشاره للأمن القومي رويرت مكفارلين ومساعده للعلاقات العامة باتريك بوكانان ووزير

الخارجية جورج شولتز حيث انتهت الصيغة إلى الصورة التي قرأ بها الرئيس ريغان خطابه الاسبوعي بعد تعديلات كثيرة استهدفت كلها التخفيف من وقع الخطاب على الحكومة الاسرائيلية. وكانت مخاوف المطالبين بتخفيف لهجة ريغان وحذف اسم اسرائيل كلية من الخطاب تتمثل في «الحرص على عدم إيذاء فرصة حكومة الاتحاد الوطني الاسرائيلية برئاسة بيريز في الاستمرار» أي الخوف من سقوط بيريز اذا أظهرت الولايات المتحدة رد فعل حاد إزاء التجسس عليها.

امـا من جهـة الاعتـذار الاسـرائيلي فقد فسر المراقبون هذا الاعتذار بأنه «اعتراف ضمني بالتجسس الاسرائيلي على امريكا» سواء جرى التحقيق فيه أم لم يجـر وهـو بمثـابـة احتـواء سياسي لقضية التجسس هذه بعدما قيل بأن الجانب السياسي في اسرائيل لا علم له في قضية بولارد ولم يأمر بها وهذا بنظرنا هو العذر أقبح من الذنب إلا اذا كان مناحيم بيغن الملتحي والمتقاعد الآن لم يكن رئيس وزراء الكيان الصهيوني عندما وافق مساعده ووزير دفاعه الجنرال أريل شارون على بدء عملية التجسس وتكليف بولارد وتتبع نشاطه حتى لحظة إلقاء القبض عليه. وللزيادة في التمويه وذرّ الرماد في العيون صرح بيريز نفسه رئيس الوزراء الاسرائيلي في حينه بأن الفوائد التي يمكن ان تجنيها اسرائيل لا يمكن ان تقاس بالأذى الذي يصيب العلاقات الامريكية الاسرائيلية. أما الناطق باسم السفارة الاسرائيلية في واشنطون فقال مموهاً الأمور:

● علمنا انه القي القبض على أحدهم؟ امام سفارتنا.. «إننا نتحقق من القضية وعندما تكتمل الصورة لدينا نعلن عن ردة فعلنا». ووصلت الوقاحة بالناطق باسم السفارة إلى القول:

● إن أي نشـاط اسـرائيلي من النـوع المـزعوم في الولايات المتحدة هو مخالف تماماً لسياسة اسرائيل. وطالما ان الناطق الرسمي باسم السفارة اعترف بان أي نشـاط اسرائيلي في الولايات المتحدة أي التجسس عليها هو مخالف تماماً لسياسة اسرائيل فإننا نذكر بأن هناك اتفاقاً سرياً بين الولايات المتحدة واسرائيل يمنع كل منهما من التجسس على الأخرى وقع بين الدولتين قبل صعود كارتر إلى الرئاسة الامريكية ١٩٧٧ وان هذا الاتفاق انتهك انتهاكاً فاضحاً في قضية بولارد الـذي أدانتـه المحكمـة الامريكية بالتجسس لصالح الدولة العبرية حيث صرح الرئيس السابق للولايات المتحدة جيمي كارتر عقب حادثة بولارد بانه أحيط علماً

وبشكل سري قبل ان يؤدي اليمين الدستورية رئيساً لامريكا في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧ بأن هناك اتفاقاً ملزماً يقضي بألّا يتجسس بعضنا على الآخر. . وقد التزمنا بالاتفاق عندما قضيت فترة رئاستي. . وان غضبي الشديد في شأن قضية بولارد يرجع في جزء منه إلى وجود هذا الاتفاق ومن جهة أخرى أفاد «شابتاي نيفيث» كاتب سيرة ديفيد بن غوريون انه صاغ الاتفاق بين البلدين لتجنيب الامريكيين اليهود مشكلة الولاء المزدوج وأشار إلى ان قوانين الأمن الاسرائيلية تحظر كشف المزيد من المعلومات عن تفاصيل هذا الاتفاق. وفي إطار هذا الموضوع صرح السناتور الامريكي ديفيد دورنبرغ الرئيس السابق للجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي ان المدير السابق للمخابرات الامريكية وليم كايسي قد غير قواعد اللعبة بتخطيه الاتفاق وموافقته في عام ١٩٨٢ على تجنيد مردخاي شور الضابط في الجيش الاسرائيلي للتجسس لحساب المخابرات الامريكية بالذات وقد جدد الاتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل في شهر تموز (يوليو) ١٩٨٣ حيث وقع الطرفان على اتفاق يلزم كل منهما بعدم اجراء عمليات تجسس ضد الطرف الآخر وفي خلال مناقشة عرض الاتفاق في لجنة الدفاع في الكونغرس صرح السناتور توماس كوين بقوله:

إن الاتفاق هو انجاز جيد ينهي عشرات السنين من المعاناة في العلاقات المشتركة غير المعلنة التي كان ينظمها اتفاق جنتلمان أخفق في تحقيق غاياته لأن الالتزام به أو انعدامه رهن بمدى تبدل الموظفين هنا وهناك. أما الآن والاتفاق صار مكتوباً فإن تبدل الحكومات لا يؤثر في سلامة التنفيذ. كما وافقت لجنة الدفاع على اعتبار الاتفاق واحداً من الملاحق الأساسية لمعاهدة التحالف الاستراتيجي التي لم تكن في ذلك الحين قد استكملت شروط الدخول في حيز التنفيذ الفعلي.

اتفاق جديد لعدم اجراء عمليات تجسس بين البلدين:

ومن أبرز نصوص الاتفاق الجديد الذي يطالب بمنع عمليات التجسس بين الولايات المتحدة واسرائيل فقرتان هما:

فقرة: آ - الامتناع عن توظيف العملاء في جميع أجهزة الأمن الامريكية المدنية والعسكرية.

- الحصول على رسائل أو وثائق أو تقارير ومعلومات خطية أو شفوية. بأجر. أو بدون أجر. مصدرها عملاء وجواسيس من أي جنسية تتصل بالأمن القومي الامريكي بأي شكل بدون اطلاع الفريق الآخر (هذه الفقرة (آ) خاصة بالجانب الاسرائيلي والفريق الآخر يعني ان تطلع السلطات الاسرائيلية السلطات الامريكية على ما تحصل عليه من المعلومات المبينة أعلاه).

فقرة : ب ـ وتدعو الفقرة (ب) الولايات المتحدة إلى :

- اطلاع اسرائيل دورياً وكلما دعت الحاجة إلى المعلومات المتوفرة لدى الأجهزة الأمنية الامريكية والمتصلة بالأمن الاسرائيلي.
- التنسيق مع الحكومة الاسرائيلية في مكافحة عمليات الارهاب التي تهدد سلامة وأمن المصالح الاسرائيلية داخل اسرائيل وخارجها.

ومعاناة العشر سنوات التي أشار اليها السناتور كوين والتي شهدتها العلاقات المشتركة الخفية في ظل الاتفاق الجنتلمان فرزتها «عودة» العلاقات الامريكية المصرية إلى طبيعتها بعد إبعاد مصر للخبراء السوفييت ومن ثم تكريس هذه العلاقات وتطويرها إلى نوع من التحالف بعد إبرام اتفاقات كمب ديفيد بعد ذلك. وهنا بدأت الشكوك والظنون تراود الاسرائيليين عما هو حجم المساعدات الامريكية لتسليح مصر وبماذا ستسلحها وهل ستعطيها من نفس الأسلحة التي تعطي اسرائيل منها بدون حدود؟ لذلك اجتهدت الحكومة الاسرائيلية وبالتالي رجال مخابراتها لكي يقفوا على الحقيقة «حقيقة ما هي الخطوط المقررة في هذا المجال» والتي لا تذكرها الولايات المتحدة عادة في المواقف المعلنة اذ ان اسرائيل تعرف منذ إنشائها ان الولايات المتحدة لا تذكر في العلن كل ما تعطيها من المساعدات والهبات وكلها من اموال الشعب الامريكي الذي تثقل كاهله «الضرائب» ولم يكن من سبيل إلى ذلك إلا باقتحام غرفة عمليات قيادة الاسطول السادس الامريكي التي تتلقى وتبلغ وترسل المعلومات من وإلى مقرها الرئيسي في ولاية ماريلاند وكان لاسرائيل رجلها بولارد هناك وستأتي بالتفصيل على ذلك. واذا عدنا للرسالة الاعتذار التي بعث بها «شيمون بيريز» رئيس الحكومة الاسرائيلية إلى وزير الخارجية الامريكية جورج شولتز واعتذر فيها عما تكون هذه العملية قد ألحقت من «أذى معنوي» بالولايات المتحدة شعباً وحكومة وأضاف بيريز في الاعتذار «ان الرجل المتهم كان قائماً بمهماته على ما يبدو قبل توقيع اتفاق ١٩٨٣ وظل يمارسها، وان اسرائيل

سوف تلتزم بالمستقبل بهذا الاتفاق». فما هي صحة هذا الوعد «اسرائيل سوف تلتزم» وهل سوف تلتزم به اسرائيل في المستقبل حقاً، على هامش التحقيقات التي جرت في قضية الجاسوس بولارد اتضح ان الحكومة الامريكية تتبادل المعلومات مع اسرائيل بصورة مستمرة. وتطلعها منذ سنوات بل منذ نشوئها على المعلومات السرية التي تجمعها المخابرات الامريكية واجهزة الأمن الأخرى واسرائيل التي كانت مع ذلك تشكو دائماً من تعمد حرمانها من معلومات ضرورية هي في أمس الحاجة إليها. وهذا تصنيف للمعلومات التي تدعي اسرائيل ان الولايات المتحدة تحجبها عنها:

- التكنولوجية العسكرية المتقدمة بالنسبة لجميع الأسلحة البرية والبحرية والجوية.
- الطائرات العسكرية التي تقدمها الولايات المتحدة إلى اسرائيل مجردة من الأجهزة الالكترونية التي تمكنها من ممارسة «رد فعل» الكتروني خلال قيامها بالعمليات العسكرية.
- المعلومات العسكرية الخاصة بقوات مصر والمملكة العربية السعودية والاردن وطبيعة توزيعها تقدمها المخابرات الامريكية إلى اسرائيل متأخرة مما يضطر اسرائيل إلى إرسال طائراتها الاستكشافية «بطيار أو بدون طيار» في طلعات استكشافية فوق أراضي هذه البلاد فيصل أمرها إلى الامم المتحدة تحت عنوان «خرق عدواني من قبل الطائرات الاسرائيلية لاجواء بلاد عربية» وطبعاً تصدر ادانة وتنديد وتستعمل امريكا الفيتو.. الخ.

- مدى وحجم قدرات الطائرات الامريكية التي تقدم إلى المملكة العربية السعودية.
- تحليل المعلومات التي يرسلها السفراء الامريكيون في العواصم العربية عبر شيفرة الاسطول السادس حول متعدد الأوضاع العسكرية والمتغيرات والثوابت السياسية في الدول العربية.

وقد استندت زعامة اللوبي الصهيوني في الكونغرس إلى واقع النقص في أصناف المعلومات التي تحتاجها اسرائيل لتبرر لجوءها إلى الحصول على المعلومات الممنوعة عنها أو كما تدعي «المحرومة منها» ومع جميع الاثباتات

والاعتذار الاسرائيلي عادوا للنكران فقد استلم السفير الامريكي في تل ابيب توماس بيكرنغ نسخة عن تحقيق اجراه شيمون بيريز بالذات «هكذا يقول التحقيق» باعتباره رئيس الوزراء في حينه ينفي هذا التحقيق أي علاقة رسمية للحكومة الاسرائيلية بفضيحة بولارد وتزعم مقدمة التحقيق؟ ان اسرائيلياً كبيراً «لا صفة رسمية له» كان يدير عملية التجسس هذه وهي عملية «خاصة به» في واشنطون وانه «بيريز» ولا المخابرات الاسرائيلية ـ الموساد أو المسؤولون الأعلى مرتبة كانوا يعرفون عن هذه العملية شيئاً. رغم ان ابتداء تجسس بولارد معروف وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

وبعد هذه المقدمة تضمن التحقيق الاسرائيلي اربع نتائج رئيسية هي :

١ ـ ان بولارد قدم إلى اسرائيل في نيسان (ابريل) عام ١٩٨٤ وتطوع للعمل في الحصول على معلومات تفيد الحكومة الاسرائيلية من تلقاء نفسه.

٢ ـ وجد التحقيق ان الاسرائيلي الذي أشرف على نشاطات بولارد كان مسؤولاً عن مكافحة الارهاب وعلى صلة وثيقة بمكتب مستشار رئيس مجلس الوزراء المختص بمكافحة الارهاب وهذا المكتب على قدر كبير من السرية ويمثل جهازاً مستقلاً مهمته البحث في كل أشكال الارهاب ضد اسرائيل.

٣ ـ وجد التحقيق ان بولارد كان قد قدم عرضاً مبدئياً للحصول على معلومات «امريكية» حول الجيوش العربية والأسلحة السوفييتية المستعملة «في حينه» في العالم العربي.

ملاحظة: قُبل عرضه بالفقرة ٣ وتم تشجيعه على ذلك بواسطة الاتصال بمسؤولين اسرائيليين.

٤ ـ وجد التحقيق أيضاً ان المعلومات التي حصل عليها بولارد قد تم نقلها من الولايات المتحدة إلى اسرائيل بواسطة دبلوماسيين اسرائيليين اثنين في نيويورك ومن ثم تولى الاثنان نقلها إلى المسؤول الاسرائيلي عن «مكافحة الارهاب» في تل ابيب وهما يوسف ياغور الملحق العلمي في القنصلية الاسرائيلية العامة في نيويورك ومساعده إيلان رافيد.

● انتهى التحقيق الموجز عن تجسس بولارد الذي قامت به السلطات الاسرائيلية ضمن صفحتين من الورق العادي وهذا التحقيق نفسه كلف المخابرات الامريكية ومكتب التحقيق الفيدرالي سهر وعمل عشرات الساعات بل الأيام وآلاف الصفحات وحتى نحن نسجل هذا الفصل من فصول التجسس الاسرائيلي الغير

عادي الذي قامت به اسرائيل على مبدأ من لا يستحي يفعل ما يشاء كلفنا عشرات الصفحات فكيف اختصرته اسرائيل لصفحتين. سخرت المخابرات الامريكية من هذا التحقيق الذي أحاله إليها وزير الخارجية جورج شولتز مع إشارة تقول بخط يده: إلى المخابرات ومكتب التحقيق الفيدرالي للنظر وابداء الرأي. ولاحظت هذه المخابرات ان اسرائيل فيما تتبرأ من أي علاقة رسمية بقضية بولارد في مقدمة التحقيق تعود وتؤكد على ان الاتصال كان قائماً بين المتهم وبين مسؤول كبير تابع لرئيس الوزراء مباشرة. وقد عرف كما ذكرنا انه إيتان الذي شغل منصب مستشار لرئيس الوزراء بيغن منذ عام ١٩٧٨ وحتى العام ١٩٨٤ ثم استقال رسمياً ليترأس لوحده الجهاز السري المستقل رسمياً. كما لاحظت المخابرات الامريكية انه بالنسبة لبولارد المتهم بالتجسس حاولت اسرائيل طمس حقيقته وعلاقته باسرائيل.

نتيجة تحقيق السلطات الامريكية عن بولارد:

والحقيقة التي كشفتها التحقيقات الامريكية تتمثل في الوقائع التالية:

١ - ان الجاسوس «جوناثان غاي بولارد من مواليد ١٩٥٤ هو يهودي» وبدافع من «ولائه» للدولة العبرية جصل على الجنسية الاسرائيلية مع الاحتفاظ بجنسيته الامريكية.

٢ - بدأ المتهم عمله في الاسطول السادس من البحرية الامريكية عام ١٩٧٩ كموظف إداري.

٣ - منذ بداية عام ١٩٨٣ انتقل للعمل في فرع المخابرات الامريكية المهتم بمكافحة التجسس مع التركيز في عمله الجديد بشكل خاص على الشرق الأوسط.

٤ - وظفته اسرائيل في مخابراتها في شهر آب (اغسطس) من عام١٩٨٣ «أي بعد شهر واحد من توقيع الاتفاق القاضي بعدم قيام كل من امريكا واسرائيل بعمليات تجسس ضد الأخرى» وهذا دليل حسن نية من قبل السلطات الاسرائيلية وعلى السلطات الامريكية ان تتأكد ان اسرائيل «لا ترعى» اتفاق لا معها ولا مع الأمم المتحدة ولا مع أي سلطة في العالم.

٥ ـ أعمال جوناثان بولارد الجاسوسية:

كشف بولارد للمخابرات الاسرائيلية «شيفرة» سفن الاسطول السادس التي طلبتها منه اسرائيل للتأكد من صدق المعلومات التي تحصل عليها أصلاً من المخابرات الامريكية وحكومتها.

٦ ـ جوناثان بولارد ليس الوحيد المتهم بالتجسس على امريكا لحساب اسرائيل وهناك جاسوسين سبقاه ولكنهما من الجنسية الامريكية وهما:

أ ـ تشارلز واتر ـ قام بتهريب اسرار عسكرية امريكية هامة إلى اسرائيل خاصة بعدد من الدول العربية وقد أمن له «التغطية» فيما بعد ستانلي سبوركن المستشار القانوني السابق للمخابرات الامريكية والذي قدم للتحقيق أمام مجلس الشيوخ عام ١٩٨٥.

ب ـ الثاني هو:

ستيفن براين ـ مساعد وزير الدفاع الأمريكي الذي قام بتقديم معلومات هامة للمخابرات الاسرائيلية ذات طابع سري جداً وذات نوعين.

الاولى: معلومات عن انظمة الدفاع الجوي في المملكة العربية السعودية والاردن وسوريا وهذه المعلومات تجمعها أقمار التجسس الامريكية فوق الاجواء العربية.

الثانية: معلومات عن طبيعة عمل «أجهزة توقيت» معقدة تستعمل في الأسلحة النووية.

٧ ـ حصل بولارد على أسرار أجهزة توقيت في الأسلحة النووية «نفس المعلومات والأسرار التي سبق ان حصلت عليها اسرائيل من ستيفن براين موضوع الفقرة السابقة (ب) كما حصل على ماهية وقدرات الأسلحة الامريكية التي تزودت بها المملكة العربية السعودية. ومعروف لدينا في أبحاث التجسس ان إيتان الملقب بالحقير أو النتن كما ذكر سابقاً يرأس جهاز لوكيم للتجسس ومن أهم أعمال هذا الجهاز «الغير شرعي» رغم تبعيته لمجلس الوزراء استكشاف انواع وقدرات الأسلحة الامريكية التي تزوّد بها الولايات المتحدة مصر «كامب ديفيد» والمملكة العربية السعودية بحجة عدم اعلام اسرائيل من الوالدة الأم امريكا عن هذه الأسلحة «نفس الحجة لتجسس بولارد».

٨ ـ قام بولارد بجمع المعلومات الخاصة بعمليات التجسس على اسرائيل التي

تقوم بها الولايات المتحدة للتأكد من ان الحكومة الاسرائيلية لا تقامر بمشاريع تتعارض مع الاستراتيجية الامريكية ومصالحها في منطقة الشرق الأوسط.

وقدمت المخابرات الامريكية بعد ذلك لمحة عامة عن قضايا التجسس الاسرائيلي ضد الولايات المتحدة وقد برز منها ملاحظتان:

الأولى: ان اكتشاف امر بولارد هو نتيجة يقظة المخابرات الامريكية ـ ولو متأخرة ـ وشعورها بخطر استفحال عمليات التجسس التي تستهدف الأمن الامريكي.

الثانية: ان اكثر من (٥٠ في المئة) من قضايا التجسس التي تم التحقيق فيها في الولايات المتحدة «بعد الحرب العالمية الثانية» وحتى الآن لها علاقة باسرائيل مباشرة ودائماً.

المسؤولين الامريكيين اكثر حرصاً على اسرائيل منها:

ان أي شخص يتوهم ان اسرائيل سُينالها أي ضرر بسبب فضيحة بولارد المار ذكرها تفصيلياً أو يعتقد ان العلاقات الامريكية الاسرائيلية «مرشحة» لأي انخفاض أو نكوس بسبب ما نقله من أسرار امريكا العسكرية العليا إلى اسرائيل عليه ان يتخلى عن هذا الوهم فباستطاعة اسرائيل ان «تدبر أي عملية إرهاب أو تخريب داخل الولايات المتحدة. وبامكانها ان تنفذ عملية تفجير داخل البيت الأبيض وعندما ينكشف دورها في ذلك ستجد من يقوم بالدفاع عنها وتبرير ما قامت به والدعوة على الحرص على العلاقات الامريكية الاسرائيلية باعتبارها علاقات غالية جداً ولا يمكن اعتبارها أغلى من الاستقلال الامريكي نفسه».

ونحن نقول تعقيباً على تصريحات جورج شولتز وزير الخارجية الامريكي والسناتور موينيهان اللذين أشادا فيها بـ «الاعتذار» الاسرائيلي الرسمي بشأن تجسس بولارد. «ان هؤلاء الامريكيين سيقبلون أي اعتذار من اسرائل. . حتى ولو كان تدمير البيت الأبيض وهؤلاء يرون انه ينبغي عدم السماح بتراكم أيّ مشاعر

«مضادة لاسرائيل» بين الرأي العام الامريكي ولهذا فانهم لن يضيعوا وقتاً كثيراً في الاطلاع على تفاصيل قضية بولارد. لأن الذين يعرفون المدى الذي تذهب اليه اسرائيل في عملياتها السرية وغير السرية للسيطرة على سياسة الولايات المتحدة وهو أمر يتطلب بطبيعة الحال معرفة أدق الأسرار وأخطرها. هم أنفسهم الذين يكمن لديهم هذا الاستعداد لتقبل أي عمل اسرائيلي ضد امريكا» وقد ظهر ان الاعتذار ورد الفعل الامريكي ازاء الاعتذار «بداية عملية التغطية على القضية كلها» وان تصريحات شولتز وموينيهان عن الاعتذار توهمك انها يتحدثان عن عمل فني رائع. هذا يصفه بأنه اعتذار ممتاز ورائع وجريء والآخر يقول ان الاعتذار مصاغ بطريقة انيقة والسناتور موينيهان الذي يمثل دائرة انتخابية في نيويورك (نسبة كبيرة منها من اليهود) يتحدث وكأن نص الاعتذار قد وصل اليه «مرفقاً» بشيك بمليار دولار. لكن بينما يتحدث هؤلاء بدون حرج فإن المسؤولين في وزارة العدل الامريكية والمخابرات الامريكية يخشون من ان يكون الاعتذار في الحقيقية هو الثمن النحس الذي قدمته اسرائيل مقابل إغلاق ملف القضية أي انه ليس اعلاناً بقبول المحاسبة التي طلبتها الولايات المتحدة في التصريحات المعلنة من المتحدثين الرسميين ومما يزيد في ارتياب المسؤولين هؤلاء ان رد فعل شولتز وزير الخارجية إزاء الاعتذار جاء بسرعة مذهلة وعندما قال مسؤولون في وزارة العدل انهم ذهلوا للسرعة التي أشاد بها شولتز ببيان الاعتذار الذي اصدره شيمون (أو شمعون) بيريز رئيس الوزراء الاسرائيلي فإن أحدهم لم يكن على معرفة حقيقية ان الاعتذار والصيغة التي أعلن بها كانت مدار مناقشات بين شولتز وبيريز «على الهاتف» كما كانت نتيجة مداولات بين بيريز وصمويل بيكرنغ السفير الامريكي لدى اسرائيل «أي ان الاعتذار كان اتفاقاً مشتركاً بين الحكومتين لذر الرماد في العيون».

وأفادت معلومات رسمية صدرت في واشنطون ان الجهد الذي بذلته الحكومة الامريكية «فاق» الجهد الذي قامت به اسرائيل لتفادي تأثير مشكلة بولارد على العلاقات الامريكية الاسرائيلية وكأن امريكا هي التي تجسست على اسرائيل وقد بذل المسؤولون الامريكيون جهوداً كبيرة من أجل اقناع حكومة بيريز بأن مصلحة اسرائيل تقتضي ان تبدي قدراً كافياً من التعاون لأن القضية قد خلقت «تياراً» امريكياً ضد العلاقات مع اسرائيل من شأنه التأثير على التحالف الاستراتيجي وعلى المساعدات الامريكية لاسرائيل.

على أية حال فإن الخلاف حول ما ينبغي ان يكون عليه موقف الولايات المتحدة من قضية بولارد قد بقي على حدته بعد الاعتذار الاسرائيلي «المصاغ بلباقة شديدة» كتعبير مسؤول بوزارة الخارجية الامريكية في حينه وكان من رأي بعض أركان مجلس الأمن القومي الامريكي «إخراج» اسرائيل من برنامج «حرب النجوم» كما دارت في أوساط البيت الأبيض همسات خافتة حول دور الجنرال «جيمس ابراهامسون» مدير منظمة المبادرة الاستراتيجية الدفاعية أي المسؤول الأول عن البرنامج كله في البنتاغون وزارة الدفاع الامريكية «وهو يهودي» والواقع انه يشغل أرفع منصب يشغله يهودي في حكومة ريغان وفي المؤسسة العسكرية الامريكية على السواء. ويبدو ان مناقشة استبعاد اسرائيل من قائمة الدول المشاركة في أبحاث هذا البرنامج كعقاب «رمزي» لها بعد افتضاح قضية بولارد قد تعثرت امام قوة المطالبين بالمحافظة على العلاقات الامريكية الاسرائيلية بحيث لا تمس بها من قريب أو بعيد قضية الجاسوسية وقد لوحظ ان الجنرال اليهودي الامريكي ابراهامسون قد ذكر في لقاء مع الصحافة في النتاغون وكان يستعرض مواقف الدول المشاركة في أبحاث البرنامج أسماء الدول الاوربية واليابان «ولم يذكر اسرائيل على الاطلاق» وتناول بتفصيل واضح الأدوار التي أدتها هذه الدول واسهاماتها في أبحاث البرنامج منذ دعوتها للاشتراك به. ورسمياً فإن المتحدثين باسم حكومة ريغان ينفون ان تكون فكرة ابعاد اسرائيل عن هذا البرنامج قد بحثت في أي نطاق وفي أي وقت قبل قضية بولارد أو بعدها لكنه يبدو ان مجرد طرح مثل هذا الاقتراح للمناقشة بالاضافة إلى الجهود الامريكية لتوضيح خطورة الأمر قد ساعدت على ايقاظ وعي المسؤولين الاسرائيليين إلى ان كلا الطرفين يجد نفسه في حرج شديد، اسرائيل المتهمة، وامريكا الضحية، وتحت تأثير المعلومات التي وصلت إلى اسرائيل عن بداية اتساع معالجة القضية في الدوائر الرسمية والاعلامية على السواء، وفي جلسات وزارة الخارجية مع السفير الاسرائيلي في واشنطون «مائير روزين» بدأت تبريرات وحجج اسرائيل تتخذ طابعاً اكثر جدية الا انه في مواجهة هذه الحجج كانت هناك حقائق دامغة تتجاوز حتى الصدمة الانفعالية التي أصابت المسؤولين الامريكيين وعلى رأسهم الرئيس ريغان الذي كانت صدمته بالموضوع كالآتي:

● كان الرئيس ريغان في طريق عودته من قمة جنيف في الطائرة الرئاسية

وبينما هو في الطائرة تسلم رسالة مستعجلة جداً تقول: اكتشفت سلطات الأمن «جاسوساً» يعمل في دائرة المعلومات في البحرية الامريكية يدعى جوناثان بولارد ويعمل لحساب اسرائيل. وبعد قراءة البرقية للمرة الثانية قال ريغان بعفوية غاضبة: «لماذا يفعلون ذلك؟ انهم يحصلون منا على كل ما يريدونه من دعم سياسي وعسكري ومادي».

ولما أصبح ريغان على الأرض ووضع في صورة الموضوع من قبل جورج شولتز وزير الخارجية هدأت صدمته من تجسس اسرائيل عليه في عقر داره فقال قبل المؤتمر الصحفي الذي عقده بهذا الخصوص وفي حديث خاص لمجلة النيوزويك: بيننا وبين حليفتنا خلافات واضحة ولكنها دائماً «عابرة» وقابلة للتسوية السريعة فنحن نخوض معاً حرباً على جميع الجبهات نتساعد فيها بالكامل وهذا يعني ان واحدنا يحتاج لدعم الآخر على الدوام.

● وفي مقدمة الحقائق بعد صدمة ريغان ان جانباً من المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل - والتي اصبحت كلها في شكل منح وليس في صورة قروض كما كانت في الماضي قد استخدم في التجسس على الأسرار العسكرية الامريكية أي ان الولايات المتحدة الامريكية تقوم من حيث لا تدري بتمويل اجهزة المخابرات الاسرائيلية لتتجسس عليها.

● وفي مقدمة هذه الحقائق أيضاً ان مشكلة الولاء المزدوج لليهود الامريكيين أي ولاءهم لاسرائيل وللولايات المتحدة في نفس الوقت اتخذت بعد قضية بولارد بعداً خطيراً جديداً لأن الولاء المزدوج لم يعد مسألة صراع نفساني بين ولاء للدولة وولاء للعقيدة أي بين ولائين متساويين، وإنما تحول إلى ولاء من الدرجة الأولى وولاء من الدرجة الثانية ولم يعد هناك تصور بوجود وحدة مصالح ووحدة اسرار بين الدولتين اللتين يعود إليهما هذا الولاء وفي أعقاب قضية الجاسوسية الاسرائيلية في امريكا أصبح هناك من يتصرف على أساس ان ثمة تناقضاً بين الدولتين يقتضي من واحدة ان تتجسس على الأسرار العسكرية للأخرى تماماً كما يفعل الأعداء.

● وفي مقدمة هذه الحقائق - ثالثاً - ان قضية الجاسوس بولارد ليست الوحيدة وليست الاستثناء ان التجسس على الولايات المتحدة من قبل اسرائيل يدور على قدم وساق من جانب عدد كبير لم يعرف بعد على وجه التحديد «من اليهود الامريكيين» الذين وجدوا طريقهم إلى أكثر المواقع حساسية. ولعل من الجدير

بالملاحظة هذه ان الحكومة الاسرائيلية في اعتذارها لأمريكا قد صاغت الاعتذار بحيث لا ينحصر فيما مارسه بولارد من تجسس بل ينسحب على كل نشاط يمكن ان يكتشف فيما بعد، أو أي نشاط تكون المخابرات الامريكية على علم به ولم تعلن عنه بعد لأن حكومة اسرائيل وبتخطيط للمستقبل اعتذرت «عن أي نشاط تجسسي يمكن ان يكون قد وقع في الولايات المتحدة من جانب أشخاص أو إحدى وحداتها الخاصة بجمع المعلومات».

وعلى الرغم من أهمية كل هذه الحقائق مجتمعة وعلى حده فإنه تعين على المسؤولين الامريكيين ان يذكّروا حكومة اسرائيل خلال الاتصالات الأخيرة ان قضية بولارد لها وضع خاص. . إنها وقعت في عهد الرئيس الذي حقق النقلة النوعية للعلاقات الامريكية الاسرائيلية عن طريق تحويل اسرائيل إلى «شريك أو حليف استراتيجي» الأمر الذي لم يقدم عليه أي رئيس امريكي سابق لريغان. من جهة أخرى فإن الاعتذار حقق نتيجة اخرى داخلية فبقي له تأثيره النفساني والسياسي إذ بقي انصار اسرائيل سواء المنظمات اليهودية أو بعض زعماء الكونغرس المؤيدين لاسرائيل على طول الخط «في حالة صمت تام» عن التصريحات منذ القاء القبض على بولارد. لكن ما ان صدر الاعتذار الاسرائيلي الرسمي بتوقيع رئيس الوزراء بيريز حتى أطلوا برؤوسهم يؤكدون ضرورة العمل بكل جد من أجل ألا تؤثر قضية الجاسوسية هذه على العلاقات الامريكية الاسرائيلية ومنهم هايمان بوكبانيدر ممثل واشنطون في «اللجنة اليهودية الامريكية» قال عقب اعتذار بيريز «لقد سررت باعلان هذا الاعتذار كثيراً. . . وآمل ان تكون هذه بداية انفراج الموقف». واضاف «لقد كنا قلقين من رد الفعل الامريكي أما الآن فإن صديقاً قد اعترف بخطأه وهذا الصديق يعلن انه لن يعود إليه ثانية. وفي هذا الاطار الذهني آمل ان يتذكر الامريكيون ان هذه العلاقة كانت دائماً مفيدة للطرفين. والمفهوم ان كلمة بوكبانيدر هذه موجهة إلى الرأي العام الامريكي ورؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية الذين كان في حينه قد حان وقت عقد مؤتمرهم في القدس لأن تصريحاتهم قبل المؤتمر دلت على استياء من حكومة اسرائيل بسبب مماطلتها الأولية في الاستجابة لطلبات حكومة ريغان ولكن تصريح بوكبانيدر من واشنطون يهدف إلى جمع الرأي في ذلك المؤتمر حول مواصلة الدعم لعلاقة الصداقة والتحالف بين اسرائيل والولايات المتحدة.

وبعد. . . .

إننا لا نرغب ان نطيل على القارىء لكن قضية الجاسوسية الاسرائيلية في الولايات المتحدة ليست من نوع القضايا التي يمكن ان يأمل أمهر المراقبين أو الباحثين أو حتى الجواسيس في معرفة تفاصيلها السرية (وكل تفاصيلها سرية) خصوصاً انها لا تزال في طور الاحتجاج بأن امريكا لا تعطي اسرائيل «جميع الأسرار» لكن من الحقائق المعروفة جيدا والسرية جدا بالنسبة للشعب الامريكي والتي يحق للقاريء العربي ان يعرفها وهي ان عدد حالات التجسس الاسرائيلية في الولايات المتحدة يفوق عدد حالات التجسس الأخرى لأي دولة «عدا الاتحاد السوفييتي» أي ان اسرائيل تحتل المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفييتي في التجسس على الأسرار الامريكية وعملياتها تشمل مجالاً واسعاً للغاية ابتداء من أسرار الاتصالات الدبلوماسية الامريكية إلى أسرار التكنولوجيا العسكرية والخطط الحربية . . ومعلومات امريكا عن خطط الدول الأخرى وأسلحتها وقواتها . والحقيقة التي تعلمها الحكومة الامريكية وكل حكومة امريكية مضت ، هي ان التجسس على أسرار امريكا بكل أنواعه ومجالاته هو سياسة اسرائيلية ثابتة وأساسية . وقد صدر عن الكونغرس الامريكي تحقيقاً خطيراً قيل فيه ان الولايات المتحدة «تفقد سيطرتها على سياستها الدفاعية وعلى أمنها القومي» وانه «على الرغم من ان احداً لا يجرؤ على الكلام علناً عن هذه الظاهرة إلا ان المسؤولين في أجهزة الأمن الامريكية يشتركون في مجالسهم الخاصة في الاعراب عن وعيهم وعن عملية تبادل المعلومات مع اسرائيل خلال اكثر من ربع قرن من التواطؤ السري والاتفاقات السرية والتحويلات غير الدستورية التي تورط فيها كل رئيس امريكي منذ ايزنهاور حتى ريغان مما أدى إلى انبثاق أول دولة نووية خارجة على القانون الدولي في العالم أصبحت تملك ترسانة من الأسلحة النووية لكنها لا تعترف ولا تنضم إلى أي اتفاقية دولية للحد من الانتشار النووي وهذه الدولة «العصابة» هي اسرائيل.

اسرائيل أصبحت تتخذ القرارات في امريكا من وراء حجاب :

وأيضاً صدر في واشنطون تحقيقاً آخر لمحلل الشؤون الدفاعية في

الكونغرس تيرنر باوس قال فيه: ان الرأي العام الامريكي مساق إلى الاعتقاد بأن قنابل اسرائيل النووية لا تمثل مشكلة أو هي على أقل تقدير مشكلة غامضة.بعيدة عن همومه الداخلية بينما تعي الدول الأخرى التي تعرف حقيقة دور امريكا في تقدم اسرائيل لمرتبة الدولة النووية ان ما أصبح لدى اسرائيل من السلاح النووي هو امتداد للقوة الامريكية فإذا انغمست اسرائيل في حرب نووية فإن الولايات المتحدة ستغطس معها. ان هناك في الواقع «اصبعين» على الزناد النووي الامريكي لكن أحدهما لا ينتمي إلينا أي انه ليس الزناد الذي يمسك به الرئيس الامريكي إنما يمسك به حكام تلك الدولة وهي اسرائيل ومعنى ذلك ان اسرائيل ستجر الولايات المتحدة يوماً ما إلى حرب نووية وتتحمل امريكا النتائج مهما كانت. والحديث يملأ أجواء واشنطون منذ شهور طويلة عن تسرب العناصر التي تدين بقاعدة «اسرائيل أولاً» وهي الاشارة والرمز إلى العناصر اليهودية بالذات التي تعمل بولاء كامل لاسرائيل «رغم جنسيتها الامريكية» داخل الاجهزة الأمنية الامريكية «كافة» من أعلاها إلى أدناها بما في ذلك مجلس الأمن القومي والبيت الأبيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع البنتاغون. وقد وصل الأمر إلى حد القول بأن توقيع اتفاقات التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل كان بمثابة عمل قصد به إسكات منتقدي سيطرة العناصر الاسرائيلية على الأجهزة الدفاعية والأمنية في الولايات المتحدة باعتبار ان مثل هذا الاتفاق يضفي الطابع الشرعي على تبادل المعلومات العسكرية والأمنية بينهما بعدما استمر هذا التبادل مستمراً لسنوات وبدون تقنين وأضاف على هذه المعلومات مصدر من المخابرات الامريكية بأن هناك مواجهة مكتومة منذ وقت طويل بين انصار اسرائيل والمنحدرين من سيطرتها تدور منذ بداية عهد الرئيس جيمي كارتر في عام ١٩٦٧ عندما حاول الادميرال ستانسفيلد تيرنر بمجرد ان عينه كارتر مديراً للمخابرات الامريكية ان يحسم هذه المواجهة فقام بتسريح وطرد خمسمائة من العناصر التي اعتبرها نتيجة لتحقيقات خاصة انها من عملاء المخابرات الاسرائيلية لكن حتى حركة التطهير التي اجراها تيرنر بهذا الحجم لم تكن كافية لأنها اقتصرت على المخابرات الامريكية ولم تشمل الأجهزة الأخرى، وما ان بدأ عهد ريغان حتى أخذت العناصر الموالية لاسرائيل تعود لسابق عهدها، بل وتزيد من سيطرتها وتوسعها في الأجهزة الأمنية الامريكية واكد مصدر المخابرات الامريكية انه مع بداية رئاسة ريغان ومن

خلال اثنين من اكبر المسؤولين هما الكسندر هيغ الذي كان وزيراً للخارجية، وريتشارد آلن وكان مستشاراً للرئيس لشؤون الأمن القومي والاثنان من تلاميذ «هنري كيسنجر» الصهيوني كان عملاء المخابرات الاسرائيلية يسيطرون على واشنطون. . وكانوا قد وصلوا إلى درجة من قوة النفوذ تمكنوا معها من ان يضعوا في أعلى مناصب الأمن القومي. لكن الصراع المكتوم استمر حيث اعترف هنري بويم الذي كان مسؤولاً عن اجراء عمليات التسلم والتسليم بين إدارة الرئيس كارتر وإدارة الرئيس ريغان في بداية عام ١٩٨١ ان الرئيس ريغان وجد نفسه محصوراً بين نيران طرفي هذا الصراع فهناك من أنصار اللوبي الاسرائيلي على طولالخط جورج شولتز وزير الخارجية الريغاني وروبرت ماكفارين مستشار الأمن القومي. . الذي أطيح به اثر فضيحة ايرانغيت وهناك المنحدرون من هذا المعسكر المسيطر وبينهم رونالد ريغان رئيس أركان موظفي البيت الأبيض الذي كان قبل ذلك وزيراً للخزانة وأدوين ونير وزير العدل الذي كان قبل ذلك مستشاراً أول لريغان في البيت الأبيض وبعض هذه المصادر يعزو كثيراً قرارات ريغان الخاطئة خصوصاً تلك التي تشكل خطر تورط امريكي في صراعات دموية في مناطق مختلفة وفي الشرق الأوسط خاصة تعود إلى هيمنة انصار اسرائيل على إدارته. وهم الذين يضعون التقارير والتقديرات التي على أساسها ترسم الخطط وتتخذ الاجراءات الاستراتيجية وغالباً ما يكون اتخاذ القرارات في ايديهم «أي بيد اسرائيل».

كيف تسرق اسرائيل المليارات لتمويل مشاريعها النووية:

في شهر نيسان (ابريل) عام ١٩٨٥ بدأ تحقيق سري من جانب أجهزة الأمن الامريكية مشتركة وفي الداخل والخارج عن «اختفاء» مبلغ (٢,٥) مليار دولار من حسابات اثنتين من المؤسسات المالية الامريكية في نيو جرسي مما أدى إلى افلاسهما واصدار قرار من لجنة السندات والنقد الأجنبي باغلاقهما وإحالة المسؤولين فيهما للتحقيق بجرم الافلاس الاحتيالي.

تجاهلت الأجهزة الاخبارية انباء هذا التحقيق الخطير لأن التحقيق كان يشير إلى كشف أسرار اخطر عملية احتيال اسرائيلية داخل امريكا. وقد اشترك بالتحقيق

في اختفــاء هذه المليارات قوة تحقيق مشتــركـة من خمس دول تتعلق الأمـوال بمؤسساتها وقد قادت التحقيقات التي أجرتها هذه القوة الامريكية الاوربية إلى ان الامـوال الضـائعـة قد نقلت سراً إلى اسـرائيل بطرق احتيالية أغرب من الخيال للمساعدة على تمويل مشاريعها النووية خلال السنوات الماضية واكدت مصادر المباحث العامة الامريكية ان محققين من جهات المال المتخصصة في الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا الغربية وهولندا وبريطانيا يعلمون ان الأموال الضائعة قد حولت بطرق غير مشـروعـة من أجـل تأمين احتياجـات اسـرائيل المـالية لشراء التكنـولوجيا النووية وقد تبين لهم ان اسرائيل التي تعاني أزمة اقتصادية باستمرار دخلتَ عام ١٩٨٤ في مناقشاتٍ انتهت بعقد صفقة سرية مع إحدى المؤسسات الفرنسية لتزويدها بمحطتين نوويتين قوة كل منهما ألف ميغاوط وقد طلبت مؤسسة «فرام توما» النووية المملوكة للحكومة الفرنسية[١] من اسرائيل ان توفر مبلغ (٢,٢) مليار دولار كتغـطية ائتمـانية للصفقـة. وتبين للمحققين ايضـاً ان وزارة الـطاقة الاسرائيلية أبلغت المؤسسة الفرنسية بانها استطاعت توفير نصف هذا المبلغ في صورة سندات حكومية امريكية وقد تبين ان هذه السندات تشكل جانباً من الأموال «الضائعة» من المؤسستين الامريكيتين المفلستين في نيو جرسي.

● المتهم الأول في هذه القضية شبـه السـرية: مارفن وارنر وهو ملياردير يهودي كان سفيراً للولايات المتحدة لدى سويسرا ومن أنشط العاملين في مجال جمع الأموال لصالح اسرائيل ويحمل الجنسية الاسرائيلية وحتى كتابة هذه السطور. لم يجر التحقيق معه ولم يوجه له في حينه أي اتهام رسمي. وما جرى في سرقة المليارات وسرقة سندات الحكومة الامريكية لا يختلف عما جرى في قضية سرقة المفاتيح النووية وغيرها من السرقات والاحتيالات التي تقوم بها اسرائيل من امريكا «على عينك ياتاجر» وآخراً وليس أخيراً قضية الجاسوس بولارد التي تـركت بعض الامريكيين كانوا ينتظرون بفضول شديد معرفة موقف الكونغرس الامريكي وهو خط الدفاع الأول عن اسرائيل عندما عاد للانعقاد بعد عطلة عيد الشكر وما جرى هو ان بعض الأعضـاء تسـاءلوا وهم الذين طالما وضعوا مصلحة اسرائيل قبل مصلحة امريكا عما اذا كانت اسرائيل بممارستها التجسس على امريكا قد خانت الثقة التي

---

(١) وعنا لأمر الدول العربية للتفضل بأخذ العلم...

أولتها إياها الولايات المتحدة وكان الجواب «رفعت الجلسة».

وحتى لا تختلط الأمور في أذهان البعض.. بسبب الدهشة أو العجز عن تفسير الدافع الذي يمكن ان يجعل اسرائيل تتجسس على امريكا فإن لاري سبيكس الناطق باسم البيت الأبيض تقدم ليحسم الأمر قائلاً انه لا يتوقع (أي ان البيت الأبيض) لا يتوقع ان يصيب هذا الحادث العلاقات الامريكية الاسرائيلية بأي ضرر.. وأضاف «لقد ارتبطت الولايات المتحدة واسرائيل بعلاقات وثيقة لزمن طويل، واتوقع ان تستمر هذه العلاقات».

ونحن كخبراء في علم المخابرات الجاسوسية نتوقع ان تستمر اسرائيل في التجسس على امريكا بعد بولارد وجميع جواسيسها لأن تجسس اسرائيل هو جزء مهم من العلاقات الوثيقة وربما التجسس بحد ذاته هو سبب هذه العلاقات الوثيقة لأن اسرائيل بالتجسس بأشكاله المختلفة العسكرية والسياسية والتكنولوجية والاجتماعية تعرف امريكا من الداخل «جيداً» وتقبض على أسرارها ومن يستطيع ان يقبض على أسرار دولة ولو كانت امريكا بالذات وقوتها وعظمتها ـ يستطيع ان يفرض عليها ما تفرضه اسرائيل على امريكا منذ انشاء الكيان الصهيوني وحتى الآن.

وأخيراً.. صدر الحكم بالمؤبد على بولارد:

بعد هذا العرض الموسع عن قضية تجسس بولارد وقد تركناه مع زوجته في السجن المركزي بواشنطون والتحقيقات التي ذكرناها ملأت مئات الصحف عن عجائب الغدر والطعن من الخلف والسرقة ووضع اليد في الجيب من قبل اسرائيل لامريكا ولية نعمتها وصاحبة الفضل في وجودها وقد طلب المدعي العام الامريكي في أول التحقيق من بولارد اختيار محامي للدفاع عنه أمام القضاء الامريكي فاختار المحامي ريتشارد هايبي (طبعاً المحامي يهودي أيضاً مثل موكله بولارد والدم يحن) فحضر هذا المحامي جميع أدوار التحقيق مع بولارد وقد تصور انه سينجح في القضاء على وطأة الأدلة المقدمة ضد موكله بالدفع أمام القضاء بأن «المتهم معاد للشيوعية إلى حد مفرط الحماس ومعاد للارهاب إلى حد اكثر حماساً ويؤمن بدولة

اسـرائيل ويخـاف عليهـا . ؟» وقـد طرح المحـامي بهـذا الدفع قضية الجاسوس الاسرائيلي طرحاً سياسياً بحتاً. الأمر الذي أوقعه في المشكلة التي تجد الحكومة الامريكية نفسها في حبائلها. مشكلة الطابع الخاص لهذه القضية حيث الجاسوس يهـودي. والـدولـة التي جرى التجسس لحسـابهـا هي الدولة الحليفة للولايات المتحدة التي تحصل على كل ما تريد ومع ذلك دفعت جاسوسها للتجسس عليها واعترف بقبض اكثر من ٥٠ خمسون ألف دولار لقاء تجسسه . . فما دخل الشيوعية في الموضوع.

وقد يتساءل ايضاً القاريء العربي «ماذا يهم العرب من قضية جوناثان بولارد الجـاسـوس الامـريكي الذي تجسس لاسرائيل وقد صدر الحكم عليه بالسجن المؤبد من قبل القضاء الامريكي الذي لم يتأثر بتهديد المنظمات الصهيونية مع العلم بأن وزير الـدفاع الامريكي واينبرغر قد طلب لبولارد «الشنق» لكن عقوبة الاعدام ملغية في ولاية واشنطون[1] ونحن نجيب على تساؤل القاريء بأن الاطلاع ومعرفة دقائق وأسرار ونتيجة قضية بولارد هذا تهم العرب في ثلاثة أمور أساسية وهي :

١ ـ أظهرت قضية بولارد مجدداً وبوضوح تام ان اسرائيل تستطيع ان تفعل ما تشـاء في السـاحة الامريكية وتسرق من ملفات اكبر حليف لها كميات هائلة من الـوثائق السرية وتسبب نتيجة ذلك خسائر فادحة للدفاع والأمن الامريكيين تقدر بمليارات بل (بلايين) الدولارات بتقدير كاسبار واينبرغر وزير الدفاع الامريكي . . وبـرغم ذلـك فإن التحـالف الأمـريكي الاسـرائيلي لم يهتـز أو يتأثر بل يتسابق المسـؤولون في البلدين إلى تأكيد متانة وقوة العلاقات بينهما .

٢ ـ ان الاضرار التي لحقت بالعرب والأمن العربي نتيجة حصول اسرائيل على الوثائق والمعلومات السرية اكبر من ان تقدر فقد كشف خبير عسكري فرنسي بارز ان القيادة الاسرائيلية استفادت مما حصلت عليه من معلومات وأسرار امريكية

---

(١) إننا نؤكد كخبراء في قضايا الجاسوسية والمخابرات نؤكد ان بولارد لن يقضي عقوبة السجن المؤبد هذه لأن اسـرائيل والمنـظمـات الصهيونية لم تعـدم الـوسيلة من أجـل استعـادتـه من السجـان الامريكي . . ؟ وقد صدر الحكم بسجن بولارد بتاريخ السادس من آذار (مارس) عام ١٩٨٧ فلنحفظ هذا التاريخ . . .

عن عدد من الدول العربية، في وضع خطوط جديدة لمواجهة هذه الدول العربية في المرحلة القادمة.

٣ ـ ان الولايات المتحدة كدولة كبرى تتمتع بامكانات وقدرات متطورة للغاية تتجسس على العرب، من موقع اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط، واسرائيل تحصل على ثمرة هذا التجسس سواء في إطار التعاون والتنسيق القائم بين واشنطون وتل ابيب أو عن طريق جواسيس وعملاء أمثال بولارد أو بوسائل أخرى متعددة وبرغم ذلك يحرص المسؤولون الامريكيون على اعتبار هذه القضية «مسألة داخلية امريكية ـ اسرائيلية» لا يحق لأي طرف ثالث التدخل فيها أو تقديم مذكرة احتجاج بشأنها، ولو لحقت بهذا الطرف أضرار كبيرة نتيجة هذه القضية لأننا لم نسمع حتى الآن ان الادارة الامريكية «اعتذرت» لأية جهة عربية على الأضرار التي سببتها لها قضية بولارد. وقد اكدت مصادر عربية ان عدة دول عربية اضطرت إلى إحداث تغييرات في بعض خططها واستعداداتها العسكرية والأمنية نتيجة حصول اسرائيل على وثائق سرية تتعلق بها. فقضية بولارد ليست قضية امريكية اسرائيلية فحسب، بل هي، ايضاً وخصوصاً قضية عربية مهمة. اذ ان الطرف العربي هو الضحية الرئيسية فيها وليست العلاقات الوثيقة الامريكية الاسرائيلية التي لم تتأثر بهذه القضية اطلاقاً. والاطلاع على قضية بولارد من خلال هذه الصفحات يكشف أهمية وخطورة هذا الجاسوس الذي يعتبر في نظر خبراء المخابرات والتجسس أكبر وأهم جاسوس عمل لمصلحة اسرائيل منذ قيامها على أرض فلسطين اغتصاباً عام ١٩٤٨. وعندما يعتبر بولارد اكبر جاسوس لاسرائيل يحق لنا ان نسأل: ماذا قدم بولارد لاسرائيل منذ ان بدأ التجسس لمصلحتها في نهاية عام ١٩٨٣ إلى حين اعتقاله امام السفارة الاسرائيلية في واشنطون بتاريخ ٢١ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٨٥ بعد ان طرده السفير الاسرائيلي وسلمه لقمة سائغة للسلطات الامريكية وقد كان آنذاك يحمل جواز سفر اسرائيلي باسم (داني كوهين) ولقب كوهين شائع في عالم التجسس ولو كان بولارد ـ كوهين قد اعتقل في سوريا أو أي بلد عربي للحق بكوهين السابق في عالم التجسس.

ولابد من القول بأن بولارد كوهين بحكم عمله كمحلل في المخابرات البحرية الامريكية وعلاقاته المنتظمة مع مختلف اجهزة المخابرات والأمن الامريكية كانت لديه القدرة على الاطلاع أو الحصول على كميات كبيرة من الوثائق

والتقارير المعتبرة «سرية» أو «سرية جداً» وقد اعترف بولارد بأنه يهودي صهيوني وان أحد الأسباب التي دفعته للتجسس لمصلحة اسرائيل هو انه كان «غاضباً» لأن المسؤولين الامريكيين كانوا «يحجبون» عن اسرائيل معلومات اساسية لأمنها وتفوقها العسكري واعترف بولارد بصراحة انه كان «عين واذن اسرائيل في منطقة جغرافية شاسعة تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي» أي منطقة تشمل البلاد العربية وقد اكدت مصادر التحقيق الامريكية انه زود اسرائيل خلال فترة عمله معها بأكثر من ألف وثيقة سرية أو تقرير سري يتعلق قسم كبير منها بالعالم العربي وبالوجود العسكري السوفييتي في الشرق الأوسط وان عدة تقارير كانت عبارة عن ملفات تتألف من مئات الصفحات وتتضمن معلومات وتحليلات عن منطقة الشرق الأوسط «لم تطلع عليها اسرائيل من قبله واستناداً لنتيجة التحقيق الرسمي الامريكي فإن بولارد قد زوّد المخابرات الاسرائيلية بالأمور الآتية:

١ ـ وثائق امريكية سرية وصور دقيقة ومفصلة لمقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس ولعدد من المباني التي يعيش فيها أو يعمل بها مسؤولون فلسطينيون. وعندما أصبح لدى المخابرات الاسرائيلية عنوان وصور مقر المنظمة وفروعها في تونس «طلبت» من بولارد «لغرض في نفسها» معلومات دقيقة عن امكانيات وقدرات وسائل الدفاع الجوي التونسي ولدول عربية مجاورة وطلبت منه معلومات عن تحركات السفن الفرنسية والسوفييتية والامريكية في البحر المتوسط ونحن نؤكد انه لولا هذه المعلومات لما كانت اسرائيل استطاعت ان تنفذ بنجاح «من الناحية العسكرية» عدوانها على مقر قيادة منظمة التحرير في تونس بتاريخ الأول من تشرين أول (اكتوبر) عام ١٩٨٥ وهو العدوان الذي أسفر عن استشهاد نحو ١٠٠ مائة شخص.

٢ ـ نقل وثائق سرية وصور التقطتها الأقمار الصناعية أو التجسسية الامريكية ان صح القول لعدد من المنشآت والقواعد العسكرية في المملكة العربية السعودية، ومصر، وسوريا[1].

---

(١) من المفروض ان تلتقط الأقمار التجسسية الامريكية الصور عن سوريا باعتبارها اصبحت قلعة الصمود العربي في وجه الامبريالية والصهيونية ولكن ان تلتقط الصور للمنشآت العسكرية السعودية فهناك اشارة استفهام أما التقاطها الصور للمنشآت العسكرية في مصر «كامب ديفيد» فيجب وضع اشارتي استفهام... ولكنها امريكا وجه اسرائيل.

٣ ـ نقل وثائق سرية ومعلومات هامة عن خطط التسلح لعدد من الدول العربية والاسلامية وعن قدراتها العسكرية سواء كانت هذه الدول صديقة للغرب أم معادية له.

٤ ـ نقل وثائق سرية وصور دقيقة ومفصلة التقطتها أقمار التجسس الامريكية لمعامل انتاج المواد والأسلحة الكيمائية في بعض الدول العربية. وتتضمن الوثائق خرائط دقيقة تظهر مواقع هذه المصانع ومراكز تخزين المواد الكيمائية وتستفيد القيادة الاسرائيلية من هذه الوثائق والخرائط لشن غارات جوية على هذه المصانع والمنشآت في الوقت الملائم لاسرائيل[1].

٥ ـ نقل تقارير امريكية سرية ومنتظمة عن نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية وخططها.

٦ ـ نقل وثائق سرية (مرفقة بالصور) عن شحنات الأسلحة السوفييتية إلى عدة دول عربية وقد ذكر التحقيق معه ان بولارد بحكم موقع عمله كان يزوّد المخابرات الاسرائيلية «بشكل منتظم وسريع» بكل ما يتعلق بالتسليح السوفييتي للعرب.

٧ ـ نقل وثائق وتقارير سرية متعددة عن النشاطات والخطط السوفييتية في منطقة الشرق الأوسط.

٨ ـ نقل كمية كبيرة من المعلومات والتقارير المنتظمة عن سير العمليات العسكرية على الجبهة الايرانية العراقية وعن قوة العراق العسكرية (بالصور).

٩ ـ نقل وثائق سرية (مرفقة بالصور) عن البرنامج النووي الباكستاني بينها صورة كبيرة التقطتها الأقمار التجسسية الامريكية لمنشآت نووية تقع بالقرب من مدينة اسلام آباد. (وهنا نعيد ونؤكد ان على باكستان اليقظة والحذر من غدر اسرائيل).

١٠ ـ نقل معلومات ووثائق سرية تتعلق بنشاطات المخابرات الامريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالي داخل اسرائيل والجيش الاسرائيلي نفسه.

---

(١) وعنا لأمر الدول العربية المعنية...

عودة إلى الحكم على بولارد وذيوله ونتائجه:

اذا نشرت السلطات الامريكية مضمون الفقرات العشر السابقة عن تجسس بولارد والتي قدم على أساسها إلى المحكمة المختصة وحكم عليه بالسجن المؤبد لأجل تجسسه هذا ولكن وبالطبع والتأكيد هناك «تكتم» امريكي حول مضمون هذه الوثائق والتقارير التي حصلت عليها اسرائيل من بولارد ودفعت ثمناً لها مبلغ خمسون ألف دولار ووعد بدفع مبلغ ثلاثماية ألف دولار على مدى ١٠ سنوات إذا استمر بولارد بتزويدها بالأسرار الهامة ووعد آخر بالتعويض في نهاية الخدمة أي في نهاية العشر سنوات تجسس. لن يبدو واضحاً حتى لو تكتمت السلطات الامريكية ان عدة دول عربية قد تضررت كثيراً نتيجة تسرب هذه الوثائق والمعلومات إلى اسرائيل وهنا يبرز سؤال آخر هو: هل تحتاج اسرائيل فعلاً إلى بولارد أو إلى امثاله المزروعين في انحاء الولايات المتحدة والعالم للحصول على ما تريده من معلومات سرية تتعلق بالعرب والفلسطينيين «خصوصاً» من الولايات المتحدة؟ الواقع ان الامريكيين مخابرات وسلطات عليا يزودون اسرائيل بطبيعة الحال بمعلومات كثيرة عن المنطقة العربية والنشاط السوفييتي فيها، لكنهم في أحيان كثيرة يطلبون منها «ثمناً ما» لقاء تسليم معلومات سرية محددة ومعينة وهذا «الثمن» قد يكون أي شيء وقد يتراوح بين تنفيذ الاسرائيليين مهام معينة هنا وهناك بطلب واضح من الامريكيين، أو بين تزويد المخابرات الامريكية بمعلومات عن دول أو تنظيمات أو قوى عربية معينة. وقد اعترف وزير الدفاع الامريكي واينبرغ ضمناً حيث قال في مذكرة سرية بعث بها إلى قاضي تحقيق المخابرات في قضية بولارد: «ان هذا الجاسوس الامريكي قد زوّد اسرائيل بكميات هائلة من المعلومات السرية بشكل أضعف كثيراً قدرة الامريكيين على الحصول على ثمن ما من الاسرائيليين لقاء بعض هذه المعلومات» أما بالنسبة لاسرائيل فإنها حققت «صفقة مذهلة حقاً في تاريخ التجسس الحديث» اذ دفعت لبولارد ٥٠ ألف دولار كما ذكرنا ثمن وثائق وتقارير سرية «قدّر» واينبرغ انها سببت خسائر للدفاع والأمن الامريكيين بقيمة (بلايين) الدولارات. لكن هل غضبت الولايات المتحدة فعلاً من اسرائيل نتيجة هذه الفضيحة؟ هل قررت معاقبتها أو خفض المساعدات السنوية لها أو اتخاذ

اجراء بحقها أي اجراء ضدّ هذه الحليفة التي تتجسس عليها وتسرق أسرارها؟ ابدا على العكس. المسؤول الوحيد في إدارة ريغان الذي بدا منزعجاً فعلاً من قضية بولارد هو وزير الـدفـاع واينبـرغـر الذي قال في مذكرة سرية إلى قاضي تحقيق المخابرات: «ان من الصعب ان نتصور ضرراً أكبر من الضرر الذي سببه بولارد للأمن القومي الامريكي» وقال واينبرغر ايضاً تعليقاً على ما حصلت عليه تل ابيب من وثـائق ومعلومات سرية «ان تقوية قدرة اسرائيل الأمنية والعسكرية في الشرق الأوسط اكثـر مما يجب تجعل اسرائيل اكثر عدوانية تجاه الدول العربية وتهديد السلام في هذه المنطقة». وأخيراً قال واينبرغر في منتهى الجرأة وفي تعليق له على الحكم الذي صدر بحق بولارد: هذا الجاسوس الوقح يستحق الشنق.

لكن برغم ذلك قال واينبرغر نفسه: ان قضية بولارد لن تؤثر عى العلاقات الوثيقة القائمة بين واشنطون وتل ابيب. وقد أثارت مذكرات واينبرغر وتصريحه عن طلبه الشنق لبولارد المسؤولين الاسرائيليينّ فحولوا الضغط عليه فغيّر موقفه وأصدر باسم وزارة الدفاع بياناً أكد فيه حرصها على الحفاظ على قدرات اسرائيل العسكرية وتحسينها وجاء في البيان ان امن اسرائيل يمثل حجر الزاوية للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط، كما ان المساعدة الامريكية لاسرائيل تهدف إلى استمرار التفوق النوعي للدولة اليهودية وأيضاً أصدرت وزارة الخارجية بيان قالت فيه:

نعتقد ان تمتع اسرائيل بالقوة والصلابة يمثل عنصراً جوهرياً من أجل تحقيق السلام الدائم في الشرق الأوسط لا عقبة أمام السلام الدائم وأكدت وزارة الخارجية الامريكية ان العلاقات بين واشنطون وتل ابيب «وثيقة ومتينة». ونقدم قبل نهاية هذا الفصل عن قضية تجسس العصر كدليل على تورط الحكومة الاسرائيلية بالقضية من رأسهـا حتى أخمص قدميهـا بأنهـا عمدت إلى ترقية الكولونيل «أفيم سيلا» المسؤول عن تجنيد بولارد أو الـدلالـة عليه قبـل إيتـان إلى رتبة «جنرال» فشعر المسؤولون الامريكيون بالانزعاج والاهانة لأنهم يعرفون ان الكولونيل أفيم سيلا كان همزة الوصل والمشجع الأول لبولارد بالتجسس لاسرائيل عندما كان ملحقاً عسكرياً في السفارة الاسرائيلية في واشنطون وكمكافأة له أيضاً عيّن قائداً لقاعدة جوية مهمة قرب تل ابيب وهي مطار رامات العسكري المخصص لطائرات (ف ١٦) وذلك رغم ان القضاء الامريكي اتهم سيلا رسمياً بالتواطؤ في هذه القضية وطـالب بمحـاكمتـه أمـام المحاكم الامريكية وعندما اعلم الامريكيون زملائهم

الاسرائيليون عن انزعاجهم من مكافأة سيلا عمد الاسرائيليون إلى تجميد الترقية وتأجيل تعيينه قائداً للقاعدة الجوية ولكن «إلى ان تهدأ العاصفة» وهذه مسألة طفيفة جداً ولا يمكن ان تؤثر على صلابة التحالف الامريكي الاسرائيلي. وأخيراً.. هناك معلومات وصلت إلى ألمانيا الغربية تفيد بأن الحكومة الاسرائيلية قد طالبت السلطات الامريكية بعد الحكم على بولارد بتخفيف الحكم عليه ومن ثم الموافقة على تهجيره إلى اسرائيل للاقامة فيها وهذا ما اكدناه في هذا الفصل وسنسمع بذلك لأن مطالب اسرائيل هي أوامر للولايات المتحدة.

التاريخ السري للتجسس الاسرائيلي على امريكا:

● عقب الحرب الغادرة التي شنتها اسرائيل بغدرها المعروف في ٥ حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ على الدول العربية قامت الطائرات الاسرائيلية وبقرار من القيادة الاسرائيلية بقصف سفينة التجسس الامريكية (ليبرتي) في الساعة العاشرة من صباح ٨ حزيران (يونيو) وقد تسبب هذا الهجوم في مقتل ٣٤ بحاراً امريكياً واصابة ١٧٣ بحاراً آخر فضلاً عن الدمار الذي لحق بالسفينة المجهزة بأحدث معدات التجسس الالكترونية كل ذلك لأن هذه السفينة كانت قد التقطت وسجلت كافة التعليمات والاشارات بين القوات الاسرائيلية وخاصة الطيران وقد تأثر المسؤولون الامريكيون مبدئياً من الهجوم الاسرائيلي على سفينة التجسس ليبرتي فطلبت هيئة رئاسة أركان الحرب الامريكية المشتركة وكان يرأسها في حينه الجنرال ايرل هويلر من الرئيس الامريكي ليندون جونسون إصدار أوامره لشن هجوم «انتقامي سريع» على القاعدة الجوية التي أقلعت منها الطائرات التي هاجمت ليبرتي وحذرت رئاسة الأركان الامريكية من ان عدم اتخاذ اجراء انتقامي سيعرض البحرية الامريكية والقواعد والقوات المسلحة الامريكية في أي مكان في العالم.. لضربات مماثلة.. على أساس عجز الولايات المتحدة عن الرد.. ومع هذه التوصية واصرار القوات البحرية الامريكية على الانتقام فإن الرئيس جونسون رفض اصدار مثل هذا الأمر. فقد تغلبت في داخل البيت الأبيض المحشو بالصهاينة وجهة النظر التي ترى ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تخسر اسرائيل وصداقتها لأي سبب.

● بتاريخ ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ أبلغ روبرت كندي (شقيق الرئيس جون كندي) وكان يشغل منصب وزير العدل والمدعي العام في ذلك الوقت بأن مكالمة هاتفية ذات أهمية قصوى تنتظره على الهاتف من تل ابيب فرفع السماعة واذا بالمتحدث مدير الموساد في المخابرات الاسرائيلية إيسر هاريل وكان يتحدث من مقر الموساد في تل ابيب وبدون تحية أو تقديم قال بالحرف الواحد:

«ان رجالي في طريقهم إلى نيويورك لكي يعودوا بجوسيل إلى بيته تعاونكم سيكون محل تقديرنا» وقبل ان يأخذ وزير العدل الامريكي نَفَسَهُ ويرد عليه أقفل الخط وانتهت المكالمة. بقي وزير العدل الامريكي في حالة ارتباك وحيرة لبعض الوقت. كان يعرف إيسر هاريل رئيس المخابرات الاسرائيلية ولكنه لم يكن يعرف من هو جوسيل ولم يعرف لماذا يأتي رجال المخابرات الاسرائيلية إلى نيويورك وبأية صفة[1] ومن أين حصلوا على سلطة تنفيذ «أي عملية» داخل امريكا. اتصل روبرت كندي بالسفير الامريكي في تل ابيب واستفسر منه عن جوسيل وتنفيذا لاستفساره سافر السفير إلى القدس لمقابلة رئيس الوزراء الاسرائيلي بن غوريون (في حينه). وفي الوقت نفسه بعث كندي برقية مستعجلة إلى السفير الاسرائيلي في واشنطون يستعلم منه عن جوسيل وقد تبين له ان السفير (آبي هارمان) يعلم من هو جوسيل.. ولكنه لا يعلم شيئاً عن قدوم رجال الموساد إلى نيويورك لاعادته إلى اسرائيل وقد انزعج السفير الاسرائيلي من الأثر الذي يمكن ان تحدثه هذه العملية على العلاقات الامريكية الاسرائيلية فبعث برسالة «تخويف» إلى تل ابيب محذراً من العواقب.

وعندما وصل السفير الامريكي في اسرائيل إلى مكتب بن غوريون قابله سكرتيره العسكري الكولونيل حاييم بن ديفيد وفي أدب جم مفتعل قال للسفير انه سيعرض الأمر على رئيس الوزراء في أقرب فرصة ممكنة (هكذا يعامل سفير وممثل دولة عظمى وصاحبة الفضل في وجود اسرائيل من الأساس) لأن رئيس الوزراء مشغول في اجتماع وزاري وهذه جملة قديمة أيضاً لأن رئيس الوزراء لم يكن

---

(١) من المعروف دولياً ان تنقل عناصر مخابرات أي بلد لبلد آخر في مهمة أمنية يحتاج لموافقة سلطات ذلك البلد مسبقاً وعندما كنت من عداد المخابرات العربية قبل ٢٥ سنة وكنا ننتقل إلى بلد عربي شقيق كلبنان أو سوريا بعد ان نتأكد من وجود عملاء لاسرائيل بعد ان نحصل على موافقة السلطات المختصة (المخابرات) بل وكانت عناصر من هذه المخابرات المضيفة ترافقنا.

مسغولاً ولكنه في الواقع كان يتنصت بالأجهزة التي نصبتها المخابرات الاسرائيلية في مكتب سكرتيره الذي يسأل الزائر عن «هدفه» من الزيارة وبذلك يشاركه رئيس الوزراء بالسمع وهكذا حصل مع السفير الامريكي وقرر بن غوريون عدم الدخول في نقاش مع السفير لتعلق الموضوع بالمخابرات.

حاول السفير المرتبك ان يقابل مدير المخابرات الاسرائيلية هاريل «ولكن لم يكن بالامكان العثور عليه. . .» وفي هذه تمكن كندي وزير العدل الامريكي من معرفة حقيقة أمر «جوسيل» موضوع المشكلة ولم تكن اكثر من مشكلة عائلية وشخصية. جوسيل صبي في العاشرة من عمره اختطفه ابوه الامريكي من امه الاسرائيلية ونقله إلى الولايات المتحدة رغماً عنها فنقلت امه الموضوع بطرقها الخاصة إلى رئيس المخابرات الاسرائيلية إيسر هاريل الذي وعدها بأنه سيتدخل شخصياً لاعادة ابنها إلى اسرائيل فالطفل طبقاً للقوانين الاسرائيلية يهودي لأن أمه يهودية بصرف النظر عن ان أباه الامريكي مسيحي. لكن وزير العدل وجد نفسه أمام مشكلة حقيقية؟ كيف يمكنه ان يوقف عناصر المخابرات الاسرائيلية القادمين بمعرفته ولكن دون إرادته. عن تنفيذ مهمتهم في الأراضي الامريكية. لقد قال له هاريل بالهاتف: ان رجالي في طريقهم إلى نيويورك فاذا كانوا في الجو في تلك اللحظات فمعنى هذا انه لن يوقفهم عن تنفيذ مهمتهم سوى إسقاط الطائرة قبل وصولها وهذا مستحيل.

إلا ان اعتبارات اخرى كانت تضغط على أعصاب وزير العدل لأنه شقيق الرئيس كندي أولاً وثانياً إنه (في حينه) في أواخر ايلول (سبتمبر) وانتخابات الكونغرس ومناصب حكام الولايات على الأبواب في أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) أي بعد أقل من شهر ونصف وخوض معركة من هذا النوع وفي هذا الوقت بالذات يسبب حرجاً للرئيس والحزب الديمقراطي ويهدد مرشحيه في هذه الانتخابات والأدهى من هذا كله لو ان احداً من رجال المخابرات الاسرائيلية أصيب أو قتل في عملية «جوسيل» بقصد أو بغير قصد من قبل الامريكيين. لذلك وجد وزير العدل

(١) ايسر هاريل أول رئيس للمخابرات الاسرائيلية (الموساد) وهو الذي قاد عملية هروب الطيار العراقي الخائن منير روفا إلى اسرائيل بطائرة ميغ سوفييتية (٢١) ولمزيد من المعلومات يمكن مراجعة الجزء الأول من هذه الكتب من الصفحة (٤١١) إلى الصفحة (٤٣١). . .

نفسه في حالة خوف حقيقي من فشل المخابرات الاسرائيلية في تنفيذ عملية «جوسيل» فلربما كان العنوان الذي يتوقعون وجوده فيه ـ مثلاً ـ خطأ عندئذٍ قد يقع اللوم على الحكومة الامريكية وبالتحديد على وزارة العدل أي عليه شخصياً.
واستقر رأيه على أفضل الحلول:

١ ـ أرسل مذكرة احتجاج إلى مدير المخابرات الاسرائيلية إيسر هاويل في أرق لهجة.

٢ ـ أصدر تعليماته إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي (اف. بي. آي) بأن يقدموا كل امكانياتهم للتعاون مع رجال الموساد القادمين من الفضاء في انجاح عملية الطفل جوسيل.

وهكذا هبطت الطائرة (العال) الاسرائيلية الخاصة القادمة من تل ابيب في مطار إيدلو إيلد الخاص في نيويورك وكان في استقبال القادمين عليها من رجال الموساد اسطول من سيارات الكاديلاك الفاخرة تابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي وعلى الفور بدأت عملية جوسيل كما نشاهد في الأفلام السينمائية (في مساء اليوم الذي تلقى فيه وزير العدل مكالمة هاريل) وبعد ساعة من الزمن كان الطفل جوسيل بين أيديهم وأيضاً اتصلت سلطات وزارة العدل الامريكية التي استفسرت لانجاح العملية وعلى رأسها وزير العدل بالسفارة الامريكية في اسرائيل لتأمين إرسال والدة الطفل إلى نيويورك في اليوم التالي لتتأكد من أن الطفل الذي عثر عليه هو ابنها، وعندما وصلت ام جوسيل وتأكدت ان الطفل ابنها انتهى عذاب وأرق وزير العدل الامريكي روبرت كندي.

● في عام ١٩٧٣ أنهى جون مارشيتي خدمة ١٤ عاماً كمساعد تنفيذي لمدير المخابرات الامريكية وبدأ صراعاً قضائياً مريراً أمام إحدى المحاكم الامريكية من أجل نشر كتابه الذي ألفه بعنوان (السي. آي. إي وعبارة التجسس) وقد اشترك معه في تأليف هذا الكتاب جون ماركس نائب مدير مخابرات وزارة الخارجية لعدة سنوات. وكانت المخابرات الامريكية قد منعت نشر هذا الكتاب فلجأ للقضاء لاستصدار امر بالموافقة له على النشر وفي نهاية المعركة قررت المخابرات انه يمكن ان تسمح له بالنشر على ان تكون لها سلطة «حذف» ما ترى ضرورة حذفه مه وقبل المؤلف مرغماً لكنه تمسك بأن توضع كلمة «محذوف» في مكان الكلمات أو الأسطر التي ستحذفها المخابرات وأصرت المخابرات من جانبها

على ان لا يحدد الناشر مساحة المحذوف سواء بذكر عدد السطور أو عدد الفقرات والصفحات ونشر الكتاب عام ١٩٧٤ لأول مرة بهذه الصورة وكان سابقه في تاريخ النشر في امريكا. وبعد ٩ سنوات تمكن المؤلف مارشيتي من الحصول على حكم قضائي آخر يسمح له بنشر الكتاب دون أي حذف. كانت المخابرات الامريكية قد تعرضت لانتقادات مريرة طوال السنوات التسع منذ صدور الكتاب في صورته السابقة وأصاب نفوذها قدر غير ضئيل من الضعف.. وفقدت صلاحية العمل في داخل الولايات المتحدة باعتبار ان مهمتها هي التجسس على العالم الخارجي.

وتكشف الطبعة غير المراقبة من كتاب (السي. آي. إي) وعبارة «التجسس» عن فقرات عديدة اختارت المخابرات حذفها من الكتاب عام ١٩٧٤ لا لأنها تكشف معلومات تضر بالأمن القومي.. إنما لانها تتعلق باسرائيل. أو بيهود امريكا.

تقول إحدى الفقرات التي كانت محذوفة:

«... على الرغم من وجود عدد كبير من اليهود الامريكيين في الادارات السرية وكثير من اليهود بين العاملين القدامى في مكتب «الخدمات الاستراتيجية» الذي كان يقوم مقام المخابرات المركزية الامريكية وفي الأيام الأولى للمخابرات الامريكية... كما انه في الادارات المختلفة للمخابرات يشغل اليهود مناصب في مستويات عديدة بعضهم في أعلى الهيكل التنظيمي للمخابرات ولكن طبقاً للعرف ليس مسموحاً باشراك أي منهم في المهام التحليلية المتعلقة بالشرق الأوسط...»

وموضوع هذه الفقرة لم يعد قائماً بدليل وجود الجاسوس بولارد يعمل في تحليلات البحرية الامريكية واختصاصه: الشرق الأوسط.. وقد غير الوضع قرار أصدره الرئيس ريغان منذ توقيع ما أسمي بمذكرة التفاهم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١ بين الجنرال الكسندر هيغ وزير الخارجية الامريكي والجنرال أريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي. وكانت هذه المذكرة التمهيد لصدور امر التوجيه الرئاسي الامريكي للأمن القومي الذي يحمل الرقم (١١١) تاريخ ٢٩/ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٣ بشأن أولوية التعاون الاستراتيجي مع اسرائيل وهو الأمر الذي تشكلت بموجبه «المجموعة السياسية - العسكرية - المشتركة» التي تنسق النشاطات في هذين المجالين بين الولايات المتحدة واسرائيل والتي تجتمع بصفة

دورية وسراً ـ مرتين كل عام بالتناوب في العاصمة الامريكية مرة والعاصمة الاسرائيلية مرة.

وقبل هذه التواريخ نجد انه في كانون ثاني (يناير) ١٩٥٧ وفي أعقاب حرب السويس ١٩٥٦ التي اعتبر كثيرون ان الرئيس الامريكي الراحل ايزنهاور انتهج فيها سياسة اكثر ميلاً. أو ارضاءاً للعرب ووصل البعض إلى حد القول بأن موقف ايزنهاور وليس الانذار السوفييتي هو الذي اجبر الدول المعتدية اسرائيل وفرنسا وبريطانيا على وقف عملياتها الحربية ضد مصر. في حينه وقعت اتفاقية سرية بين المخابرات المركزية الامريكية والمخابرات الاسرائيلية (الموساد) وقعها عن الجانب الامريكي جيمس ايفلتون الذي كان يشغل منصب مدير مكافحة التجسس في المخابرات الامريكية ووقعها عن الجانب الاسرائيلي افرايم إيفرون رجل المخابرات الاسرائيلية في السفارة الاسرائيلية في واشنطون والذي أصبح فيما بعد سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة.

مضمون هذه الاتفاقية كشف بعد ٢٥ سنة على توقيعها يقضي بأن تكون المسؤولية الكاملة عن جميع عمليات المخابرات في اسرائيل من نصيب المخابرات الاسرائيلية وان لا تكون للمخابرات الامريكية محطة ولا مسؤول في تل ابيب كما هو الحال في جميع انحاء العالم التي توجد فيها بعثات دبلوماسية أو غير دبلوماسية للولايات المتحدة ويكتفي طبقاً لهذا التعاون بعض المسؤولين في السفارة الامريكية بتل ابيب في مجال «تبادل معلومات المخابرات مع المخابرات الاسرائيلية. وفي الوقت الذي حرمت فيه هذه الاتفاقية بين المخابرات الامريكية والمخابرات الاسرائيلية على الـ سي. آي. إي العمل داخل اسرائيل. وكان هذا الوقت نفسه بداية سنوات النشاط الاسرائيلي الكثيف لممارسة اعمال المخابرات والتجسس داخل الولايات المتحدة من خلال المنظمات الصهيونية وجماعات «اللوبي الصهيوني» وامتداداً إلى زرع الباحثين اليهود في اكثر المناصب حساسية في لجان الكونغرس وفي «البنتاغون» وفي شركات الاسلحة والالكترونيات وفي مختبرات البحوث العسكرية في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

● وأيضاً من التجسس الاسرائيلي على الولايات المتحدة ففي منتصف تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ وقع اخطر حادث تجسس اسرائيلي على الولايات المتحدة حادث يفوق كثيراً في خطورته وفي غرابة الظروف التي تمت فيها كل

ملابسات قضية بولارد.

عقب التنسيق بين الجيشين السوري والمصري في حرب رمضان ١٩٧٣ واندحار اسرائيل وتهيئة الاسرائيليين لقبول الهزيمة والاستسلام سارعت الولايات المتحدة كعادتها وانقذت اسرائيل باللحظات الأخيرة بامدادها بالجسر الجوي المعروف «معنى الجسر الجوي ان طائرات نقل عسكرية ضخمة تقوم بنقل امدادات عسكرية عاجلة بين بلدين وبشكل متواصل أي انه يوجد في الجو دائماً طائرات تروح وتجيء حتى انتهاء المهمة».

واستقبلت وزارة الدفاع الامريكية «البنتاغون» عدداً من خبراء الامدادات الاسرائيليين التابعين للسلاح الجوي الاسرائيلي من أجل الاستماع منهم إلى الاحتياجات الاسرائيلية العاجلة ومعرفة الأهم في هذه الاحتياجات من أجل الاستمرار في الجسر الجوي الامريكي إلى اسرائيل بطريقة مرضية للعسكرية الاسرائيلية إلى أقصى حد ممكن.

اكتشفت وزارة الدفاع الامريكية بعد أيام قليلة من عودة هذه المجموعة من الخبراء الاسرائيليين انهم تمكنوا بمساعدة مباشرة من السفارة الاسرائيلية في واشنطون من سرقة وثائق عسكرية مهمة على أعلى درجة من السرية.. ولا علاقة لها بالحرب العربية الاسرائيلية الدائرة في حينه ولا علاقة لها بالجسر الجوي الامريكي إلى اسرائيل.

وقد طمست هذه القضية من قبل السلطات الامريكية اكراماً لاسرائيل في حينه لأنها مهددة بالزوال ولا تزال تفصيلات هذه العملية الجاسوسية الخطيرة في طي الكتمان ويعمل على كشفها الباحث الامريكي ديفيد برنار الذي سبق له ان كشف اسرار التواطؤ الامريكي الاسرائيلي خلال السنوات من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٧. رغم انها انتهت إلى النهاية نفسها التي انتهت وتنتهي كل قضية تجسس اسرائيلية ضد الولايات المتحدة.

هؤلاء عملاء المخابرات الاسرائيلية في حكومة الولايات المتحدة:

لقد مر معنا في فصل المخابرات الاسرائيلية وعلاقتها في الولايات المتحدة

اسم اللوبي الصهيوني وهم الأعضاء البارزين في الكونغرس الامريكي الذين يتصدون لكل قرار يضر اسرائيل على مبدأ الماسونية «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» ولكن الله سبحانه وتعالى سلط على هذا اللوبي لوبياً آخر لوبي له ضمير من بين أفراد الشعب الامريكي المغلوب على أمره من قبل الصهيونية المتغلغلة بين ظهرانيه والتي نبّه وحذر منها الرئيس الامريكي الراحل فرانكلين لدى وضع الدستور الامريكي هذا اللوبي الجديد المناهض للوبي الصهيوني هو منظمة «ليبرتي لوبي» أو «اللوبي من أجل الحرية» ومهمة هذا اللوبي التطوعية هي كشف ألاعيب وأعمال ومؤامرات اللوبي الصهيوني لصالح اسرائيل وأول عمل قامت به منظمة اللوبي من أجل الحرية هي تسليم جميع أعضاء الكونغرس الامريكي قائمة بأسماء (١٨) شخصاً يشغلون مناصب على أعلى المستويات في الحكومة الامريكية حتى الآن (قدمت اللائحة) عام ١٩٨٥ وتربطهم علاقات مباشرة بعضها يمتد لسنوات طويلة بالمخابرات الاسرائيلية «الموساد».

تضم هذه القائمة كلا من وزير الخارجية ورئيس مجلس الأمن القومي وسفيرة امريكا لدى الأمم المتحدة وكبير مستشاري الرئيس ريغان لشؤون الأمن القومي فأين هؤلاء الكبار الجواسيس من بولارد الذي شغل الولايات المتحدة وصحافتها أشهراً عديدة وفي ما يلي القائمة الكاملة بالأسماء التي تضمنتها مذكرة اللوبي الجديد من أجل الحرية لمقاومة هيمنة المنظمات الصهيونية على دوائر الحكم في الولايات المتحدة.

أولاً في البيت الأبيض:

١ - ريتشارد ألن رئيس مجلس الأمن القومي ومستشار ريغان لشؤون الأمن القومي وتطلق عليه المنظمة اسم ريتشارد اسرائيل «ريتشارد اسرائيل فيرست».

٢ - ريتاهاوزر، المساعدة الخاصة للرئيس ريغان وهي بمثابة مديرة مكتب الرئيس وسكرتيرته بنفس الوقت.

٣ - بنجامين هوبرمان، عضو الهيئة الادارية لمجلس الأمن القومي والقائم

بأعمال مدير مكتب العلم والتكنولوجيا في البيت الأبيض.

٤ - جوفري كمب، كبير مستشاري الرئيس ريغان لشؤون الشرق الأوسط داخل مجلس الأمن القومي.

٥ - ستيفن كرامر، عضو الهيئة الادارية لمجلس الأمن القومي ومستشار الرئيس للشؤون الدفاعية.

٦ - ريتشارد بايبس، كبير محللي الشؤون السوفييتية في مجلس الأمن القومي.

وزارة الخارجية:

١ - جورج شولتز، وزير الخارجية الحالي، (عام ١٩٨٧).

(٢) الكسندر هيغ، وزير الخارجية السابق وقائد قوات حلف شمال الاطلسي (سابقاً).

٣ - ألبرت ابرامز، مساعد وزير الخارجية لشؤون المنظمات الدولية.

٤ - جيمس باكلي، مساعد وزير الخارجية لشؤون المساعدات الامنية والعلم والتكنولوجيا.

٥ - ريتشارد بيرت، وكيل وزارة الخارجية لشؤون السياسات العسكرية.

٦ - وليام باتريك كلارك، وكيل وزارة الخارجية لشؤون السفارات.

٧ - لويس فيلد، المستشار القانوني للمشكلات الخاصة بالارهاب.

٨ - دين فيشر، مساعد وزير الخارجية لشؤون العلاقات العامة وهو (المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية).

٩ - جاكوب جافيش، (عضو سابق لمجلس الشيوخ) المستشار الخاص لوزير الخارجية.

١٠ - فرانسيس فوكوياما، كبير المحللين العسكريين.

الأمم المتحدة:

١ - جين كيركباتريك، سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة (في حينه).

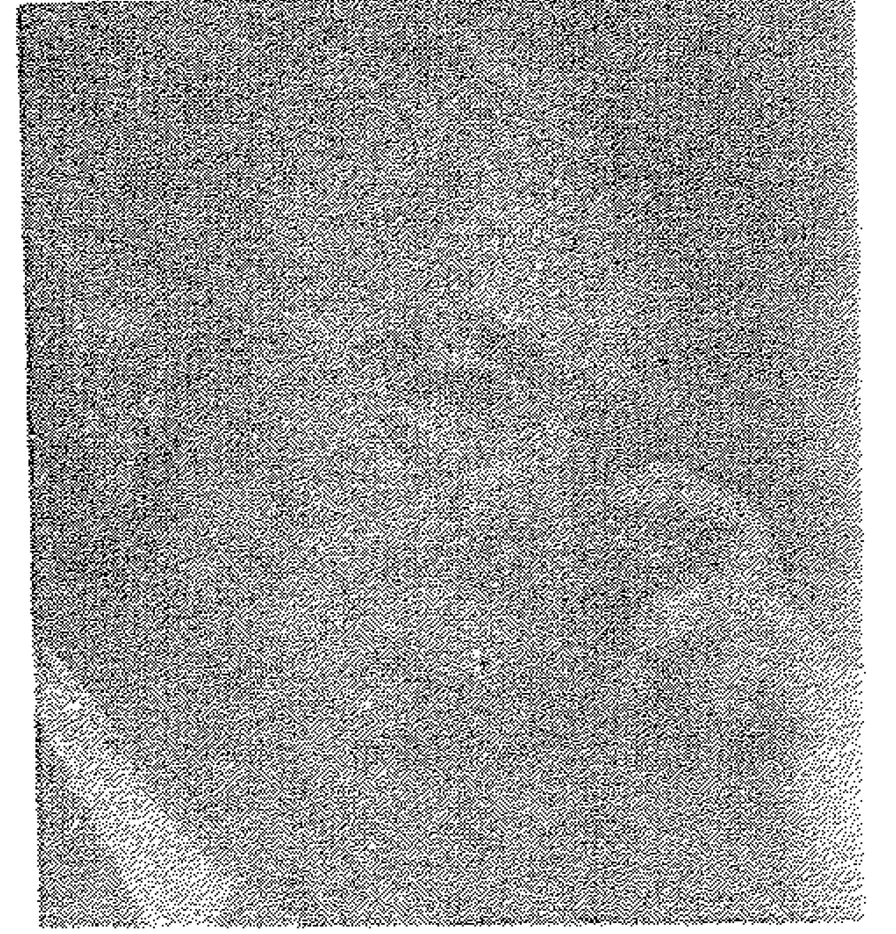
٢ - كارل غيرشمان، مدير مكتب جين كيركباتريك سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة.



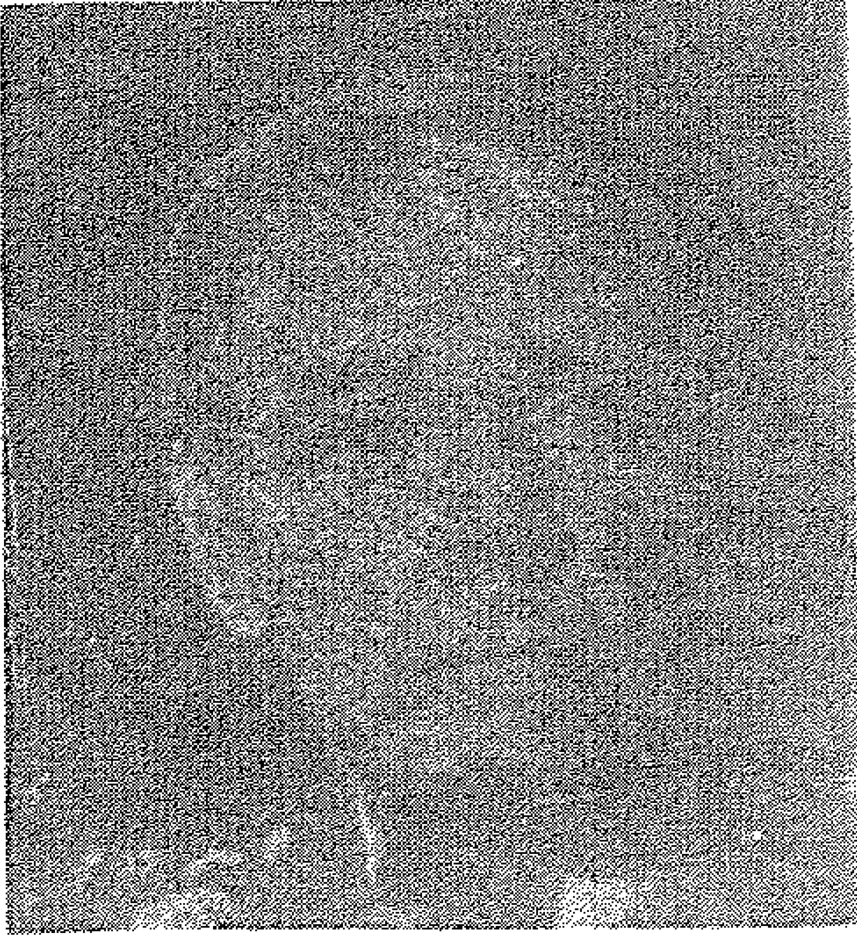
٤٠٠ مجرم اسرائيلي يعملون في الغرب

● صرح اسرائيل كارتي رئيس التحقيقات الجنائية في الشرطة الاسرائيلية بأن عدد المجرمين الاسرائيليين الذين هاجروا إلى الخارج حتى نهاية عام ١٩٨٥ يتراوح ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ مجرم خريج سجون أصلي وقال ان هؤلاء المجرمين يمارسون نشاطهم بصفة خاصة في نيويورك ولوس انجلوس بالولايات المتحدة وأيضاً في غرب أوربا وبالأخص في فرنسا وألمانيا الغربية وهولندا وأوضح ان هذه العناصر المجرمة التي نبذها المجتمع الاسرائيلي لتكرار اجرامها إنما تمارس نشاطاً أساسياً في مجالات تهريب المخدرات واعمال النصب والاحتيال والدعارة. هذا ما صرح به كارتي في حديث خاص أدلى به في إطار تحقيق عن المجرمين إلى الاذاعة الاسرائيلية.

جواسيس إسرائيل في الولايات المتحدة



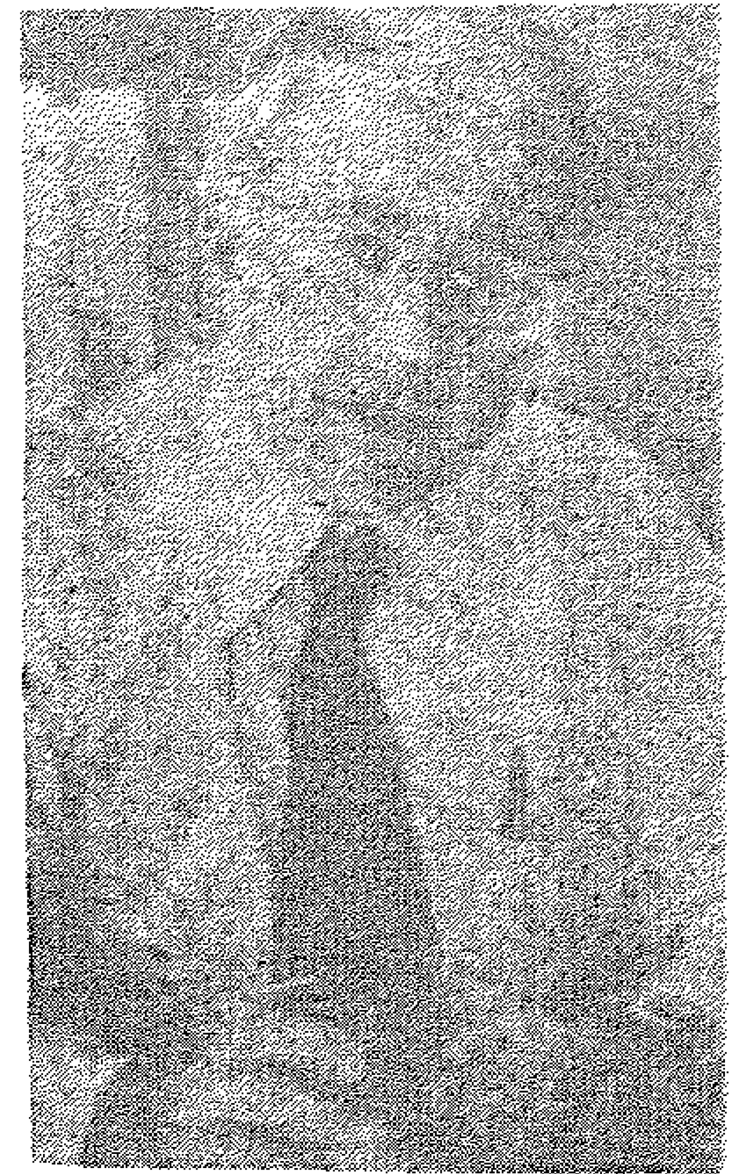
جورج شولتز. وزير الخارجية



الكسندر هيغ. وزير خارجية سابق



جين كيركباتريك السفيرة لدى الأمم المتحدة



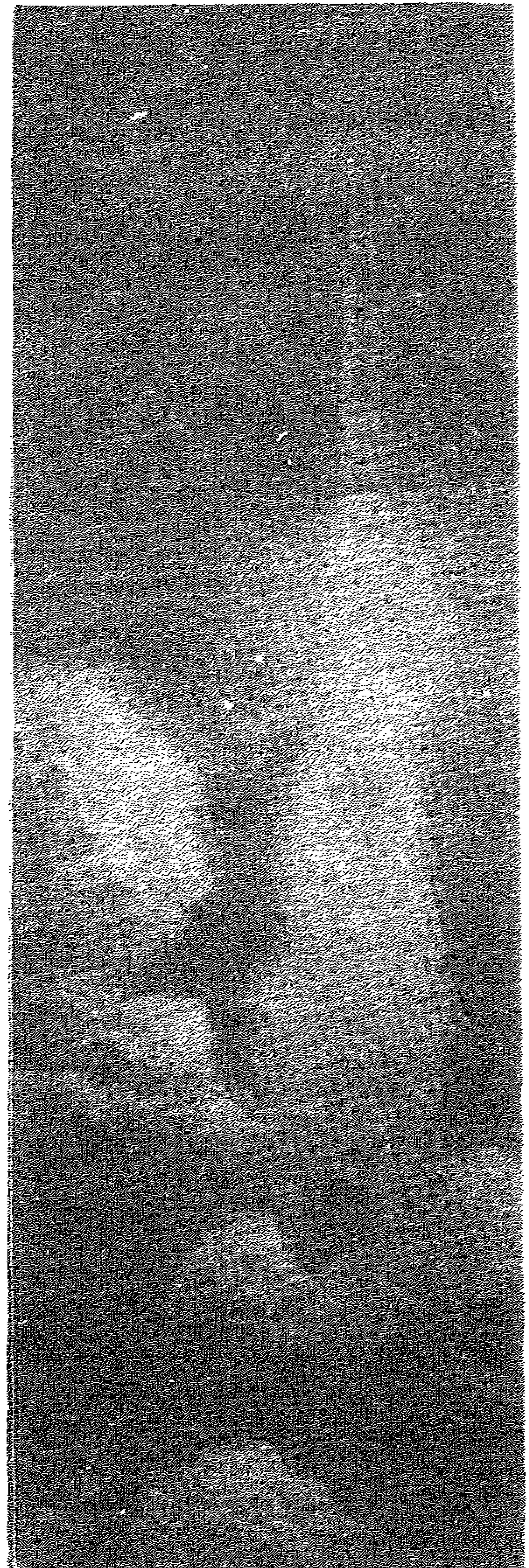
ريتشارد ألن رئيس مجلس الأمن القومي

المصدر:

اللوبي من أجل الحرية «ليبرتي لوبي»



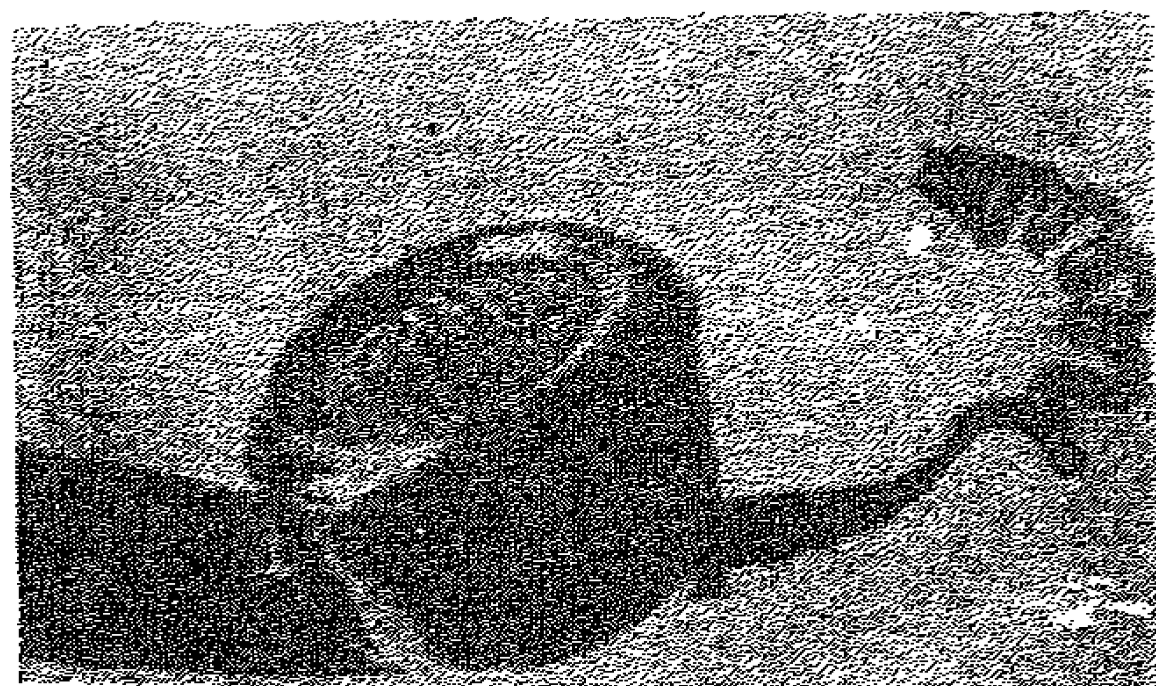
جاكوب جافيتش. المستشار



أحدث الأسرار والمعلومات

عن حرب رمضان ١٩٧٣

- تهديد إسرائيل الكاذب باستعمال القنابل الذرية .
- إرسال أميركا طائرة تجسس فوق إسرائيل .
- كادت إسرائيل تسقط الطائرة الأمريكية .
- استعمال الخط الأحمر بين موسكو وواشنطون لتلافي أي صدام نووي نتيجة خداع إسرائيل .



كادت الطائرات الاسرائيلية ان تسقط طائرة تجسس امريكية :

● ومن التاريخ القريب وأيضاً عن استخفاف اسرائيل بالولايات المتحدة فقد كادت عملية اغراق اسرائيل لسفينة التجسس الامريكية «ليبرتي» ان تتكرر بعد ان أمرت تل ابيب سرب من طائرات الفانتوم الاسرائيلية باعتراض واسقاط «طائرة تجسس امريكية من نوع أس أر- ٧١» وقد حصلنا على النص الكامل للرواية الامريكية عن قصة الاستنفار النووي الذي حدث خلال حرب رمضان والذي هدد بنشوب الحرب العالمية الثالثة بسبب «ادعاء» اسرائيل انها سوف تستخدم صواريخ ذرية في الحرب بعد ان هددت آلاف الدبابات السورية المنطلقة إلى الجولان الكيان الاسرائيلي ويروي النص الامريكي عن كيفية اكتشاف الصواريخ الاسرائيلية والاستعداد الامريكي للرد على أي تدخل سوفييتي ويشير التقرير الامريكي إلى انه من الممكن ان لا يكون لدى اسرائيل اسلحة ذرية وانها قد «غشّت» الامريكيين ومعهم الروس بأسلحتها المزيفة وفيما يلي النص الكامل للتقرير الامريكي :

● الجولان سهول وهضاب خضراء خيّرة خصبة تحتلها اسرائيل بعد حربها الغادرة في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وقد اخترقت القوات السورية سهول الجولان لاستعادته واختراق الكيان الصهيوني في حرب رمضان التحريرية[1] أما في ٨ تشرين

---

(١) من الواضح ان نص التقرير وترجمته عن التقرير الامريكي الاصلي أما وصف الجولان وحرب رمضان التحريرية والقوات السورية فهذه من المؤلف وهي أقل واجب اضافة لما ساهم به في قلمه دائماً في الحرب الدائمة ضد الامبريالية والصهيونية . .

الأول (اكتوبر) **١٩٧٣** أبلغ الميجر جنرال اسحق هوفي قائد الجبهة الشمالية وزير دفاعه موشي دايان انه لا يستطيع الصمود إلى مدى طويل أمام آلاف الدبابات السورية. ويقول تقرير المخابرات الامريكية انه بعد منتصف الليل بوقت قصير.

(على افتراض ان هذه الساعة هي وقت اتخاذ القرارات) نقل دايان وزير الدفاع إلى رئيسة الوزراء غولدا مائير أنباء الجبهة الشمالية مع سوريا واختراق الدبابات السورية للجولان بكثافة كبيرة فحصل منها على موافقة شفهية وخطية وبرقية بتركيب رؤوس نووية على (٣) صواريخ من طراز جيريكو أريحا والمعروف ان هذا الصاروخ أرض ـ أرض قد طور بصورة مشتركة مع فرنسا (نذكر فرنسا ونذكر اعمالها فيجب ان لا ننسى) حيث يبلغ مدى هذا الصاروخ في حين نجاح إطلاقه (علم انه كان يعود إلى مكان انطلاقه اوتوماتيكياً) ثلاثماية كيلو متر أي باستطاعته الوصول إلى القاهرة ويقول التقرير الامريكي ان الرؤوس النووية جمعت خلال ثلاثة أيام وست ساعات من النشاط المكثف في نفق تحت الأرض بعد تجهيزها باستخدام البلوتونيوم من مفاعل الطاقة النووية في ديمونا بصحراء النقب.



ـ طائرة الاستكشاف «أواكس» شاركت في اعطاء المعلومات لطائرة التجسس (اس ـ أر ـ ١٣٥) حتى تمكنت من الهرب.

وقدرت المخابرات الامريكية القوة التدميرية لهذه الرؤوس النووية «إن وجدت» بحوالي ٢٠ كيلو طن نغازاكي فإذا اطلق الصاروخ حاملاً الرأس النووي من شرم الشيخ في سيناء المحتلة (مثلاً) فانه يستطيع اصابة سد أسوان ويتسبب

باغراق مليون مصري (هذا تقدير المخابرات الامريكية لأصدقائها المصريين).

وإذاما ركبت مثل هذه الرؤوس على صواريخ جو- أرض على طائرات الفانتوم الاسرائيلية فإن مداها يزيد عن ذلك. وقد بقي أمر الصواريخ النووية الاسرائيلية سراً دفيناً لمدة ثلاثة أيام وفي الساعة الخامسة من صباح يوم ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ أقلعت طائرة تجسس تابعة لسلاح الجو الامريكي من نوع (اس - أر - ٧١) من القاعدة (١١٢) على الساحل الشرقي للولايات المتحدة وبعد ساعتين كانت هذه الطائرة فوق اسبانيا وقد أقلعت من قاعدة روتا باسبانيا طائرتين من نوع «كي - سي - ١٣٥» وزودتا طائرة التجسس بالوقود وهي في الجو فوق ساحل الغريف. وبعد حوالي الساعة كانت الطائرة الامريكية في مهمة استطلاعية فوق سوريا والاردن واسرائيل.

تنتمي هذه الطائرة وطاقمها إلى الجناح الاستراتيجي الاستطلاعي التاسع وقاعدتها الرئيسية في «بيل اير أو: ١١٢» في كاليفورنيا وتمتاز بنظام خاص للتزود بالوقود وهي بالجو ولأسباب عملية فإن من الأسهل تشغيل هذه الطائرة خارج الولايات المتحدة ومن قواعد خارجية ولمسافات بعيدة لأنها صنعت خصيصاً لذلك وهذه الطائرة التي تعرف لدى الفنيين باسم «الطائر الأسود» بالنظر لأن اللون الأسود هو الذي يغلب عليها وهي مصممة خصيصاً لالتقاط انتهاكات أو خرق معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية حيث تستطيع الدوران حول الكرة الأرضية خلال يوم واحد وتحلق في علو مرتفع جداً وبسرعة قصوى تجاري سرعة انطلاق رصاصة البندقية وفي عام ١٩٧٤ أقلعت هذه الطائرة من مطار نيويورك ووصلت إلى عرض جوي أقيم في «فارنبورو» بجنوب انكلترا خلال ساعة وخمسون دقيقة. وحطمت هذه الطائرة أيضاً الرقم القياسي في السرعة في قطع المحيطات وتحلق الطائرة وهي تشبه الدلتا من حيث الشكل في طبقات الجو العليا وهي تحمل كاميرات تستطيع التصوير بالأشعة تحت الحمراء واجهزة اكتشاف الاشعاع الذري واجهزة الرادار والتقاط الاشارات اللاسلكية وتستطيع القيام بعملية مسح شاملة لمنطقة تزيد مساحتها عن ١٠٠ مائة ألف ميل مربع في الساعة أي أنها تستطيع مسح منطقة تعادل مساحتها مساحة الولايات المتحدة في ٣ جولات بالاجهزة المتوفرة فيها. ومن مهمات طائرات التجسس (أس - أر - ٧١) هذه التحليق فوق الصين والاتحاد السوفييتي باستمرار مستعملة اجهزة التصوير الدقيقة للتجسس عليهما وهي

كاميرات تبلغ قدرتها على التصوير قدرة فائقة لالتقاط الصور والأشياء الدقيقة حتى انها تمكنت من تصوير «كرة غولف» في ملعب آغوستا من علو ٦٠ ألف قدم وذلك خلال تجربة لها أجريت بوجود الرئيس الامريكي كندي.

فوق صحراء النقب وأثناء مرورها على ارتفاع شاهق كانت الكاميرات والمعدات الأخرى تعمل بانتظام لتسجيل كل ما يدور تحتها في الأراضي الاسرائيلية بما في ذلك النشاط المكثف في المفاعل النووي في ديمونا حتى التقطت الصور الواضحة عن رؤوس نووية تحمل على طائرات (هنا يأتي خداع اسرائيل الذري) وهذا ما سمي في حينه برسالة اسرائيل الذرية ومع هذا فإن قائد الطائرة وضابط أجهزة الاستكشاف لم يكونا يعلما شيئاً عن التقاط الرسالة الذرية لأن السر كان مخبأ في كابينة القيادة وتنحصر مهمة الطيارا ن في التحليق بالطائرة والعودة بها إلى القاعدة ولا يتم إعلامهما حسب اصول العمل في الجناح الاستراتيجي الاستطلاعي عما اذا كانا قد سجلا أية معلومات.

ولكن أثناء المرور في أجواء اسرائيل (حدث ما لم يكن بالحسبان) وتنفيذ مهمة التجسس وتصوير المنشآت العسكرية الاسرائيلية الذرية حسب ادعائها شاهد الطيار الامريكي على اللوحة امامه إشارة لطائرتين تتبعانه عن بعد وقد التقطت اجهزة رادار الطائرة اقتراب الطائرتين وبسرعة حددت اجهزة الكمبيوتر الخاصة بالطائرة والمرتبطة بمركز المراقبة والمتابعة القائم على إحدى قطع الاسطول الامريكي بأن هاتين الطائرتين عليهما نجمة داوود «أي اسرائيليتين» وانهما من طراز «ف ١٦» فانتوم ولم تستجب أي منهما للنبضات اللاسلكية التي أرسلتها طائرة التجسس الالكترونية ان كانت معادية «محتمل ان تكون غير اسرائيلية وعليها نجمة داوود فالحرب خدعة» أو ان تكون اسرائيلية كما هي ومعنى ذلك انها طائرات صديقة.

قبل ظهور طائرات الفانتوم الاسرائيلية على شاشة طائرة التجسس الامريكية بثوان قليلة وفوق صفحة مياه البحر الأبيض المتوسط وفي القطاع الشرقي كانت سفينة المراقبة الاسرائيلية «بتحيا» وهي مزوّدة باجهزة حديثة جداً وقادرة على فك رموز وشيفرة الاتصالات اللاسلكية مشغولة جداً باعتراض أية إشارة لاسلكية قد تنطلق من أي جهة في المنطقة العربية المحيطة باسرائيل. وفجأة انطلق صوت طيار أحد طائرتي الفانتوم الاسرائيلي يقول بالعبرية وبوضوح تام:

قطعاً . . لقد تعرفت عليها . . إنها طائرة تجسس امريكية الكترونية من طراز بلاك بيرد «الطائر الأسود» تمر الآن فوق صحراء النقب؟ وكان على الخط اللاسلكي وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان يستمع بنفس الوقت مع طاقم سفينة المراقبة. فأعـطاهم الأمر فوراً: أسقطوها. فأعيد الأمر فوراً من سفينة المتابعة للطائرتين: أسقطوها. في الوقت نفسه أعطت سفينة المتابعة الامريكية عبر طائرة المراقبة «عين النسر» التي استمعت وحللت الأوامر الاسرائيلية لطائرتي الفانتوم. الأمر الذي ظهر على شاشة جهاز الكمبيوتر في الطائرة وهو يبلغ طاقمها التحليل الكامل لمقاصد ونـوايا وخطط الطائرات المعادية. وأعاد الكمبيوتر من ذاكرته جميع الاحتمالات القائمة أمام طاقم الطائرتين المعاديتين إضافة إلى معلومات عن مدى الأهداف التي يسعون وراءها. (في هذه الأثناء صدرت الأوامر السابقة إلى طياري الفانتوم باسقاط الطائرة الامريكية) وعلى الفور أضيئت إحدى اللوحات أمام طاقم طائرة التجسس الالكترونية الامريكية لتبلغهم بالأمر:

اهربوا . . بسرعة؟ وكان الأمر من طائرة «عين النسر للمراقبة». وبسرعة هائلة نظراً لخبرة الطاقم الامريكي انطلقت الطائرة الامريكية علّواً إلى ارتفاع ٨٥,٠٠٠ قدم فوق سطح الأرض، وهـذا ما يعـادل ضعفي أقصى ما تستـطيع الفـانتـوم الاسرائيلية الوصول اليه من ارتفاع وبالتالي اصبحت طائرة التجسس ويلمح البصر بعيدة عن نطاق صواريخ الفـانتوم. ثم حولت الطائرة خط سيرها عائدة من فوق مضيق جبـل حيث جرى ملء خزانـاتها بالوقود وهي في الجو ثم تابعت طريق العودة إلى الولايات المتحدة. ولا يزال الطياران حتى اليوم لا يعرفان حقيقة ما صورته طائرتهما وهما فوق اسرائيل.

ويقي السؤال الهام في هذا البحث عن قيام اسرائيل بهذه الأعمال الشاذة والغير معقولة:

هل يعقل ان يسقط الاسرائيليون طائرة حربية امريكية حليفة.

الجواب: هذا محتمل. وربما بالنسبة لهذه الحالة بالذات فالجواب «لا» . . لأن الاتصالات اللاسلكية الصوتية في مثل هذه العمليات ليست ضرورية . . ففي العادة يستطيع الطيار الاسرائيلي ان يبلغ مركز المراقبة الأرضية بالأمر فتأتيه على الفور جميع المعلومات كما ان الأمر بتدمير طائرة التجسس الامريكية «التي اعتبرت طائرة معادية وصل اليه عبر اجهزة طائرته حتى نوع الصاروخ الذي كان سيطلقه

والدعوة للسلام الدائم (كما جرت العادة كل ساعة للتأكد من ان الخط في حالة صالحة للعمل) من قبل الجانب الامريكي وبث رسالة باسم الرئيس الامريكي ريتشارد بن ميلهوسي نيكسون عبر الهوائي (الأنتين) الذي طوله ٦٠ متراً والمركب فوق مبنى من ثلاثة طوابق في فورت ديتريك في ماريلاند تبلغ الرئيس بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي بالمعلومات التي التقطتها طائرة التجسس الالكترونية (أس ـ أر ـ ٧١) وذلك استناداً للمعاهدة المعقودة بين البلدين لتفادي حدوث حرب نووية. أمر الرئيس بريجنيف فوراً بتزويد صواريخ سكو دالتي التي تشكل حزام منها حلقة حماية حول القاهرة وسد أسوان «برؤوس نووية» وأوعز ايضاً إلى المسؤولين في المخابرات السوفييتية بالحصول على معلومات تؤكد حدسه وتثبت القول الامريكي بتحضير اسرائيل لقنابل ذرية وذلك بواسطة اقمار التجسس السوفييتية حالاً. وبعد يوم واحد من رسالة الخط الأحمر تأكدت المخابرات الامريكية ان الرؤوس النووية السوفييتية غادرت قاعدة نيكولاييف البحرية باتجاه القاهرة حيث دخلت الناقلة التي تقل الرؤوس النووية البحر الأسود (وكانت فرقاطة وذلك لأن الاتفاقية الموقعة في مونتر ومن جميع الدول تنص على ضرورة ان تقوم السفن الأجنبية بابلاغ تركيا في خلال رغبتها بالعبور من مضيق البوسفور والدردنيل قبل سبع أيام من العبور) وعبرت هذه الفرقاطة الدردنيل وبحر مرمرة، والتقطت طائرات التجسس الامريكية صوراً لها وهي تعبر الدردنيل وفي ذلك الحين كانت دفة الحرب قد بدأت تميل لصالح اسرائيل نتيجة الثقل الامريكي والجسر الجوي الامريكي اللذين انقذا اسرائيل في اللحظات الاخيرة وعندما وصلت الفرقاطة السوفييتية إلى ميناء الاسكندرية كانت المخاوف التي انتابت البعض من لجوء اسرائيل إلى استخدام الاسلحة النووية «قد تلاشت تماماً» وفي ٢٥ تشرين الأول (اكتوبر) تم تركيب الرؤوس النووية في أماكنها فوق صواريخ سكود المصرية «ولكن في ذلك الحين» كانت مخاوف جديدة قد بدأت تلوح في الأفق وهي محاولة بعض الضباط المصريين ونتيجة ضغط اسرائيل على مصر بشدة استخدام هذه الصواريخ في ضربة وقائية للدفاع عن مصر وبنفس الوقت أظهرت أجهزة الاستكشافات الامريكية الموجودة في القواعد الامريكية بتركيا. ان السوفييت بدأوا بنقل جزء من قواتهم إلى الباب الخلفي للشرق الأوسط عند حدودهم مع بلغاريا وتركيا وايران ودعا الرئيس نيكسون إلى «استنفار عسكري

عالمي» كتحـذير ضد اي تصعيد في الحرب. والباقي اصبح جزء من التاريخ. ويقـول التقرير الامريكي انه ما لا ريب فيه ان الاتحاد السوفييتي سحب رؤوسه النووية فيما بعد بهدوء لأن صواريخ سكود واجهزة الدفاع الجوي الأخرى تكفي مصر للدفاع عن اجوائها من الهجمات الجوية «العادية». وفي نفس الوقت يقول التقرير الامريكي ان رؤوس اسرائيل النووية التي يقدر عددها بثمانية ظلت مخزونة في مستـودعـاتهـا في النقب. واذا كان كل ذلـك يفسح مجالاً للتفكير حول قوة الاسلحة التي لا تستخدم لأن الانتصار بالحروب الدبلوماسية ليس بخوض الحرب في ساحـة المعارك وانما بامتلاك «أو التظاهر بامتلاك الاسلحة الرادعة» فإنه من ناحية أخرى يشير التقرير الامريكي إلى عدة احتمالات سلبية هذا اذا لم نقل ما هو أسوا.

فماذا لو كانت اسرائيل تكذب وتخدع كعادتها. ان علماء الذرة يتفقون على انه من السهل «خداع» كاميرات التجسس والأجهزة الالكترونية اذ يمكن تحضير هياكـل تشبـه الـرؤوس النـووية والأجهـزة المصاحبة لها كالحاويات والحاملات والناقلات، وإحاطتها بنفس الاجراءات الأمنية التي تحاط بها الرؤوس النووية وهذه الأمـور يمكن ان تقوم بها الدول (كما تقوم بها استوديوهات السينما في هوليود) يضـاف إلى ذلـك ان طائرات التجسس دمكن ان تلتقط حداً معيناً من الاشعاع موجـوداً في البيئـات العـادية بقدر ما هو موجود في القنبلة الذرية. ويؤكد بعض المسؤولين في المخـابـرات الامريكية إلى ان اسرائيل كانت تخدع لأن طائرات التجسس البلاك بيرد لا تستطيع التقاط الأشعة النووية من العلو الشاهق الذي تطير فيه وان هذه الـطائـرات «اعتمـدت» على كاميراتها فقط وان الصورالتي التقطت للرؤوس النووية لا يمكن التأكد منها إلاّ بالنظر ولذلك أخذت النظرية القائلة بأن اسرائيل كانت تخدع الجميع.

وفي القسم الثاني من التقرير يقول الرئيس نيكسون بالذات لدايفيد فروست الصحفي المشهور انه أمر بالاستنفار العام ١٠٠٪ بسبب قرار بريجنيف تحريك وحدتين سوفييتيتين من جانب واحد (الصحيـح ان موسكو حركت سبع وحدات) وبالرغم من ان دايفيد فروست لم يكن يحصل في ذلك الحين على المعلومات الكافية بحيث يثير قضية الرؤوس النووية ولكن نيكسون الذي كان حذراً ويتلمس

على الطائرة الامريكية وصله كذلك عبر اللاسلكي. اذن فالاتصالات الصوتية في هذه الحالة تعني «افتراضاً عسكرياً» دعوة الطائرة الامريكية إلى الابتعاد عن المنطقة وهذا ما حصل فعلاً. هذا ما افترضه التقرير الامريكي ووافق عليه اثنين من خبراء الفانتوم لكن هذا يرتبط بقضية أخرى. ففي عام ١٩٦٧ أقدم الاسرائيليون على ضرب سفينة التجسس «ليبرتي» التي كشفت التكتيك الاسرائيلي في تضليل المعلومات. إضافة إلى ذلك فإن حادث طائرة التجسس الالكترونية (الطائر الأسود) من الوجهة التاريخية كان سيجعل السيناريو أقل هلاكاً (طياران لـ ٣٤ بحار قتلوا على ظهر ليبرتي) لكنه اكثر إثارة.

رد فعل الولايات المتحدة بعد طبع الصور الذرية:

بعد وصول الصور الذرية من قاعدة نيل اير في كاليفورنيا إلى واشنطون - البيت الأبيض والمخابرات المركزية الامريكية وعلى الفور دعي إلى اجتماع عاجل في واشنطون حضره عدد كبير من أعضاء مجلس الأمن القومي وواجه المجتمعون وضعاً طارئاً كالذي يواجهه البنتاغون عادة في لعبة الأمم. هذه المرة الاجتماع كان حقيقياً.. صدّق المجتمعون صور طائرة التجسس وافترضوا افتراضاً ان اسرائيل لكي تحمي نفسها من الاستسلام ستقصف بالقنابل الذرية القاهرة أو الاسكندرية أو دمشق. فماذا سيحدث بعد ذلك. انه قانون غير مكتوب فالاستراتيجية النووية تقول ان أية ضربة، سيكون رد الفعل عليها، ضربة معاكسة أقوى أو تساويها في القوة على الأقل. وعلى هذا الأساس فإن الاتحاد السوفييتي سيقذف بالقنابل الذرية فوراً تل أبيب أو حيفا وقد تمحى اسرائيل كلها من الوجود لأنها تساوي بالمساحة مدينتين نغازاكي وهيروشيما اليابانيتين ويكون القصف الذري السوفييتي لمنح الحماية لأصدقائه في المنطقة وحسب الاتفاقات الجارية المفعول وقد انتقلت اخبار القنابل الذرية إلى الكونغرس فوصلت درجة الحرارة إلى الغليان. فالولايات المتحدة يجب ان تتدخل «لأن الحرب العالمية اصبحت على الأبواب» وكان رأي وزارة الدفاع ان الرد على أي ضربة نووية اسرائيلية يجب ان يكون «محلياً» أي يجب ان يأتي من دول عربية وليس من دولة كبرى كروسيا كما يفضل

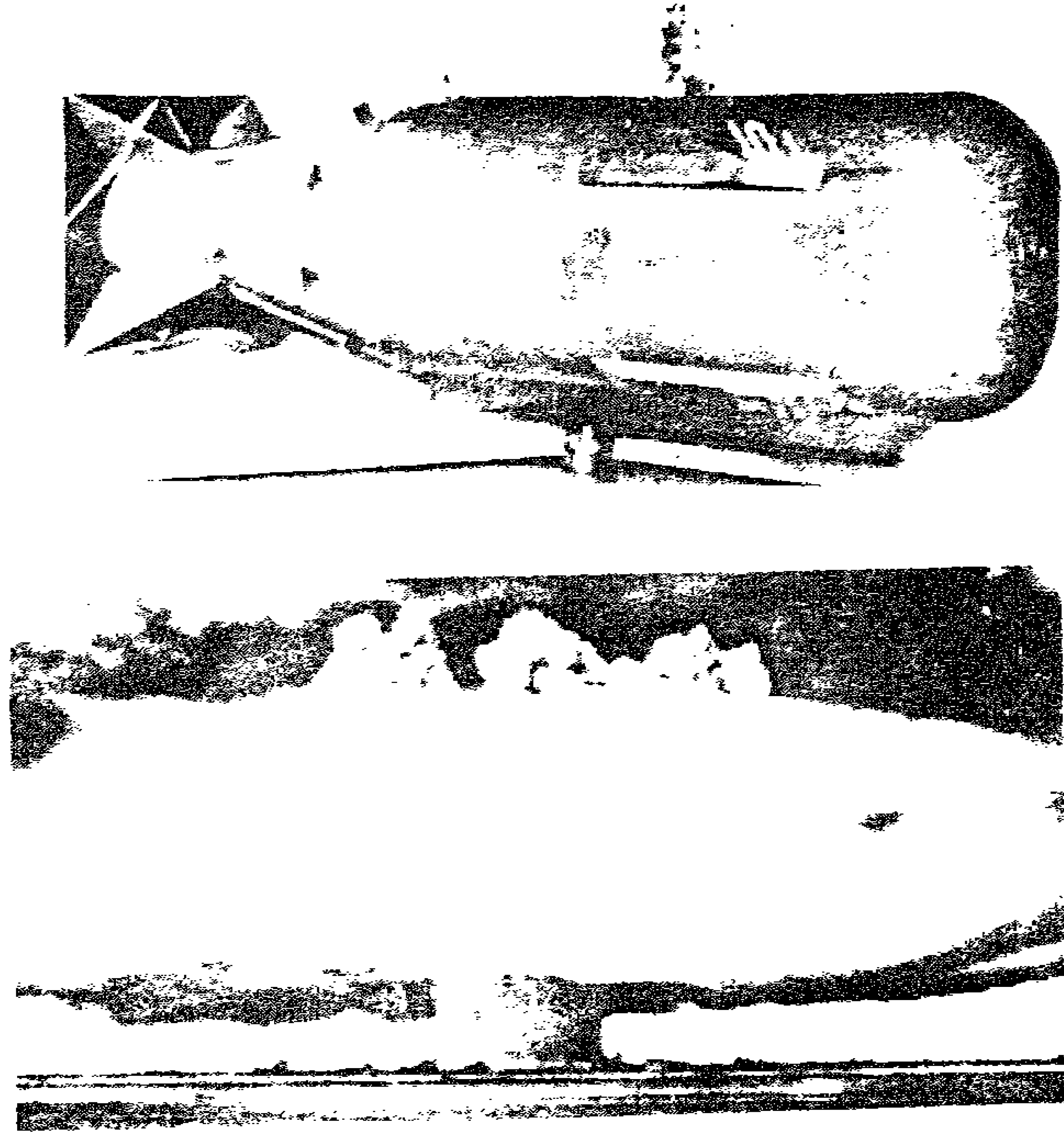
البنتاغون ان تكون ضربة الردع أو الضربة المعاكسة لاسرائيل من مصر المعتدلة وليس من «سوريا» المتشددة. ومن المهم القول ان اسرائيل التي اشترت تكنولوجيا الـذرة من فرنسـا لم توقـع على معـاهـدة عام ١٩٧٨ للحد من انتشار الاسلحة الاستراتيجية في حين ان الدول الكبرى الثلاث التي وقعت على المعاهدة وهي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبريطانيا تحاول منذ ذلك الوقت سد الثغرات في المعاهدة كهذه الثغرة. ووفقاً للمادة «١١١» من المعاهدة الموقعة في واشنطون يوم ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ بين الـولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي فهذا الشأن حيث يتعهد كل جانب بابلاغ الجانب الآخر، وعلى الفور بأي جسم غير معـروف تلتقطه اجهزة الانذار المبكر أو أقمار التجسس في أرض الطرف الآخر خاصة اذا كان هذا «الاكتشاف» من شأنه ان يحمل بين طياته خطر اندلاع حرب نووية بين البلدين. وتوجب المادة السادسة من المعاهدة الطرفين إلى استخدام خط الاتصالات المباشر أو ما يسمى «الخط الساخن» الذي يستخدم التلكس عبر القمر الاصطناعي.

وفي ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٧٣ وقـع الامريكيون والسوفييت في واشنطون اتفاقية اخرى لمنع نشوب حرب نووية وتقول المادة الرابعة من هذه الاتفاقية «اذا هددت العلاقات بين دول غير موقعة على هذه الاتفاقية بنشوب حرب نووية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أو بين أي منهما ودول أخرى فإن الاتحاد السوفييتي أو الولايات المتحدة سيجريان على الفور مشاورات عاجلة لاتخاذ كل اجـراء ممكن لتفـادي هذا الخـطر. اذن فالحروب النووية «بالوكالة» في الشرق الأوسط لم تكن بعيدة عن أفكار الدكتور كيسنجر والسفير اناتولي دوبرنين عندما أقرا نصـوص هذه الاتفـاقية. لكن التـزامـات الولايات المتحدة بهذه الاتفاقية كانت واضحة عندما وصلت إلى واشنطون التقارير والصور الخاصة من طائرة التجسس الالكترونية (الطائر الأسود) عن اسرائيل.

رد فعل الاتحاد السوفييتي:

توقف الخط الأحمر (الخط السـاخن) عن بث الامثـال وعبـارات التحية

طريقه وسط حقول ألغام ذاكرته تحدث عن «العامل النووي» في النزاع مع موسكو. . ولم يذكر نيكسون اسم اسرائيل صراحة ولكنه قال متعمداً الغموض «ان الاستنفار النووي هدفه اقناع هذه الدولة . ؟ بتصميم امريكا». فهل كان دايان هو أول شخص منذ ايزنهاور في كوريا عام ١٩٥٣ يفكر بضربة نووية وهل كانت غولدا مائير تتشبه بصقر في هذه القضية كما هي في القضايا الأخرى لكي تثبت ان زعيمات العالم النادرات ومنهن تاتشر الآن التي تتمسك بالاسلحة النووية لسن أقل صلابة من الرجال؟ واذا استبعدنا قضية الخداع الاسرائيلي أي يفترض التقرير الامريكي ان اسرائيل تملك اسلحة نووية فنجد ان احداث حرب اكتوبر تنسجم مع كل ما يخشاه الناس عندما يتحدثون عن الاسلحة النووية وهو «اندلاع» حرب عالمية ثالثة نتيجة أي موقف معقد أو تهور أو تسرع أو خداع قاتل مثل خداع اسرائيل .



(بدون تعليق)

اسرائيل تدفع الملايين للاعلام الغربي لنشر الاخبار عن نشاطها النووي:

● نحن نعلم ان لدى اسرائيل مفاعل نووي ولكن ليس له انتاج كما أدعت في هذا الفصل وسائل الاعلام فيها. ومن الأدلة (غير ما ذكرنا) موضوع جديد عن عمليات القرصنة الاسرائيلية واستهتارها بحرمة الدول الكبرى وهو موضوع اختطاف المهندس النووي الاسرائيلي (مردخاي زعنونو) من وسط لندن عاصمة بريطانيا العظمى كما كانوا يقولون ولم تحرك بريطانيا ساكناً وصمتت على مضض.نتيجة اطلاعها على استخفاف اسرائيل بجميع الأعراف الدولية والعادية وقضية هذا المهندس النووي الاسرائيلي بسيطة جداً فقد قدم طوعاً ومن تلقاء نفسه وهو في لندن عاصمة الضباب والهايد بارك والشذوذ إلى جريدة «الصنداي تايمس» ٦٠ ستون صورة عن المفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونا لقاء مبلغ جيد من الجنيهات الاسترلينية وحينما وصل الأمر إلى اسرائيل ومن ورائها المخابرات الاسرائيلية (الموساد) تقررت إعادة[1] زعنونو إلى اسرائيل «لمحاكمته» كما يقولون وانما الصحيح إعادته لتصفيته ليكون عبرة لمن يتجرأ ويتجسس على النشاط النووي في اسرائيل. عمدت المخابرات الاسرائيلية لاختطافه من قلب لندن واعادته قسراً إلى اسرائيل بطائرة خاصة كانت تقف بالانتظار في مطار هيثرو البريطاني. والدليل الآخر الجديد دليل مزيف مثل دليل صور طائرة التجسس (أس ـ أر ـ ٧١) فقد دفع الاعلام الاسرائيلي بتاريخ الأول من أيار (مايو) ١٩٨٧ إلى «مجلة الاويزرفر» البريطانية التي نشرت الخبر الآتي:

● علم من مصدر في المخابرات الامريكية ان اسرائيل تقوم حالياً (أي في شهر أيار (مايو) ١٩٨٧) بتطوير رأس نووي لتركيبه على صاروخ (أريحا ـ ٢» الذي

---

(١) مردخاي زعنونو /أو/ فانونو/ وهو مهندس فنيْ اسرائيلي ـ شيوعي من مواليد ١٩٥٣ ـ أعادته المخابرات الاسرائيلية من لندن بطريقة التخدير والخطف وقد بدأت محاكمته في اسرائيل وسننشر قصته كاملة عندما نحصل عليها ونترجمها بصورة خاصة إلى الجزء الثالث من موسوعة المخابرات والعالم..

يستطيع الوصول إلى عواصم عربية[1] وقال الخبر ايضاً في طياته الدسوسة:

● لقد أجريت تجربة يوم ١٦ أيار (مايو) لصاروخ «أريحا ـ ٢» قطع خلالها مسافة ٩٦٠ كيلو متراً أي ضعفيّ المسافة التي قطعها سابقاً وفي التجارب الماضية.

(انتهى خبر الاوبزرفر)

ونعـود لنشـاط الاعـلام الاسرائيلي ومن ورائه المخابرات والدولة «تغذيه» بألوف الدولارات فنجد ان صحيفة «ديفنس ريفيو» السويسرية التي تصدر في جنيف قد نشرت في عدد تموز (يوليو)ان اسرائيل قامت في شهر أيار (مايو) بتجربة صاروخ من نوع أريحا وان تجربة ثانية لنفس الصاروخ ستجري قريباً بعد تطويره ليقطع مسافة (١٤٥٠ كيلو متراً) تتيح له الوصول إلى عواصم عربية بعيدة (وهنا القصد من دسّ هذا الخبر) وقواعد بحرية سوفييتية رئيسية في البحر الأسود. وهنا القصد الأكبر من خبر المجلة السويسرية وهو «تهديد» مبدئي مبطن للاتحاد السوفييتي. ونحن نسأل.. لماذا تطلق وتروج اسرائيل هذه الأخبار عن نشاطها النووي في هذا الظرف بالذات.. لماذا تطلق اسرائيل الشائعات في كل اتجاه حتى الاتحاد السوفييتي لم ينج من تهديدها. ومع ذلك فإن اسرائيل ترفض الاعتراف بالرؤوس النووية وانتاج صاروخ (أريحا ـ ٢) علناً ولكنها دائماً ورسمياً من وراء تسريب الأخبار هذه لغرض في نفسها.



---

(١) لماذا لا نعامل العدو الاسرائيلي على مبدأ (العين بالعين) فلدينا إعلام ولدينا انشطة عسكرية هامة يمكن النشر عنها ولو في صحفنا العربية لأن اعلام اسرائيل «يطّلع» على هذه الصحف وخير دليل هو هذا الخبر الذي دسّته المخابرات الاسرائيلية إلى الابزورفر البريطانية. (وعنا لأمر المسؤولين)..

فصل خاص

عن

عمليات الاغتيال من بعد..؟

إعتماد المخابرات المعادية

للتفجير باللاسلكي

أحدث

ما توصلت اليه الحرب السرية

في عالم المخابرات

عمليات الاغتيال عن بعد بالتفجير اللاسلكي هي آخر ما توصلت اليه الحرب السرية الدائرة بين اجهزة المخابرات في العالم

تقنية العملية بالنسف لاسلكياً وعن بعد بالتفصيل:

● المخـابرات الاسرائيلية لم تترك وسيلة من الوسائل الجهنمية والمدمرة واللاأخلاقية ضد المقاومة الفلسطينية وأخيراً استخدمت هذه المخابرات عمليات التفجير بالـلاسلكي وعمليات التفجير الكـلاسيكية في حربهـا المعلنة ضد قادة المقـاومـة الفلسطينية في لبنان والخارج وقد استطاعت في بعض هذه العمليات تحقيق اهدافها وفشلت في بعضها الآخر فما هي التقنية الحديثة لعمليات الاغتيال باللاسلكي والتفجير الكلاسيكي عن بعد وكيف يتم ذلك:

عملية التفجير باللاسلكي تعتبر إحدى أحدث وأخطر وسائل الحرب السرية التي تستخدم فيها أسلحة غير تقليدية كالطائرات والغواصات والمدفعية والجيوش الجرارة. والحرب السرية التي اعتمدتها المخابرات الاسرائيلية يطلق عليها اسم «حرب الأشباح» وهي التي تعتمد على التفجير عن بعد بواسطة اللاسلكي كإحدى الوسائل الفعالة للقضاء على الخصم دون الحاجة لمواجهته مباشرة ولضمان فاعلية وأمان أكبر لكنها عملية اكثر تعقيداً من الوسائل الأخرى كعمليات التفجير العادية السلكية مثلاً لأنها تحتاج إلى مراقبة مسبقة وإلى تحديد خط سير الخصم بل وأدق التفاصيل المتعلقة بتنقلاته. والتفجير باللاسلكي أو التفجير الموجّه عن بعد وسيلة عملية وفعـالة من وسائل المخابرات في الحرب السرية وتمتاز هذه الوسيلة بأنها «تضمن» أمن المنفـذين بوجـودهم بعيدين عن مكـان التفجير كما تضمن وقوع

الانفجار في اللحظة المناسبة التي يكون فيها «الهدف» ضمن مدى وتأثير وضرر الانفجار وهذا ما يميزها عن عملية التفجير بالتوقيت التي تستخدم لضرب الأهداف المتحركة كما الثابتة أو الأشخاص الذين لا يتواجدون في الأهداف الثابتة بشكل دائم أو منتظم ويبدلون بانتظام واستمرار أوقات قدومهم إلى مكان التفجير أو خروجهم منه الأمر الذي يجعل من المتعذر استخدام المتفجرة الموقوتة ضدهم.

والآن يجب ان يعرف القاريء مم يتألف نظام التفجير عن بعد «التفجير باللاسلكي» وهذا النظام يتألف من ١ ـ جهاز لاسلكي مرسل يبث موجات لاسلكية ذات ترددات معينة ووفق شيفرة خاصة وهو جهاز اكثر تطوراً واحكاماً. ويشمل النظام ايضاً من ٢ ـ لاسلكي مستقبل يعمل على ترددات الجهاز المرسل «ذاتها» ويقوم بتحليل الموجات المستقبلة واستبعاد الموجات اللاسلكية غير المرغوبة (كموجات الارسال الاذاعي والموجات الأخرى الموجودة في الجوء وعلى ترددات الجهاز المرسل) وعندما يتلقى الجهاز المستقبل الاشارة اللاسلكية وفق الشيفرة المحددة فيحوّلها إلى جهد كهربائي يؤدي إلى تفجير الصاعق الكهربائي المتصل مع الجهاز.

٣ ـ عبوة ناسفة أو قذيفة.

٤ ـ صاعق كهربائي موجود داخل العبوة الناسفة أو في جهاز إشعال الحشوة الدافعة للقذيفة ومربوط مع الجهاز المستقبل.

٥ ـ فخ لمنع فك الجهاز المستقبل أو العبوة الناسفة في حال اكتشافها.

٦ ـ راصد يستطيع رؤية الهدف[1] وتحديد لحظة وصوله إلى المنطقة المحددة ويكون على اتصال مباشر مع حامل الجهاز المرسل سواء كان الاتصال لاسلكياً أم هاتفياً أم بالنظر أم بأية وسيلة ضوئية أخرى «ليلاً».

وتبدأ عملية التفجير اللاسلكي وتشغيله بالاعداد برصد الهدف المراد ضربه بتحديد الأماكن التي يتواجد فيها واختيار المكان الأنسب بغية زرع العبوة الناسفة والجهاز المستقبل. ولكن تحديد المبنى فقط لا يكفي لضمان إصابة الشخص المستهدف حتى ولو زرعت العبوة أو الجهاز المستقبل في مكتبه. لأن هذا

---

(١) ننصح رؤساء اجهزة الأمن بصورة عامة بالتنبيه على حراسهم وحراس جميع الشخصيات السياسية ورؤساء المنظمات بعدم السماح لأي انسان بالوقوف أمام أو بجانب مراكزهم لعله يكون «راصد» لعملاء أو مخابرات معادية...

الشخص قد يشاهد من قبل الراصد وهو يدخل المكتب ولكنه لا يتوجه بالضرورة لمكتبه إذن لابد من زرع عميل داخل المبنى يستطيع تحديد اللحظة التي يدخل فيها الهدف إلى مكتبه. أو وضع راصد في مبنى مجاور يشرف على رؤية نافذة الهدف ويستطيع بواسطة اجهزة الرؤيا المكبرة (المنظار) رؤية الهدف وهو يدخل مكتبه ويجلس فيه ومن طرق التأكد من وجود الهدف في مكتبه الحصول على رقم هاتفه الشخصي والمباشر أي انه يرد بنفسه على المكالمة الهاتفية حين ورودها والاتصال معه على هذا الرقم بحيث يكون وجوده أثناء لحظات مخاطبته بالهاتف مضموناً حتى ولو كان الشخص المستهدف. ومن المؤكد ان الحصول على رقم المقسم الهاتفي لا يؤدي الغرض المطلوب لأن الاتصال عن طريق المقسم مع الشخص المستهدف لا يعني بالضرورة ان هذا الشخص موجود في مكتبه فقد يكون في قاعة الاجتماعات أو في غرفة ثانية فيتم تحويل المكالمة إليه. أما الذين لهم عادات ثابتة (تعرف عادات الهدف بعد مراقبته الدقيقة) لا يغيرونها كأن يتوجهوا فوراً إلى المكتب فهؤلاء يمكن اصطيادهم مباشرة بد دخولهم البناية وبعد حساب معين ودقيق للوقت الذي يستغرقه لوصوله إلى غرفة مكتبه. بيد ان التدابير الأمنية المتخذة في المباني العسكرية والمؤسسات الرسمية كتفتيش الداخلين وحراسة المبنى جيداً خاصة المدخل وفحص المكاتب دورياً. . تجعل عملية وضع العبوة الناسفة + الجهاز المستقبل داخل مكاتب الأشخاص المستهدفين صعبة إن لم تكن مستحيلة «إلا» في الحالة التي يتآمر فيها مع المنفذين «عنصر» يستطيع دخول المبنى بدون تفتيش أو احراج.

لذا تم التوجه نحو استخدام القذيفة العادية أو الصاروخية التي يمكن تركيزها في مبنى مجاور (مثل حادثة قصف مبنى منظمة التحرير السابق في كورنيش المزرعة - بيروت - سابقاً من المبنى المقابل) والتسديد على غرفة الشخص المستهدف ثم الاطلاق لاسلكياً عندما يتم التأكد من وجوده في مكتبه.

وقد كان للتدابير الأمنية المطبقة لحراسة مقرات القيادة والمكاتب الهامة ومن بينها التحقق من هوية ومعرفة السكان المحليين القاطنين في المباني المطلة على هذه القيادات والمكاتب الأثر الفعال للتخلص من هذا الخطر لذا ظهر الاهتمام بدرسة الطرق والمسالك التي يتبعها الشخص المستهدف لزرع العبوة الناسفة في طريقه مع الجهاز اللاقط المستقبل سواء داخل سيارة متوقفة على جانب الطريق أو

سيارة تترك تحت الجسر الذي يمر عليه الهدف المقصود أو وضع العبوة والجهاز على صخرة أو شجرة على جانب الطريق وعندما يكون المقصود من العبوة الناسفة أي من انفجارها هو احداث «بلبلة وهلع فقط» في المنطقة المعادية فانها توضع عادة في حاوية القمامة.

بعـد تحديد الوسيلة المنوي استخدامها يتم اختيار مكان الجهاز المرسل ضمن حدود مدى عمله من (١) كيلو متـر إلى عشر كيلو مترات مع الأخذ بعين الاعتبار تناقـص المدى في الأراضي المتعرجة والغابات والمناطق المبنية التي تعيق انتشار الموجات اللاسلكية وتجري تجارب ضرورية في مناطق مماثلة للتحقق من صلاحية سير حركة الجهاز على المدى المطلوب للعملية.

ملاحظة هامة:

لا يستخدم الصاعق والعبوة الناسفة ولا أي نوع من أنواع المتفجرات عند الاختبار بل يستخدم مصباح كهربائي يوصل بالجهاز المستقبل فإذا أضاء المصباح عنـد إعـطاء الاشارة من المرسل، كان ذلك دليلاً على ان المسافة بين المرسل والمستقبل مناسبة وان طبيعة الأرض جيدة ولا تعيق انتشار الموجات اللاسلكية.

● اختيار مكان وقوف الراصد:

يتم اختيار مكان الراصد بحيث يستطيع رؤية الهدف والاتصال مع الجهاز المـرسـل وقـد يكون مكان الراصد في الأراضي المكشوفة بعيداً جداً عن مكان التفجير ويزوّد بهـذه الحـالة بمنظار مكبّر لكشف الهدف عن بعد وهناك حالات تسمح فيها طبيعة الأرض برؤية الهدف من مكان المرسل وفي هذه الحالات يكون الـراصـد وعـامل الجهاز المرسل في مكان واحد وقد يكون الراصد مكلفاً أيضاً بتشغيل الجهاز المرسل أما في الغابات والأراضي المتعرجة والمدن فمن الضروري ان يكون مكان الراصد قريباً من مكان الجهاز المرسل وان يؤمن الاتصال مع عامل الجهاز المرسل لاسلكياً أو بأية اشارة ضوئية واذا كان المبنى المشرف على مكان

التفجير بعيداً نسبياً وامكانية التسلل منه سهلة فإن بالامكان وضع الراصد والجهاز المرسل في مكان واحد. ومن المفضل وضع الراصد في المدن داخل سيارة تقف على الطريق وخاصة اذا كانت التدابير الأمنية تمنع وجوده داخل أحد المباني المشرفة على مكان التفجير وفي هذه الحالة أيضاً يكون الراصد هو نفسه عامل تشغيل الجهاز المرسل ولكن لهذه الحالة سلبياتها وذلك لعدم سهولة الهرب بالسيارة بعد التفجير لما قد يحدث من ارتباك وحوادث سير وتطوق مناطق ولهذا يوصى بترك السيارة (وتكون بدون أرقام أو بأرقام مزورة) حين لا يمكن الهرب بها. كما يمكن ان يكون الراصد شخصاً يقف على الطريق في نقطة يرى منها مكان التفجير ويراه أيضاً مشغّل الجهاز المرسل الموجود في مبنى آخر لا يشرف على مكان التفجير ولا تطاله بالتالي التدابير الأمنية المتخذة لمراقبة المباني المشرفة على مكان التفجير وفي هذه الحالة يرصد الراصد حركة الهدف ويرصد عامل جهاز الارسال الراصد وعندما يصل الهدف إلى مقربة من العبوة الناسفة يقوم الراصد بحركة متفق عليها (كأن يضع يده اليمنى على رأسه أو يحك ذقنه) وتكون هذه الحركة بمثابة الأمر الفوري لتشغيل الجهاز المرسل وتشمل العملية من أولها ما يلي:

أولاً - حساب المدة الزمنية التي تفصل بين لحظة إعطاء الراصد اشارة التنفيذ وقيام عام الارسال بتشغيل الجهاز المرسل (عدة ثوان) وحساب المسافة التي تقطعها الآلية - الهدف - خلال هذه المدة الزمنية وتعليم المكان الذي ينبغي على الراصد ان يعطي فيه الاشارة بحيث يتم التفجير في لحظة وصول الآلية الهدف إلى جانب العبوة الناسفة.

ملاحظة هامة:

ان الخطأ في هذا الحساب قد ينقذ الهدف خاصة عندما يكون قد تجاوز مدى تأثير الانفجار أو يحصل الانفجار قبل وصول الهدف.

ثانياً - زرع العبوة الناسفة في المكان المنحدد (مكتب، أو سيارة على جانب الطريق) وتطعيمها بالصاعق الكهربائي.

ثالثا ـ زرع الجهاز المستقبل ووصوله بالصاعق الكهربائي.

رابعـاً ـ فتـح الجهاز المستقبل وتعييره على التردد ليكون جاهزاً لاستقبال الاشارات اللاسلكية من الجهاز المرسل.

خامساً ـ فتح شبكة الاتصال بين الراصد والجهاز المرسل مع الحفاظ على الصمت اللاسلكي.

عنـد وصول الهدف إلى جانبِ مكان العبوة الناسفة إذا كان راجلًا أو قبل وصوله بعدة أمتار إذا كان راكباً فيعطي الراصد الاشارة المتفق عليها فيقوم عامل التشغيل ببث الموجات اللاسلكية على التردد المحدد، فيستقبلها الجهاز المستقبل ويحولها إلى شرارة كهربائية تفجر الصاعق ومن ثم العبوة الناسفة، أو القذيفة.. حيث تتم العملية.. وينسحب الراصد بهدوء من نقطة الرصد.

ويمكن القــول ان هذا الاسلوب من الحـــرب الســرية القـذرة قد اتقنتـه المخـابـرات الاسرائيلية ونفذته بواسطة بعض عملائها الذين ارسلتهم بمختلف الطرق إلى بيروت والبعض الآخر من العملاء المحليين «مع الأسف» من داخل بيروت ولا نريد تحـديد اسماء وتبعية الأشخاص الذين جرى تدريبهم على هذه العمليات في مدرسة المخابرات الاسرائيلية في تل ابيب كما لا نريد التوسع في شرح اسباب وجود الكثير من الضباط المختصين بالمتفجرات والاغتيالات التابعين للمخابرات الاسرائيلية في لبنان كما نعترف بما يعرفه الجميع من وجود تنظيمات أخرى في لبنان قد توصلت إلى استعمال طريقة الأغتيال بالتفجير اللاسلكي ونحن ننادي بمنع والامتناع عن هذه الطريقة القذرة من قبل جميع الأطراف لأنها طريقة تتسم بالخسة والغدر وقتل الابرياء الذين يتواجدوا في أمكنة التفجير الغادر وهذه عينة من هذه التفجيرات الغادرة التي جرت في لبنان:

١ ـ جرت ثلاث عمليات تفجير باللاسلكي ضد آليات لقوات الردع العربية على طريق بيروت ـ دمشق ومنها عملية غادرة للمخابرات الاسرائيلية ضد باص نقل للمجازين من القوات العربية السورية في قوات الردع العربية.

٢ ـ جرت عملية تفجير بالـلاسلكي بوضـع عبـوة ناسفـة في سيارة المنـاضل الفلسـطيني غسان كنفاني الذي انفجرت به سيارة في منطقة الحازمية في بيروت عام ١٩٧٢ مما أدى إلى استشهاده.

٣ - جرت عملية اغتيال المناضل الفلسطيني «أبو حسام» مسؤول العمليات في قطاع غزة الذي استشهد بالطريقة ذاتها في حزيران (يونيو) ١٩٧٥ في محلة وطى المصيطبة من بيروت.

٤ - فشلت عملية اغتيال بالتفجير اللاسلكي على طريق عرمون جنوبي بيروت ضد أبو جهاد (خليل الوزير) المسؤول العسكري لقوات العاصفة ـ الجناح العسكري لحركة فتح وهذه العملية مدبرة ايضاً من قبل عملاء المخابرات الاسرائيلية.

٥ - نفذت المخابرات الاسرائيلية التي صرفت ملايين الدولارات لتعقب علي حسن سلامة ـ مسؤول الأمن في المقاومة الفلسطينية وأحد العائدين من عملية ستاد ميونيخ. عملية أودت بحياته في بيروت وكانت أول عملية تتم بالتفجير اللاسلكي بنجاح لاصطياد الهدف وكان هذه المرة هدفاً غالياً على المقاومة الفلسطينية وعلى زوجته السيدة جورجينا ملكة جمال العالم في حينه.

● وبعد عملية اغتيال الشهيد علي حسن سلامة جرت محاولتا اغتيال بطريقة التفجير باللاسلكي ولكن ليس ضد شخصيات فلسطينية هذه المرة. العملية الأولى كانت ضد السيد أمين الجميّل نجل رئيس حزب الكتائب بيار الجميّل على طريق بكفيا في جبل لبنان ولم يكن قد انتخب رئيساً للجمهورية اللبنانية ومن مفارقات القدر اغتيال شقيقه بشير الجميّل ولكن بوضع متفجرة في الطابق الأرضي من مسكنه وكان قد انتخب رئيساً للجمهورية وبعد وفاته جرى انتخاب أمين الجميّل رئيساً للجمهورية وأيضاً تعرض الشيخ بيار الجميّل نفسه لعملية محاولة اغتيال بالتفجير باللاسلكي ولكنه نجا منها بأعجوبة وأصيب بجروح بسيطة ليموت بعد ذلك بشكل طبيعي وبعد انتهاء الأجل.

● بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٨٥ انفجرت عبوة ناسفة قدرت زنتها بأكثر من ١٥٠ كيلو غراماً بطريقة التفجير اللاسلكي أمام منزل الشيخ محمد حسين فضل الله الزعيم الديني المعروف في بيروت وقد سلم الشيخ فضل الله من هذا التفجير الغادر الذي أودى بحياة ثمانين شهيداً ممن لا ذنب لهم سوى مرورهم أو تواجدهم في لحظة الانفجار في المكان المستهدف لمرور الشيخ فضل الله منه. وقد علم

فيما بعد ان المخابرات الامريكية وراء التفجير بالتعاون مع عملاء محليين وذلك انتقاماً لعملية التفجير الانتحاري ضد قوات المارينز الامريكية.



الشيخ محمد حسين فضل الله . . ومحاولة الاغتيال الآثمة

جاسوسة حسناء تبحث عن علي حسن سلامة لصالح المخابرات الاسرائيلية:

● المخابرات الاسرائيلية كعادتها وكما شرحنا في هذا الفصل عن التفجير باللاسلكي لم تترك وسيلة لتعقب المناضلين الفلسطينيين إلا واتبعتها وقبل ان تتمكن هذه المخابرات من اغتيال علي حسن سلامة كلفت العديد من عملائها في مختلف أنحاء العالم للبحث عنه لاغتياله في أي مكان ومهما كلف ذلك. . والمصورة الصحفية الكندية الأصل باتريشيا روكسبورغ كانت من أبرز العميلات للمخابرابت الاسرائيلية في النرويج والتي كلفت بملاحقة ومراقبة الفدائيين الفلسطينيين في أوربا ومنهم في رأس القائمة (علي حسن سلامة) وكان ان قامت

مع بعض العملاء للمخابرات الاسرائيلية ايضاً باغتيال الطالب المراكشي «أحمد بوشيكا» خطأ وكانت تظنه أبو حسن. فقبضت عليها السلطات النرويجية مع زملائها في ارتكاب الجريمة وقدموا إلى محكمة الجنايات للمحاكمة بتهمة الاشتراك في جريمة من الدرجة الثانية عن سابق تصور وتصميم وهاجمها النائب العام النرويجي هجوماً عنيفاً وطلب لها اقصى العقوبات فوكلت المحامي النرويجي «إينوس شودن» الذي يعتبر من أبرز محامي النرويج في القضايا الجنائية فتولى الدفاع عنها. كانت باتريشيا تلفت الانظار إليها أثناء جلسات المحكمة وذلك بارتدائها القمصان الشفافة والبنطلونات الضيقة وتظهر مفاتنها كما انه كانت تتهرب بلباقة من اسئلة النائب العام وأعضاء المحكمة بوضعها شريط الميكروفون بين أسنانها وسكوتها. وقد تمكن محاميها من التخفيف عنها كثيراً حيث حكمت المحكمة عليها بالسجن لمدة خمس سنوات ونصف ونقلت إلى السجن المركزي للنساء في النرويج وكانت تمضي وقتها في السجن في التدريب على العزف على الغيتار ولكن كان يسمح لها بالخروج من السجن من مساء الأحد إلى مساء الاثنين لقضاء الويك أند مع محاميها الذي أسر قلبها فأصبحت عشيقته. والمحامي شودن طويل القامة جميل المحيا بطل حرب سابق عضو في مجالس ادارة عدد من الشركات النرويجية الكبرى. تابع هذا المحامي مساعدتها بعد الحكم عليها فاستخدم كل نفوذه لخدمتها حتى تمكن من اخلاء سبيلها من السجن بعد ٢٢ شهراً قضتهم من أصل الخمس سنوات ونصف وذلك «لأسباب طبية وانسانية» وعلى وجه الدقة «لضعف قلبها» فسافرت إلى اسرائيل حال الافراج عنها وودعها في المطار صاحب الفضل عليها وعشيقها المحامي شودن على أمل اللحاق بها لدى تفرغه.

في تل ابيب استقبلها مسؤول من المخابرات الاسرائيلية مرحباً ومهنئاً بالسلامة ومعترفاً لها بعملها وتضحيتها لهم وأنزلها في فندق خمسة نجوم وطلب منها الاستجمام والبقاء حرة طليقة بدون ارتباط معهم لمدة اسبوع لاراحة اعصابها وبعد الاسبوع زارها نفس الضابط وخيّرها بين العمل في اسرائيل أو العودة للعمل في اوربا انطلاقاً من جنوب افريقيا فاختارت العمل في اوربا وأبرقت إلى عشيقها المحامي شودن بأن يوافيها إلى جنوب افريقيا عوضاً عن حضوره إلى اسرائيل. في جنوب افريقيا تزوجت باتريشيا من محاميها وكان زواجها الأول وكان زواج الزوج للمرة الرابعة. وأصبحت عميلة المخابرات الاسرائيلية تدعى «مدام شودن» وعاد

العروسان إلى النروج وبعد السكن معاً في عش الزوجية توجه الزوج المحامي إلى السلطات النرويجية بطلب منح زوجته إقامة معه في النرويج ولكن هذه السلطات رفضت الموافقة على الطلب، فالقانون النرويجي يحرم الاقامة على الأجانب الذين سبق ان صدرت بحقهم في النرويج احكام جنائية واعطي الزوج مهلة عشرة أيام لمغادرة زوجته للأراضي النرويجية. مرة أخرى عادت باتريشيا تثير ضجة ولغطاً حول شخصيتها وقامت الصحف المعروفة بتعاطفها مع اسرائيل بالمطالبة لها بالاقامة ومن هذه الصحف مجلة «نا» الاسبوعية التي تساءلت باسم النرويجيين: «ألا نؤمن نحن النرويجيين.. بالحب. اذن باسم الحب نطلب من السلطات السماح لهذه الزوجة «المحبة» بالبقاء. ولكن التنظيمات اليسارية نشطت في المقابل وقامت بحملة صحفية مماثلة مطالبة السلطات النرويجية بترك العاطفة الضارة جانباً وطرد هذه العميلة الصهيونية.

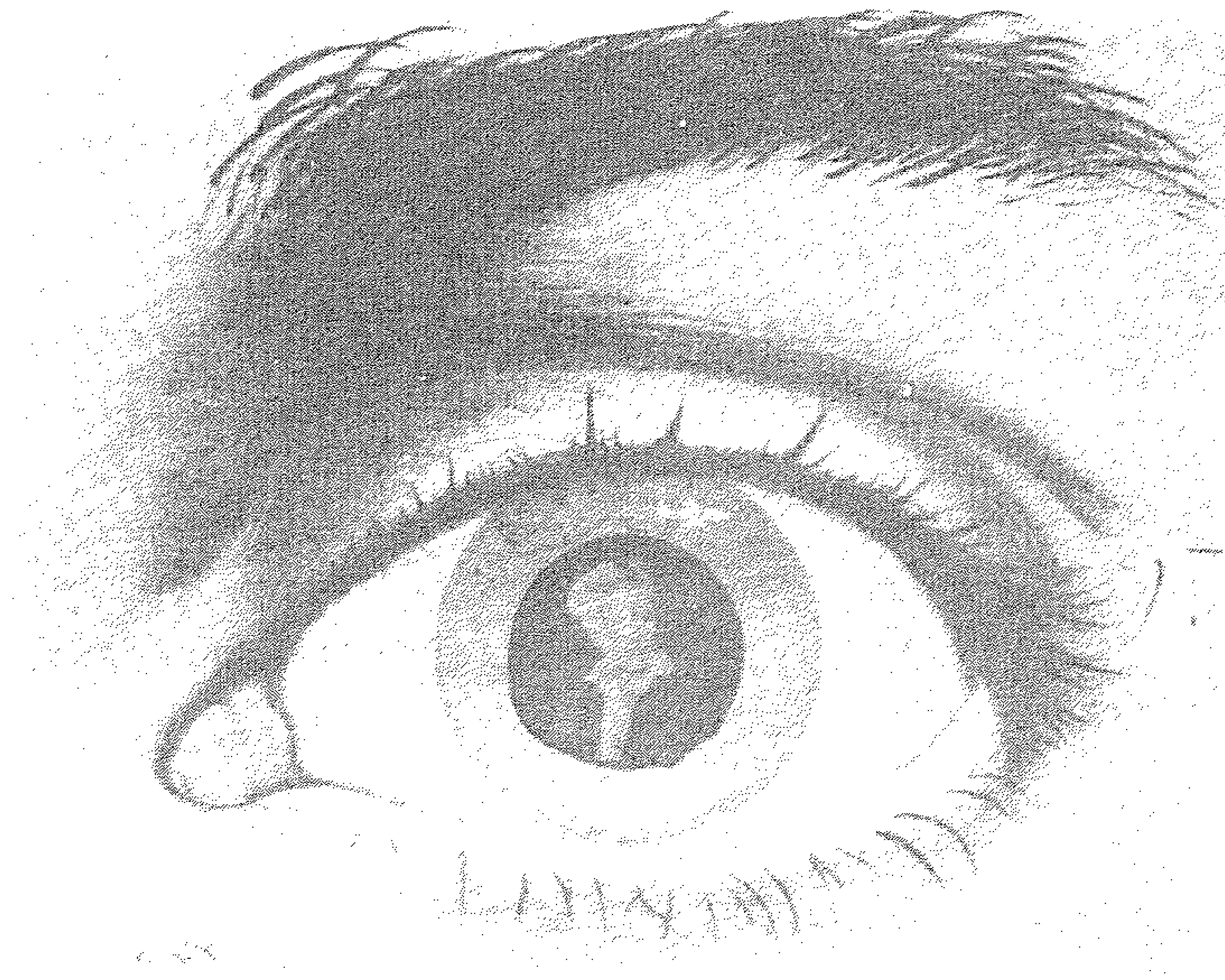
وصلت قضية باتريشيا عن طريق الصحف ما بين مؤيد ومطالب ومعارض رافض منحها الاقامة إلى «مجلس الوزراء» الذي كان له القول الفصل في الموضوع فأصدر وزير العدل النرويجي المستر «انجرلويز فالية القرار الآتي: ان السيدة باتريشيا شودن ـ التي تحمل اسم سيلفيا رافايل ـ ايضاً تعتبر غير مرغوب في بقائها على الأراضي النرويجية وتكلف الشرطة باخراجها واعلامنا خلال اسبوع فقط غير قابل للتمديد بأي حال ولأي سبب. خرجت باتريشيا من النرويج بعد ان ختمت الشرطة في المطار على جواز سفرها جملة أبعدت عن النرويج بأمر وزارة العدل. قال لها زوجها «المتيم» كما وصفته الصحف انه سيلحق بها اينما ذهبت. ولكن المخابرات الاسرائيلية لم تتركها فأعادتها إلى جنوب افريقيا حيث لحق بها زوجها إلى هناك ومن المؤكد ان للمخابرات الاسرائيلية أعمال هامة في جنوب أفريقيا حتى طلبت منها الانتقال اليها ولم يعرف بعد ذلك هل تكون جنوب افريقيا نهاية المطاف لعميلة المخابرات الاسرائيلية أم انها ستكون «محطة مؤقتة». إنها المخابرات.



معلومات تنشر لأول مرة

عن

دور المخابرات الاسرائيلية في حرب حزيران





رؤساء المخابرات الاسرائيلية

معلومات تنشر لأول مرة
دور جهاز المخابرات الاسرائيلية في حرب حزيران:

● مضى ربع قرن على حرب حزيران (يونيو) الغادرة التي شنتها اسرائيل ولا يزال هناك أسرار وأفعال حدثت اثناء هذه الحرب ولم يكشف عنها النقاب حتى الآن ونحن من قبيل الحرص على اطلاع القارىء على جميع الأسرار والأعمال الجاسوسية التي وقعت وتقع في العالم نقدم في هذه الموسوعة عن أعمال المخابرات في العالم لغاية الثمانينات لكي يكون هذا القاريء على بيّنة تامة مما جرى ويجري حوله ولذلك نعود بالقاريء بالزمن إلى الساعة التاسعة من صباح ١ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والمكان منزل ريتشارد هيلمز رئيس المخابرات الامريكية في حينه حيث يرن جرس الهاتف الخاص جداً به ذو الرقم (٥٥٢٤٣٦٩) وهذا الهاتف غير مدرج في قوائم هواتف المخابرات الامريكية ويتناول هيلمز السماعة فعرف على الفور الصوت القادم من الطرف الآخر وهو صوت «مئير عميت» رفيقه أيام الدراسة في جامعة كولومبيا الذي يعمل رئيساً للموساد «المخابرات الاسرائيلية» منذ عام ١٩٦٣ وعرف هيلمز «رئيس المخابرات الامريكية» من نغمة صوت صديقه ان المحادثة لم تكن حواراً ودياً أو مخابرة عادية للسلام والاطمئنان.

قال رئيس المخابرات الاسرائيلية عميث: انا مضطر كثيراً لرؤيتك واتحدث اليك من غرفة الهاتف في مطار واشنطون ولا أحد يدري انني هنا، فقد دخلت بالطائرة وانتهى الأمر. الأمر ملح وضروري جداً.

وبالرغم من المفاجأة فقد استعاد هيلمز رباطة جأشه بسرعة وأجاب بقوله:

انني مشغول جداً هذا الصباح باجراء بعض المقابلات الهامة (كان ريتشارد

هيلمز يعتبر نفسه رئيس الولايات المتحدة ومع الأسف لازمت هذه الفكرة أغلب رؤساء المخابرات).

فأكدّ له عميت الرجاء لضرورة مقابلته لأنه حضر خصيصاً لهذا السبب فأجابه هيلمز: لكني سألتقي بك في وقت متأخر هذا النهار واذا تمكنت انت أثناء ذلك من السفر إلى مقرنا في لانغلي فسوف أجعل بعض رجالنا يقابلوك، وسيبلغونني خلاصة الموضوع الذي حضرت لأجله قبل وصولي إليك اذا اخبرتهم به. فأجابه عميت على مضض. نعم، نعم، سأكون هناك.

● كانت زيارة مئير عميت غير العادية تمثل نقطة الذروة في الاضطرابات التي دامت عدة أسابيع في تل ابيب. فقد بقي الاتحاد السوفييتي طيلة الربيع وفي أوائل الصيف في عام ١٩٦٧ يشن حرب أعصاب ويحاولاقناع العرب بوصفه صديقهم والمصدر الاكبر للتسليح وتقديم النصائح في شؤون المخابرات لمصر وسوريا بان اسرائيل تعد العدة للقيام بهجوم شامل على الدول العربية وفي ١٣ أيار (مايو) ١٩٦٧ حذر السفير السوفييتي في مصر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من هجوم اسرائيلي وشيك الوقوع على سوريا كما أرسل السوفييت معلومات إلى سوريا ومصر عن حشد كبير لسلاح المدرعات الاسرائيلي في مرتفعات الجولان.

استجابت مصر لهذه التحذيرات باصدار الأوامر بتعبئة الجيش المصري على الفور ثم طار رئيس الأركان المصري محمد فوزي إلى سوريا للتخطيط للعمل المشترك وسرعان ما أصبح البلدان في حالة التأهب القصوى وأصبح اكثر من مائة ألف جندي مصري في سيناء متأهبين للقتال. كانت المسألة التي واجهت الزعامة الاسرائيلية بسيطة تمام:ء هل يعني ما يحدث ان سوريا ومصر تجاريان السياسة السوفييتية في التوتر الخاضع للسيطرة، أم انهما ترغبان في شن حرب شاملة.

هنا طلبت الحكومة الاسرائيلية من رئيس مخابراتها الجواب وبالسرعة الممكنة على هذا السؤال فوجهت المخابرات الاسرائيلية الضغوط إلى جميع العملاء السريين في اوربا والشرق الأوسط للحصول على أية معلومات مفيدة في الاجابة عن هذا السؤال.

في ٢٢ أيار (مايو) أمر الرئيس عبد الناصر باغلاق «مضائق تيران» وقد عنى ذلك في حينه سد طريق الملاحة الاسرائيلي الوحيد عبر البحر الأحمر إلى افريقيا وآسيا. وكان لهذه الخطوة تفسير وحيد بين قادة اسرائيل من عسكريين ومخابرات

وهـو: ان فرصة اسرائيل الوحيدة في التغلب على خصومها الذين يفوقونها عدداً وعُدداً تكمن في ان تكون هي «البادئة» بالهجوم. وهنا عارض مثير عميت رئيس المخابرات وجهة نظره بكل ما لديه من قوة على ليفي أشكول رئيس الوزراء، ولكن اشكول الحذر وبضغط من الولايات المتحدة التي طلبت منه التعاون في تخفيف التوتر بالطرق الدبلوماسية، وتردد وهو يحاول كسب الوقت فطلب من وزير الخارجية ان يدعو السفير السوفييتي في الكيان الصهيوني «زوبا خين» للقيام بجولة في مناطق الحدود للتأكد من ان اسرائيل لم تكن تعد العدة للحرب. رفض السفير السوفييتي هذا الطلب على الفور فوجد أشكول نفسه غارقاً في موجة شرسة من الاتهامات بصدد الهجوم الاسرائيلي المتوقع. وازدادت حدة تلك الهجمات حتى كاد اشكول الـدمث الطباع ان يفقد السيطرة على أعصابه وأدت فترة الانتظار هذه إلى خلق توترات واسعة المدى في اسرائيل، فقد تدنت معنويات الشعب الاسرائيلي وتعرض أشكول لحملة انتقادات عنيفة قامت بها الصحف وقام بها مستشاروه العسكريون الأكثر ميلاً إلى العنف، كذلـك ومن دلائل الاحباط في محيط مستشاري ذلك الحادث المثير الذي وقع في أثناء مؤتمر عقد في آخر شهر أيار (مايو) في مكتب رئيس الوزراء عندما وصل الجنرال أريل شارون إلى المؤتمر ومسدسه مشدود إلى خاصرته مثل أبطال السينما (غاري كوبر مثلاً) وعندما لفت رئيس الوزراء نظره إلى ان الوزراء لا يحملون المسدسات حتى ولو كانوا وزراء دفاع أو داخلية خاصة أثناء الاجتماعات. فرمى شارون مسدسه على طاولة قريبة وصاح بصوت مرتفع عندما دخل أشكول إلى قاعة الاجتماعات ولابد ان يكون قد سمعه:

ان كنت تظن اني استعمل المسدس لايقافك فأنت أحمق ليس عليّ سوى الصياح وسوف تولي الأدبار. مثل هذه الحادثة أدخلت الكآبة إلى نفس أشكول لأنه يعتبـر نفسـه لا يقـل وطنية عن أي من الجنرالات وهو إنما أراد السير في طريق المفاوضات ما أمكنه ذلك ولكن الأوضاع تردت وسارت من سيء إلى أسوأ ومما زاد الطين بلّة بالقياس إلى اسرائيل التحذير الذي وجهه الرئيس الراحل الجنرال ديغول إلى اسرائيل علناً بأن لا تقوم بمهاجمة العرب وكان لصدور هذا التحذير عن اكبر أصدقاء اسرائيل في العشر سنوات الماضية ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧ ومورد تسليحها الوحيد في حينه الأثر السيء ومدعاة لاثارة القلق البالغ للمسؤولين الاسرائيليين. وفي ضوء هذه الخلفية قرر مثير عميت رئيس المخـابـرات القـايم بزيارته السرية إلى واشنطون فقد

كان متأكداً من ان مفتاح النصر في الحرب القادمة هو في يد الولايات المتحدة، وكان متأكداً من ان أبا إيبان قد عجز عن اقناع الرئيس الامريكي جونسون بخطورة الموقف وكان يعتقد «كما صرح فيما بعد» ان بقاء اسرائيل رهن بنتائج محادثاته مع رئيس المخابرات الامريكية وموظفيه في لانغلي.

مقابلة مئير لكبار موظفي المخابرات الامريكية:

في غرفة فسيحة لاعداد المعلومات في مقر المخابرات الامريكية في لانغلي واجه مئير عميث عشرة من كبار موظفي وخبراء المخابرات الامريكية لشؤون الشرق الأوسط، كانت تبدو عليهم سيماء الوقار والنزاهة مهمتهم هي تحليل المعطيات التي تعرض عليهم بدون انفعال. وعرف عميث انه سيقابل لديهم بعض الخشونة بعد اخراج ما في جعبته من خرائط وصور وأوراق فقال أمامهم باقتضاب:

- ستقوم حرب عما قريب وجيشنا مجند الآن في حالة تعبئة عامة.
- ليس في وسعنا البقاء على هذه الحال أمداً طويلاً.
- يتردى اقتصادنا لأن جيشنا من المدنيين بل ليس لدينا الآن قوة بشرية لجني الغلال وقد أخذ الشمندر يتعفن في باطن الأرض.
- علينا ان نتخذ قرارات سريعة.
- اذا لم نقم بضرب المصريين فسيقضون علينا.

ثم انتقل عميث بعد ذلك، إلى تقديم عرض تحليلي تفصيلي للوضع الذي تتصوره المخابرات الاسرائيلية عسكرياً. وفي كل مناسبة كان الامريكيون المقابلون له يسألونه ويستجوبونه بدقة متناهية وكانوا يبدون هادئين تماماً وكأنهم كانوا يسألونه بتلطف عن العائلة وصحة الأولاد حين طلبوا منه ان ينبئهم عن عدد الخسائر البشرية التي ستتكبدها اسرائيل اذا قامت بالهجوم أولاً والعدد المقابل له «اذا أطلق المصريون الطلقات الأولى».

ورد عميث: اذا تمكنا من توجيه الضربة الأولى أولاً فستكون اصاباتنا خفيفة نسبياً، أي بضع مئات من القتلى. أما اذا جلسنا ننتظر ان يبدأوا هم الهجوم فأيضاً سنكسب الحرب لكن سيكلفنا ذلك اكثر من عشرة آلاف قتيل.

ولم يتمالك رجال المخابرات الامريكية انفسهم من التأثر بالدليل المنطقي الهادىء الذي قدمه عميت، وهم لم يكونوا في حاجة إلى من يخبرهم بفداحة الكارثة التي ستحل باسرائيل ان هي خسرت ....,١٠ رجل، ولكنهم واصلوا الضغط عليه، ولما أنهى عميت عرض موقف اسرائيل أخرجوا ما عندهم من خرائط ومعلومات مخفوظة عن الموقف برمته. ارتاح عميت لأن كل شيء في معطيات المخابرات الامريكية كان يعزز ما قدمه هو من معطيات كما ان رجال المخابرات الامريكية تأكدوا انه لم يمكر بهم وفي واقع الأمر وجد عميت أنهم تقبلوا كل ما أدلى به من حجج ما عدا واحدة منها حيث قال المتحدث الرسمي باسم مجموعة الخبراء لعميث:

نعتقد نحن ان المصريين منتشرون في الصحراء للقيام بدور دفاعي وقد وافق خبراؤنا العسكريون على هذا التفسير بعد دراسة جميع الصور الجوية التي التقطت لجحافلهم وقواتهم العسكرية الأخرى ولا نرى أنهم سيقومون بأي هجوم.

ورد عميت مهتاجاً:

وأنا أقول لكم ان خبراؤنا نحن يرون ان دور المصريين هو دور هجومي فلماذا يزحفون إلى صحراء سيناء للدفاع عن أنفسهم فجأة.؟

وردّ رجال المخابرات الامريكية على ذلك رداً منطقياً هادئاً: ذلك لأن المصريين مقتنعون بأنكم أنتم ستقومون بمهاجمتهم أولاً.

وكانت حدة الحوار تشتد أحياناً، ولكن مئير عميت تمكن في النهاية من كسبهم إلى جانبه بقوله مدافعاً عن وجهة نظره:

لا أهمية للفروق التي تتحدث عنها الكتب بين الموقف الدفاعي والموقف الهجومي ونحن مجبرون على التعبئة مهما كانت طبيعتهم وطبيعة نواياهم وليس في وسعنا ان ندع الجيش المصري يستقر على حدودنا ونحن نمني أنفسنا بأنه انما يمثل بعض أدوار اللعب والتمثيل، لقد اضطررنا إلى استدعاء الاحتياط بعد ان زحفوا داخل سيناء وانتم تعلمون ذلك من مصادركم الخاصة. فهم بدأوا ونحن استجبنا والأمر سواء لدينا مهما كانت المناورات التي يمارسها المصريون، فسيمنى اقتصادنا بالدمار اذا بقي البلد بأسره في حالة حرب إلى أمد بعيد... بيد انكم تعرفون بدون تصريح مني ان القوات التي تمثل دوراً دفاعياً تستطيع الانتقال إلى دور هجومي في غضون دقائق معدودة، ومهما يكن شأن المشروع الذي خطط له

المصريون أولاً فهم يعتقدون ان بوسعهم الحاق الهزيمة بنا، ولذلك ماداب السوفييت على قولهم لهم منذ أسابيع اننا سنهجم عليهم ولن يقول الروس لهم ان يغيروا أفكارهم فجأة أو يبلغوا دمشق والقاهرة بضرورة سحب القوات لأن موسكو تريد الحرب (على لسان رئيس المخابرات الاسرائيلية) وهي قد أقنعت العرب بأن الوقت المناسب لها قد آن أوانه. عند ذلك طلب المتحدث باسم المجموعة من عميت الاكتفاء لأن الوقت أصبح بعد الظهر وكانت الجلسة المرهقة مازالت معقودة منذ التاسعة صباحاً حيث وصل عميت فسكت عميت على مضض وتوجه الجميع للاستراحة قليلاً وتناول الشطائر «السندويشات» والقهوة اكسبريس في كافتريا المخابرات الامريكية.

بعد العودة إلى الاجتماع شعر عميت بأن المجتمعون ميالون للاتفاق معه وكان له من معرفته المهنية ما أفهمه ان رؤيتهم للأمور على هذا النحو انما تنطلق من تقييمهم لها في ضوء مصالح الولايات المتحدة ولم يكونوا يعدلون عن رأيهم للحجج المتصلة بأمن اسرائيل.

في هذا الوقت أي بعد استراحة ما بعد الظهر دخل عليهم رئيس المخابرات الامريكية ريتشارد هيلمز فوقف الجميع له «احتراماً» وأولهم عميت صديقه الذي كان عاجزاً عن ضبط انفعالاته فبادره بالقول:

انظر مستر هيلمز لسنا قادرين على احتمال الوضع بعد الآن اكثر من ذلك فاسرائيل بلد صغير والموضوع هو موضوع بقائنا وأنا احدثك الآن باسم زوجتي وأطفالي الثلاثة وباسم عائلات جميع العسكريين وبصورة عامة باسم اسرائيل (الامريكيين يؤخذون بالعاطفة) ولكن هيلمز لم يكن بحاجة إلى هذه المقدمة أو الاقناع لأنه أعلم حين حضوره إلى مكتبه وكانت اللجنة مع عميت في الاستراحة بخلاصة الموضوع ورأي اللجنة فطيب خاطر زميله الباكي والزميل القديم في الدراسة عميت وقال له أريد منك مقابلة مدير الدفاع مكنمارا فصدرت ابتسامة عن عميث وقال لزميله «شكراً».

في الساعة السادسة من مساء الأول من حزيران ١٩٦٧ أدخل مئير عميت رئيس المخابرات الاسرائيلية إلى مكتب مدير الدفاع الامريكي روبرت ماكنمارا وأيضاً اضطر عميث إلى الدفاع عن وجهة نظره.

وبالرغم من تعرضه للحقائق في هدوء ظاهر إلا انه كان يعي أهمية الانطباع الذي يتركه في نفس ماكنمارا وفي بعض الأحيان لم يتمالك نفسه من التوتر وعندما أوشك عميت ان يفرغ مما في رأسه سرت رعدة الخوف في جسمه، فقد بقي ماكنمارا اطول الوقت جالساً مستمعاً دون ان ينبس ببنت شفة، ولم تصدر عنه أي اشارة حتى ولو بتحريك حاجبيه تدل على انه تأثر أو اقتنع بأقوال زائره الخائف.
وفي تلك اللحظة فتح أحد المساعدين الباب معتذراً وسلم ماكنمارا برقية تدل على انها عاجلة وانصرف فتح ماكنمارا البرقية وقرأها بعناية ثم نظر إلى مئير عميت بهدوء وقال:

لقد تم تعيين موشي دايان وزيراً للدفاع في بلدكم.

وفهم رئيس المخابرات الاسرائيلية ما يترتب على هذا القرار من نتائج فقد كان دايان نصيراً مطلقاً لفكرة الهجوم ويعني ادخاله إلى مجلس الوزراء كوزير الدفاع بأنه سيلقي كل ثقله وراء ذلك العمل، ويعني أيضاً ان أسابيع الضياع والتردد في اسرائيل قد انتهت. وما كادت تلك الخواطر تمر في رأس عميت كالبرق حتى قال له ماكنمارا:

إنني أعرف دايان حق المعرفة فقد التقيت به عندما كان في واشنطون، وأنا مسرور لتعيينه في منصبه، أرجو ان تبلغه تحياتي وتمنياتي القلبية له بالتوفيق. لقد كانت تلك الكلمات التي تفوه بها ماكنمارا تتصف بالبراعة والمواربة. لكن عميت أدرك فحواها تماماً خصوصاً عندما وقف ماكنمارا لوداعه قائلاً: نحن معكم. خرج عميت وهو غير مصدق ما سمعه وهذا الجواب «المسؤول» من ماكنمارا كان ذروة طموح عميت ورغبته من هذه الزيارة.

أدرك عميت ان الولايات المتحدة ستقف إلى جانب اسرائيل اذا قامت بتوجيه ضربة ردع «مسبقة إلى سوريا ومصر» فتوجه على عجل من البنتاغون إلى السفارة الاسرائيلية حيث كتب مع يوسف غيفا الملحق العسكري الاسرائيلي محضراً طويلاً عن نشاطات يومه ثم أرسل إلى تل ابيب برقية «بالشيفرة» هذا نصها:
(تل ابيب ـ رئاسة الوزراء)

● الولايات المتحدة تعتبرنا دولة ذات سيادة وتعتقد ان لنا الحق في اتخاذ أي قرار نراه ضرورياً لبقائنا، ولن يوجهوا لنا اللوم اذا نحن قمنا بالهجوم «أولاً» وهم

يتفهمـون دوافعنـا وأنا على ثقة أنهم سيقومون بردع ايجابي للسوفييت اذا فكروا بالتدخل المباشر مع سوريا ومصر.

واشنطون

مئير عميت السفارة الاسرائيلية

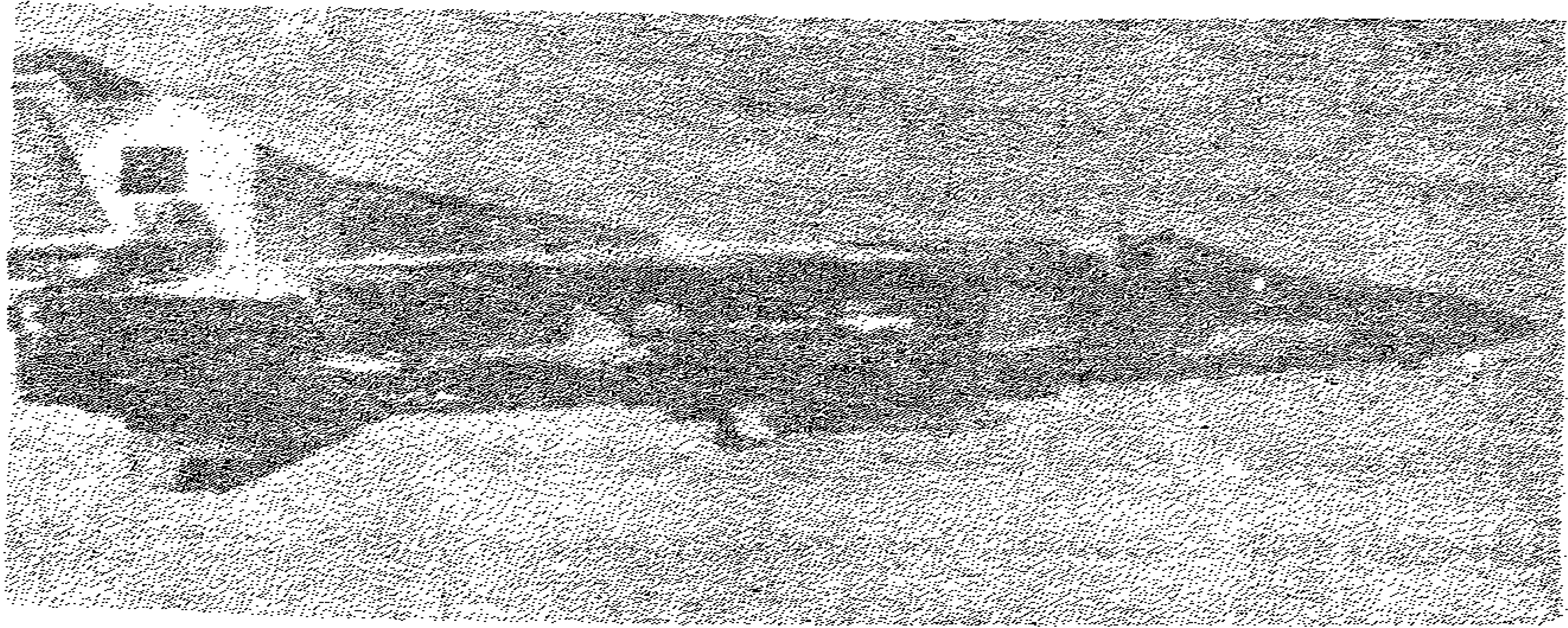
وكان عميت بعد ذلك متلهفاً للعودة إلى اسرائيل فأنطلق إلى المطار وقبل السفر باحدى طائرات العال للشحن وكانت هذه الطائرة تحمل حمولة خاصة وهي شحنة من أقنعة الغاز التي طلبها القادة العسكريون من واشنطون بالحاح خشية ان يستخدم السوريون حرب الغازات التي يزودهم السوفييت بأدواتها. وكان الراكب الثـاني في الـطائـرة هو السفير الاسـرائيلي في واشنـطون آبي هرامان وفي مطار واشنـطون اجتمع عشرات اليهود الامريكيين طالبين السفر إلى اسرائيل لشد أزر الدولة المحاصرة والتي كانوا يخشون من القاء سكانها في البحر حسب تهديدات أحد المسؤولين عن القضية الفلسطينية.

أسرار وأضواء جديد عن حرب حزيران الغادرة:

● حين وصل عميت إلى تل ابيب توجه ليلاً إلى مكتب ليفي أشكول رئيس الوزراء فوجد لديه موشي دايان وزير الدفاع فبلغه تهنئة ماكنمارا له شخصياً وبقي الثلاثة مجتمعين حتى ساعات الصباح الأولى من حزيران (يونيو) **١٩٦٧** وفي أيام **٣ و٤** حزيران (يونيو) لم يترك عميت وزارة الدفاع ومجلس الوزراء وكان ينام ساعة أو ساعتين بجانب موشي دايان وفي سريره الذي يستعمله في غرفة ملحقة بمكتبه في وزارة الدفاع.

عندما شن سلاح الطيران الاسرائيلي الحرب الغادرة في الساعات الأولى من صباح **٥** حزيران (يونيو) **١٩٦٧** كانت أهدافه الأولى هي المطارات المصرية التي ركـز فيهـا سلاح الـطيران المصـري طائـراتـه الحربية بالمئات، وكان الطيارون الاسـرائيليون على معـرفـة تامة بمواقع منشآت الرادارات المصرية ونقط الرادار العمياء وقد انسابوا عبر تلك الخطوط دون ان يكتشف أمرهم أحد حتى اللحظات الأخيرة، كمـا كانت لديهم معـرفـة دقيقـة عن موعـد تناول الطيارين المصريين

المناوبين في المطارات الحربية لفطورهم مما يضعف درجة الاستعداد للصعود إلى الطائرات بعض الوقت وفي ذلك الوقت «بالضبط» شرع الطيارون الاسرائيليون في الهجوم وفي تلك الدقائق البالغة الخطورة دمر الاسرائيليون معظم طائرات سلاح الجو المصري حيث كانوا يقصفون السرب تلو السرب من الطائرات الجاثمة على الأرض وكـان الـطيارون يميزون أيضـاً بين مئات الطائرات «الوهمية» والطائرات الحقيقية وهـذه حقيقة حدثت في حينه بسبب معرفة الطيارين الاسرائيليين لهذه الميزات لأن المخابرات الاسرائيلية كان لها «مع الأسف» عملاء في مصر يمكن الاطـلاع على اسمـائهم ومعـرفـة تعاملهم مع المخابرات الاسرائيلية من كتاب



ـ طائرة من طائرات العدوان.

المخابرات والعالم ـ الجزء الأول من تأليفي وأيضاً حصلت المخابرات الاسرائيلية بعـد دفعها لملايين الدولارات على المعلومات التي ساعدتها في حرب حزيران الغادرة من عملاء غير مصريين ومنهم الخبير الألماني الغربي لوتز الذي اتخذ لنفسه ستاراً «محبة الخيول والفروسية» وكانت المخابرات الحربية في القاهرة قد ألقت القبض على «وول لنفـانـغ لوتز» بتهمة التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية وجرت محاكمته وحكم عليه بالسجن المؤبد «قضاء ربع قرن على الرحب والسعة في لمان طره وهو سجن مشهور في مصر» ولكن المخابرات الاسرائيلية واسرائيل كلها لم تتخلى عنه لأنه قدم لها أغلى المعلومات التي نفعتها في حربها ضد العرب حيث جرى تبـادله بعد انتهاء حرب حزيران مع آلاف الأسرى المصريين الذين كانت اسرائيل ستعيدهم بطبيعة الحال إلى مصر لأنها لا تتمكن من تحمل اطعامهم وايوائهم حسب الأعراف الدولية لمعاملة الأسرى ولكنها فضلت تأخير تسليمهم إلى

مصر لكسب الوقت حتى حصلت على موافقة السلطات المصرية في حينه على إطلاق سراح الجاسوس الألماني العالمي لوتز.

وفي الأيام الأولى لحرب حزيران (يونيو) أي في ٥ و٦ و٧ و٨ حزيران (يونيو) كان اهتمام سلاح الطيران الاسرائيلي بضرب المطارات المصرية ثم اقتحام المدن حيث لم تتعرض شبكة الدفاعات الحصينة التي بنتها سوريا في مرتفعات الجولان لأية هجمات فقامت القوات السورية تلقائياً بضرب مركز للمستوطنات الاسرائيلية وقام أبطال سلاحها الجوي بطلعات جوية سريعة فوق اسرائيل وضربوا بعض المواقع الحساسة فيها كمصفاة النفط في يافا. أما في ٩ حزيران (يونيو) فقد تبدل الحال بعد ان فرغت اسرائيل من ضرب أقوى قوة في الشرق الأوسط وهي مصر فتحولت بثقلها العسكري إلى سوريا فنقلت قوات كثيرة إلى مرتفعات الجولان وقام سلاحها الجوي المؤلف في غالبيته من طائرات ميراج افرنسية بدك وتدمير المرتفعات السورية بما فيها مئات مواقع المدفعية هناك. ثم اقتحمت الدبابات الاسرائيلية تلك التلال والجبال الحصينة واستطاع الاسرائيليون ان يدخلوا الجولان بعد معركة ضارية مع الجنود السوريين لدرجة استعمال السلاح الأبيض ومعناها ان الجنود السوريين قاتلوا الاسرائيليين وجهاً لوجه وحتى الدبابات السورية وقفت وقفة صمود يشهد لها التاريخ بها أمام جحافل الدبابات الاسرائيلية ولكن التفوق الاستراتيجي والعددي وجو الدعايات الذي بثته اسرائيل عن تدميرها للسلاح الجوي المصري والمدن المصرية وانها في طريقها إلى القاهرة بالاضافة إلى ان الطائرات الاسرائيلية ورجال الدبابات وحتى المشاة كانوا يعرفون طريقهم إلى الجولان ويعرفون المواقع التي يجتازونها على وجه التحديد نتيجة المعلومات التي لديهم مسبقاً من عملاء ألقت القبض عليهم المخابرات السورية وجرى اعدامهم الواحد تلو الآخر وأولهم «الجاسوس كوهين» كل هذا التفوق جعل احتلال الجولان في حينه امراً ممكناً. وفي هذا الفصل من كشف بعض نشاط المخابرات الاسرائيلية وعنجهية حكام اسرائيل المتعاقبون نقدم للقاريء الحقيقة لأول مرة عن دعم وموافقة الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل بكل وقاحة وجرأة على الاعتداء على دول عربية واحتلال قسم من أراضيها حسب المثل العامي الذي يقول: قالوا لعنتر لماذا تقتل ألف. فأجابهم: لأن ورائي الفين. ونحن نقول سيأتي يوم النصر ونستعيد كامل الجولان بعد ان استعدنا مدينة القنيطرة المحررة التي قام

الاسرائيليون بهدمها كنوع من أنواع التشفي من ابناء الجولان الصامدين.
وان غدء لناظره قريب. . .

كشف أسماء ٣٦١ عميلاً لاسرائيل ماتوا خلال قيامهم بمهمات جاسوسية

● أقيم في تل ابيب نصب تذكاري لعملاء المخابرات الاسرائيلية وقد نقش على الحجر الرخام المبني فوق النصب أسماء ٣٦١ عميلاً لاسرائيل وترك مساحة فارغة. .؟ وكتب ان هؤلاء كانوا يعملون في الظل لخدمة اسرائيل وماتوا أثناء قيامهم بواجبهم منذ عام ١٩٤٨ وقد أوضح الجنرال الاحتياط مئير عميت رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق ان عدداً من الأسماء المحضورة على الحجر الأبيض ليس لهم جثث في اسرائيل ولازالوا مدفونين في دول معادية وتحت اسماء مستعارة وكانت عائلات هؤلاء العملاء قد حضرت الحفل لاحياء ذكرى ابنائهم وكان من بين الحاضرين شقيق الجاسوس الاسرائيلي «إيلي كوهين» الذي أعدم بدمشق في ساحة المرجة شنقاً حتى الموت بتاريخ ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ الساعة الرابعة. وقد حضر هذا الاحتفال رئيس الدولة حاييم هرتزوغ، رئيس الوزراء شيمون بيريز، ورئيس الأركان الجنرال موشي ليفي وثلاثة من رؤساء المخابرات السابقين.

سرقة المخابرات الاسرائيلية لتصاميم طائرة الميراج وإنتاجها باسم : الطائرة الاسرائيلية كفير

إدعاء اسرائيل بانتاجها طائرة كفير :

في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٧ وبعد حرب حزيران (يونيو) دعت وزارة الدفاع الفرنسية والشركات المصّنعة لطائرات الميراج لمؤتمر في مدينة باريس حضره الحاصلون على تراخيص انتاج لطائرة الميراج الفرنسية وأيضاً حضره الحاصلون على تراخيص جزئية وكذلك مستخدمو هذا الطراز من الطائرات، وذلك لمناقشة خبراتهم العملية عن طائرة الميراج المقاتلة والأسرع من الصوت.

وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون لكل الحكومات وشركات صناعة الطائرات الأخرى المهتمين بصناعة طائرة الميراج. وكانت استراليا وسويسرا تقومات بتصنيع طائرة الميراج بترخيص من فرنسا بينما كانت بلجيكا واسرائيل تقومات بتصنيع اجزاء قليلة من الطائرة بناء على ترخيص جزئي من الحكومة الفرنسية. وفي الوقت الذي تكاد كل منهما ان تحصل على طائرة الميراج شبه كاملة وتامة الصنع وذلك بأن تقوم كل منهما أي بلجيكا واسرائيل بتجميع أجزاء الطائرة وتصنيع بعض الأجزاء غير الهامة وغير المتطورة. وإلى جانب ذلك حضر المؤتمر ايضاً ممثلون عن جنوب افريقيا ولبنان وكل منهما كان يحصل على الميراج كاملة الصنع تماماً وفي نفس الوقت كانت شركة داسو الفرنسية تقوم بانتاج هيكل واطار الطائرة وتقوم شركة ساناكا الفرنسية ايضاً بتصنيع الموتور ودينامو الطائرة. ومثلث هاتان الشركتان في المؤتمر لجنة مؤلفة من مستخدمي صناعة الطائرة. وكان ممثل اسرائيل في هذا المؤتمر الجنرال (عقيد) دوف سيون من السلاح الجوي الاسرائيلي. وبناء على الخطة الموضوعة سلفاً من المخابرات الاسرائيلية لم يقم الجنرال الاسرائيلي دون سيون

بالمشاركة كثيراً في المناقشات بالمؤتمر ولكنه ركز انتباهه على وجه الخصوص على ممثل الشركة السويسرية «سولزر» الفريد فراونخت التي تقوم بانتاج الميراج في سويسرا بترخيص من الحكومة الفرنسية وكان الفريد فراونخت بالاضافة إلى صفته كممثل لسويسرا في المؤتمر هو كبير المهندسين المسؤول الأول عن المشروع السويسري لتصنيع الميراج وهو الأمر الذي ضاعف من أهميته في نظر المخابرات الاسرائيلية. وهكذا بدأ الجنرال الاسرائيلي دوف سيون بمضاعفة اهتمامه خارج المؤتمر بالمهندس الفريد فراونخت وكان يحرص على التقرب منه حيث دعاه لتناول الغداء والسهر في الأماكن السويسرية الراقية (على حساب المخابرات الاسرائيلية طبعاً) وعن طريق تلك العلاقة تمكن الجنرال دوف سيون الاسرائيلي من التوصل إلى معرفة كل الأمور المتعلقة بالطائرة فالحكومة الفرنسية كانت قد وافقت للحكومة السويسرية على انتاج مائة طائرة ميراج من طراز - ميراج ٣ - الحربية المقاتلة التي تبلغ سرعتها ضعف سرعة الصوت ولها ميزات تشبه ميزات طائرة الميغ ٢٥ والفانتوم ولكن تكاليف الانتاج كانت قد ارتفعت إلى درجة غير معقولة فإن الحكومة السويسرية عادت لكي تقرر الاكتفاء بانتاج ٥٣ طائرة من المائة فقط ومع ذلك فإن أجزاء ومكونات المائة طائرة بكاملها كانت قد وصلت إلى سويسرا وبذلك أصبح لدى السويسريين ما يكفي لانتاج ٤٧ طائرة فائضة بالاضافة إلى الرسومات والتصميمات التفصيلية اللازمة لها وهنا لاحت للمخابرات الاسرائيلية فرصة ذهبية لا تعوض وفكرت هذه المخابرات «على الفور» فلو أنها استطاعت بطريقة ما ان تحصل على مكونات تلك الـ «٤٧ طائرة» الفائضة لدى سويسرا فإن هذا يكاد يعوّضها عن الخمسين طائرة ميراج التي حجبها عنها الجنرال الراحل ديغول عقب اعتدائها السافر على الدول العربية في ٥ حزيران (يونيو) السابق ومن خلال الاعتماد على تجنيد الفريد فراونخت السويسري للعمل لحساب هذه المخابرات أو بالاصح لحساب اسرائيل واكتشاف الاسلوب الأمثل لتجنيده وهو اغراءه بالمال والبحث كعادتها عن نقطة ضعفه للدخول منها إلى نفسه وكيانه ومن ثم تهديده تحت دراسة وافية عنه بالاضافة إلى ان المخابرات الاسرائيلية اكتشفت ثقباً في اجراءات الأمن الفرنسية الصارمة المتعلقة بالطائرة الميراج وأصبح عملها الدؤوب هو توسيع تلك الثغرة أو الثقب بأسرع ما يمكن. وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هي ضمان ولاء الفريد فراونخت كمهندس ومسؤول عن البرنامج

السويسري لانتاج الميراج ونظراً لخطورة العملية وأهميتها القصوى بالنسبة لاسرائيل فقد عيّن مائير عميت رئيس المخابرات الاسرائيلية «في حينه» مسؤول مباشر عن تنفيذ هذه الخطة بتكليف رسمي من مجلس الوزراء الاسرائيلي الذي وضع ايضاً تحت تصرفه مبالغ كاملة تصل إلى الملايين من الفرنكات السويسرية لكي يستخدمها في الرشوة والتمويل كلما تطلب الأمر ذلك. وبالاضافة إلى ذلك تشكلت في اسرائيل لجنة أخرى من المخابرات والقوى الجوية لكي تتولى «متابعة» العملية والبرنامج المعد للتنفيذ يوماً بيوم وكانت هذه اللجنة برئاسة الجنرال أهارون ياريف رئيس المخابرات العسكرية في جيش الدفاع الاسرائيلي.

في بداية العملية فاتحت اللجنة الحكومة السويسرية عن طريق ممثلها في المؤتمر الفريد فراونخت وعرضت استعداد اسرائيل لشراء مكونات وأجزاء السبع والاربعين طائرة من سويسرا وبأي ثمن تطلبه ولكن هذا الطلب لقي الرفض التام من الحكومة السويسرية التي تحترم نفسها وتتصف بالحياد التام من عشرات السنين أولاً وثانياً ان العقد الموقع بين الحكومة السويسرية والحكومة الفرنسية كان «يمنع» سويسرا من بيع طائرة الميراج أو أي من مكوناتها إلى طرف ثالث بغير الحصول مسبقاً على موافقة الحكومة الفرنسية وذلك ضمن الاجراءات الفرنسية الصارمة للمحافظة على اسرار تصنيع طائرة الميراج وقد قررت الحكومة السويسرية في تلك المفاوضات غير الرسمية مع اسرائيل انها لا تستطيع الاخلال بتعاقدها مع فرنسا «مهما قدمت لها اسرائيل من مغريات واغراءات مالية» وهكذا اضطرت المخابرات الاسرائيلية إلى المرحلة الثانية من الخطة.. لقد تجاوب الهر أي الدكتور المهندس الفريد فراونخت للتعامل مع المخابرات الاسرائيلية وأصبح «عميلاً» تم تجنيده تماماً لحساب اسرائيل واستطاع الحصول على موافقة شركته وبناء على طلب اسرائيل لكي يقوم أحد الضباط الاسرائيليين واسمه الكولونيل شوهان بينو بزيارة المصنع السويسري لصناعة طائرات الميراج. وعلى الفور اتصلت السفارة الاسرائيلية في روما مع الفريد فراونخت لكي تؤمن مقابلة مبكرة وسرية بينه وبين مسؤولين اسرائيليين تتم في مدينة برن السويسرية للاتفاق مسبقاً على برنامج الزيارة وهكذا توجه الفريد إلى فندق امبسادور في زيورخ في الساعة العاشرة من صباح الأول من نيسان (ابريل) ١٩٦٨ لكي يقابل اثنين من كبار مسؤولي المخابرات الاسرائيلية حسب الموعد وقد تمت المقابلة بدون ان تعرف السفارة الاسرائيلية في

سويسـرا شيئاً عنهـا لعـدم ثقـة الاسـرائيليين الـذين يعملون في المخـابـرات بالاسرائيليين الذين يعملون في وزارة الخارجية ولتفادي تسرب أي معلومات إلى الحكومة السويسرية عن ما يجري أو لفت انظارها إلى ما تقوم به وتدبّره اسرائيل على الأراضي السويسرية. وفي المقابلة طرح الاسرائيليون سؤالهم الأساسي على عميلهم الجـديد الفريد فراونخت بعد ان وجودا انه لا يوجد أدنى أمل لاسرائيل للحصول على أجزاء الطائرات السبع والأربعين الميراج من سويسرا بطريقة قانونية أو مشروعة والسؤال الذي طرحوه عليه كان: هل هناك أية طريقة لكي يتولى هو إقناع شركته بالتعامل مباشرة ـ وبشكل سري ـ مع اسرائيل. ؟ أي من خلف ظهر الحكومة السويسرية نفسها. ؟

فرد عليهم الفـريد: ربمـا تقبل الشركة وبالاغراء المالي لو كان كبيراً فربما يحقق تلك النتيجة ولذلك فقد طلبوا منه ان يعرض على شركته بشكل غير رسمي أولاً استعداد اسرائيل لدفع مائة وخمسين مليون فرنك سويسري كدفعة أولى. ثم مائة مليون فرنك كدفعة ثانية. ولكن أيضاً هٰذا الاسلوب الملتوي فشل هو الآخر فلقد قررت الشركة السويسرية انها لا تستطيع الدخول مع اسرائيل في مثل هذه الصفقـة غير القانونية وغير المشروعة من خلف ظهر الحكومة السويسرية «نـاس تحترم نفسها وبلدها». وكانت المخابرات الاسرائيلية تتوقع مسبقاً مثل تلك الاجابة فالشركة السويسرية كانت على قدر كبير من حسن السمعة والاحترام بما لا يجعلها تسلك مثل هذا السلوك غير المشروع مع حكومة أجنبية، ولكن هدف المخابرات الاسرائيلية طوال تلك العملية كان شيئاً آخر. انها تريد ان تعرف بالضبط مدى قوة السلطات العملية التي يتمتع بها الفريد فراونخت داخل شركته السويسرية وما هي الادارات والأقسام التي توجد له سلطه عليها.

ويـالفعل فقد توصلت المخابرات الاسرائيلية إلى أهم نقطة معلومات في العملية كلها. لقد اكتشفت ان الفريد براونخت مسؤول من خلال مكتبه بالشركة عن الاحتفاظ بالرسومات والتصميمات الأصلية لانتاج اجزاء الطائرة الهامة «ميراج ـ ٣» وهكذا فإن اسرائيل لو استطاعت ان تسرق بواسطة مخابراتها وعميلها صورة من تلك المعلومات والتصميمات فانها بذلك تستطيع انتاجها في اسرائيل خلال ثلاث أو خمس سنوات وبدون أي مجهود أو بحوث علمية على الاطلاق؟ ولأن ما كانت تريده اسرائيل من الفريد فراونخت لم يكن أقل من «خيانته» لشركته وبالتالي خيانته

لوطنـه، فقد ركزت المخابرات الاسرائيلية جهودها كلها على اصطياده من حياته الشخصية حيث اكتشفت هذه المخـابرات انه رغم كونه متزوج فان له «عشيقة» أمكن عن طريقها استدراج الفريد إلى قبول رشوة مبدئية تبلغ «ربع مليون دولار» نظير تعـاونه في العملية الكبرى وهي سرقة تصاميم الطائرة «ميراج ـ ٣»، وبمجرد ان وقعت قدمـا الفـرد في الفـخ فانـه لن يستـطيع الخروج منه بعد ذلك مطلقاً لأن المخابرات الاسرائيلية أصبحت تستطيع ابتزازه وتهديده في أي وقت. وكان مائير عميت رئيس المخـابرات الاسرائيلية وأهارن ياريف رئيس المخابرات العسكرية يحضران بين الفينة والفينة إلى سويسرا ويجتمعان بالفرد ويتباحثان معه ويحللان شخصيته، وبعد تأكدهما من مكانته في الشركة أصبحا مستعدين لدفع مليون دولار له نظير تعاونه ومن هنا كانت سعادتهما الكاملة حينما لم يتجاوز طموحه الربع مليون دولار الذي قبضه سعيداً بتوسط عشيقته حيث أصبح من حينه وصاعداً «جاسوساً أو عميلاً» يعمل لحساب اسرائيل ويتصرف بناء على أوامرها وتعليماتها أولاً بأول. وقد تبينت ضخـامـة العملية بمجـرد ان بدأ التنفيذ فهنـاك خمس وأربعين ألف رسم وتصميم تفصيلي لدينـامـو وكهـرباء الطائرة والأجزاء المتنوعة بالاضافة إلى مائة وخمسين ألف رسم وتصميم آخر للطائرة نفسها ويبلغ وزنها جميعاً أكثر من طنين ويحتاج الفريد إلى سنة كاملة لكي يصورها ويسلمها إلى المخابرات الاسرائيلية ويجب خلال هذا الوقت ألا يلفت نظر أحد في شركته إلى الخيانة التي يرتكبها بحق شركته وبلده.

وكـانت تلك الـرسـومات والتصميمات تحتل غرفة واسعة مغلقة في شركة سولـزر السـويسرية التي يعمل بها ويتجسـس عليها الفريد فراونخت. ونظراً لأن الشركة توقفت عن الانتاج بعد ان حصلت الحكومة السويسرية على حاجتها من الـطائرات فقد اقترح الفريد وبعد دراسة مع المخابرات الاسرائيلية على رؤسائه تصوير الرسومات والتصميمات بالميكروفيلم ثم اتلافها. وبمجرد ان وافق رؤسائه على الفكرة طلب الفرد ان يكون بنفسه مسؤولاً عن عملية التصوير بالميكروفيلم ثم اعدام الرسومات بعد ذلك محافظة على السرية التامة فوافقوا له أيضاً على نشاطه هذا. فقام الفرد بنفس الوقت بالاتفاق مع أحد أقاربه ويدعى جوزيف فراونخت لكي يقوم بالطريق باستبدال الصناديق الكرتونية المملوءة بالرسومات والتصاميم بعد تصويرها بالميكروفيلم والتي تكون في طريقها إلى خارج المدينة للاتلاف بصناديق

أخرى مماثلة لها ولكنها تضم شحنات من الورق الستوك وورق الصحف في منتصف الطريق وتبقى الصناديق التي تحتوي على الرسومات في مستودع فيحضر عملاء اسرائيليون ويتولون نقلها وقد قام هؤلاء العملاء فعلاً بترتيب نقل هذه الصناديق الكرتونية فيما بعد عبر الحدود السويسرية إلى ألمانيا الغربية وبتكلفة مائة ألف دولار أخرى. وقد وصلت الدفعة الأولى من الرسومات إلى اسرائيل في الخامس من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٨ واستمر وصولها بعد ذلك بنظام وبمعدل خمسون كيلو غراماً كل اسبوع.

اكتشاف السلطات السويسرية للسرقة:

استمرت عملية سرقة وثائق ورسومات الطائرة الميراج من شركة سولزر السويسرية بواسطة الفرد فراونخت وبعض المتآمرين معه لصالح المخابرات الاسرائيلية لغاية العاشر من شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ حيث تم اكتشافها بالصدفة التامة فقد شكّ صاحب المشروع الذي تجري فيه عملية تبديل الكرتونات المملوءة بالرسومات بكرتونات مملوءة أوراق صحف بأحد عماله لأنه مر بطريق الصدفة من أمام المستودع وكان لا يدري بما يجري في المستودع خارج أوقات الدوام فوجد سيارة البيجو الخاصة بالعامل وورش تقف بجانب المستودع ومن ثم راقب المستودع عن بعد فشاهد «عملية» التبديل عند ذلك اتصل بالسلطات ووصل الأمر بعد ذلك نظراً لأهميته إلى المخابرات السويسرية التي اكتشفت ان الفريد فراونخت قد تمكن في خلال سنة من سرقة ألفين من رسومات وتصاميم كهرباء ودينامو الطائرة «الميراج - ٣» بالاضافة إلى ثمانين ألف من رسومات وتصاميم الطائرة نفسها ثم عشرين ألف وثيقة من وثائق الشركة عن طائرات أخرى كانت الشركة قد استنفذت الافادة منها. وصلت هذه الآلاف المؤلفة من الرسومات والتصاميم إلى اسرائيل مما جعلها مع ما لدى اسرائيل من رسومات وتصاميم «سرقتها» سابقاً من دول أخرى المخابرات الاسرائيلية تكفي لصناعة طائرة كاملة. حينما اكتشفت المخابرات السويسرية الحجم الخطير للعملية التي اعتبرت اكبر فضيحة دولية لجهاز المخابرات الاسرائيلية في أوربا.. قدمت المخابرات السويسرية العميل الفريد

براونخت إلى القضاء فحكم عليه بالسجن ثمانية سنوات أمضى قبماً كبيراً منها في السجن ثم خرج قبل انتهاء عقوبته لأسباب مرضية وادارية وقد وجد ان حياته كسويسري قد تدمرت وسمعته تدنت إلى الحضيض لأن السويسريين يمقتون التجسس والأعمال الجاسوسية فاتصل بالسفارة الاسرائيلية التي اتصلت بالمخابرات الاسرائيلية.

◁ هاجر الفريد إلى اسرائيل بمساعدة مخابراتها واصطحبته زوجته وهناك سعت

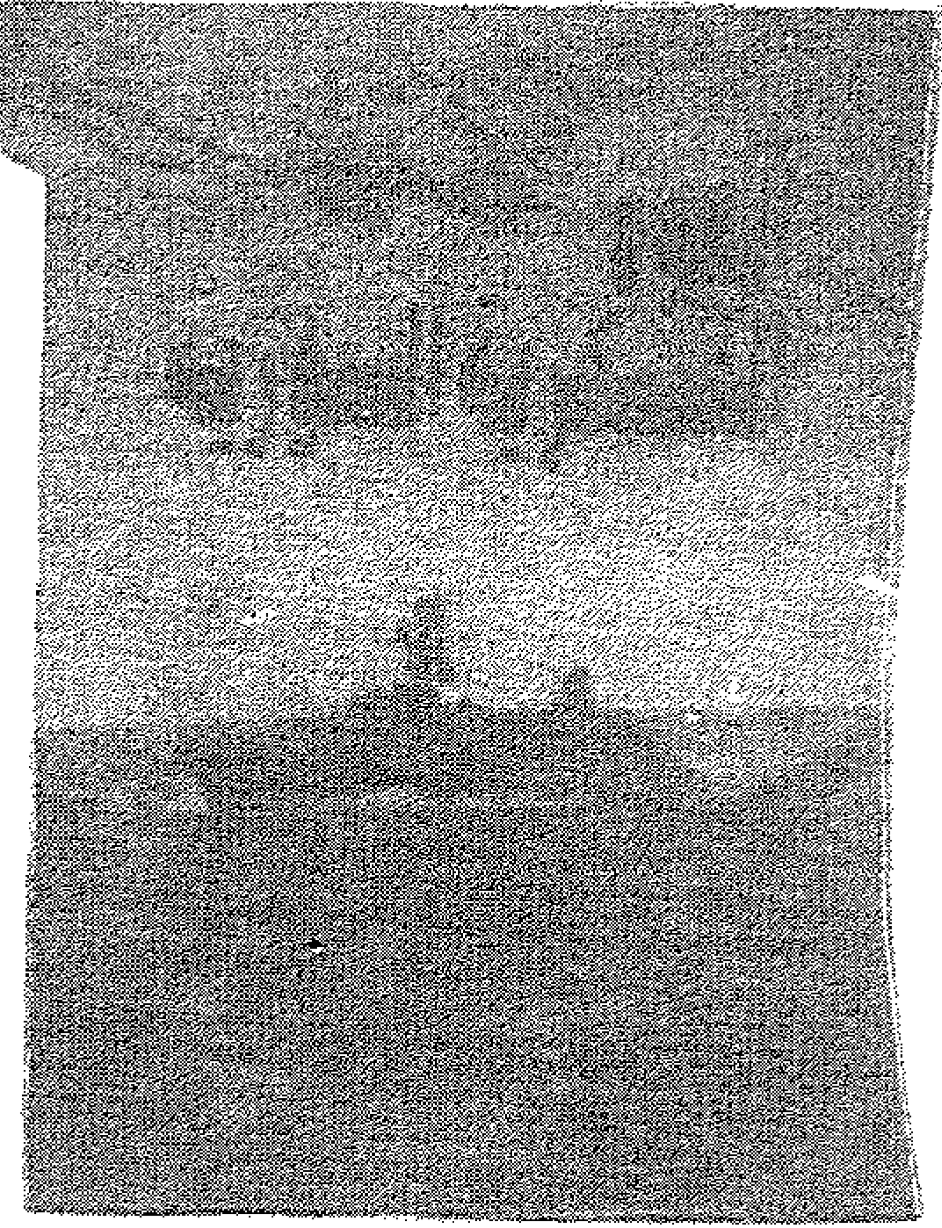
على الدول العربية الحذر من سريلانكا وعمالها

● كانت سيريلانكا قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع دولة الكيان الصهيوني اسرائيل عقب حرب حزيران (يونيو) ودعتها للانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها وقامت الولايات المتحدة بتمثيل مصالح اسرائيل طول هذه المدة فشكرتها الدول العربية في حينه وزادت من علاقاتها التجارية معها ولكن في العام الماضي أقدمت حكومة سيريلانكا بكل الصلف والتحدي للعلاقات العربية والاسلامية والمشاعر الطيبة على إعادة التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل وافتتحت سفارة اسرائيلية في العاصمة كولومبو ضاربةً عرض الحائط بمصالحها الاقتصادية الكبيرة مع العالم العربي وخاصة دول الخليج التي أصبحت تستورد معظم انتاج سيريلانكا الزراعي وخاصة الشاي بالاضافة إلى استقدام العمالة السيريلانكية الهائلة التي تغدق عليها مصدراً رئيسياً للعملات الأجنبية. والمعلومات المتوفرة لدينا تشير إلى وجود اكثر من خمسين ضابطاً وخبيراً اسرائيلياً في كولومبو لتدريب جيش سيريلانكا على حرب الجبال والعصابات لمواجهة ثورة التاميل المسلحة التي تطالب بالانفصال عن سيريلانكا كما وصل إلى كولومبو العديد من رجال المخابرات الاسرائيلية لدعم البعثة العسكرية الاسرائيلية. اننا نخشى بعد ذلك من تسريب عملاء المخابرات الاسرائيلية من السيريلانكيين والسيريلانكيات تجندهم هناك ويأتون إلى البلاد العربية ودول الخليج ضمن العمالة المطلوبة لهذه المنطقة. . .

له المخابرات بالالتحاق بالصناعات الجوية للاستفادة من خبرته السابقة. وهناك رأى ان اسرائيل استخدمت الرسومات التي سرقها لها وقامت بصنع طائرة كاملة منها اسمتها «كفير» وأصبحت تزعم لدى الدول التي ليس لديها طيران حديث في افريقيا وامـريكـا الـلاتينية ان هذه الـطائـرة صناعة اسرائيلية ١٠٠٪ ولكن كل خبير في المخابرات أو في صناعة الطائرات يعرف الحقيقة الفاضحة في أصل طائرة كفير وهي ان أصل هذه الطائرة وأصل تصميمها نتيجة عملية السرقة الكبرى التي قامت بها المخابرات الاسرائيلية لتصميمات الطائرة الفرنسية «ميراج ـ ٣».

الرئيس حافظ الأسد





أضواء على المعاهدة السورية التشيكوسلوفاكية.

الاستراتيجية السورية في الثمانينات

رئيس المخابرات الاسرائيلية

يطلب اعادة بناء المؤسسات

الهامة الاسرائيلية تحت الارض... خوفا ؟

من... سوريا

العسكرية السورية الاستراتيجية في وجه العنجهية الاسرائيلية:

نختم ملف الثمانينات الوثائقي عن العسكرية الاستراتيجية السورية ووقوفها في وجه العنجهية العسكرية الاسرائيلية التي تدعي التفوق وذلك بتسليط الأضواء على معاهدة الصداقة التي وقّعها الرئيس حافظ الأسد مع الحكومة التشيكوسلوفاكية بشخص الرئيس هوساك فما هي أبعاد هذه المعاهدة.. إن أي مراقب سياسي يتمعّن في البيان والنتائج التي صدرت أثر زيارة الرئيس حافظ الأسد والتي تضمنت إدانة التحركات التي تقوم الولايات المتحدة وحلفائها بها لتوسيع «كامب ديفيد» وما تسعى إليه لزيادة نفوذها ووجودها في منطقة الخليج والبحر الأحمر بهدف زيادة تدخلها في شؤون الدول الموجودة هناك. هذا المراقب يلاحظ ان الجانبين السوري والتشيكي يشتركان في الرأي بأنه من الضروري العمل على تقييد الأنشطة العسكرية والبحرية للدول الأجنبية في هاتين المنطقتين والحيلولة دون إقامة القواعد العسكرية الأجنبية ونشر السلاح النووي والامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الواقعة فيها. أما فيما يخص العلاقات الثنائية بين سوريا وتشيكوسلوفاكيا فقد عبر الرئيسان السوري والتشيكي عن ثقتهما بأن هذه المعاهدة تمثل «مرحلة متطورة للتعاون الشامل والعلاقات الودية بين البلدين ودعماً لجهودهما المشتركة من أجل الحفاظ على السلام العالمي والأمن والتعاون الدوليين». وقد تم ايضاً خلال الزيارة التوقيع على بروتوكول للتعاون بين وزارتي الخارجية السورية والتشيكية وبروتوكول آخر للتعاون بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي التشيكي.

وخلال ذلك وبعده تبين ان سوريا تتخذ الاستعدادات القصوى لمواجهة كل الاحتمالات ولذلك فهي سوف تضع في أي معركة كل الامكانات بدءاً بتحديث السلاح الغير متوقع وانتهاء بالدعم والمساندة من الأصدقاء وعلى رأسهم الاتحاد السوفييتي. ومن المعروف ان السلاح وحده أصبح اللغة السائدة في هذا العصر وفي هذه المنطقة وان السباق هو باتجاه تملك النوع الأفضل منه في محاولة للتفوق من قبل كل طرف على الآخر من الأطراف المتصارعة على الساحة الشرق أوسطية أو على الأقـل السعي للحفاظ على حالة من التوازن الاستراتيجي بينها من هذا المنطلق يفرض الواقع الميداني الصعود الدائم بالمستوى التكنولوجي إلى درجاته القصوى وهو ما تفعله سوريا في الوقت الحاضر في مواجهة عنجهية وفلسفة اسرائيل التي تقوم على مبدأ كان وزير الدفاع السابق موشي دايان قد ذكره في مذكراته وهو ان الحرب يجب ان تتم على «أرض الآخرين» أما العمق الاسرائيلي فهو الحالة المقدسة التي ينبغي عدم المس بها أو الوصول اليها بأي ثمن. والواقع ان موشي دايان لم يكن يتحدث لاهوتياً وهو الذي عاش بين ألسنة اللهيب ليموت في حالة من القنوط العقائدي والانطفاء الكامل. أما من قبل فكان يتحدث كرجال الحرب فهو يعرف جيداً ان اسرائيل وهي دولة «فقرية» وأي ضربة على الظهر قد تحطم الـدولـة كلها وبكاملها. هذا خلافاً لسوريا أو أي بلد عربي آخر لا تعتبر فقرية. فبامكان هذه الدول ان تمتص سريعاً أي مفاجأة عسكرية لتتجاوزها بسرعة ومن هنا كان الجنرال أريل شارون يقول:

إن الجنرال اليهودي «يختلف» عن أي جنرال آخر في العالم في نقطة أساسية وهي انه «لا يستطيع ولا يجب ان يهزم ولو مرة واحدة».

المطالبة ببناء المؤسسات الاسرائيلية الهامة تحت الأرض:

● رئيس المخـابـرات الاسرائيلية «يهودا براك» الذي سبق ان قاد القوات المظلية والمخابرات التي هاجمت بيروت واغتالت ثلاثة من قادة الفدائيين يعترف بأن سوريا تمتلك الأسلحـة الـلازمة والتي تتمكن من النفاذ بسهولة إلى «عمق»

اسرائيل ومن هنا قدم للحكومة الاسرائيلية مشروعه السري الخاص باقامة دولة ثانية تحت الأرض وهو المشروع الذي يقضي بنقل جميع المنشآت الحيوية من مصافي ومستودعات النفط ومحطات توليد الكهرباء والمفاعل النووي والمصانع العسكرية وحتى بناءي التلفزيون والاذاعة إلى «تحت الأرض». واذا كان تنفيذ هذا المشروع يبدو مستحيلاً بالنسبة لبناء منشآت تحت الأرض بعمق مئات الأمتار عوضاً عن المنشآت القائمة على وجه الأرض فإن الاسرائيليين يضعون خططهم على أساس مشروع رئيس المخابرات ومع ذلك فثمة خبراء كثيرون يعتقدون انه لا جدوى من أي عملية من هذا النوع ففضلاً عن كلفتها الخيالية بالنسبة لاقتصاد اسرائيل المنهار فإن أي منشآت من هذا الطراز لا يمكن ان تصمد أمام الأسلحة الحديثة التي يمكنها ان تلحق أضراراً فادحة بالمنشآت حتى ولو كانت قائمة في جوف الأرض.
وفي هذا المجال يمكن التركيز على ما صرح به الجنرال أهارون فاردي «قائد الدفاع المدني الاسرائيلي» في النصف الأول من عام ١٩٨٧ من ان سوريا أصبحت تستخدم صواريخ أرض ـ أرض القادرة على الوصول بسهولة إلى المراكز الحضرية الكبيرة في اسرائيل خلال أي حرب. كما نقلت صحيفة «هاآرتس» الاسرائيلية عن نفس الجنرال قوله: ان الحروب المقبلة لن تقتصر على المعارك في الجبهة لأن السوريين سيهاجمون المدن الخلفية بقوة كبيرة ليكون لهم «سلطة» اتخاذ القرار في السيطرة على الوضع العسكري اذا حصل «تدخل دولي» لوقف اطلاق النار أو ما شابه ذلك. وبنفس الحديث «أكدّ» قائد الدفاع المدني الاسرائيلي الجنرال فاردي ان سوريا تملك صواريخ أرض ـ أرض سوفييتية الصنع على درجة كبيرة من الدقة ويصل مداها إلى ٥٠٠ كلم وتستطيع هذه الصواريخ ان تصيب المدن الاسرائيلية الكبرى. الجنرال الاسرائيلي نفسه أضاف بأن السوريين قد نشروا أيضاً على سواحلهم بطاريات صواريخ ضخمة أرض ـ أرض قادرة على الوصول إلى تل ابيب وقد اعدوا قوة جوية مكونة من مئات الطائرات الجديدة والمتطورة من أجل قصف الأراضي الاسرائيلية في العمق. ويعترف قادة الجيش الاسرائيلي عبر تقارير عسكرية نشرت في صحيفة «محانية» الناطقة بلسان الجيش الاسرائيلي ان السوريين قاموا خلال السنوات الماضية بثورة تحديثية داخل القوات المسلحة فاضافة إلى صواريخ «أس. أس. ٢١» التي يتجاوز مداها الفعلي الألف كيلو متر وصواريخ سام ـ ٥ التي يمكنها التصدي للطائرات المعادية وهي لا تزال في الأجواء

الاسرائيلية كما تم تعزيز سلاح الجو السوري بمقاتلات من طراز متطور ومتنوع:

ميغ - ٢٥ -.
ميغ - ٢٧ -.
ميغ - ٢٣ ب.م -.
سوخوي - ٢٢/٢٠ -.
أليوشن - ٢٧ - بعيدة المدى.
طائرات - تو - ١٢٦ - للرصد والانذار المبكر.

وكان لسلاح الصواريخ السوري النصيب الأوفى من التحديث فقد عزز هذا السلاح الفعال بصواريخ تكتيكية أرض - أرض من نوع سكود - ب - وفروغ - ٧ - فيما تم تعزيز سلاح البحرية بأسلحة حديثة منها حوامات مضادة للغواصات متطورة جداً من طراز «ميل - ٨» ومن طراز «كاموف - ٢٥» إضافة إلى زوارق حديثة من فئة «أوسا - ٢/١» المزودة بصواريخ مضادة للسّفن.

● على ان العنصر المهم بالنسبة لاسرائيل وهي الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة كما يشير اليه مارك هيلر نائب رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ابيب هو معرفة اسرائيل عن مدى الالتزام السوفييتي بالأمن السوري فهيلر يقول ان الولايات المتحدة لم تقدم لهم حتى الآن سوى معلومات محددة حول هذه القضية الحساسة مما يضطر اسرائيل للتجسس على الولايات المتحدة مفسراً وملاحظاً ان المعلومات الامريكية «متراقصة» وهي تختلف باختلاف المواقف التي يطلب إلى اسرائيل اعتمادها. لكن هذا الخبير الاسرائيلي ينطلق من الواقع الميداني ليقول ان على اسرائيل معرفة حدود الالتزام السوفييتي بالتطورات التي حدثت في لبنان عندما تبيّن انه بوسع السوريين ان يطلقوا صواريخ «من خارج حدودهم» على الطائرات الامريكية ويسقطوا منها طائرتين فيما كانوا قد أعدوا عشرات الطائرات الانتحارية «على الطريقة اليابانية - كاميكاز» للانقضاض على البوارج الامريكية التي كانت مرابطة في المياه الاقليمية اللبنانية وهذا الموضوع بالذات جاء في خطاب للسيد العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري ولم يفعل السوريون ذلك ويعلنوه لو لم يكونوا على تفاهم شامل ودقيق مع الاتحاد السوفييتي الصديق والمرتبط معهم بمعاهدات صداقة وتعاون.

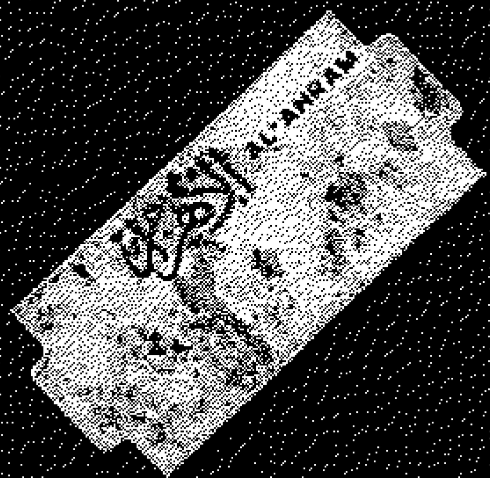
التعاون شامل بين سوريا والاتحاد السوفييتي:

● من الملاحظ والواقع ان منطقة الشرق الأوسط تعيش وسط متغيرات وظروف تجعلها استراتيجياً تقع بين فكي الجبارين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وهذا يقتضي الاستناد إلى إحدى القوتين العملاقتين والمعسكر الذي يتبعها وهذا لا يعني ان العلاقات السورية السوفييتية تقوم على أساس التطابق حيث لا شك ان دمشق وموسكو مقتنعتان تماماً ان لكل منهما ظروفها ورؤيتها الخاصة حيال بعض المسائل ولكن ذلك لا يؤثر في الرؤية الاستراتيجية المشتركة بينهما. ومن هذا المنطلق يمكن فهم سعي دمشق إلى توثيق علاقتها بالمعسكر الشرقي حيث ترتبط سوريا بمعاهدتي صداقة وتعاون مع كل من الاتحاد السوفييتي وبلغاريا بالاضافة إلى توقيع السيد الرئيس حافظ الأسد معاهدة الصداقة والتعاون مع الرئيس هوساك رئيس تشيكوسلوفاكيا كما جاء في مقدمة هذا الموضوع.

● وإلى هنا تنتهي مواد هذا الملف الدولي عن أعمال المخابرات في العالم وكان من الضروري تقديمه في هذه الظروف الصعبة التي يجتازها وطننا العربي مع السلسلة التي نقدمها تباعاً عن المخابرات وسبر غور عالم الجاسوسية للقراء ليتابعوا الاطلاع على المؤامرات والأنشطة المخابراتية والمباحثية في كل زمان ومكان ولهذا كان عنوان هذا الكتاب (ملف الثمانينات عن أعمال المخابرات) نظراً لما جاء فيه ويبقى علينا متابعة اصدار هذه السلسلة بتقديم كتاب (المخابرات والعالم ـ الجزء الثالث) كما وعدنا قراءنا في الجزء الثاني وهذا الجزء سيصدر وفيه أهم الأعمال الجاسوسية التي تم كشف النقاب عنها ومنها المعلومات التي مضى عليها المدة القانونية وتم السماح بنشرها عن أعمال المخابرات العالمية كما سيتضمن هذا الجزء الريبورتاج الذي وعدنا به قراء الجزء الثاني عن تصوير مشاهد حية عن عملية اعتقال جاسوسة ومراحل التحقيق معها مع غير ذلك من المواد الشيقة التي حصلنا عليها من مصادرها الحقيقية فإلى اللقاء مع هذه الكتب التي نصدرها تباعاً للافادة منها والله من وراء القصد.

المؤلف
سعيد الجزائري

الفهرس



في هذا الكتاب

- المخابرات منذ العصور الوسطى
- الخيانة في المخابرات الأمريكية
- فصل خاص عن إصرار المخابرات الأمريكية على اغتيال كاسترو
- المافيا ودورها في الاغتيالات
- الجاسوسية العربية والاسرائيلية
- المخابرات الامريكية تقتل أي رئيس دولة لا يتبعها
- تسريب خبر من البيت الأبيض لتخويف سورية
- جاسوس موسكو الغامض في باريس
- أغرب قصة حب وجاسوسية بين الصين وفرنسا
- التجسس في ألمانيا الغربية
- معلومات تنشر لأول مرّة عن دور المخابرات الاسرائيلية في حرب رمضان
- جاسوسة حسناء تبحث عن علي حسن سلامة لصالح المخابرات الاسرائيلية
- أسباب تجسس اسرائيل على أمريكا